

القول الفضل
في حكم
الفضل
بمقدمة الرسول

صلوات الله عليه وسلام

تأليف
فخر سيلة الشفاعة
إسماعيل بن محمد الله عاصي
رحمه الله تعالى

كتاب الله

ناشر ثور



القول الفصل في حكم
الإحتفال بمواليد خير الرسل

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف
فضيلة الشيخ

إسماعيل بن محمد الأنصاري

طبع ونشر

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
وكالة شؤون المطبوعات و النشر
الرياض - المملكة العربية السعودية
وقف لله تعالى

- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م -

ح) وزارة الشئون الإسلامية، هـ ١٤١٦
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الأنصارى، إسماعيل محمد
الفول الفضل في حكم الاحتفال بموعد خير الرسل صلى الله عليه وسلم.
ص ٣٣١ × ٢٤ سم ١٧ : ص
ردمك: ٩٩٦٠-٢٩-٠٣٨-٧
١- المولد النبوي ٢- البدع في الإسلام أ- العنوان
ديوي ٢١٢,٣ ١٦/٠٦٥٤

رقم الإيداع: ١٦/٠٦٥٤
ردمك: ٩٩٦٠-٢٩-٠٣٨-٧

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 فَهْرُسُ كِتَابِ الْقُولِ الْفَصْلِ
 فِي حُكْمِ الْإِحْتِفَالِ بِمَوْلَدِ خَيْرِ الرُّسُلِ

مقدمة تحتوي على مایلی :

١ — تلخيص كلمة سماحة العلامة الأثرى الشيخ عبد العزيز بن عبد	
الله بن باز في حكم الإحتفال بالموالد ٢٧	
٢ — نص تلك الكلمة ٢٨	
٣ — بيان الذين أثاروا الضجة حول تلك الكلمة القيمة ٣٢—٣١	
دعوى أن الاحتفال بالموالد ليس من مخترعات المتسمين بالفاطميين واما اخترعه صاحب اربيل ٣٢	
الاستدلال للاحتفال بالموالد بأية «قل بفضل الله وبرحمته» الآية ٣٢	
التعلق بتخریج الحافظ ابن حجر في فتواه في المولد عمل المولد على حدیث صوم يوم عاشوراء وخطأ الرفاعي في عزو تلك الفتوى الى الہیتمی ٣٣	
التعلق بتخریج السیوطی عمل المولد على ماروی أن النبي صلی الله علیه وسلم عق عن نفسه ٣٣	
التعلق بتخریج عمل المولد على ماجاء عن عروة في تخیف العذاب عن أبي لہب كل يوم الاثنين بسبب عتقه لثوبیة حينما بشرتہ بولادة خیر الخلق ٣٦	
دعوى أن أول من احتفل بالموالد وهو صاحب اربيل ملك عادل ذكر ابن خلکان وسبط ابن الجوزی نتفاً من احتفاله به ٣٧	
ثناء أبي شامة على صاحب اربيل لاحفاله بالموالد وتألیف ابن دحیة وهو من العلماء كتاباً في المولد ٣٧	
كلام لشیخ الإسلام في الاقتضاء استدل به الشیخ محمد بن علوی بعد تصرفة فيه ٣٨—٣٧	
ثناء ابن بطوطة في رحلته على بعض قضاة مكة أيام وصوله إلى مكة بااحتفاله بالموالد النبوی ٣٨	
قياس الاحتفال بالموالد النبوی على الاحفالات التي تقام للرؤساء إحياء للذكرى	

٣٩	دوعى أن الاحتفال بالمولود إذا لم يقتصر فيه على وقت معين لاحرج فيه دعوى أن للإمام ابن كثير مصنفات عديدة في الاحتفال بالمولود ذكر بعضها صاحب كشف الظنون وبعضها ابن فهد
٤٠	دوعى أن علماء الاقطار استحسنوا الاحتفال بالمولود وقد ورد في الحديث «مارآه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن» الاستدلال بأن المولد اجتماع ذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجنب النبوى وهي أمور مطلوبة شرعا
٤٠	الاستدلال لزيارة أهل مكة ليلة المولد المكانى واحتفاهم به بما ورد في بعض روایات حديث الاسراء ان النبي صلی رکعتين ليلة الاسراء ببيت لحم بأمر جبريل
٤٣	معارضة الأحاديث الثابتة في ذم البدع بحديث «من سن سنة حسنة» معارضتها بأثر ابن مسعود «مارآه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن» الحديث
٤٤	معارضتها بإجماع السلف الصالح على جمع القرآن وكتبه في المصاحف وعلى جمع الناس على المصاحف العثمانية
٤٥	معارضتها بتقسيم من قسم من أهل العلم البدعة الى أحكام الشريعة الخمسة
٤٨	معارضتها باستعمال المسلمين السلاح المتطور «إثبات أن الاحتفال بالمولود لم يقع من السلف الصالح»
٤٩	قول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك رسالة العلامة تاج الدين عمر بن على الفاكهانى واعتماد العدوى وعليش عليها
٥٣	فتوى الأستاذ أبي عبد الله الحفار المالكي في ذلك
٥٤	قول المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
	قول الإمام الشیخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب والجواب عما قد يتوجه منه خلافه
٥٤	قول العلامة محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
٥٥	قول السيد علي فكري

٥٥	قول الشيخ محمد بن عبد السلام الشقيري
٥٧	قول ابن الحاج في المدخل
٥٨	قول الحافظ أبي زرعة العراقي
٥٨	قول الحافظ ابن حجر العسقلاني
٥٨	قول السخاوي في فتاوى يه
٥٨	قول ابن الطباخ
٥٨	قول ظهير الدين التزمتني
٦٠	تقرير أن ترك ماتركه النبي صلى الله عليه وسلم سنة ما يدل على عدم احتفال السلف الصالح بيوم المولد النبوى اختلافهم في تحديده
٦٠	كلام أبي عبد الله الحفار في ذلك
٦٠	كلام ابن كثير في الخلاف في تحديد يوم المولد النبوى
٦١	كلام القسطلاني في المواهب اللدنية في ذلك
٦١	صاحب إربيل يحتفل بالمولود سنة في ثامن شهر ربيع الأول وسنة في ثاني عشر ربيع الأول مراعاة للخلاف في تحديده
٦٢	ابن الحاج والفاكهاني يقرر أن الشهر الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو بعينه الشهر الذى مات فيه فليس الفرج بأولى من الحزن فيه
٦٤	إثبات أن بنى عبيد القداح أول من احتفل بالمولود
٦٤	كلام المقرizi في ذلك
٦٧	كلام القلقشندى فيه
٦٧	كلام مفتى الديار المصرية محمد بخيت المطيعى فيه
٦٧	كلام على محفوظ في الابداع في مضمار الابداع فيه
٧٠	نص كتاب «المعز ل الدين الله» تأليف الدكتورين حسن ابراهيم حسن وطه أحد شرف في احتفالات بنى عبيد القداح بالمولود
٧٢	نص تأليف مختار العبادى في التاريخ العباسى والفارطمى
٧٣	الجواب عما استدل به المعارضون على مشروعية الاحتفال بيوم المولد الجواب عن الاستدلال بآية «قل بفضل الله وبرحمته بذلك فليفرحوا» بأن ذلك من حل النص على مالم يحمله عليه السلف الصالح والعمل به

.....	على غير الوجه الذى عملوا به وهم ممنوعان	73
.....	كلام الشاطبى في المواقفات في منع حمل النص على مالم يحمله عليه	73
.....	السلف الصالح والعمل به على غير الوجه الذى عملوا به	77
.....	كلامه في الاعتصام في ذلك	77
.....	كلام الحافظ ابن عبد الهادى في الصارم المنكى فيه	77
.....	كلام مختصر الصواعق محمد بن الموصلى فيه	77
.....	تفسير ابن القيم آية «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» وهو حجة	78
.....	على من يستدل للاحتفال بالمولود بها	78
.....	الجواب عن تخريج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء	78
.....	تلخيص جواب السيد رشيد رضا عن فتوى ابن حجر العسقلانى في عمل	79
.....	المولد التي جاء فيها ذلك التخريج	79
.....	الجواب عن تخريج عمل المولد على ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم	80
.....	عن نفسه بأنه غير ثابت	80
.....	قول مالك في ذلك الحديث	80
.....	قول عبد الرزاق فيه	81
.....	قول الإمام أحمد بن حنبل فيه	81
.....	قول ابن حبان فيه	81
.....	قول البزار فيه	82
.....	قول البيهقي فيه	82
.....	قول النووي فيه	82
.....	قول الحافظ أبي الحجاج المزى فيه	83
.....	قول الذهبي فيه	83
.....	قول ابن حجر العسقلانى فيه	83
.....	قول الزرقانى فيه	84
.....	الجواب عن تخريج عمل المولد على ماورد عن عروة في تخفيف العذاب	84
.....	عن أبي هب لاعتقه ثوبية حينما بشرته بولادة النبي صلى الله عليه	84
.....	وسلم	84
.....	الاجابة عنه بأنه مرسل كما يظهر من سياقه عند البخارى	84
.....	الاجابة عنه بأنه رؤيا منام فلاحجة فيه	85

الاجابة عن ذلك المرسل بمخالفته لما عند أهل السير وهو أن اعتاقه ايها كان بعد الارضاع بدهر طويل ٨٥
الاجابة عن ذلك المرسل بمخالفته ظاهر القرآن وبيان التفرقة بين قضية ابي طالب وقضية ابي هب ٨٧
الجواب عن احتفال صاحب إربل بالمولد وما يتعلّق بذلك جواب سماحة الفتى الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ عنه بان فعله ذلك يعارض الأحاديث الثابتة في ذم البدع فلا يقبل ٨٧
طعن سماحته في صاحب إربل بمحبته للسماع وايراد ما هو صريح في ذلك ٨٨
طعن ياقوت في صاحب إربل بان طباعه مختلفة متضادة وبأنه غير متزن ٨٨
ايصالح ان صاحب إربل قد سبقه إلى الاحتفال بالمولد بنو عبيد القداح والشيخ عمر ابن محمد الملا بالموصل وبعمر هذا اقتدى صاحب إربل ٨٨
عدم اعتبار ايراد ابن خلkan نتفاً من مظاهر صاحب إربل بالمولد لما في تاریخه من أمور غير مرضية ٨٩
إنكار أهل العلم على ابن خلkan ذكره في تاریخه انتیاب الناس للقبور وبترکهم بها ٨٩
انكارهم عليه أنه يطيل تراجم الشعراء ويترجم العلماء ترجمة يسيرة ويترك بيان زندقة الزنادقة ٨٩
عدم تحرير ابن خلkan ابن الرواوندي المشهور بالزنادقة ومعاتبة ابن كثير ایاه على ذلك وترجمة ابن كثير لابن الرواوندي ٩٠
تعجب ابن العماد في شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٥ من سكوت ابن خلkan عن الحاد ابن الرواوندي مع اطلاعه عليه ٩١
ایراد ترجمة ابن الرواوندي في تاريخ ابن خلkan لا يوضح تساهلها في السكوت عن زندقتها ٩١
عدم اعتبار ايراد سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان احتفال صاحب إربل بالمولد ٩١
ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وعبد القادر القرشى الحنفى في سبط ابن الجوزي ومرآة الزمان ٩٢-٩١
قول أبي شامة في سبط ابن الجوزي رأيته — اى بعد وفاته — في المنام

٩٢	في حالة منكرة ورأى غيري – أى كذلك – أيضاً
٩٢	إحراج بعض المتصوفة إياه بسؤال عن سبب انتقاله عن مذهب أحمـ بن حنبل إلى مذهب أبي حنيفة
٩٣	الجواب عن ثناء أبي شامة على صاحب إربل لاحتفاله بالولد بأنـ أبي شامة لم يذكر له مستندًا سوى الاقتداء في ذلك العمل بالصوفى عمر الملا
٩٣	الجواب عنه بما ذكره الإمام ابن تيمية وهو أنـ مع المنكرين لذلك الاحتفال كتاب الله وسنة رسوله ومعهم عامة المقدمين
٩٤	جزم الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتى الديار المصرية بأنـ ما يعمله صاحب إربل في عمل الولد لا يمكن الحكم عليه كله بالحلـ
٩٤	معارضة الثناء على ابن دحية مؤلف التتوير في مولد السراج المنير بكلام أهل العلم فيه
٩٤	كلام سبط ابن الجوزى فيه
٩٦	كلام الحافظ الضياء فيه
٩٦	كلام ابن واصل قاضى حماه فيه
٩٧	كلام ابن نقطة فيه
٩٧	كلام ابن التجار فيه وقصة سجادته
٩٨	كلام الحافظ الذهبى فيه
٩٩	كلام الإمام ابن كثير فيه
١٠٠	اتهام ابن خلكان نفسه لابن دحية
١٠١	الرد على التعلق بعبارة الاقتضاء في الولد
١٠٢	ايضاح شيخ الإسلام أنـ اثابة الواقع في المواسم المبتدةـة هي على مافيها من المشروع وانها لا تقنـع النهى عنها
١٠٢	معارضة شيخ الإسلام مأـي الولد وغيره من المواسم من المـنـفـعـةـ بما فيها من المـفـاسـدـ
١٠٣	معارضـته الاحتفـال بـيـوم الـمـولـدـ بالـاخـتـلـافـ فـيـهـ وـبـأـنـ الـاحـتـفـالـ بـهـ لـمـ يـفـعـلـهـ السـلـفـ مـعـ قـيـامـ المـقـتضـىـ وـدـعـمـ المـانـعـ مـنـهـ
١٠٣	ذـكـرـهـ أـكـثـرـ الـذـيـنـ يـحـرـصـونـ عـلـىـ ذـكـرـ الـاحـتـفـالـ تـجـدـونـهـمـ فـاتـرـينـ فـيـ أـمـرـ الرـسـوـلـ عـاـمـرـواـ بـالـنشـاطـ فـيـهـ
١٠٤	تصـرـيـحـهـ بـأـنـ مـعـ الـمـنـكـرـينـ لـذـكـرـ الـاحـتـفـالـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـهـ عـلـىـهـ وـسـلـيـلـهـ

الله عليه وسلم ومعهم عامة المتقدمين الذين هم أفضل ١٠٤	الجواب عن الاحتجاج ببناء ابن بطوطة في رحلته على قاضي مكة أيام وصوله إليها باحتفاله بالمولد ١٠٤
كلام الشيخ حسن السائح في مقدمته لرحلة البلوي في رحلة ابن بطوطة ١٠٤	من كذبات ابن بطوطة في رحلته دعوه أنه رأى الإمام ابن تيمية نزل على منبر جامع دمشق وقال إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزوبي هذا ١٠٥
تبرئة الشيخ محمد منير الدمشقي شيخ الإسلام ابن تيمية من تلك الفرية ١٠٥	تبرئة السيد رشيد رضا الإمام ابن تيمية منها ١٠٦
من مزاعم ابن بطوطة في رحلته أن أهل مكة في زمانه اعتقادوا الولاية في ١٠٧	عنون ١٠٧
تفنيد سماحة المفتى محمد بن إبراهيم — في رسالته في المولد قياس الاحتفال بالمولد النبوى على الاحتفالات التي تقام للرؤساء أحياء للذكرى ١٠٨	
دعوى رفع الحرج على من احتفل بيوم المولد إذا لم يقتصر على وقت معين يردها كلام العسقلانى في فتواه ١٠٩	
تحقيق حول دعوى أن لابن كثير في الاحتفال بالمولد النبوى مؤلفات عديدة منها جامع الآثار في مولد النبي المختار واللقط الرائق في مولد خير الخلاق وورد الصادى في مولد المادى ١١٠	
الجواب عن دعوى أن الاحتفال بالمولد النبوى أمر استحسنه العلماء ١١٢	
جواب السيد رشيد رضا عن الاستدلال لمشروعية الاحتفال بالمولد بما فيه من ذكر وصداقة ومدح للجناب النبوى وكلام السيد رشيد رضا ١١٣	
وحسنين مختلف وعلى حفظ على بدعة الصارى ١١٥—١١٣	
إذا اقتضى الدليل أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات فأئم المكلف فيه بكيفية مخصوصة أو قيده بزمان أو مكان من غير أن يدل الدليل على ذلك ١١٥	
كان الدليل معزلاً على ذلك المعنى المستدل عليه ١١٧	
نفس نية المولد في ذلك العمل بدعة ١١٧	
عدم الاعتماد على دعوى المحتفل بالمولد أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالاحتفال به في المنام ١١٨	
إيضاح التوسيع أن الرؤيا في المنام لا تبطل بها سنة ولا تثبت بها سنة ١١٨	

١١٩	قول صاحب المدخل في ذلك
١٢٢	قول الشاطبي فيه
١٢٢	قول الحافظ ابن كثير فيه
١٢٣	قول ابن مفلح المقدسي فيه
١٢٣	قول الحافظ العراقي فيه
١٢٥	قول الحافظ أبي زرعة العراقي
١٢٦	قول السخاوي
١٢٦	قول الشيخ ملا على قاري
١٢٦	ذكر نبذة مما ورد في «الطالع السعيد» من الغلو في القبور
١٢٧	دعوى بعض أولياء الطالع السعيد التصرف في الكون وبعضهم علم الغيب وبعضهم الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقطنه
١٣١	كون السبتي شيخ أبي حيان لا يتضمن قبول كل ما يقوله ولا رضا أبي حيان به وذكر موقع بين أبي حيان وبين شيخه ابن الطباع
١٣٢	مصادمة اعتبار السبتي يوم المولد يوم عيد للأدلة
١٣٢	اياد السيوطى في حسن المقصود قصة السبti لا يوجب قبولها لعدم تحريره في كثير مما يورده في مؤلفاته
١٣٢	امثلة لما وقع في بعض كتب السيوطى من الاستغاثة بغير الله تعالى
١٣٣	اعتماد السيوطى في تلك الاستغاثة على كتاب المستغيثين بخير الانام
١٣٤	وكلام شيخ الاسلام في صاحب ذلك الكتاب
١٣٤	رجوع السيوطى عن بعض مؤلفاته وغضله ايها من أدلة سوء تصرفه في بعض كتاباته
١٣٤	عدم فهم السيوطى كلام صاحب المدخل في عمل المولد
١٣٦	رفض السيوطى مالا يوافق هواه من كلام الأدفوي في «الطالع السعيد»
١٣٦	وان كان صوابا
١٣٨	من امثلة ذلك رفضه لما أوضحه الأدفوي من أن الشخص الواحد لا يشغل مكانين
١٣٨	دعوى السيوطى في «المجل» أن الكعبة تطوف بالأولياء
١٣٨	ما ورد في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ركعتين بيت لحم بأمر جبريل عليه السلام

- الجواب عما ورد في ذلك من روایة شداد بن أوس وانتقاد الذهبي وابن
كثير تصحیح البیهقی استناد تلك الروایة ١٣٩
- الجواب عما ورد في ذلك من روایة أنس عند النسائی في المحتبی ١٤١
- الجواب عما ورد في ذلك من روایة ابی هزیرة عند ابن حبان وجزم ابن
حبان بان تلك الروایة موضوعة وتلقی ابن الجوزی والسبکی وابن کثير
والشوكانی کلام ابن حبان بالقبول وكلام ابن تیمیة وابن القيم في ذلك
تصریح ابن ظہیرة في الجامع اللطیف بان ما یصنعه أهل مکة لیلة المولد
کل عام من زیارة المولد المکانی والاحتفال به لم یجد له اصلا ١٤٢
- إجابة الشاطبی عن حديث «من سن سنة حسنة» بحوالین يدلان على أن
المراد بقول النبي صلی الله علیه وسلم «من سن سنة» من عمل بسنة
ثابتة «لا من اخترعها» ١٤٦
- حوالیه عن حديث «من ابتدع بدعة ضلاله» ١٤٧
- الجواب عن الاستدلال بحديث «مارآه المسلمين حسنا فهو عند الله
حسن» بأن المراد بالمسلمین فيه الصحابة ١٤٨
- حوالیه ابن حزم وابن قدامة وابن القيم والشاطبی عنه بأن المراد به ما
أجمع عليه المسلمون ١٥٠
- دعوى العجلونی أن أثر ابن مسعود «مارآه المسلمين حسنا فهو عند الله
حسن» ليس في مسند أحد وتوهیمه في ذلك ١٥١
- جزم ابن الجوزی وابن القيم وابن عبد الهادی ببطلان رفع هذا الأثر
واستغرب الزیلیعی رفعه وابراد نصوصهم في ذلك ١٥٢
- الجواب عن جمع الصحابة المصحف وقصرهم الناس عليه ١٥٤
- والجواب عن کتابة العلم ١٥٦
- الجواب عن تقسیم القرافی البدعة الى أقسام احكام الشعیر الخمسة وعما
اعتبره أمثلة لذلك ١٥٦
- الجواب عن تقسیم العز البدعة الى أقسام احكام الشعیر الخمسة وعما مثل
به لذلك ١٥٦
- الجواب عن ایراد المحاربة بالرصاص والمدافع والدببات والطیارات
والاساطیل على ذم البدعة ١٥٦
- جزم شیخ الإسلام بأن تقسیم البدعة الشرعیة إلى احكام الشعیر الخمسة

- سلب لعوم «كل بدعة ضلالة» ١٧٠
- رد السيد رشيد رضا على ذلك التقسيم ودعوته شيخ الازهر الى تاليف لجنة من العلماء تقوم بالواجب نحو التصریح بالحق في المولد وفي غيرها من البدع ١٧٠

من الأمور الخطيرة التي قد ترتب على الاحتفال بيوم المولد

- صدور أوامر من بعض الولاة بتصحیر ذلك اليوم عیداً ١٧٢
- تصحیر بعض المتأخرین من أهل العلم باعتباره عیداً وكلام شنیع للسخاوی في ذلك ورد الملا على القاری عليه ١٧٣
- فتوى ابن عباد وابن عاشر بمنع صومه على أساس أنه عید واستحسان القوری والدسقونی ذلك والرد عليه ١٧٣
- دعوى أن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر والرد عليها وعلى القسطلانی الذي اغتر بها ١٧٧
- التوسع في المولد جرياً على طریقة بنی عبید القداح المسمین بالفاطمین ١٨٠
- دعوى أن في يوم المولد ساعة من صادفها يسأل الله تعالى شيئاً أعطاها إياه قیاساً على يوم الجمعة وتعقیب الزرقانی على ذلك وغلط الشیخ محمد بن علوی في الحديث الذي ورد في فضل يوم الجمعة ١٨١

**علماء العصور المتأخرة يذكرون
المفاسد الموجودة في ازمنتهم
في الموالد ويستنكرونها**

- ابن الحاج يذكر في المدخل المفاسد الموجودة في الموالد في زمانه ويلخص
كلامه سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ أحسن تلخيص ١٨٧
- القاضي المنستيري والفقهاء يذكرون أن في احتفال الأمير ابى يحيى بالولد
مجاورة بالذنب لاحتواه على اللهو ورفع قناع الحياة ويصرحون بان النبي
صلى الله عليه وسلم لو حضر تلك الليلة لم ياذن لهم في ذلك الاجتماع ١٩٠
- بعض علماء المغرب يقول فيما أحدثه العزف ولده أبو القاسم في عمل
الولد لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول شهوة ١٩١
- البناني المالكي يعتبر الاصناف باقامة الولد في زمانه اصناف بالمعصية لما فيه
من اختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك من المناكر ١٩٢
- الهيتمي يذكر أن اكثراً الموالد في زمانه مشتمل مع ما فيه من الخير على
الشر وينع ما كان كذلك بناء على أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ١٩٢
- شيخ الإسلام ابن تيمية يسرد في الإقتضاء ما في الموالد وغيرها من المفاسد
الاعتقادية واللحالية ١٩٢
- الشيخ محمد بخيت المطيعي يذكر المحرمات والمكرهات التي تقع في
عمل الولد وينع الصرف عليه من بيت المال ومن الأوقاف ١٩٣
- السيد رشيد رضا يذكر اشتتمال الموالد في زمانه على العاصي المعلوم تخريمهها
من الدين بالضرورة ويدرك منها تعطيل الصلة ١٩٣
- السيد على فكري يسهب في تعداد المفاسد والمخازى التي توجد في الموالد
ويدعو الولاة إلى إزالتها ١٩٤
- على محفوظ يذكر في «الابداع» ما يقع في الموالد من المحرمات والمكرهات ١٩٥
- صاحب الابداع يضيف إلى ذلك التصریح بان الموالد صارت مراد
للفسق والفحوج واسواقاً تباع فيها الاعراض ١٩٦
- السيد رشيد رضا يصف الموالد بأوصاف تدل على الرغبة عن الشرع
ويستنكرون صرف الأموال في ذلك ويدرك أن ما يفعل فيها من اسباب
تأخر المسلمين ١٩٧

ابن خلكان يصف مافي احتفال صاحب إربل بالمولد من الاسراف ١٩٨
سبط ابن الجوزى يذكر أن صاحب إربل ينفق على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ٢٠٠
السخاوى يحرز ما انفقه سلطان مصر في ليلة المولد بنحو عشرة آلاف مثقال من الذهب ٢٠١
المقري التلمساني يصف اسراف ابى حمو موسى بن يوسف في احتفاله بالمولد ٢٠٢

فصل في الكلام على قصص المولد

الامام محمد بن عبد الوهاب يبين أن الاجتماع على قراءة قصص المولد بدعة ٢٠٥
السيد رشيد رضا يقول إن أول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد الشراكسة ٢٠٥

ورود احاديث غير ثابتة في قصص المولد

كلام السخاوى في ذلك ٢٠٥
قول السيد رشيد رضا فيه ٢٠٦
قول السيد على فكري فيه ٢٠٦
امثلة لذلك ٢٠٧

حديث جابر الذى جاء فيه «إن الله خلق قبل الاشياء نور نبيك يا جابر» بالفاظه عند القسطلانى والديار بكرى وابى الريبع ٢٠٦
الحديث «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين» ودعوى الشيخ محمد بن علوى أن العلقمى صصحه ودعوى علي القارى أن الاحاديث الصحيحة تشهد لمعناه ٢٠٩
الحديث «كنت أول النبئين في الخلق وأخرهم في البعث» ٢٠٩
الحديث «كنت نوراً بين يدى الله عز وجل قبل أن يخلق آدم باربعة عشر ألف عام» وكلام القسطلانى ومحمد بن علوى فيه ٢١٠

- حاديـث أـن آـدـم عـلـيـه السـلـام لـما رـأـم الـقـرـب مـن حـوـاء طـلـبـت المـهـر مـنـه فـقـال
يـارـب وـمـاذا أـعـطـيـها قـال يـآـدـم صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ ٢١٢
- حادـيـث أـن الـأـرـوـاح خـلـقـت قـبـل الـأـجـسـاد وـتـفـسـير السـبـكـي بـه حـدـيـث
«كـنـت نـبـيـا وـآـدـم بـيـن الرـوـح وـالـجـسـد ٢١٢
- حادـيـث عـمـر بـن الـخـطـاب فـي توـسـل آـدـم بـمـحـمـد صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم ٢١٣
- حادـيـث اـبـن عـبـاس اوـحـي الله إـلـى عـيـسـى عـلـيـه السـلـام آـمـن بـمـحـمـد وـأـمـر مـن
أـدـرـكـه مـن اـمـتـكـ ان يـؤـمـنـوا بـه فـلـوـا مـحـمـد مـا خـلـقـتـك ٢١٤
- حادـيـث رـفـع النـبـي صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم نـسـبـه إـلـى نـزـار ٢١٤
- حادـيـث «أـنـا اـبـن الـذـيـحـين» ٢١٤
- حادـيـث وـضـع الـحـوـاـمـل الـذـكـور فـي السـنـة الـتـي وـلـدـ فـيـها خـيـر الـخـلـق كـرـامـة لـه ٢١٤
- حادـيـث نـطـقـ كـل دـاـبـة لـقـرـيـش لـيـلـة الـحـلـم بـمـحـمـد صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم ٢١٤
- وـقـالـت حلـ بـه وـحـضـو رـأـسـيـة وـمـرـيم وـنـسـاء مـن الـحـورـعـيـن وـلـادـة النـبـي
صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم ٢١٤
- حادـيـث أـن النـبـي صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم وـلـدـ مـخـتوـنـا ٢١٥
- حادـيـث مـنـاغـاة النـبـي صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم الـقـمـر فـي الـمـهـد ٢١٥
- حادـيـث أـن آـمـنـة رـأـت وـهـي حـاـمـل بـرـسـوـل الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم أـنـه قـيل
لـه اـنـك حـبـلـ بـخـيـر الـبـرـيـة حـدـيـث ٢١٦
- حادـيـث سـلـمان عـنـ اـبـن عـسـاـكـر أـن جـبـرـيـل هـبـط عـلـى النـبـي صـلـى الله عـلـيـه
وـسـلـم فـقـال اـن رـبـك يـقـول اـن كـنـت اـتـخـذـت اـبـرـاهـيـم خـلـيـلا حـدـيـث وـفـيـه
وـلـوـاـكـ مـا خـلـقـتـ الدـنـيـا ٢١٦
- ماـوـرـد فـي حـدـيـث الـوـفـاة النـبـوـيـة أـن جـبـرـيـل قـال يـارـسـوـل الله هـذـا آـخـر
مـوـطـئـيـ منـ الـأـرـض ٢١٦
- الـجـواب عـنـ حـدـيـث جـاـبـر الـذـي وـرـدـ فـيـه «إـن الله خـلـقـ نـورـ نـبـيـك قـبـل
الـأـشـيـاء يـاجـابـر» ٢١٧
- شـيـخـ الـإـسـلام يـوضـعـ أـنـ النـبـي صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم خـلـقـ مـا خـلـقـ مـنـه
الـبـشـر لـامـنـ نـورـ وـأـنـ مـا تـضـمـنـه حـدـيـث جـاـبـر غـيرـ صـحـيـح ٢١٧
- الـسـيـوطـيـ يـذـكـرـ فـي الـخـاوـيـ قـطـعـة مـنـ ذـلـكـ حـدـيـث وـبـيـنـ أـنـه لـيـسـ لـه
سـنـدـ يـعـتمـدـ عـلـيـه ٢١٩
- الـشـيـخـ سـلـيـمانـ بـنـ سـحـمـانـ يـذـكـرـ أـنـ ذـلـكـ حـدـيـث مـوـضـعـ مـخـالـفـ لـلـكـتـاب

والسنة و يوضح تلك المخالفة

- ٢١٩ صاحب السنن والمبتدعات يوضح في تعليقه على ما اقتضفه ابن نباتة في خطبته من ذلك الحديث أنه لا أصل له و بيان قوة ارتباط خطب ابن نباتة بنهج البلاغة
- ٢٢٢ كلام أهل العلم في كتاب نهج البلاغة
- ٢٢٤ السيد رشيد رضا يجزم بأن حديث إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك يا جابر لأصل له
- ٢٢٥ الفماري يذكر أن لفظ حديث جابر في أن الله خلق نور نبيه قبل الأشياء وخلق منه الأشياء عند الديار بكرى موضوع وايراد لفظه
- ٢٢٧ ابو نعيم يورد حديث «خلقني الله من نوره» الخ ويصرح ببطلانه
- ٢٢٨ والذهبى والمسقلانى يبينان أن آفته النبجى
- ٢٢٩ الجواب عن حديث كنت نبياً وأدم بين الماء والطين
- ٢٣٠ كلام شيخ الإسلام في رده على أهل وحدة الوجود في بطلان ذلك الحديث
- ٢٣١ كلامه في رسالته في أحاديث القصاص في بطلانه
- ٢٣٢ اعتماد الامام ابن القيم على كلام شيخه
- ٢٣٣ اعتماد السخاوى على كلام الامام ابن تيمية
- ٢٣٤ ايضاح ابن كثير المراد بالاحاديث التي زعم الملا على قارئها أنها تشهد لحديث كنت نبياً وأدم بين الماء والطين
- ٢٣٥ كلام الملا على قارئه في شرح مشكاة المصاص في ذلك الحديث يخالف كلامه في المورد الروى
- ٢٣٦ كلام الحافظ ابن كثير في حديث «كنت أول النبيين في الخلق وأخرهم فيبعث» في تفسيره وفي تاريخه
- ٢٣٧ خبر «لما أراد الله أن يخلق عمداً صلبه الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض» الحديث
- ٢٣٨ رواية حديث «كنت نوراً بين يدي ربِّي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام عند ابنقطان و عدم الاعتماد عليها لعدم ذكر سندتها
- ٢٣٩ رواية القطبي في زياداته في فضائل الصحابة للإمام أحمد عن سلمان الفارسي موضعه

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الأحاديث التي استدل بها من قال بأن	
حقيقة النبي كانت موجودة قبل أن يخلق	٢٤٠
حول عزو الشيخ محمد بن علوى لفظ «كنت نورا بين يدي ربِّي» الخ	
إلى مسند العدنى	٢٤١
حول عزوه ذلك اللفظ إلى الوفاء لابن الجوزى	٢٤١
حول عزوه إياه إلى كتاب الموضوعات لابن الجوزى	٢٤٢
حول عزوه إياه إلى الآلية المصنوعة للسيوطى	٢٤٣
مراد القاضى عياض بقوله في حديث ان قريشاً كانت نوراً بين يدى الله يشهد لصحته شعر العباس في النبي يعني قوله من قبلها طبت في الظلال الآيات	٢٤٣
قول الذهبى في الشفا «إنه محسو بالأحاديث الموضوعة والتاويات الواهية»	٢٤٤
ذكر تقي الدين بن تيمية أن في الشفا من الأحاديث والآثار ما ليس له	
أصل	٢٤٤
حول دعوى الشيخ محمد بن علوى أن الحافظ ابن حجر أورد آيات	
العباس في ترجمة خريم من الاصابة	٢٤٤
حول تعلقه بسكت الذهبى عن قول الحاكم في المستدرك حينما روى	
بسنته هذه الآيات رواية الاعراب عن آبائهم ومثلهم لا يضعون	٢٤٥
تعقب الذهبى في سير اعلام النبلاء كلام الحاكم في اولئك الرواة بأنهم	
لا يعرفون وقوله في الميزان في زحر بن حصين راويه عن جده لا يعرف	٢٤٦
كلام الحفاظ في أبي السكين زكريا بن يحيى الطائى الذى عليه مدار	
ذلك الحديث	٢٤٧
بيان معنى تلك الآيات على فرض ثبوت الحديث الذى وردت فيه	٢٤٨
اعلال رواية «أن قريشاً كانت نوراً»	٢٤٩
لا أصل لحديث أن الملائكة قالت لأدم حين مديه إلى حواءمه حتى	
تؤدى مهرها قال وما هرها قالوا تصلى على محمد ثلاث مرات ففعل	٢٥٠
خبر خلق الأرواح قبل الأجساد غير صحيح كما بينه ابن القيم والسيوطى والميتمى	٢٥١

- رواية الحاكم لحديث عمر في توسل آدم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم
التي فيها «ولو لا محمد ماخليقتك» وتصححه سندها ٢٥٣
- تضعيف البيهقي ذلك الحديث ونقل ابن كثير ذلك عنه في موضعين من
تاریخه ٢٥٤
- تعقب شيخ الإسلام ابن تيمية تصحيح الحاكم لاستاده وقوله بأن ايمه
الحاديـث انكروا على الحاكم روایته وتصحـحـه لـسـنـدـه ٢٥٤
- جزم ابن عبد المادي في الصارم بأن ذلك الحديث غير ثابت لأن فيه عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم وهو ضعيف جدا وبيان استاده من الحاكم إلى
عبد الرحمن مفتـعل ٢٥٥
- كلام الحافظ الذهبي فيه في تلخيص المستدرك ٢٥٥
- قول الحافظ ابن حجر فيه في «اللسان» وحكايـته عن بعض أهلـالـعـلـم
أنـالـحاـكـمـحـصـلـلـهـتـغـيـرـوـغـفـلـة ٢٥٦
- اعلال روایة الطبراني في «الجامع الصغير». لذلك الحديث بعد الرحمن بن
زيد بن أسلم ٢٥٧
- تضـعـيفـحـدـيـثـابـنـعـبـاسـ«أـوـحـىـالـلـهـإـلـىـعـيـسـىـعـلـىـالـسـلـامـيـاعـيـسـىـ»
آمـنـبـمـحـمـدـوـأـمـرـمـنـأـمـكـأـنـيـؤـمـنـبـهـفـلـوـلاـمـاخـلـقـتـ
آـدـمـ»ـالـخـ ٢٥٧
- حدـيـثـ«لـوـلاـحـبـيـيـمـمـدـمـاخـلـقـتـسـمـائـيـلـاـأـرـضـيـلـاجـتـتـلـانـارـيـ»
وكـلامـالـإـمـامـعـبـدـرـحـمـنـبـنـحـسـنـبـنـمـحـمـدـبـنـعـبـدـالـوـهـابـفـيـ ٢٥٨
- كلـامـالـبـيهـقـيـوـابـنـكـثـيرـفـيـماـوـرـدـفـيـالـحـدـيـثـمـنـرـفـعـالـبـيـنـسـبـهـإـلـىـ
عـدـنـانـوـكـلامـالـعـسـقـلـانـيـفـيـرـوـایـةـأـخـرـىـفـيـهـرـفـعـإـيـاهـإـلـىـالـنـصـ ٢٥٩
- حدـيـثـ«أـنـاـبـنـالـذـبـيـحـيـنـ»ـوـدـعـوـيـالـحاـكـمـثـبـوتـهـذـاـالـلـفـظـعـنـالـنـيـ
صـلـىـالـلـهـعـلـىـهـوـسـلـمـوـرـدـالـحـفـاظـعـلـيـ ٢٦٠
- دـعـوـيـالـعـجـلـونـيـأـنـالـزـرـقـانـيـحـسـنـهـذـاـالـحـدـيـثـوـانـهـقـالـفـيـصـحـحـهـ
الـحاـكـمـوـالـذـهـبـيـوـتـوـهـيـمـهـفـيـذـكـ ٢٦٢
- قولـالـسـيـوطـيـبـأـنـحـدـيـثـوـضـعـالـحـوـامـلـفـيـالـسـنـةـالـتـيـوـلدـفـيـهـالـنـبـيـ
صـلـىـالـلـهـعـلـىـهـوـسـلـمـالـذـكـورـكـرـامـةـلـهـمـنـكـرـشـدـيدـالـنـكـارـةـ ٢٦٤
- لـفـظـحـدـيـثـأـنـكـلـدـابـةـلـقـرـيـشـنـطـقـتـلـيـلـةـالـحـلـمـبـمـحـمـدـصـلـىـالـلـهـعـلـيـ
وـسـلـمـوـقـالـتـحـلـبـرـسـوـلـالـلـهـصـلـىـالـلـهـعـلـىـهـوـسـلـمـفـيـدـلـاـلـلـنـبـوـةـلـأـبـيـ ٢٦٤

٢٦٤	ذكر لفظه الذى أورده ابن كثير في البداية والنهاية وعزا إلى أبي نعيم
٢٦٤	ثم قال «هكذا أورده أبو نعيم وسكت عليه وهو غريب جداً
٢٦٨	ذكر لفظه الذى أورده السيوطي في الخصائص الكبرى وعزا إلى ابى نعيم ثم قال فيه نكارة شديدة
٢٧٠	ذكر ما أورده القسطلاني في المواهب اللدنية مفرقاً وفي بعض الفاظه عنده حضور آسية ومريم ونساء من الحور العين ولادته وعزا الجميع إلى ابى نعيم وضعفه
٢٧٢	اعلال حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً وأن ذلك من خصائصه
٢٧٢	كلام الحافظ ابن كثير فيما ورد في ذلك الباب
٢٧٤	كلام ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود في أحاديث الباب
٢٧٧	كلامه في زاد المعاد في هدى خير العباد في أحاديث الباب
٢٧٩—٢٧٨	كلام الحافظ الذهبي في «الميزان» وفي تاريخ الإسلام فيها
٢٧٩	تعقب الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك دعوى الحاكم توادر الاخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً
٢٧٩	ما جاء عن الإمام أحمد بن حنبل في هذا الباب
٢٨٠	حديث مناغاة النبي صلى الله عليه وسلم القمر في المهد ذكر الحافظ في الاصابة أن سنته واه جداً واعله البيهقي باحمد بن ابراهيم الحلبي
٢٨٠	تعقب قول الصابوني في المائتين في هذا الحديث هو حسن في المعجزات
٢٨١	حديث بريدة أن آمنة قيل لها في المنام وهي حامل بالنبي انك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فاذا ولدته فسميه احمد او محمدأً وعلقى عليه هذه في سنته تالفار
٢٨٢	جعل بعض أهل السير الأبيات المذكورة في ذلك الحديث من حديث ابن عباس لاصل له
٢٨٣	سند روایة حديث سلمان عند ابن عساكر أنه قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن ربك يقول إن كنت اخذتك حليلًا» الخ واه جداً
٢٨٣	سند روایة ابن الجوزی في الموضوعات لهذا الحديث فيه مجهولون وضعفاء

٢٨٣	وقد بين ذلك ابن الجوزى
اعلال ماجاء في بعض روایات خبر الوفاة النبوية أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم «هذا آخر موظفي من الارض» بالإعصار وبعضها بالإرسال	
٢٨٤	اعلال روایة محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب التي أوهم السيوطي انها ثابتة وبيان حال محمد بن جعفر راوياها
٢٨٥	ايضاح الخطيب البغدادي في تاريخه انه قد اعترف بوضعه الأحاديث
٢٨٦	كلام الذهبي فيه في «الميزان»
٢٨٦	اعتماد الحافظ ابن حجر على كلام الخطيب والذهبى فيه واعلاله حديثه في الباب بذلك
٢٨٧	ابراط عدة طرق لحديث محمد بن جعفر في الباب عند السهمي في معرفة علماء جرجان
٢٨٨	جزم السيوطي في الاعلام بحكم عيسى عليه السلام بأن ما مشهور على السنة الناس من أن جبريل لا ينزل الى الارض بعد موت النبي عليه السلام باطل لا يصلح له
٢٨٩	كلام لابن كثير في كثرة الاخبار المنكرة والغريبة والموضوعة في باب الوفاة النبوية
٢٩٠	مجاوزة مؤلف المولد الذى يعزى للديبع أو ابن الديبع الخد في ذكر الموضوعات
٢٩٠	ذكره في فاتحته أن الله تعالى أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم ولا يصلح لذلك
٢٩١	زعمه أن الله عرض فخر نبيه على الاشياء وأنه قد وقعت بينه وبين من عرض عليه ذلك اسئلة وأجوبة وذلك كذب صريح على الله كما بينه السيد رشيد رضا
٢٩٢	تسميته خبرا استخرجه كعب الاخبار من صندوق أبيه حديثا نبويا
٢٩٢	ايضاح أن مؤلف ذلك المولد ان كان الديبع كما في طبعة ذلك المولد فهو جهول وان كان ابن الديبع صاحب تيسير الوصول فهو معروف بالتساهل كما بينه الشوكاني والصنعاني

٢٩٤	منع الجلوس الى القصاص الذين يقرأون قصص المولد
	كلام ابن قتيبة في تاويل مختلف الحديث في أن القصاص يمليون وجوه
	العوام اليهم ويستدرؤون ما عندهم بالمناكير والغرائب والاكاذيب من
٢٩٤	الأحاديث
	من عيوب قصص المولد ما يوجد فيها من الاستغاثة بغير الله تعالى وغيرها
٢٩٥	من انواع الكفر
	معاتبة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ابن سحيم على حضوره
٢٩٥	قراءة المولد لذلك
	تحذير الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب مما في البردة
٢٩٥	وأمثالها في المدح من ذلك
	وصول الغلو بالعرضى احد اعيان القرن العاشر والحادي عشر الى القول
	بان النبي يعلم جميع علم الله استدلالاً بقول البوصيري ومن علومك علم
٢٩٦	اللوح والقلم
	من غلو البوصيري قوله، لو ناسبت قدره آياته عظماً، البيت حيث زعم
٢٩٧	أن القرآن غير مناسب قدره صلى الله عليه وسلم
٢٩٧	محاولة المدافعين عن البوصيري الاجابة عن ذلك وعجزهم عنها
	تصريح الجلال المحلي بان القرآن دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم
	وتفضيله النبي على القرآن استدالاً بيدين للأبوصيري في البردة منها
٢٩٨	ذلك البيت
	أبيات غريبة في مولد المناوى او لها «لولا ما كان ملك الله منتظمًا» تدل
٢٩٩	على ما أوصله اليه الغلو والاطراء
	بطلان قياس اشعار المدح التي تستعمل في المولد على اشعار الصحابة
٣٠٠	رضي الله عنهم
	من محاذير قصص المولد القيام عند ذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم
٣٠٢	وخروجه الى الدنيا وقد حدث عليه اصحاب تلك المولد
	توجيهه ذلك القيام بأنه ترحيب بالنبي صلى الله عليه وسلم على أساس انه
٣٠٢	يحضر مجلس الاحتفال بجسده الشريف
	توجيهه بأنه لحضور روح النبي صلى الله عليه وسلم لا ذاته لأن روحه
٣٠٣	تحضر مجالس الخير

٣٠٣	استدلال الشيخ محمد بن علوى حضور روحه وارواح المؤمنين مجالس الخير ببلاغ مالك ان الروح مرسلة حيث شاعت
٣٠٣	استدلاله لذلك بقول سلمان الفارسي أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاعت
٣٠٣	استدلاله لحضور روح النبي صلى الله عليه وسلم بأنه متأنس بأخلاق ربه الذى ورد في الحديث القدسى أنه قال «أنا جليس من ذكرنى» وانا مع من ذكرنى» توجيهه ذلك القيام بأنه لتشخيص ذات النبي صلى الله عليه وسلم وتفسير
٣٠٣	الشيخ محمد ابن علوى ذلك .وقوله بان ذلك القيام شيء عادى توجيهه بأنه لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم من دون اياض المراد
٣٠٤	بذلك ودعوى ابى السعود أن تركه كفر توجيهه بأنه مقيس على قيام السبکى حين سمع قول الصرصرى في قصيدة له أولاها قليل ل مدح المصطفى الخط بالذهب . وان ينهض الاشراف عند سماعه الجواب عن تلك التوجيهات
٣٠٥	دعوى حضور النبي صلى الله عليه وسلم الاحتفال بيوم المولد بناء على دعوى بعض المتصوفة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة دعوى مردودة عند المحققين من أهل العلم كلام للقاضى أبي بكر بن العربى في استنكار ذلك كلام القرطبى شارح صحيح مسلم فيه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيه في ثلاثة رسائل من مؤلفاته اعتبار الحافظ الذهبى في ترجمة الربيع بن محمود الماردىنى من «الميزان» مدعى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظة مدعيا للصحبة وحكمه عليه بأنه مفتر دجال نقل الحافظ ابن كثير عن ابن الجوزى انكاره على أبي الفتح الطوسي دعواه أنه كلما اشکل عليه شيء رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة فسألته عنه فدلله على الصواب نص كلام ابن الجوزى في ذلك في كتاب القصاص والمذكرين له

ذكر الحافظ في فتح البارى أن ابن أبي جريرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وأسأله عن أشياء كانوا متخوفين منها فارشدتهم إلى طريق تفريجها فجاء الامر كذلك	٣٠٩
رد الحافظ على ذلك بأنه لو حل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولا ممكن بقاء الصحبة إلى يوم القيمة	٣١٠
اياد الحافظ على استدلال المتصوفة بحديث «من رأني في المنام فسيرانى في اليقظة» الحديث أن جعاجما رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رأاه في اليقظة وخبر الصادق لا يختلف	٣١٠
كلام السخاوي في دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة	٣١٠
كلام البدر بن حسن الاهدل في ذلك واستحسان الملا على قارئ إيه	٣١٠
الاجاع على عدم جواز العمل بما يدعى مدعى رؤية النبي في اليقظة بعد موته أنه سمعه منه من أمر ونهى واثبات ونفي	٣١١
الرد على دعوى السيوطى تلقى تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وعلى دعاوى أخرى له في الباب	
بذلك الاجاع	٣١١
كلام السيد رشيد رضا في دعوى رؤية النبي بعد موته في اليقظة	٣١١
خلاصة ما بينه المحققون من أهل العلم في انكار رؤية النبي بعد موته في اليقظة وما بذلك من اللوازم	٣١٢
اجوبة أهل العلم عن الاستدلال لتلك الدعوى بحديث «من رأني في النام فسيرانى في اليقظة»	٣١٣
رد السيد رشيد رضا دعوى حضور روحانية النبي صلى الله عليه وسلم	
مجلس الاحتفال بالمولود	٣١٣
عبارات لشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على تلك الدعوى	٣١٣
منع العمل بما تتضمنه رؤية الأرواح المزعومة من بيان درجة حديث او تشريع أو تعبد جديد	٣١٤
معنى قول الإمام مالك بلقني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت	٣١٥
معنى ماروى عن سلمان الفارسي أنه قال أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت	٣١٥

قياس الشيخ محمد بن علوى النبي صلى الله عليه وسلم على ربه في كونه جليس من ذكره ومع من ذكره من الاطراء الذى نهى عنه ٣١٥
رد الشامي والمبتدى ورشيد رضا والججوى على اعتبار القيام الذى يقع عند ذكر وضع النبي وخروجه الى الدنيا تعظيمها له ٣١٥
الرد على توجيه القيام اثناء قراءة قصص المولد بأنه مقياس على قيام السبكي حينما سمع قول الصحرارى «وان ينهض الأشراف عند سماعه قياما صفووا أو جثيا على الركب ٣١٦
تقع في شعر الصحرارى وكلام محمد بن النعمان ومن حذا حذوها أمور تدل على انهم غير عالمين بمدارك الاحكام الشرعية ٣١٧
وصول الغلو بالسبكي إلى القول بأن الانبياء الذين قبل نبينا نواب له وأن مجاهه به كل نبي منهم الى قومه هو شرع محمد صلى الله عليه وسلم ورد الخفاجى على ذلك ٣١٧
ايضاح الإمام ابن تيمية أن الرسل الذين كانوا قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يأخذوا عنه وإن بشروا به وأمنوا به ٣١٧
دعاوى الشيخ محمد بن علوى ان احتياج الناس اليوم إلى تثبيت افتادتهم بقصص الموالد اشد من احتياج النبي إلى تثبيت فواده بما قصه الله عليه من أنباء الرسل ومناقشته ٣١٨
قاعدة في ايضاح أن صاحب البدعة لابد له من تأويل قوله «هي بدعة مستحسنة» وقوله رأيت فلانا الفاضل يعمل بها ٣١٩
قاعدة في ان اعتبار فعل المشايخ حجة على مثبت في الشع هو الذى أفسد الكثير من الناس ٣٢١
قاعدة في ان صاحب الحق لا يستوحش من قلة أهله ٣٢٢
كلام ابن القيم في ذلك في «اغاثة اللھفان» و«مفتاح دار السعادة» واعلام الموقعين ٣٢٣
كلام الشاطئي في ذلك في «الاعتراض» ٣٢٤
قاعدة في بيان ما يطلق عليه لفظ «السنة» وكلام قيم للشاطئي في «المواقف» و«الاعتراض» في ذلك ٣٢٦
كلمات من جيوش الباطل يتعلق بها اهل البدع وكلام الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا في التحذير منها ٣٢٨

٣٢٩	قاعدة في بيان أن وضع العوائد موضع السنن سُمّ قاتل وتحذير صاحب «المدخل» منه
٣٣٠	قاعدة في إيضاح أن سكوت العلماء عن ارتكاب الناس البدع يؤدي إلى انقلاب الحقائق
٣٣١	قاعدة في أن كلام من يحاول اظهار البدعة يكون متناقضاً وكلام صاحب المدخل في ذلك

انتهت الفهرست

تقرير فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع
عضو هيئة كبار العلماء واحد قضاة التمييز بمحكمة المكرمة
للقول الفصل في حكم الاحتفال بولد خير الرسل

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لأنبي بعده محمد وعلى آله وصحبه
وبعد فقد اطلعت على المؤلف القيم لفضيلة الشيخ اسماعيل الانصارى فيما يتعلق
ببدعة الموالد واجاع الأوائل على ابتداعها ومتى نشأت هذه البدعة والعوامل السياسية
التي أحتت بابتداعها لاشغال العامة عن شؤون حياتهم بالاشغال بها فوجده جزاء
الله خيراً قد استوفى ما قبل في الموالد وابرز جوانب الاساءة فيها للدين وبين ضعف
ما تمسك به القائلون بها والداعون الى اقامتها وبعد عن روح التشريع وعن سر الوجود
كما رد على المغتررين بهذه الاتجاهات العارية عن برهان من كتاب الله تعالى ومن
سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين
وابتعى التابعين وبين أنهم هداهم الله وأخذ بأيدينا وأيديهم إلى مافيه سلامه العقيدة
منقادون وراء سراب يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً.

كما أورد جزاء الله خيراً نقولاً كثيرة عن ينادي باقامة الموالد ونقولاً كثيرة
عن علماء محققين يردون على أهل هذا الاتجاه البدعى.

ولاشك ان القارئ سيستمع بالوقت الذى يقضيه في قراءته هذا المؤلف
القيم وسيرى ما عليه اصحاب الموالد من تهافت في القول وضعف في المستند وبعد
عن روح الشريعة وابتداع مخالف لما عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه
واستهتار بالعقل وتسفيه لها إلى آخر ماتستلزم هذه الاتجاهات المشبوهة والآثمة من
الصفات الذميمة والخلفيات الرديئة مما لا يخفى على أهله ومن تتبع طرقهم فجزى الله
فضيلة الشيخ اسماعيل خير جزاء ووقفنا وإياه لما يحبه الله ويرضاه وجعلنا جميعا
مباركين اينما كنا وهدانا إلى سواء السبيل وأخذ بأيدي الجميع إلى مافيه التمسك
بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والتأسي بما عليه أصحابه ومنتبعهم باحسان.

عبد الله بن سليمان بن منيع

القول الفصل

في حكم الاحتفال بولد خير الرسل

تألیف

فضيلة الشيخ اسماعيل بن محمد الانصاری

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على خاتم النبيين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد فإن الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى نال في عصرنا هذا اهتماماً كبيراً من سماحة العلامة الجليل الأثرى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله تعالى فإنه بعد أن عرض أمره على كتاب الله تعالى وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد لذلك العمل أساساً فيما بحث عن عمل السلف الصالح فيه ثم تبع ما كتبه أهل العلم المتأخرون في ذلك الاحتفال فتوصل إلى ما أوضحه لطلاب الحق في كلمة قيمة نشرت له في ربى الأول عام ١٤٠٢هـ يتلخص مضمونها فيما يلى :

- ١ - أن السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكملهم حبالة ومتابعة شرعيه لم يحتفلوا بذلك اليوم ولم يدعوا إلى الاحتفال به وإنما أحدث الاحتفال به بعدهم وفي ذلك دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتفل به ولم يدع إلى الاحتفال به.
- ٢ - أن أول من أحدث الاحتفال به المتسمون بالفاطميين وهم معروفوون بفساد العقيدة وبالافساد.
- ٣ - أن الذين بحثوا من المتأخرین في ذلك الاحتفال منهم من أنكره اعتماداً على النصوص القطعية المحذرة من الابتداع في الدين لأنه أي ذلك الاحتفال لا أساس له لافي الكتاب ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح.

ومنهم من أجاز الاحتفال به بشرط خلوه من المنكرات لكن ذلك شرط لم يتقييد به المحتفلون به فقد وقع من بعضهم فيه الإطراء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي نهى عنه بقوله «لا تطروني كما أطربت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما وقع من بعضهم في مدة الاحتفال التخلف عما أوجبه الله عليه من حضور الجمع والجماعات نتيجة نشاطه مدة الاحتفال فيما يتعلق به وقع في بعض تلك الحالات اختلاط النساء بالرجال كما يقع من بعض المحتفلين القيام أثناء قراءة بعض القصص التي تقرأ في تلك المناسبة باسم المولد على أساس دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حضر المولد في ذلك الوقت الذي يتخيل حضوره فيه لتحيته صلى الله

عليه وسلم وأضاف سماحة العلامة الأثري الشيخ حفظه الله في كلمته إلى ذلك التنبيه على أمرتين هامين أحدهما أن الاحتفال بذلك اليوم لا يتحقق المراد من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يتحققه اتباعه وطاعته.

الثاني أن كثرة المحتفلين به وكثرة الدعاء إلى الاحتفال به لا تدل على أن الاحتفال به حق فإن كثرة المرتكبين الشيء وكثرة الدعاء إليه لا تدلان على كونه حقاً وإنما يدل على كونه حقاً الأدلة الشرعية.

هذا تلخيص لمضمون تلك الكلمة القيمة وبعده نورد نصها فيما يلي:
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله
وصحبه ومن اهتدى بهداه. أما بعد فإنه قد طرأ على صفاء هذا الدين ووضوح
أحكامه في عصور انحطاط المسلمين كثير من البدع والمحدثات التي زادت انحطاطهم
انحطاطاً. وشغلتهم عن العودة إلى العقيدة الصافية والتمسك بها. والرجوع إلى الحق
بتتبع المظاهر الفارغة والتقاليد العمياء التي سنتها من ضل وأضل فحادتهم بهم عن
طريق الحق وسلكت بهم مسالك الضلال ، ولبست على المسلمين في عقيدتهم ،
وأخذت فيهم جذوة الایمان وجحالت الاتباع ، وامتصت طاقاتهم المتعددة المتقددة قوة
وحاسة ، بظهور فارغة وأعمال خاوية ، فانتشرت بينهم أعمال الاحتفالات المبتدةعة ،
وأتجه رجاؤهم وتعلقهم بالله إلى التعلق بالقبور والأضرحة والتماس الشفاعة منها
وطلب الحاجات إليها فعاد أكثر المسلمين بهذه الضلالات إلى مظاهر الوثنية وتقديس
الأشخاص فاستخفهم أعداؤهم وازداد تدهورهم وتحولت قوتهم إلى ضعف وبحلول
التاريخ الذي يعتقد الناس أنه يوافق مولد رسولنا الكريم صل الله عليه وسلم تحلى
المناسبة ابتدع كثير من الناس اقامة الاحتفالات بالمولود وزعموا أن ذلك مما يتحقق
المراد من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وموالاته ويفعلون الواجب في أن مجده
الرسول إنما تكون باتباعه وطاعته.

أما هذه الاحتفالات الشائعة فهى غير جائزة ، بل هي من البدع المحدثة في الدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعلها ولاخلفاؤه الراشدون ولاغيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ولا التابعون لهم باحسان في القرون المفضلة وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعة لشرعه من بعدهم. وأول من ابتدعها فيما بلغنا هم الفاطميون في القرن الرابع الهجرى . وهم معروفون بالعقيدة الفاسدة وإظهار التشيع لأهل البيت والغلو فيهم وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أى

مردود عليه، وقال في حديث آخر «عليكم بستى وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدي تمسكوا بها واعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله» ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها وقد قال الله سبحانه في كتابه «وما آتاكم الرسول فخذوه وما منها كم عنه فانتهوا» وقال عز وجل «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنه أو يصيّبهم عذاب أليم» وقال سبحانه «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا» وقال تعالى «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهם بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهر خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم» وقال تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» والآيات في هذا المعنى كثيرة.

واحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين هذه الأمة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرن فأحدثوا في شرع الله مالم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقرب إلى الله. وهذا بلاشك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه. وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم. والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة. والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقة يصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بينه للأمة كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهمما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم» رواه مسلم في صحيحه. ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأكملهم بلاغا ونصحا، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه ليبينه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه رضي الله عنهم فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء بل هو من المحدثات في الدين التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين وقد جاء في معناها أحاديث أخرى مثل قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلاله.. رواه الإمام مسلم في صحيحه. والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وقد صرّح جماعة من العلماء بإيكار الموالد والتحذير منها عملا بالأدلة

المذكورة وغيرها وخالفها بعض المتأخرین فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات كالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاختلاط النساء بالرجال واستعمال آلات الملاهي وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر. وظنوا أنها من البدع الحسنة. والقاعدة الشرعية رد ماتنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل «بِأَيْمَانِهِ الَّذِينَ آتَيْنَا أُطْبِعَاهُ اللَّهُ أَطْبِعُهُ» الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً» وقال تعالى «وَمَا اخْتَلَفُتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ» وقد رددنا هذه المسألة وهي الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويخذلنا عما نهى عنه. ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل هذه الأمة دينها وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه. وقد رددنا ذلك أيضاً إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثة ومن التشبه بأهل الكتاب. وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وانصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات التي أمر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم بتركها والخذر منها. ولا ينبغي للعقل أن يفتر بكترة من يفعله من الناس في سائر الأقطار فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى «وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُدًى أَوْ نَصَارَى تَلَكَ أَمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» وقال تعالى «وَإِنْ تَطْعَمُ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» الآية، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لاتخلو من اشتتماها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغانى والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء بدعائه والاستعانة به وطلبه المدد منه واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من يسمونهم بالأولياء. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إِنَّمَا كَمْ وَالْغَلُو فِي الدِّينِ إِنَّمَا أَهْلُكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغَلُو فِي الدِّينِ» وقال عليه الصلاة والسلام «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» أخرج البخارى في صحيحه من حديث مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله

عمر رضي الله عنه. ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدةعة ويدافع عنها. ويختلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات ولا يرفع لذلك رأسا ولا يرى أنه أتي منكرا عظيما ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة وكثرة ماران على القلوب من صنوف المعاشر والذنوب - نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين. ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر المولد ولهذا يقومون له محين ومرحين وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحضر المولد ولا يحضر اجتماعاتهم بل هو في قبره إلى يوم القيمة وروحه في أعلى علية عند ربه في دار الكرامة كما قال تعالى في سورة «المؤمنون» «ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيمة تبعثون» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أول من ينشق عن القبر يوم القيمة وأنا أول شافع وأول مشفع» عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام. فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث كلها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء وإنما يخرجون من قبورهم يوم القيمة وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور والحذر مما أحدهه الجهل وأشباههم من البدع والخرافات التي مانزل الله بها من سلطان والله المستعان وعليه التكلال ولا قوة إلا بالله.

أما الصلاة والسلام على رسول الله فهي من أفضل القرابات ومن الاعمال الصالحة كما قال الله تعالى «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من صل على واحدة صلى الله عليه بها عشرة» وهي مشروعة في جميع الأوقات ومتأنقة في آخر كل صلاة بل واجبة عند جم من أهل العلم في التشهد الأخير وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة منها ما بعد الأذان وعند ذكره عليه الصلاة والسلام وفي يوم الجمعة وليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة والله المسؤول أن يوقفنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه وأن يمن على الجميع بلزم السنة والحذر من البدع إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآل وصحبه».

وقد أثيرت ضجة كبيرة حول تلك الكلمة القيمة المعروفة كاتبها العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأثرى بالدعوة إلى كتاب الله تعالى والى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ما مضى عليه السلف الصالح وبالدفاع عن ذلك وبالرد على أهل البدع والاهواء وكان الواجب بدل تلك الاشارة قبول الحق الذى

تضمنت الكلمة لكن المثيرون رفضوا ذلك وهم:

- ١ - د. محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني الذي قام بعد نشر تلك الكلمة بطبع كتاب المورد الروى في المولد النبوى لعلى القارئ وعلق عليه وقدم له بقلمه دعا فيها الى الاحتفال بالمولود النبوى كما قام بطبع المولد المعروف بمولد الدبيع طبعتين عنون احداهما بعنوان مولد الحافظ ابن الدبيع والأخرى بعنوان «مختصر في السيرة النبوية تأليف الإمام الحافظ عبد الرحمن بن الدبيع الشيباني صاحب تيسير الوصول» وعلق على كل واحدة من الطبعتين وقدم للثانية منها وألف رسالة سماها «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف».
- ٢ - الأستاذ يوسف السيد هاشم الرفاعى فقد قام برد على كلمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نشرت حلقته الأولى في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٥٩ الصادر في ١٢ ربى الأول عام ١٤٠٢هـ ونشرت حلقته الثانية في عدد الجريدة المذكورة ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين ٢٣/٣/١٤٠٢هـ.
- ٣ - كاتب نشرت كلمته في «مجلة المجتمع» عدد ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربى الثاني عام ١٤٠٢هـ وهذا الكاتب لم يذكر اسمه إنما وقع على كلمته بعبارة (أنهوكم في الله من السعودية بالرياض وأغلب ما في كلمة هذا الكاتب وما في كلمة الرفاعى مأخوذه من عبارات الشيخ محمد بن علوي المالكي).
- ٤ - الأستاذ أنور أسعد أبو الجدايل احتوى رده على مقالات عديدة نشرت في اعداد من جريدة المدينة المنورة تحت عنوان (استرعى انتباھي) وتحتوى ردودهم على ما يلي:
 - ١ - عدم تسليم قول سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في المولد (أول من ابتدعها فيما بلغنا هم الفاطميون في القرن الرابع المجرى وهم معروفون بالعقيدة الفاسدة) فقد تعقبه الرفاعى في الحلقة الثانية من رده المنشور في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين ٢٣ ربى الأول عام ١٤٠٢هـ بما نصه (ليس الاحتفال بالمولود من مخترعات الدولة الفاطمية بل هو السلطان مظفر صاحب إربل المتوفى سنة ٦٣٠).
 - ٢ - أن للاحتفال بذلك اليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى أدلة كثيرة منها قول الله تعالى في كتابه الكريم «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» استدل به محمد بن علوي المالكي في رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى» ص ٨٧ وفي مقدمة للمورد الروى في المولد النبوى ص ١٠ وفي مقدمته لطعة مولد

الديبع الاول طبعة مطبع سحر بجده» ص ٦ للاحتفال بذلك اليوم قال في الجميع «إن الفرح به صلى الله عليه وسلم مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته في ذلك فليفهروا» فالله أمننا أن نفرح بالرحة والنبي صلى الله عليه وسلم أعظم الرحمة قال الله تعالى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» ١٠١ هـ وساق الأستاذ يوسف السيد هاشم الرفاعي في الحلقة الأولى من مقالاته المنشورة في عدد «السياسة الكويتية» ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين ٢٣/٣/١٤٠٢ هـ نفس مقالاته في ذلك .

الثاني — مثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم اغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرًا لله عز وجل «فقال صلى الله عليه وسلم فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم فصامه وأمر بصيامه» ورد الاستدلال بهذا الحديث في جواب للحافظ ابن حجر العسقلاني عن سؤال وجه إليه عن عمل المولد حسبما ذكره السيوطي في حسن المقصد في عمل المولد» وهو من محتويات الجزء الأول من «الحاوى للفتاوى» ص ١٩٦ والزرقانى في الجزء الأول من شرحه للمواهب اللدنية ص ١٤٠ ونص الحاوى» (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتغلت على محاسن وضدتها فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدتها كان بدعة حسنة والافلا. وقد ظهر لى تحرى بها على أصل ثابت وهو مثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم اغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فحن نصومه شكرًا لله تعالى») (١) فيستفاد منه فعل الشكر لله على مامن به في يوم معين من إداء نعمة أو دفع نعمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة . والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة. وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء. ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسيع قوم فنقوله إلى يوم من السنة وفيه ما فيه. فهذا ما يتعلّق بأصل عمله. وأما ما يفعل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والاطعام والصدقة وإنشاد شيء من المداائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير وعمل الآخرة. وأما ما يتبع

(١) كذا في المرجعين لم يذكر فيما قول النبي صلى الله عليه وسلم «فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم فصامه وأمر بصيامه» مع كون المقام يقتضي ذكره لأن الاستدلال به.

ذلك من السماع واللهم وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لابأس بالحاقه به وما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى»^{١٠١}هـ، هذا نص جواب الحافظ العسقلاني ومنه أخذ محمد بن علوى المالكى قوله في ص ٨ من رسالته «حول الاحتفال بالولد النبوى الشريف».

وفي ص ٧ من مقدمته لطبيعة مولد الدبىع الأولى وفي ص ١١-١٠ من مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى قوله «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التي مضت وانقضت فإذا جاء الزمان الذى وقعت فيه كان فرصة لذكرها وتعظيم يومها لاجلها ولأنه ظرف لها وقد أصل صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة بنفسه كما صح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأله فقيل له إنهم يصومون لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومون شكرًا لله على هذه النعمه فقال صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فاصمه وأمر بصيامه» وقد أوجز صاحب المقال المنشور في عدد المجتمع ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثاني عام ١٤٠٢هـ كلامه ولفظه «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأله فقيل له إنهم يصومون لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومون شكرًا لله على هذه النعمه فقال عليه الصلاة والسلام نحن أولى بموسى منكم فاصمه وأمر بصيامه» ، كما اعتمد على عبارة محمد بن علوى في ذلك الاستاذ يوسف هاشم الرفاعى في الحلقة الثانية من حلقاتي مقاله المنشور في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ وأحال بعد ذكرها على «مقدمة المورد الروى في المولد النبوى وقد أخطأ الاستاذ الرفاعى في الحلقة الأولى من رده خطأً فاحشاً حيث عزا فتوى الحافظ ابن حجر العسقلانى التى عبر عنها محمد بن علوى المالكى بتلك العبارة التى قلده فيها عزاه فى الحلقة الأولى من رده الى الهيثمى ولفظه» ومنهم — أى الذين أفتوا بآدلة الاحتفال بالولد النبوى — العلامة المحدث^(١) الشیخ أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي المكي ٩٠٩-٩٧٤ صاحب «الفتاوى الحديثية» الذى أفتى بجوازه واستنبط له أصلاً من الشريعة الغراء حيث قال «وقد ظهر لي

(١) وصف الهيثمي بأنه محدث غلط آخر فإنه ليس بمحدث وإنما هو فقيه متصرف.

تخرجه على أصل ثابت وهو مثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرًا لله تعالى فيستفاد منه فعل الشكر لله على مامن به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نعمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة» وقال ابن حجر بعد هذا «وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم وعلى هذا ينبغي أن يتحرى اليوم بعيته حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء»، ويدل على كون عزو هذه الفتوى إلى ابن حجر الهمتى خطأً أمران أحدهما أن السيوطى الذى نقل تلك الفتوى في رسالته «حسن المقصد في عمل المولد» توفي سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة، وهى السنة التى ولد فيها أحد بن حجر الهمتى حسبما ذكره الشيخ الغزى في ترجمته من الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ج ٣ ص ١١١ قال «أخبرنى عنه — أى الهمتى — تلميذه محمد بن عبد العزيز الزمزمى مفتى مكة أن مولده سنة إحدى عشرة وتسعمائة» الثاني وصف السيوطى أحد بن حجر صاحب تلك الفتوى التي نقلها في حسن المقصد في عمل المولد بأنه حافظ العصر وتكلته إيه بأبى الفضل فإن هذين الأمرين لا ينطبقان إلا على أحد بن حجر صاحب «فتح البارى» شرح صحيح البخارى هو حافظ عصره بلاشك وهو المكنى أبا الفضل كناه به والده على بن محمد بن عبد الله بن أحد بن حجر كما صرخ به الحافظ نفسه في ترجمة والده المذكور من «إنشاء الغر ببناء العمرج ١ ص ١٧٥ حيث قال «تركتى لم أكمل أربع سنين وأنا الآن أعقله كالذى يتخيل الشيء ولا يتحققه وأحفظ منه أنه قال «كنية ولدى أحد أبو الفضل رحمة الله تعالى».

الثالث : ما أخرجه البيهقى عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة خرج السيوطى في حسن المقصد عمل المولد عليه ولفظه بعد ايراده فتوى الحافظ المتقدمة في عمل المولد «قلت قد ظهر لي تخرجه — أى عمل المولد النبوى — على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة» مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لاتعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهار الشكر على ايجاد الله إيه رحمة للعالمين وتشريع لأمته كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بولده» الخ كلام

السيوطى وقد نقله عنه شارح «المواهب اللدنية» الزرقانى ج ١ ص ١٤٠ قال «قال السيوطى وظهر لى تخریجه – أى عمل المولد – على أصل آخر وهو مارواه البیهقى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه ولاتعاد العقيقة مرة ثانية فيحمل على أنه فعله شكرأً فكذلك يستحب لنا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات» هـ ١٥٠

الرابع : ماجاء عن عروة أنه قال في ثوبية مولاية أبي هب وكان أبو هب اعتقها فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو هب أريمه بعض أهله بشرحيبة قال له ماذا لقيت قال أبو هب لم ألق بعدكم غير أنى سقيت في هذه بعثاتي ثوبية» تعلق بهذا المرسل الشیخان شمس الدين بن الجزری وشمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقى قال الأول في كتابه المسمى «عرف التعريف بالمولد الشريف مانصه «قد رؤى أبو هب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال في النار الا أنه يخفف عنی كل ليلة اثنين وأمصن من بين أصبعي ماء بقدر هذا وأشار لرأس أصبعه وإن ذلك باعثاتي لثوبية عندما بشرتني بولادة النبي صلی الله علیه وسلم وبإرضاعها له قال فإذا كان أبو هب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزى في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلی الله علیه وسلم فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلی الله علیه وسلم يسر بمولده ويبذل ماتصل إليه قدرته في محنته صلی الله علیه وسلم لعمرى إنما يكون جزاءه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم»^(١) وقال الثاني في كتابه المسمى «مورد الصادى في مولد الهادى»: «قد صبح أن أبي هب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين لاعتقه ثوبية سرورا بميلاد النبي صلی الله علیه وسلم ثم أنشد:

وتبت يداه في الجحيم مخلدا يُخفف عنه للسرور بأحمد بأحمد مسرورا ومات موحدا ^(٢)	إذا كان هذا كافرا جاء ذمه أتى أنه في يوم الاثنين دائمًا فما الظن بالعبد الذي طول عمره
-----------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------

(١) حسن المقصد في عمل المولد للسيوطى ص ١٩٦-١٩٧ من الحاوی للفتاوی ج ١ طبعة المنار والمورد الروى ، لعلي القارىء ص ٨٢

(٢) حسن المقصد في عمل المولد ص ١٩٧

وقد اعتمد محمد بن علوى المالكى على كلام ابن ناصر الدين هذا في رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ٥٦ وفي مقدمته لطبعه مولد الدبیع الاولى ص ٥٦ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى ص ٩ ذكر في الجميع أن الاحتفال بالمولود النبوى الشريف تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ثم قال وقد انتفع به الكافر فقد جاء في البخارى أنه يخفف عن أبي هب كل يوم الاثنين بسبب عتقه لثوبية جاريته لما بشرته بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين^(٣) الدمشقى.

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه	بتبت يداه في الجحيم خلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائمًا	يخفف عنه للسرور بأحمد
بأحمد مسروراً ومات موحدا	فما الظن بالعبد الذى كان عمره

وحتى حذو محمد بن علوى في ذلك الاتجاه الأستاذ يوسف هاشم الرفاعى في الحلقة الثانية من مقاله المنشورة في عدد «السياسة الكويتية» ٤٨٧٠ الصادرة يوم الاثنين ٣/٢٣ عام ١٤٠٢هـ تحت عنوان «حول موضوع شرعية الاحتفال بالمولود النبوى» وصاحب المقال المنشور في عدد «المجتمع» ٥٩ الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثاني عام ١٤٠٢هـ.

الخامس — أن الذى احتفل بالمولود النبوى وتبعه غيره في ذلك وهو السلطان مظفر سلطان إربل — ملك عادل ذكر ابن خلkan نتفاهم مظاهر احتفاله بالمولود في وفيات الأعيان ٢٧٣/٣ كما ذكر ذلك سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان وأكثر الإمام أبو شامة شيخ التنووى الشناع على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف وثناء ذلك الإمام الجليل على ذلك الفعل الحميل في تلك الليلة أول دليل على أن عمل المولد بدعة حسنة وصنف الشيخ أبو الخطاب بن دحية للسلطان المذكور بعلما في المولد النبوى سماه «التنوير في مولد البشير النذير» وكان حافظا ومن أعيان العلماء كما ترجم له بذلك ابن خلكان استدل بجميع هذا الاستاذ الرفاعى في الحلقة الأولى من رده المنشورة في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٥٩ الصادر يوم الخميس الثاني عشر من ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ.

ال السادس : مانقله محمد بن علوى المالكى عن الإمام ابن تيمية في اقتضاء

(٣) لفظ «الدين» ساقط من مقدمة ابن علوى للمورد الروى

الصراط المستقيم ونص مانقله عنه «وكذلك ما يحده بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمها له والله قد يشيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا «على البدع» ثم قال «واعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير لاشتماله على أنواع من المشروع وفيه أيضا شر من بدعة وغيرها فيكون ذلك العمل شرًا بالنسبة إلى الاعراض عن الدين بالكلية كحال المنافقين والفاسقين وهذا قد ابتلى به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة فعليك هنا بأدرين: أحدهما أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطريك واعرف المعروف وأنكر المنكر. الثاني أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الامكان فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه فلا تدع إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه أو بترك واجب أو مندوب تركه اضر من فعل ذلك المكره ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير فهو من الخير المشروع بحسب الامكان إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء ولا ينبع إلا أحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله أو إلى خيراً منه» ثم قال «فتعظيم المولد واتخاذه موسمًا قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستتبع من المؤمن المسدد وهذا قبل للإمام أحد عن بعض الأمهات إنه أتفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك فقال دعه فهذا أفضل مأتفق فيه الذهب أو كما قال مع أن مذهبة أن زخرفة المصاحف مكره وقد تأول بعض الأصحاب أنه أتفقها في تجديد الورق والخط وليس مقصود أحد هذا وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة وفيه أيضًا مفسدة كره لأجلها» ، نقل هذا كله السيد محمد ابن علوى بن عباس المالكى في مقدمته لطبعه مولد الديع الأولى ص ١٤-١٦ وفي رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ١٩-٢١ عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعنونه فيما با لفظه» رأى الشيخ ابن تيمية في المولد يقول «قد يثاب بعض الناس على فعل المولد».

السابع : ما في رحلة ابن بطوطة من الثناء على محمد بن محيى الدين الطبرى أحد قضاته مكة أيام وصول ابن بطوطة إليها في رحلته باحتفاله بالمولود النبوى فقد قال تحت عنوان «ذكر قاضى مكة وخطيبها وامام الموسم وعلمائتها وصلحائتها» ج ١ ص ٩٢ «قاضى مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محيى الدين الطبرى وهو فاضل كثير الصدقات والشاهد للکعبۃ الشريفة يطعم الطعام الكثير في المواسم المعظمة وخصوصاً في مولد رسول الله صلی الله علیه وسلم تسليماً فإنه يطعم

فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين». أورد الأستاذ أنور أسعد أبو الجدايل هذا في عدد جريدة المدينة الصادر في ٢٧ ربيع الثاني عام ١٤٠٢ هـ ضمن مناقشاته في الاحتفال بالمولود النبوى.

الثامن : أن الاحتفال بالمولود النبوى تذكير بأهمية صاحب الذكرى الذى أرسله الله رحمة للعالمين وأمر الجميع باتباعه «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله» «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» ومن أجل ذلك ولأن العهد بين زمئهم وزمنه بعيد فإنهم يتخدون من هذا الاحتفال تذكيرا به وبما جاء به من الحق والخير الذى سعدت به البشرية حيث أخرجها من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعدل ودفعا للصبية الصغار وغيرهم من العامة إلى استشعار خطر صاحب هذه الرسالة والالتفاف حول دعوته — وللتذكير الجميع بها على أساس «إن الذكرى تنفع المؤمنين» ورد الاستدلال بهذا في الحلقة الأولى من حلقات كتابة الأستاذ أنور أسعد أبي الجدايل عن المولود النبوى الشريف وقد نشرت تلك الحلقة الأولى في عدد جريدة المدينة ٥٤٠٩ الصادر في ١٤٠٢/٣/١٢هـ وأضاف إلى ذلك قوله «ان التذكير بذلك — أى أهمية صاحب الذكرى — الآن يبدو مفيداً حيث كادت الجاهلية أن تعود سيرتها الأولى في الكثير من المجتمعات ولذلك استحسن الكثير من المسلمين الاحتفاء بذكرى المولد».

التاسع : أن الاحتفال بالمولود النبوى إذا لم يقتصر فيه على الثنائى عشر من ربىع الأول ولا على ربىع الأول وحده ولا على وقت معين بل وقع في غير ذلك من الأوقات فلا حرج على المحتفل به أورد هذا الأستاذ أنور أسعد أبو الجدايل في رده على رد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عليه المنشور في عدد جريدة المدينة المنورة الصادر في يوم الاثنين الرابع عشر من ربىع الثنائى عام ١٤٠٢هـ وجزم الأستاذ أنور بانه لا حرج على المحتفل بالمولود في هذه الحالة ولا داعى إلى استمرار النقاش فيه. وجاء في رسالة محمد بن علوى المالكى «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ٤ وفي مقدمته لل Morrison الروى في المولود النبوى» ص ٨ وفي طبعته الأولى لمولد الدبيع ص ٤ مانصه (لانقول بسنن الاحتفال بالمولود المذكور في ليلة مخصوصة بل من اعتقاد ذلك فقد ابتدع في الدين لأن ذكره صلى الله عليه وسلم والتعلق به يجب أن يكون في كل حين ويجب أن تمتلىء به النفوس نعم إن في شهر ولادته يكون الداعى أقوى لإقبال الناس واجتماعهم وشعورهم الفياض بارتباط الزمان بعضه ببعض فيتذكرون بالحاضر الماضى وينتقلون من الشاهد إلى الغائب).

العاشر : دعوى أن الحافظ ابن كثير صنف في المولد الشري夫 أجزاء عديدة منها جامع الآثار في مولد النبي المختار في ثلاثة مجلدات «واللقط الرائق في مولد خير الخلق» وهو خنصر «ومورد الصادى في مولد الهادى» وأن للسخاوي في المولد كتابا يسمى «التبر المسبوك في ذيل السلوك» ورد الاستدلال بذلك في المقال المنشور في عدد مجلة المجتمع ٥٩٥ الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني عام ١٤٠٢هـ بتوقيع «أخوكم في الله من السعودية» - الرياض بقصد ذكر المؤلفين في الاحتفال بالمولود النبوى ونصه «الإمام الحافظ ابن كثير ألف في المولد النبوى كتابا عدة ذكر صاحب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ص ٣٩ أن الحافظ ابن كثير قد صنف في المولد الشري夫 أجزاء عديدة منها «جامع الآثار في مولد النبي المختار» في ثلاثة مجلدات و«اللقط الرائق في مولد خير الخلق» وهو خنصر وقال ابن فهد إن لابن كثير كتابا يسمى «مورد الصادى في مولد الهادى» ومنهم الإمام الحافظ السخاوي له كتاب في المولد يسمى «التبر المسبوك في ذيل السلوك».

الحادي عشر : أن الاحتفال بالمولود النبوى أمر استحسنـه العلماء وجرى به العمل في كل صقـع فهو مطلوب شرعا للقاعدة المأكـوـدة من حديث ابن مسعود الموقـوف «مارآه المسلمين حسـنا فهو عند الله حـسـن ومارآه المسلمين قـيـحا فهو عند الله قـيـح» ورد الاستدلال بهذا في رسالة محمد بن علوى «حـول الاحتفـال بالـمولـدـ النـبـويـ ص ١٣ وفي طبعـتهـ الأولىـ مـولـدـ الـديـبعـ ص ١٠ـ وفيـ مـقـالـ يـوسـفـ هـاشـمـ الرـفـاعـيـ كـماـ اـسـتـدـلـ بـأـثـرـ اـبـنـ مـسـعـودـ المـذـكـورـ أـنـورـ أـسـعـدـ أـبـوـ الجـدائـلـ فـيـ الـحـلـقـةـ الـأـوـلـىـ مـنـ مـقـالـهـ المـشـورـ فـيـ عـدـ جـرـيـدـةـ الـمـدـيـنـةـ ٥٤٠٩ـ مـصـادـرـ صـ ١٤٠٢ـ ٣ـ ١٢ـ قـالـ وـقـدـ أـثـرـ عـنـ الصـحـابـيـ الـجـلـيلـ سـيـدـنـاـ عـبـدـ اللهـ بـنـ مـسـعـودـ قـوـلاـ مـرـفـوعـاـ إـلـيـهـ «ـمـارـآـهـ مـسـلـمـنـ حـسـنـاـ فـوـوـعـنـدـ اللهـ قـيـحـ»ـ .

وبنفس هذا الاتجاه بدأ محمد بن علوى في رسالته «حـول الـاحـتـفالـ بـالـمـولـدـ النـبـويـ الشـرـيفـ» وجـوهـ اـسـتـحـسانـ الـقـيـامـ فـيـ الـمـولـدـ قالـ صـ ٢٩ـ «ـالـوـجـهـ الـأـوـلـ أـنـهـ جـرـىـ عـلـيـهـ الـعـلـمـ فـيـ سـائـرـ الـأـقـطـارـ وـالـأـمـصـارـ وـاسـتـحـسانـ الـعـلـمـاءـ شـرقـاـ وـغـربـاـ وـالـقـصـدـ بـهـ تـعـظـيمـ صـاحـبـ الـمـولـدـ الشـرـيفـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـماـسـتـحـسانـ الـمـسـلـمـونـ فـوـوـعـنـدـ اللهـ حـسـنـ وـماـسـتـقـبـحـوـهـ فـوـوـعـنـدـ اللهـ قـيـحـ كـمـاـ تـقـدـمـ فـيـ الـحـدـيـثـ،ـ أـىـ فـيـ كـلـامـهـ عـلـيـ الـاحـتـفالـ بـالـمـولـدـ .

الثانـيـ عـشـرـ : أنـ الـمـولـدـ اـجـتمـاعـ ذـكـرـ وـصـدـقـةـ وـمـدـحـ وـتـعـظـيمـ لـالـجـنـابـ النـبـويـ

وهذه أمور مطلوبة شرعاً ومدوحة وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالخت عليها، ذكر ذلك محمد بن علوى في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٣.

هذا ما استدل به أولئك الذين أشاروا الضجة حول كلمة سماحة الشيخ الأثري عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله وهناك أمور أخرى مما تعلق به الدعوة إلى الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى:

أحدها دعوى تلقى الأوامر النبوية بالاحتفال بذلك اليوم في المنام يقول ابن طغر بك في «الدر المنظم» من عمل ذلك – أى الاحتفال بذلك اليوم – على قدر وسعه يوسف الحجار بمصر وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحضر يوسف المذكور على عمل ذلك قال وسمعت يوسف بن علي بن زريق الشامي الأصل المصري المولد الحجار بمصر في منزله بها حيث يعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام منذ عشرين سنة وكان لي أخ في الله تعالى يقال له الشيخ أبو بكر الحجار فرأيت كأنى وأبا بكر هذا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم جالسين فأمسك أبو بكر لحية نفسه وفرقها نصفين وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم كلاماً لم أفهمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم مجيئاً له لولا هذا لكان هذه في النار ودار الي وقال لأضربيك وكان بيده قضيب فقلت لأى شيء يارسول الله فقال حتى لا تبطل المولد ولا السنن قال يوسف فعملته منذ عشرين سنة إلى الآن وقال سمعت يوسف المذكور يقول سمعت أخي أبي بكر الحجار يقول سمعت منصراً النشار يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لي قل لا يبطله يعني المولد ماعليك من أكل ومن لم يأكل قال سمعت شيخنا أبو عبد الله بن أبي محمد النعمان يقول سمعت الشيخ أبو موسى الزرهوني يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فذكرت له ما يقول الفقهاء في عمل الولائم في المولد فقال صلى الله عليه وسلم من فرح بنا فرحتنا به. نقل هذا كله الشامي في الجزء الأول من سيرته «سبل المدى والرشاد» في سيرة خير العباد ص ٤٤٠-٤٤١ عن ابن طغر بك وذكر صاحب مولد شرف الأنام^(١) أن عبد الواحد بن اسماعيل قال كان بمصر رجل يصنع مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم كل عام وكان إلى جانبه رجل يهودي فقالت زوجة اليهودي ما بال جارنا المسلم ينفق مالاً جزيلاً في مثل هذا الشهر فقال لها زوجها إنه يزعم أن نبيه ولد فيه وهو يفعل ذلك فرحة به وكراهة له ولولده. قال فسكتا ثم ناما ليلتهمما فرأت امرأة يهودي في المنام رجلاً جيلاً جيلاً عليه مهابة وتبجيل وقار

(١) مطبع ضمن مجموعة منها مولد البرزنجي ونظمها.

دخل بيت جاره المسلم وحوله جماعة من أصحابه وهم يبجلونه ويعظمونه فقالت لرجل منهم من هذا الرجل الجميل الوجه فقال لها هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل هذا المنزل ليس مل على أهله ويزورهم لفرحهم به فقالت له هل يكلمني إذا كلمته قال نعم فأتت إليه وقالت يا محمد فقال لها ليك فقلت له أتعجب لمثلى بالتبليبة وأنا على غير دينك ومن أعدائك فقال لها والذى بعثنى بالحق نبأ ما أجبت نداءك حتى علمت أن الله تعالى قد هداك انتهى ما في مولد شرف الأنام ص ٦٠-٥٩ وورد في مقدمة مولد الشيخ محمد عثمان الميرغنى المسماة «الأسرار الربانية» ص ٦-٧ مانصه «لما كان يوم الجمعة وقع في الحاطر تأليف مولد يتلى في بعض أخبار ولادة الحقيقة الأحمدية وسطع الوارد بتسميته بالأسرار الربانية في مولد من وضع وهو مصحوب بالختان، والدرر الوهبية المحلية الحقيقة في بعض أنباء من ظهر وعيانه مكحولتان فرأيت في تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم رؤية منامية، ورؤيته حق كما أورد عنه ثقات الرواية بطرق الاحسان، فأمرني أن أصنف مولداً وأجعل احدى قافيتيه هاء بهية ، والأخرى نونا كما فعلت لأنها نصف دائرة الأكونان وبشرني أنه يحضر في قراءته إذا قرئ فسطرت ليترشّف به كلماتي حكاية نومية وأنه يستجاب الدعاء عند ذكر الولادة وعند الفراغ منه فسأل الله الغفران».

الأمر الثاني : مانقله الأدفوي الشافعى في كتابه «الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد» في ترجمة محمد بن ابراهيم أبي الطيب السبتي القوصى قال ص ٤٧٨ «حکى لي صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد محمد — أنه كان يجتاز بالفقىء عثمان باليوم الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيقول ياققىه هذا يوم سرور اصرف الصبيان فيصرفنا» ذكر السيوطى هذا ضمن ما استدل به في كتابه «حسن المقصد في عمل المولد» للاحتفال بالمولد النبوى وقال ص ١٩٧ ج ١ بعد ذكره «وهذا — أى قول محمد بن ابراهيم أبي الطيب السبتي هذا يوم سرور — منه دليل على تقريره — أى للاحتفال بالمولد النبوى — وعدم انكاره» ثم قال السيوطى «وهذا الرجل — أى محمد بن ابراهيم أبو الطيب السبti — كان فقيها مالكيا متوفينا في علومه متورعاً أحد عنده أبو حيان وغيره مات سنة خمس وسبعين وستمائة» ١٠١ هـ كلام السيوطى .

الأمر الثالث ما اعتاده أهل مكة ليلة الثاني عشر من ربيع الأول كل عام من زيارة مولد النبي صلى الله عليه وسلم المكانى والاحتفال به على الكيفية المعروفة عندهم التي وصفها قطب الدين الحنفى في كتابه «الاعلام بأعلام بيت الله الحرام»

حيث قال في ص ١٩٦ في كلامه على المولد النبوى «يزار — أى مولد النبي صلى الله عليه وسلم المكانى — في الليلة الثانية عشر من شهر ربيع الأول في كل عام فيجتمع الفقهاء والأعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الأربع بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشروع الكثيرة والمفرغات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالأعلام الكثيرة وينزرون من المسجد إلى سوق الليل ويمشون فيه إلى محل المولد الشريف بازدحام وينخطب فيه شخص ويدعى للسلطنة الشريفة ثم يعودون إلى المسجد الحرام ويجلسون صفوفاً في وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية ويقف رئيس زعم بين يدي ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعى للسلطان ويلبسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفراشين خلعة ثم يؤذن للعشاء ويصل الناس على عادتهم ثم يمشي الفقهاء مع ناظر الحرم إلى الباب الذى يخرج منه من المسجد ثم يتفرقون وهذا من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة وأيضاً الناس من البدو والحضر وأهل جدة وسكان الأودية في تلك الليلة ويفرحون بها»^{١٠١} هـ كلام القطب الحنفى.

وقد استدل الشيخ محمد بن علوى المالكى — في مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى ص ١٣ وفي مقدمة طبعته الأولى لمولد الديبع ص ١٠ وفي رسالته «حول الاحتفال بالولد النبوى الشريف» ص ١٢ لتعظيم المكان الذى ولد فيه نبى بأمر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بصلة ركعتين بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

هذا ما عرض به انكار الاحتفال بالولد النبوى من قبل الدعاة إليه.

كما عارض أولئك الذين أثاروا الضجة حول كلمة سماحة الشيخ في الاحتفال عارضوا ماؤرد فيها وما أشارت إليه من النصوص القطعية الصريحة في ذم الابداع في الدين بما يلى:

١ — حديث من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها وزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً» جاء في مقدمة محمد بن علوى المالكى لطبعه مولد الديبع الأولى التي سماه فيها باسم «ختصر في السيرة النبوية» ص ١٣ وفي رسالته «حول الاحتفال بالولد النبوى الشريف» ص ١٨ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى» ص ١٧ مانصه «قد سمي الشارع بدعة الهدى سنة ووعد فاعلها أبرا فقال

عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام ستة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء» واستدل بهذا الحديث أيضاً نور أبو الجدائل في كلمته المنشورة في عدد جريدة المدينة الصادر يوم الاثنين الرابع عشر من ربى الثاني عام ١٤٠٢هـ وهذا الاتجاه ذكر الشاطبي في الجزء الأول من الاعتصام ص ١٣٩-١٤٢ أن من يتوجهه يزعم أن معنى «من سن ستة حسنة» في ذلك الحديث من اخترع السنة من عند نفسه بشرط أن تكون حسنة لامن عمل بستة ثابتة ويدعى أن التعبير عن العمل بالسنة الثابتة هو أن يقال من عمل بستي أو سنة من سنتي وما شبه ذلك كما خرج الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث أعلم قال: أعلم يا رسول الله قال أعلم يا بلال قال أعلم يا رسول الله قال: انه من أحيا سنة من سنتي قد أحييت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن ابتدع بدعة ضلاله لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل إثم من عمل بها لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً» حديث حسن وعن انس رضي الله عنه انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وقسى ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معنى في الجنة» حديث حسن فقوله «من أحيا سنة من سنتي قد أحييت بعدي» واضح في العمل بما ثبت أنه سنة وكذلك قوله «من أحيا سنتي فقد أحبني» ظاهر في السنن الثابتة بخلاف قوله «من سن كذا فإنه ظاهر في الاختراع أولاً من غير أن يكون ثابتاً في السنة وأما قوله لبلال ابن الحارث «ومن ابتدع بدعة ضلاله» فظاهر أن البدعة لا تلزم باطلاق بل بشرط أن تكون ضلاله وأن تكون لا يرضها الله ورسوله فاقتضى هذا كله أن البدعة إذا لم تكن كذلك لم يلحقها ذم ولا تبع صاحبها وزر فعادت إلى أنها سنة حسنة ودخلت تحت الوعد بالاجر».

٢ - ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً «مارآه المسلمين حسناً فهو عند الله حسن ومارآه المسلمين قبيحاً فهو عند الله قبيح» استدل به محمد بن علوى بن عباس المالكى للاحتفال بالمولود النبوى في رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ١٣ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى ص ١٣-١٤ وفي مقدمته لطبعه مولد ابن الدبيع الأولى ص ١٠ قال في الجميع «إن المولد أمر استحسنـه العلماء والمسلمون من جميع البلاد وجرى به العمل في كل صقع فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأكولة من حديث ابن مسعود الموقف «مارآه المسلمين حسناً فهو عند

الله حسن ومارآه المسلمين قبيحا فهو عند الله قبيح» أخرجه أحد وهذا حذف محمد بن علوى في الاستدلال بذلك الموقف صاحب المقال المنشور في عدد مجلة المجتمع ٥٩٦ الصادر يوم الثلاثاء من ربيع الثاني عام ١٤٠٢هـ ساق نفس عبارة محمد بن علوى من دون أن يعزوها إليه كما حذا حذوه في الاستدلال بذلك الأثر أسعد أنسور في مقاله المنشور في عدد جريدة المدينة ٥٤٠٩ الصادر في الثاني عشر من ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ تحت عنوان «ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «وقد أثر عن الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود قوله مرفوعاً إليه» مارآه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن وما استتبعه المسلمين فهو عند الله قبيح» ١٠١هـ وإلى ذلك الاتجاه اتجه من عارض نصوص ذم البدع بأن السلف الصالح رضى الله عنهم وأعلاهم الصحابة قد عملوا بالعلم يأت به كتاب ولاستنة مما رأوه حسنا ولا تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلاله وإنما يجتمعون على هدى وهو حسن فقد أجمعوا على جمع القرآن وكتبه في المصاحف وعلى جمع الناس على المصاحف العثمانية واطراح ماسوى ذلك من القراءات التي كانت مستعملة في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في ذلك نص ولا حظر ثم اقتفي الناس أثراهم في ذلك الرأى الحسن فجمعوا العلم ودونوه وكتبوه ومن سباقهم في ذلك مالك بن أنس رضى الله عنه وكان من أشدهم اتباعا وأبعدهم من الابتداع نقل الشاطئي ذلك عن بعض المعارضين.

٣ - تقسيم من قسم من أهل العلم المتأخرین البدعة إلى أحكام الشريعة الخمسة وقد أكثر المثيرون للضجة من ايراد ذلك ونظرا إلى أن أوسع المتأخرین كلاما في ذلك القرافى وشيخه العز بن عبد السلام نكتفي بایراد كلامهما فنقول:

قال القرافى إعلم أن الأصحاب متفقون على انكار البدع نص على ذلك ابن أبي زيد وغيره. والحق التفصيل وأنها خمسة أقسام قسم واجب وهو ماتناولته قواعد الوجوب وأدلة من الشرع كتدوين القرآن والشرايع إذ خيف عليها الضياع وأن التبليغ لمن بعدها من القرون واجب إجماعا واهمال ذلك حرام اجماعا فمثل هذا النوع لا ينبغي أن يختلف في وجوبه. القسم الثاني المحرم وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحرير وأدلة من الشريعة كالمكوس والمحدثات من المظالم والمحاثات المنافية لقواعد الشريعة كتقديم الجهال على العلماء وتولية الناخص الشرعية من لا يصلح بطريق التوريث وجعل المستند في ذلك كون المنصب كان لأبيه وهو في نفسه ليس بأهل القسم الثالث من البدع ما هو مندوب إليه وهو ماتناولته قواعد الندب وأدلة

من المأكل والمشارب والملابس والمساكن ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعض العلماء من البدع المكرورة وجعله آخرون من السنن المفعولة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بعده كالاستعاذه في الصلاة والبسملة.

انتهى ما في قواعد الاحكام في مصالح الانعام وقد اختصره الشاطبى في الجزء الاول من «الاعتصام» ثم قال «انتهى محصول ما قال — اى ابن عبد السلام — وهو يصرح مع ما قبله^(١)) بأن البدع تنقسم باقسام الشريعة فلا يصح أن تحمل أدلة ذم البدع على العموم بل لها مخصوصات».

وأضاف الشيخ محمد بن علوى في رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ١٦ الى ذلك دعوى أنه لو كانت كل بدعة حرمته لوجب علينا حرب الكفار بالسهام والاقواص مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطيارات والغواصات والأساطيل.

هذا ما أورده المثيرون لتلك الضجة حول كلمة سماحة العلامة الأثرى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله^(٢)) وأداء للواجب نحو الحق الذى تضمنته تلك الكلمة التزمنا كتابة هذا الرد على ردودهم ورتباهم على ما يلى:
١ — مقدمة في بيان أن الاحتفال بذلك اليوم لم يقع من السلف الصالح.
٢ — فصل في ايضاح أن بنى عبيد القداح المتسدين باسم الفاطميين هم أول من احتفل بالمولود.

٣ — فصل في الجواب عما استدل به المثيرون لتلك الضجة على مشروعية الاحتفال بالمولود النبوى وعما عارضوا به نصوص ذم الابتداع في الدين.
٤ — فصل في الكلام على القصص التي تقرأ في تلك المناسبة وعلى ماتحتوى عليه من أضرار.

٥ — خاتمة في قواعد لابد من يريد الحق من معرفتها والمحافظة عليها وسميتها «القول الفصل في حكم الاحتفال بولد خير الرسل»
والله تعالى أسأل التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

اسماويل الانصارى

(١) يريد بما قبله كلام القرافى.

(٢) وقد أضفنا إليه غير ذلك مما تعلق به بعض الدعاء إلى الاحتفال.

مقدمة في بيان أن الاحتفال
بالمولد النبوى لم يقع من
السلف الصالح وأنه من البدع

اتفق أهل العلم من لا يرى منهم عمل المولد ومن يراه على أن الاحتفال
بالمولد النبوى لم يفعله السلف الصالح ومن تصرحياتهم بذلك ما يلي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب
الجحيم» ص ٢٩٥ في الاحتفال بالمولد النبوى «لم يفعله السلف الصالح مع قيام
المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف رضى الله
عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمها له
منا وهم على الخير أححرصوا وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره
واحياء سنته باطننا وظاهرا ونشر مابعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان
فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم
بإحسان».

وفي الفتاوى المصرية له أى لشيخ الإسلام ابن تيمية أنه سئل عن عمل
كل سنة ختمة في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم هل ذلك مستحب أم لا؟
 فأجاب: الحمد لله جمع الناس للطعام في العيددين وأيام التشريق سنة وهو من شعائر
الإسلام التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين، واعانة الفقراء بالاطعام
في شهر رمضان هو من سنن الإسلام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من فطر
صائما فله مثل أجره» واعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في
كل وقت، ومن أعاذه على ذلك كان شريكهم في الأجر. وأما اتخاذ موسم غير
المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال أنها ليلة المولد أو بعض
لياليي رجب أو ثامن عشر ذى الحجة أو أول جمعة من رجب أو ثامن شوال الذي
يسمييه الجهال عيد الأبرار فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها ج ١
ص ٣١٢ .

وقال العلامة الإمام الشيخ تاج الدين عمر بن على اللخمي السكندرى
المشهور بالفاكهانى في رسالته «المورد في الكلام على عمل المولد».

«الحمد لله الذى هدانا لاتباع سيد المرسلين وأيدنا بالهدایة إلى دعائيم الدين،
ويسر لنا اقتداء آثار السلف الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشع وقواطع

الحق المبين، وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين، أήده على مامن به من انوار اليقين، وأشكره على ماأسداه من التمسك بالليل المتن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة الى يوم الدين.

أما بعد فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع أو هو بدعة وحدث في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا، والايضاح عنه معينا، فقلت وبالله التوفيق لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولاستة ، ولاينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدهما البطلان، وشهوة نفس اعتنى بها الاكالون بدليل أنا اذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا اما أن يكون واجبا أو مندوبا او مباحا أو مكروها أو محظيا وليس بواجب إجماعا ولا مندوب لأن حقيقة المندوب ماطلبه الشيع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشع ولا فعله الصحابة ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى ان عنه سئلت ولاجائز أن يكون مباحا لأن الابتداع في الدين ليس مباحا باجماع المسلمين فلم يبق الا أن يكون مكروها أو حراما وحيثند يكون الكلام فيه في فصلين والتفرقة بين حالين.

أحدهما أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام ولا يقترون شيئاً من الآثام. وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكرورة وشنيعة إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الاسلام، وعلماء الأنام وسرج الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثاني أن تدخله الجنایة وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه وقبه يؤلمه ويوجعه لما يجد من ألم الحيف وقد قال العلماء: أخذ المال بالحياء كأخذ بالسيف لاسيما ان انصاف الى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملائ باللات الباطل من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات إما مختلطات بهن أو مشرفات. والرقص بالتشن والانعطاف والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف وكذلك النساء اذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنئ والتطريب في الانشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتمد غافلات عن قوله تعالى «إن ربكم بالمرصاد» وهذا الذي لا يختلف في تحريم اثنان،

ولا يستحسن ذو المروءة الفتى، وإنما يخلو ذلك لنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرون من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرمات ، فانا الله وإنا إليه راجعون بدأ الإسلام غربياً وسيعود كما بدا والله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجازناه:

في أيامنا المصعبه
وصار أهل الجهل في رتبه
ساروا به فيما مضى نسبه
والدين لما اشتدت الكربه
نوبتكم في زمن الغربه

قد عرف المنكر واستنكر المعروف
وصار أهل العلم في وهدة
حددوا عن الحق فما للذى
فقلت للأبرار أهل التقى
لاتنكروا أحوالكم قد أتت

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول لايزال الناس بخير ما تعجب من العجب، هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ربيع الأول هو بعينه الشهر الذي توفي فيه فليس الفرج فيه بأولى من الحزن فيه. وهذا ما علينا أن نقول ومن الله تعالى نرجو حسن القبول». هكذا ساق السيوطي في ج ١ من الحاوی للفتاوى ص ١٩٠-١٩٢ رسالة الفاکھانی^(١) وقال «هذا جميع ما أوردته الفاکھانی في كتابه.

وعلى ماتضمنته رسالة الفاکھانی من كراهة عمل المولد اعتمد الشيخ العدوی المالکی في حاشيته على مختصر الشيخ خليل المالکی ج ٨ ص ١٦٨ حيث قال في مبحث الوصية منها «أما الوصية على المولد الشريف فذكر الفاکھانی أن عمل المولد مکروه» ونقل ذلك عن العدوی وتلقاه بالقبول أبو عبد الله محمد علیش في فتح العلي المالک في الفتوى على مذهب الامام مالک ج ١ ص ١٧١ قال لما سئل عن رجل عنده بقرة فمرضت والحال أنها حامل فقال إن شفى الله بقرتى فعل ذبح ما في بطنه في مولد للرسول صلى الله عليه وسلم فشفاها الله تعالى وولدت أثني ثم تراثى عن ذباحتها حتى كبرت وحلت فهل يلزمها ذباحتها أو يلزمها ذبح بدمها أولاً يلزمها شيء قال في الجواب عن هذا السؤال «الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا محمد رسول

(١) اعترف أهل العلم للفاکھانی بالامامة في العلم فقد قال ابن فرحون في ترجمته في «الديباچ» المذهب في معرفة علماء المذهب ص ١٨٦ «عمر بن أبي اليمن على بن سالم بن صدقة اللخمي المالکی الشهير بتاج الدين الفاکھانی يكنى أبا جعفر الاسكندری قرأ القرآن بالقراءات على أبي

عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز المازوني وسمع منه وسمع من أبي عبد الله محمد بن طرخان وأبي الحسن علي بن أحد القرافى وسمع من غيرهما وكان فقيها فاضلاً متفتناً في الحديث والفقه والأصول والعربية والأدب وكان على حظ وافر من الدين المتن والصلاح العظيم واتباع السلف الصالح حسن الأخلاق وذكر أنه ولد سنة أربعين وخمسين وستمائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي بالاسكندرية في سنة أربعين وثلاثين وسبعيناً ودفن ظاهر باب البحر» وقال الحافظ ابن كثير في حوادث سنة إحدى وثلاثين وسبعيناً من تاريخه «البداية والنهاية» ج ١٤ ص ١٥٣ «في نصف رمضان – أى من تلك السنة – قدم الشيخ تاج الدين عمر بن علي بن سالم اللخمي ابن الفاكهانى المالكى نزل عند القاضى الشافعى وسمع عليه شيئاً من مصنفاته وخرج إلى الحج عامئذ مع الشاميين وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق» ثم قال ابن كثير في حوادث سنة أربعين وثلاثين وسبعيناً من ذلك المصدر «البداية والنهاية» الشيخ الإمام ذو الفنون تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمى الاسكندرانى المعروف بابن الفاكهانى ولد سنة أربعين وخمسين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك وبرع وتقديم بمعرفة النحو وغيره وله مصنفات في أشياء متفرقة قدم دمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبعيناً في أيام الاختتام فأنزله في دار السعادة وسمعنا عليه ومعه وجع من دمشق عامئذ وسمع عليه في الطريق ورجع إلى بلاده توفى ليلة الجمعة سابع جادى الأولى – أى سنة أربعين وثلاثين وسبعيناً وصلى عليه بدمشق حين بلغهم خبر موته. وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى في ترجمة عمر بن سالم اللخمى الاسكندرانى تاج الدين الفاكهانى من «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» ج ٣ ص ٢٥٤ «سمع على بن طرخان والمكين الأسرى وعتيق العمري وغيرهم وتفقه على مالك وأخذ عن ابن المير وغيره وهو في العربية والفنون وصنف شرح العمدة وغيرها ومن تصانيفه الإشارة في النحو والمورد في المولد والملمة في وقفة الجمعة والدورة القرمية في الآيات النظرية وجع من طريق دمشق سنة سبعينات وثلاثين ورجع وما بيلده سنة سبعينات وإحدى وثلاثين». وعلى هذه الترجمة من الدرر الكامنة اعتمد المؤرخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الخنبلى في الجزء السادس من شذرات الذهب في أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ١٩٥ في ذكره من كان بصر من الفقهاء المالكية «تاج الدين الفاكهانى عمر بن علي بن سالم اللخمى الاسكندرانى كان فقيها متفتناً في العلوم صالحًا عظيمًا» ووصفه تلميذ السيوطي محمد بن يوسف الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج ١ ص ٤٤٦ بأنه الإمام العلامة وساق نص كتابه «المورد في الكلام على عمل المولد». بهذا كله يتبيّن أن قول السيوطي في «حسن المقصد في عمل المولد» في الفاكهانى «من متأخرى المالكية» لايتنقص من مكانته على أن المدار ليس على التقدّم والتأخّر وإنما هو على التوفيق كما بينه ابن مالك في مقدمة التسهيل حيث قال «وإذا كانت العلوم منحاً الحياة ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخل بعض المتأخرین ما عسر على كثير من المتقدمین».

الله لا يلزمه شيء لأن عمل مولد للرسول صلى الله عليه وسلم ليس مندوباً خصوصاً إن اشتمل على مكرره كقراءة بتلحين أو غناء ولا يسلم في هذه الأزمان من ذلك وما هو أشد منه والنذر إنما يلزم به ماندبه والله أعلم قال العدو في مبحث الوصية «أما الوصية على المولد الشريف فذكر الفاكهاني أن عمل المولد مكرر».

وقال الاستاذ أبو عبد الله محمد الحفار «ليلة المولد لم يكن السلف الصالح وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم مجتمعون فيها للعبادة ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعظم إلا بالوجه الذي شرع به تعظيمه وتعظيمه من أعظم القرب إلى الله لكن يتقرب إلى الله جل جلاله بما شرع. والدليل على أن السلف لم يكونوا يزيدون فيها زيادة على سائر الليالي أنهم اختلفوا فيها فقيل إنه صلى الله عليه وسلم ولد في رمضان وقيل في ربيع الأول واختلف في أي يوم ولد فيه على أربعة أقوال فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة بولادة خير الخلق صلى الله عليه وسلم وكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف ولكن لم تشرع زيادة تعظيم الاترى أن يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس وأفضل ما يفعل في اليوم الفاضل صومه وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة مع عظيم فضله فدل هذا على أنه لا تحدث عبادة في زمان ولا في مكان إلا إن شرعت ومالم يشرع لا يفعل إذ لا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما أتى به أنها ولو فتح هذا الباب جاء قوم فقالوا: يوم هجرته إلى المدينة يوم أعز الله فيه الإسلام فيجتمع فيه ويتبعد ويقول آخرهن الليلة التي اسرى به فيها حصل له فيها من الشرف ما لا يقدر قدره فتحدث فيها عبادة فلا يقف ذلك عند حد. والخير كله في اتباع السلف الصالح الذين اختارهم الله له فيما فعلوا فعلناه وما تركتوا تركناه قال فإذا تقرر هذا ظهر أن الاجتماع في تلك الليلة ليس بمطلوب شرعاً بل يؤمر بتركه، هذا نص ما جاء في جواب الأستاذ أبي عبد الله الحفار عن سؤال وجه إليه عن رجل حبس فأصل توت على ليلة مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم مات المحبس فأراد ولده أن يتملك أصل التوت المذكور وبناء على ما قرره من كون الاحتفال بتلك الليلة بدعة جزم بأن وقوع التجسيس عليها مادام أمرها كذلك مما يحمل على بقاء ذلك العمل الذي ليس له أصل في الدين واستمراره وبأن محوه وإزالته مطلوبان شرعاً ثم أضاف الحفار إلى ذلك أن تلك الليلة في زمنه تقام على طريقة الفقراء ووصفها بقوله وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنيعة من شنع الدين لأن عهدهم في الاجتماع إنما هو الغباء والشطع ويقررون لعوم المسلمين أن ذلك من

أعظم القربات في هذه الاوقات وأنها طريقة أولياء الله وهم قوم جهله لا يحسن أحدهم احكام ما يجب عليه في يومه وليلته بل هو من استخلفه الشيطان على إضلال عوام المسلمين ويزيرون لهم الباطل ويضيغون إلى دين الله تعالى ماليس منه لأن الغباء والشطح من باب اللهو واللعب وهم يضيغونه إلى أولياء الله وهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا إلى أكل أموال الناس بالباطل فصار التحبيس عليهم ليعقموا بذلك طريقتهم تحبيسا على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما حبس في هذا الباب على غير طريقته ويستحب للمحبس أن يصرف هذا الأصل من التوت إلى باب آخر من أبواب القربات الشرعية وإن لم يقدر على ذلك فينقله لنفسه والله تعالى يمن علينا باتباع هدى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتباع السلف الصالح الذين في اتباعهم النجاة.

ذكر ذلك كله العلامة أحمد بن يحيى الونشريسي في الجزء السابع من كتابه الشهير «المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيبة والأندلس والمغرب ص ١٠١-٩٩ في كتاب الحبس وبهذا الذي بينه الأستاذ أبو عبد الله الخفار يرد على فتوى ابن عباد المتتصوف المذكورة في الجزء الحادى عشر من «المعيار ص ٢٧٩-٢٧٨ ببيان الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى.

وقال العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في بيان مقام به الإمام محمد بن عبد الوهاب من الدعوة إلى الحق قال مانصه « وأنكر — أى الإمام محمد بن عبد الوهاب — ما كان عليه الناس في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية التي لم ينزل في تعظيمها سلطان ولم ترد به حجة شرعية ولا برهان لأن ذلك فيه مشابهة للنصارى الصالحين في أعيادهم الزمانية والمكانية وهو باطل مردود في شرع سيد المرسلين(١)».

وقال الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن في الجواب عن سؤال وجه إليه عما يخص به يوم المولد من النحر ويسمونه نافلة، وما يفعل في السابع والعشرين من رجب من تخصيصه بالصوم والنحر، وما يفعل في ليلة النصف من شعبان من النحر وصوم اليوم هل هو محرم أو مكروه أو مباح؟ وهل يجب على الأمراء والعلماء إنكار ذلك ويائسون بالسكتوت أم لا؟ قال «هذه الأمور المذكورة من البدع لما ثبت عن النبي

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية طبعة مطبعة المدارس ٤٤٠ من الجزء الرابع و«الدرر السنوية» ج ٤ ص ٤٠٩.

صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» قوله في الحديث الآخر «ولما كم وحدثنكم الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله» والعبادات مبناتها على الأمر والنهي والاتباع. وهذه الأمور لم يأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فعلها الخلفاء الراشدون ولا الصحابة والتابعون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض ألفاظ الحديث الصحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وهذه الأمور ليس عليها أمره صلى الله عليه وسلم فتكون مردودة يجب إنكارها لدخولها فيما أنكر الله ورسوله قال تعالى «أَمْ لَهُ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ وَهَذَا الْأَمْرُ مَا أَحْدَثَهُ الْجَهَالُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ»^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد الطيف لما سئل عن صرف المال باسم مولد النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن عمل المولد من البدع المنكرات والأعمال السيئات وصرف المال لأجل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بدعه محمرة وفاعلها مأذور غير مأجور فيجب الإنكار على من فعل ذلك»^(٢).

وقال السيد علي فكري في المحاضرة السادسة عشرة من «المحاضرات الفكرية» ص ١٢٨ «لم يكن في سنة العرب أن يحتفلوا بتاريخ ميلاد لأحد منهم ولم تمر بذلك سنة المسلمين فيما سلف . والثابت في كتب التاريخ وغيرها أن عادة الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم من العادات المحدثة».

وقال الشيخ محمد عبد السلام خضر الشقيري في «السنن والمبتدعات المتعلقة بالاذكار والصلوات» ص ١٣٩—١٣٨ في الفصل الذي عقده لشهر ربيع الأول وبدعة المولد فيه «لا يختص هذا الشهر بصلة ولا ذكر ولا عبادة ولا نفقة ولا صدقة ولا هو موسم من مواسم الإسلام كالجمع والأعياد التي رسماها لنا الشارع صلوات الله وتسليماته عليه وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ففي هذا الشهر ولد صلى الله عليه وسلم وفيه توفي فلماذا يفرحون بيلاده ولا يحزنون لوفاته فاتخاذ مولده موسمًا والاحتفال به بدعة منكرة ضلاله لم يرد بها شرع ولا عقل ولو كان في هذا خير كيف يغفل عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسائل الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة وأتباعهم لاشك

(١) القسم الثاني من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية طبعة مطبعة المنار ٣٥٧-٣٥٨ وج، من الدرر السننية ص ٣٨٩ لكن ما في طبعة المنار أكمل.

(٢) الدرر السننية ج ٨ ص ٢٨٥ فإن قيل إن الإمام عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى قال في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد في شرح قول ابن حزم «اتفقو» على تحرير كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وماأشبه ذلك حاشى عبد المطلب، قال في شرح كلام ابن حزم هذا الذى أورده الإمام محمد بن عبد الوهاب في باب قول الله تعالى «فلما آتاهما صالحا جعلله شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون» ص ٤٤؛ مانصه «قال الحافظ صلاح الدين العلائى في كتاب الدرة السنية في مولد خير البرية» كان سن أبيه – أى أبي النبي صلى الله عليه وسلم – عبد الله حين حلت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب إلى المدينة ليختار منها قمرا لأهله فمات بها عند أخواله بنى عدى بن الجبار والنبي صلى الله عليه وسلم حل على الصحيح انتهى» وهذا قد يتوهם منه متوجه أنه يقر عمل المولد فالجواب أن مانقله الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن ذلك الكتاب أمر سيرى لاصلة له بالاحتفال بالمولد النبوى الذى صرخ بأنه بدعة وجرم بمنعه في غير ذلك الموضع ونظير ماوقيع منه في ذلك ماوقيع من الحافظ ابن كثير في كلامه على أحاديث الإسراء في تفسيره المقبول حيث قال ج ٣ ص ٢٤ «فائدة قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتاب «التنوير في مولد السراج المنير» وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس وتكلم عليه فاجاد وأفاد ثم قال «وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشداد بن اوس وأبى ابن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبى حبة وأبى ليل الأنصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومي وأم هانىء وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطولة ومنهم من اختصره على ماوقيع فى المسانيد وإن لم تكن روایة بعضهم على شرط الصحة فحدث الإسراء أجمع عليه المسلمين وأعرض عنه الزنادقة والملحدون «يريدون ليطفئوا نور الله بافواهمه والله مت نوره ولو كره الكافرون» ١٠١هـ كلام ابن كثير وهو الذي نقل في الجزء الثالث عشر من تاريخه «البداية والنهاية» ص ١٤٤ عن سبط ابن الجوزي أنه قال في ابن دحية «قد كان كابن عنين في ثلب المسلمين والحقيقة فيهم ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوا وقد كان الكامل مقبلا عليه فلما اكتشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانه» بل قال ابن كثير في ذلك الجزء ١٣ ص ١٤٥ بعد سردته ترجمة ابن حلكان لابن دحية مانصه «قلت – القائل ابن كثير قد تكلم الناس فيه أى ابن دحية – بأنواع من الكلام ونسبة بعضهم الى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على اسناده لنعلم كيف حاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصرا . والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنده منه وكرمه»، فالحق لا يرد من أى قائل ومن أى مصدر والحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيث وجدتها وعلى هذا مشيت في هذا الرد أنقل القول الحق عن قائله وإن كنت غير راض عنه .

أنه مأخذته الا المتصوفون الأكالون البطلون أصحاب البدع وتبع الناس بعضهم بعضا
فيه إلا من عصمه الله وفقه لفهم حقائق دين الإسلام».

وقال ابن الحاج في «المدخل» ج ٢ ص ١٢-١١ بعد ذكره العوائد الرديئة التي اعتادها أهل وقته في عمل المولد والمفاسد المترتبة على عمله قال مانصه «فإن خلا - أى عمل المولد النبوى - منه - أى من السماع - وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا اليه الاخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره - أى من المفاسد - فهو بدعة بنفس نيته فقط إذ إن ذلك زيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه لأنهم أشد الناس اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمها له ولسته صلى الله عليه وسلم وهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن لم تبع فيسعنا ما وسعهم وقد علم ان اتباعهم في المصادر والموارد كما قال الشيخ الإمام أبو طالب المكي رحمة الله تعالى في كتابه وقد جاء في الخبر «لاتقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا» وقد وقع ما قاله عليه الصلاة والسلام بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتي بعد لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصري بخيل فإنما الله وإنما إليه راجعون.. وقال أيضا وقد قال بعض الأدباء كلاما منظوما في وصف زماننا هذا كأنه شاهده

والمنكرون لـ كل أمر منكر
بعضًا ليدفع معور عن معور
في صورة الرجل السميع البصر
فإذا أصيب بيديه لم يشعر
من يسع في علم بلب يظفر

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيت في خلف يزكي بعضهم
أبني إن من الرجال بهيمة
فطن بكل مصيبة في ماله
فسل الفقيه تكن فقيها مثله

بل وصل ابن الحاج في الجزء المذكور ص ٢٦ في كلامه على محاذير عمل المولد إلى أن يقول مانصه «وبعضهم - أى المحتفلين بالمولود النبوى - يتورع عن هذا - أى ما يقع في المولد من المحاذير ويعمل المولد بقراءة البخارى وغيره عوضا عن ذلك وهذا وإن كانت قراءة الحديث في نفسها من أكبر القرب والعبادات وفيها البركة العظيمة والخير الكثير لكن إذا فعل ذلك بشرطه اللائق على الوجه الشرعي كما ينبغي لابنية المولد ألا ترى أن الصلاة من أعظم القرب الى الله تعالى ومع ذلك

فلو فعلها إنسان في غير الوقت المشروع لكان مذموماً مخالفًا فإذا كانت الصلاة بهذه المثابة فما بالك بغيرها».

وقال الحافظ أبو زرعة العراقي وقد سئل عن فعل المولد أمستحب هو أم مكره وهل ورد فيه شيء أو فعله من يقتدى به قال «إطعام الطعام مستحب في كل وقت فكيف إذا انضم لذلك السرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف ولا نعلم ذلك — أى عمل المولد ولو باطعام الطعام — عن السلف^(١)».

وقال الحافظ أبو الفضل بن حجر العسقلاني في فتواه في عمل المولد التي ساقها السيوطي في «حسن المقصود في عمل المولد» قال فيها «أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة» وقال السخاوي في فتاويه «عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة وإنما حدث بعد» نقل ذلك عن السخاوي الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي في الجزء الأول من سيرته «سبل المهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ص ٤٣٩ والملاء على القارئ في كتابه «المورد الروى في المولد النبوي» ص ٢٤.

وقال الشيخ نصیر الدین المبارك الشهير بابن الطباخ في فتوی بخطه «ليس هذا — أى عمل المولد — من السنن».

وقال الشيخ ظهير الدين جعفر التزمتى في عمل المولد «هذا الفعل لم يقع في الصدر الأول من السلف الصالح مع تعظيمهم وحبهم له — أى للنبي صلى الله عليه وسلم — إعظاماً ومحبة لا يبلغ جمعنا الواحد منهم ولا ذرة منه». نقل ذلك عن ابن الطباخ والتزمتى صاحب سبل المهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ج ١ ص ٤٤٢—٤٤١.

بهذه النقول يتضح أن السلف الصالح لم يختلفوا بмолود النبي صلى الله عليه وسلم بل تركوه وما ترکوه لا يمكن أن يكون تركهم إياه إلا لكونه لآخر فيه كما

(١) نقل ذلك عنه الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق في كتابه تشريف الآذان» ص ١٣٦ ونص كلامه «قال الحافظ أبو زرعة العراقي وقد سئل عن فعل المولد أمستحب أو مكره وهل ورد فيه شيء أو فعله من يقتدى به مانصه «اطعام الطعام مستحب في كل وقت فكيف إذا انضم لذلك السرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف ولا نعلم ذلك عن السلف. ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكرهًا فكم من بدعة مستحبة بل واجبة» ١٠٠ هـ. مانقله والشاهد منه تصريح العراقي بأن عمل المولد بدعة لا يعلمها عن السلف وأما دعوى العراقي أن البدعة تكون مستحبة وتكون واجبة فيدل على بطلانها عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم «وكل بدعة ضلاله».

أوضحه ابن الحاج في الجزء الرابع من «المدخل» ص ٢٧٨ حيث قال بصدق استنكاره بصلة الرغائب مانصه.

ماحدث بعد السلف رضي الله عنهم لا يخلو إما أن يكونوا علمو وعلموا أنه موافق للشريعة ولم يعملا به ومعاذ الله أن يكون ذلك إذ إنه يلزم منه تنقيصهم وتفضيل من بعدهم عليهم ومعلوم أنهم أكمل الناس في كل شيء وأشدتهم اتباعاً وأما أن يكونوا علمو وتركوا العمل به ولم يتركوه الا لوجب أوجب تركه فكيف يمكن فعله هذا مما لا يتعلّل وإما أن يكونوا لم يعلمو فيكون من ادعى علمه بعدهم أعلم منهم وأفضل وأعرف بوجوه البر وأحرص عليها ولو كان ذلك خيراً لعلمو واظهر لهم ومعلوم أنهم أعقل الناس وأعلمهم وقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: عقول الناس على قدر أزمنتهم. ولأجل هذا المعنى لم يكن عندهم إشكال في الدين ولا في الاعتقادات لوفور عقوفهم وإنما حدثت الشبه بعدهم لما خالطت العجمة الألسن فلننقض عقول من بعدهم عن عقوفهم وقع ما وقع» ١٠١ هـ كلام ابن الحاج وفيه دليل من ناحية أخرى على أن ماترکه السلف الصالح لابد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد تركه وتركه سنة كما أن فعله سنة فمن استحب فعل ماترکه النبي صلى الله عليه وسلم كان كمن استحب ترك ما فعله ولافرق كما بينه الإمام شمس الدين ابن الق testim في «اعلام الموقعين» ح ٢ ص ٣٩٠ - ٣٩١ وقال بعده: «فإن قيل من أين لكم أنه لم يفعله وعدم النقل لا يستلزم نقل العدم فهذا سؤال بعيد جداً عن معرفة هديه وستته وما كان عليه ولو صح هذا السؤال قبل لاستحب لنا مستحب الأذان للتراويح وقال من أين لكم أنه لم ينقل واستحب لنا مستحب آخر الغسل لكل صلاة وقال من أين لكم أنه لم ينقل واستحب لنا مستحب آخر النساء بعد الأذان للصلوة بيرحكم الله ورفع بها صوته وقال من أين لكم أنه لم ينقل واستحب لنا آخر ليس بالسود والطريحة للخطيب وخروجه بالشاو يش يصبح بين يديه ورفع المؤذنين أصواتهم كلما ذكر الله واسم رسوله جماعة وفرادى وقال من أين لكم أن هذا لم ينقل واستحب لنا آخر صلاة ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب وقال من أين لكم أن إحياءها لم ينقل وانفتح باب البدعة وقال كل من دعا إلى بدعة من أين لكم أن هذا لم ينقل ومن هذا تركه أخذ الزكاة من الخضراءات والمباطخ وهم يزرعونها بجواره بالمدينة كل سنة فلا يطالبهم بزكاة ولا هم يؤدونها إليه» ١٠١ هـ. ولعدم انتباه محمد بن علي لذلك كله قال في رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ١٣ - ١٨ وفي مقدمته لطبعه مولد الدبيع الأولى ص ١٣ وفي مقدمته للمورد الروى

في المولد النبوى ص ١٧ مانصه «وقول التعصب إن هذا لم يفعله السلف ليس هو دليلا له بل هو عدم دليل كما لا يخفى على من مارس علم الأصول».

وما يدل على أن السلف الصالح لم يختلفوا يوم المولد النبوى اختلافهم في تحديد اليوم الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم من كلام أبي عبد الله الحفار الذى نقله عنه صاحب المعيارج ٧ ص ١٠٠ ونص كلامه «والدليل على أن السلف لم يكونوا يزيدون فيها – أى في ليلة المولد النبوى زيادة على سائر الليالي أنهم اختلفوا فيها فقيل إنه صلى الله عليه وسلم ولد في رمضان وقيل في ربيع – أى الأول – وانختلف في أى يوم ولد فيه على أربعة أقوال فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة لولادة خير الخلق صلى الله عليه وسلم وكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف»^(١) هـ. المراد من كلام أبي عبد الله الحفار هنا وقد بسط الكلام على ذلك الخلاف الذى أشار إليه الإمام العلامة الحافظ ابن كثير في الجزء الثاني من تاريخه «البداية والنهاية» ص ٢٦٠-٢٦١ والقسطلاني في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ١٣١-١٣٢ فقد قال ابن كثير بعد أن جزم بأنه لا خلاف في أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين قال – الجمهور على أن ذلك – أى ولادته كان في شهر ربيع الأول فقيل لليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدى عن أبي معشر نجح بن عبد الرحمن المدنى وقيل لشمان خلون منه حكاها الحميدى عن ابن حزم ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهرى عن محمد بن جابر بن مطعم ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الحوارزمى ورجحه الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر^(١) ورواه مجاهد عن الشعبي كما مر وقيل لاثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن ميناء عن جابر وابن عباس أنهما قالا

(١) وقول أبي جعفر الباقر هذا هو الذى صصحه الحافظ الدمياطى نقل ذلك عنه تلميذه الحافظ الذهبي في الجزء الأول من تاريخه الكبير ص ٢٣ ط مكتبة القدسى قال «قال شيخنا أبو محمد الدمياطى في السيرة من تأليفه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال «ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشرين ليلًا خلون من ربيع الأول وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك في النصف من المحرم وقال أبو معشر نجح ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول قال الدمياطى وال الصحيح قول أبي جعفر».

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات. وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم وقيل لسبعة عشر خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة وقيل لثمان بقين منه^(١) نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه وال الصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان ماضين منه كما نقله عنه الحميدى وهو ثابت» وذكر ابن كثير القول بأنه ولد في رمضان فاستغفر له جداً.

وقال القسطلاني في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ١٣١-١٣٢

«اختلف في أي يوم من الشهر - أي شهر ربيع الأول - ولد - فقيل انه غير معين إنما ولد يوم الاثنين من ربيع الأول من غير تعين والجمهور على أنه معين فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو اختيار أكثر أهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشأن واختاره الحميدى وشيخه ابن حزم وحکى القضايعي في عيون المعرف إجماع أهل الزیج^(٢) عليه ورواه الزهرى عن محمد بن جبیر بن مطعم وكان عارفا بالنسب وأیام العرب أخذ ذلك عن أبيه جبیر وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشر وعليه عمل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت وقيل لسبعين عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل لثمان بقين منه وقيل إن هذين القولين غير صحيحين عن حكيم عنه بالكلية» ١٠١ هـ كلام القسطلاني ولمراجعة الخلاف في اليوم الذي ولد فيه خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم من شهر ربيع الأول لمراجعته نوعا ما كان صاحب إربل يحتفل بالولد النبوى سنة في ثامن شهر ربيع الأول وسنة في ثاني عشره جاء ذلك في وصف ابن خلkan في تاريخه «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لاحتفاله

(١) نقل الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعى في «إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون» المعروف بالسيرة الحلبية عن أبي الخطاب بن دحية أن القول بأن ولادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت لثمان ماضين من ربيع الأول هو الذى لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ».

(٢) الزیج بزای مکسورة فتحتية ساکنة فجیم أي المیقات وهو لفظ خیط البناء ثم نقل وجعل لقبا لعمل المیقات لقویم علا الخیط في أحد استواء التجوم القاموس الزیج خیط البناء معرب ومقتضاه فتح الزای لأنه إذا أطلق أراد الفتح الا فيما اشتهر بخلافه كما قال في خطبه وقد ضبطه بعضهم بكسرها فلعله ما اشتهر» ١٠١ هـ من شرح المواهب اللدنية للزرقانی ج ١ ص

بالمولد النبوى قال ج ١ ص ٤٣٧ «كان — أى صاحب إربل يعمله — أى عمل المولد — سنة في ثامن الشهر — أى شهر ربيع الأول — وسنة في ثانى عشره لأجل الاختلاف الذى فيه» ١٥٠ هـ.

يضاف إلى ذلك أن الشهر الذى ولد فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو بعينه الشهر الذى توفى فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه نبه على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم ابن الحاج والفاكهانى.

فقد قال ابن الحاج في «المدخل» ج ٢ ص ١٦-١٧ في كلامه على عمل المولد قال العجب العجيب كيف يعملون المولد بالغافنى والفرح والسرور كما تقدم لأجل مولده عليه الصلاة والسلام كما تقدم في هذا الشهر الكريم وهو عليه الصلاة والسلام فيه انتقل إلى كرامة رباه عز وجل وفجعت الأمة وأصيبيت بمصاب عظيم لا يعدل ذلك غيرها من المصائب أبداً فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكبير وإنفراد كل إنسان بنفسه لما أصيبي به لقوله عليه الصلاة والسلام ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي . فلما ذكر عليه الصلاة والسلام المصيبة به ذهبت كل المصائب التي تصيب المرء في جميع أحواله وبقيت لآخرها وقد أحسن حسان حين رثاه عليه الصلاة والسلام بقوله:

كنت السواد لนาظرى فعمى عليك الناظر
من شاء بعده فليمت فعليك كنت أحذر
فانظر في هذا الشهر الكريم والحالة هذه كيف يلعبون فيه ويرقصون
ولا يبكون ولا يحزنون ولو فعلوا ذلك لكان أقرب إلى الحال لأجل اقرار الذنب
والحزن والبكاء من أجل فقد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مذهباً للذنب
ومحياناً لآثارها مع أنهم لو فعلوا ذلك والتزموا لكان أيضاً بدعة وإن كان الحزن عليه
صلى الله عليه وسلم واجباً على كل مسلم دائمًا لكن لا يكون على سبيل الاجتماع
لذلك والتباكى وإظهار التحزن بل ذلك أعنى الحزن في القلوب فإن دمعت العين
في أحبابنا ولا حرج إذا كان القلب عامراً بالحزن والتأسف إذ هو المقصود بذلك
كله وإنما وقع الذكر لهذا الفصل لكونهم فعلوا الطرف الذي للنفوس فيه راحة وهو
اللعبة والرقص والدب والشابة وغير ذلك مما تقدم بخلاف البكاء والحزن إذ إنه
ليس للنفس فيه راحة بل الكمد وحبس النفوس عن شهواتها وملاذها . ولو قال قائل
أنا أعمل المولد للفرح والسرور لولادته صلى الله عليه وسلم ثم أعمل يوماً آخر للمتأم

والحزن والبكاء عليه فالجواب أنه قد تقدم أن من عمل طعاماً بنية المولد ليس إلا وجمع له الآخوان فإن ذلك بدعة هذا وهو فعل واحد ظاهره البر والتقرب ليس إلا فكيف بهذا الذي جمع بدعاه جلة في مرة واحدة فكيف إذا كرر ذلك مرتين مرة للفرح ومرة للحزن فتزيد به البدع ويكثر اللوم عليه من جهة الشرع والله أعلم».

وقال الفاكهاني في رسالته «المورد في عمل المولد» إن الشهر الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعينه الشهر الذي توفي فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه».

فصل في ثبات احتفال
بني عبيد القداح بالموالد قبل صاحب إربل
وأنهم أول من احتفل بها

قال تقى الدين أهـ بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالقرىزى في الجزء الأول من كتابه — «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ص ٤٩٠ تحت عنوان «ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميين يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم» قال «كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي موسم رأس السنة وموسم أول العام ويوم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد الحسين عليهم السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم التوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخيس العدس وأيام الركوبات» ثم بعد إيضاحه غایة الإيضاح تلك الأعياد والمواسم ذكر أن المولد الستة كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكانج وحلواه وبسط في ذلك الجزء من ذلك الكتاب «كتاب المawahيل والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ص ٤٣٢ (١) الكلام على وصف جلوس الخليفة في المولد بالمنظرة علو باب الذهب» قال «قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمسين وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الآمرى واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكانج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الصرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقديم بأن يعمل خمسين رطل حلوى وتفرق على المتتصدين والقراء والفقراء للمتصدين ومن معهم في صحون وللفقراء على أرغفة السميد ثم حضر في الليلة المذكورة القاضى

(١) طبعة دار صادر بيروت

والداعى والشهدود وجميع المتتصدين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التي قبل باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متول بيت المال بصندوقي مختم ضمه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكينها وغيرهم وفرقت الصوانى بعدها حمل منها للخاص وزمام القصر ومتول الدفتر خاصة وإلى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والأولاد وكاتب الدست ومتول حجية الباب والقاضى والداعى ومفتى الدولة ومتول دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجماعات بالقاهرة ومصر وبقية الأشراف قال وخرج الأمر يعني في سنة سبع عشرة وخمسماهية باطلاق ما يختص المولد الأمرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقىق وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطر حلوى وألف رطل دقىق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للأعيان المستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكنايج وحضر القاضى والداعى المستخدمون بدار العيد والشهدود في عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصررين وجلس الخليفة في المنظرة وقبلوا الأرض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرءون القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من أنشد وذكر فضيلة الشهر والمولد فيه ثم خرج متول بيت المال ومعه صندوق من مال النجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره.

قال « واستهل ربيع الأول ونبداً بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم لثلاث عشرة منه وأطلق ما هو برسم الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الأصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التي بين الجبل والقرافة التي فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد وما يتولى تفرقته سنا الملك بن ميسير أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبزا قال « وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعه النبوى والعلوي والفاتمى والإمام الحاضر وما يهتم به وقد العهد به حتى نسى ذكرها فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الأمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضه الوزير بسببيها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعمل ما ذكر وقال ابن الطوير: ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة في تواريخ مختلفة وما يطلق فيها وهى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب ومولد فاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهم السلام ومولد

ال الخليفة الحاضر ويكون هذا الجلوس في المنظرة التي هي أنزل المناظر وأقرب إلى الأرض قبلة دار فخر الدين جهاركس والفندق المستجد فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربىع الأول وهو يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم – تقدم – بأن يعلم في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طائفتها وتعنى في ثلاثة صينية من النحاس فتفرق تلك الصوانى في أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية في قوارة من أول النهار إلى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضى القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل في ذلك القراء بالحضرى والخطباء والمتصدرون بالجوابع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب يدعى بخراج من دفتر المجلس كما قدمناه فإذا صلى الظاهر ركب قاضى القضاة والشهد بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه فإن كانت الدعوة مضافة إليه والاحضر الداعى معه بنقباء الرسائل فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السيفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هناك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سوية أمير الجيوش عند الحوض هناك وكتست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الأصفر ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ووالي القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضى ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنظرة ويتزلجون قبل الوصول إليها بخطوات فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة فتفتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الأستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم ويفتح بعض الأستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كمه وبشير به قائلًا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم بقاضى القضاة أولاً بنعوتة وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة من غير تعين أحد فيستفتح قراء الحضرى بالقراءة ويكونون قياماً في الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم إلى حائط المنظرة فيقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول وإن هذا يوم مولده إلى مامن الله به على ملة الإسلام من رسالته ثم يختتم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرعون فإذا

انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فتنقض الناس ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص انتهى».

وقال أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى في الجزء الثالث من صبح الأعشى في صناعة الانشاء» ص ٤٩٨-٤٩٩ في كلام له طويل في جلوسات الخليفة الفاطمى قال بعد أن ذكر جلوسه في المجلس العام أيام المواكب وجلوسه ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه للقاضى والشهدود في ليالى الوقود الاربع من كل سنة قال «الجلوس الثالث جلوسه في مولد النبي صل الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربىع الأول وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف وتبدأ في ثلاثة عشر صينية نحاس فإذا كان ليلاً ذلك المولد تفرق في أرباب الرسوم كقاضى القضاة وداعى الدعاة وقراء الحضرة والخطباء والمتصدرین بالجامعة بالقاهرة ومصر وقمة المشاهد وغيرهم من له اسم ثابت بالديوان و مجلس الخليفة في منظرة قريبة من الأرض مقابل الدارقطنية المتقدمة الذكر «وهي البيمارستان المنصوري الآن» ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهدود الى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى المتقدمة الذكر فيجلسون في الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة وتسد الطريق تحت القصر من جهة السيفين وسويقه أمير الجيوش ويكتنس مابين ذلك ويرش بالماء رشا ويرش تحت المنظرة بالرمل الأصفر ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطرق لمنع المارة ثم يستدعى القاضى ومن معه فيحضره ويتزلجون على القرب من المنظرة ويجتمعون تحتها وهم متشفون لانتظار ظهور الخليفة فيفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهه ثم يخرج أحد الاستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليكم السلام ويقرأ القراء ويخطب الخطباء كما تقدم في ليالى الوقود^(١) فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ يده مشيرا برد السلام كما تقدم ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس الى بيوتهم وكذلك شأنهم في مولد على بن أبي طالب الخاص في أوقات معلومة عندهم من السنة.

ومن صرح من المؤخرين بأن أول من أحدث المولد المتسمون بالفاطميين مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بن بخيت المطيعي والشيخ على محفوظ والسيد على

(١) في كلامه على ليالى الوقود حيث قال «إذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ الأول يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة السلام».

فكري فقد قال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتى الديار المصرية سابقًا في كتابه «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام» ص ٤٤-٤٥ «ما أحدث وكثر السؤال عنه الموالد فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميين وأولهم المعز لدين الله توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة ٣٦١ إحدى وستين وثلاثمائة هجرية فوصل إلى ثغر اسكندرية في شعبان سنة اثنين وستين وثلاثمائة ودخل القاهرة لسبع خلون من شهر رمضان في تلك السنة فابتدعوا ستة موالد. المولد النبوى ، ومولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد الحسن ومولد الحسين ، ومولد الخليفة الحاضر. وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش وكان أبوه أمير الجيوش قد قدم من الشام إلى مصر في خلافة المستنصر بالله بناء على دعوة منه فدخل مصر في عشية الأربعاء لليلتين خلتا من جادى الأولى سنة ٤٦٥ خس وستين وأربعمائة هجرية فلما توجه لمحاربة أهل الشام استتاب ولده الأفضل. وفي ربيع الآخر أو في جادى الأولى سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات أمير الجيوش فأقام الجندي ولده الأفضل مقامه ثم مات المستنصر بالله لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ٤٨٧ سبع وثمانين وأربعمائة هجرية ومدة خلافته ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام فأقام الأفضل بعد المستنصر ابنه المستعلى بالله ثم مات المستعلى في ليلة ثلاث عشرة بقيت من صفر سنة ٤٩٥ خس وتسعين وأربعمائة هجرية ومدة خلافته سبع سنين وشهران فأقام الأفضل بعده في يوم موته ابنه الأمر بأحكام الله ثم قتل الأفضل ليلة عيد الفطر من سنة ٥١٥ خس عشرة سنة وخمسائة هجرية ثم قتل الأمر بأحكام الله في سنة ٥٢٤ خمسائة وأربعة وعشرين هجرية ثم قال المطيعي في بيان ما كان يعمل في المولد النبوى من الفاطميين ص ٤٤-٤٧ «وفي خلافة الأمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة المذكورة قبل بعد أن أبطلها الأفضل وكاد الناس ينسونها وكان الخليفة يجلس في هذه الموالد في توارييخ مختلفة ويكون جلوسه كما في الخطط للمقرنزي نقلا عن ابن الطوير في المنظرة التي هي أنزل المناظر وأقرب إلى الأرض ففي المولد النبوى إذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلوى يابسة وتعبا في ثلاثة صينية من التخاس فتفرق تلك الصوانى على أرباب الرسوم من ذوى الرتب من أول النهار إلى ظهره. فأولهم قاضى القضاة . ثم داعى الدعاة وقراء حضرة الخليفة والخطباء والمتصردون بالجوابع فإذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة والشهدود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى

فيجلسون فيه مدة ثم يستدعي قاضي القضاة ومن معه بالأزهر فيركبون وقد كنست الطريق ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش ماتحت المنظرة بالرمل الأصفر ثم يستدعي صاحب الباب من دار الوزارة كل ذلك ووالى مصر يغدو ويروح لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة فيقرب جميع المدعوين من المنظرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون تحتها دون الساعة الزمانية لانتظار الخليفة فتفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهه وما عليه من التدليل. وفوق رأسه عدة رجال يسمون بالأستاذين وغيرهم من الخواص ويفتح بعض الأستاذين طاقة أخرى ويخرج منها رأسه ويده في كمه ويسير به قائلا: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيبدأ بقاضي القضاة أولاً فيسلم عليه بنعوتة ثم بعده صاحب الباب ثم بالجماعة الباقية جلة جلة من غير تعين واحد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون وقوفا في الصدر وجوههم وظهورهم الى حائط المنظرة. فيتقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: إن هذا اليوم مولده صلى الله عليه وسلم وقد بعثه الله فيه برسالة عامة ثم يختتم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يتقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك . ثم خطيب الجامع الأقرم فيخطب كذلك والقراء في خلال الخطيب يقرأون فإذا انتهت الخطبة أخرج الاستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فينفض الناس ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها من غير زيادة ولا نقص الا فيما يتعلق بصاحب المولد في الخطب فإنه يكون في كل مولد بما يناسب صاحبه». ذكر المطيعي هذا كله ثم قال: ص ٤٧ «وقد استمر عمل الموالد الى الآن غير أن الناس تركوا بعض الموالد الخمسة وزادوا موالد أخرى حتى كادت الموالد الآن لاتحصى وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونفعوا أشياء وزادوا في أيامها» ثم بعد مانقل المطيعي ما كان يعمله مظفر الدين صاحب إربل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن خلkan ونقل عنه ايضا قضية ابن دحية معه وتاليه له «التنوير في مولد السراج المنير» بعد مانقل ذلك قال في ص ٥٢ «من ذلك تعلم أن مظفر الدين إنما أحدث المولد النبوى في مدينة إربل على الوجه الذى وصف فلا ينافي ما ذكرناه من أن أول من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميين من قبل ذلك فإن دولة الفاطميين انقرضت بموت العاشر بالله أبي محمد عبد الله بن الحافظ بن المستنصر في يوم الاثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسة هجرية. وما كانت الموالد تعرف في دولة الإسلام من قبل الفاطميين.

وأضاف الشيخ محمد بخيت المطيعى الى ذلك قوله «وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون» ومظفر الدين في المولد النبوى جزمت بأنه لا يمكن أن يمکم عليه كله بالخل».)١(

وقال الأستاذ الشيخ على محفوظ في «الابداع في مضار الابداع» ص ١٢٦)١(في فصل عقده لبعد المولد وأول من أحدثها وأدوارها التاريخية (أول من أحدثها — أى المولد — بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد المولد النبوى ومولد الامام على رضى الله عنه ومولد السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومولد الحسن والحسين رضى الله عنهم ومولد الخليفة الحاضر وبقيت هذه المولد على رسومها الى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة أربع وعشرين وخمسماة بعد ما كاد الناس ينسونها وأول من أحدث المولد النبوى بمدينة إربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع» قال «وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا وتتوسع الناس فيها وتبدعوا بكل ماتهواه أنفسهم ويوحيه اليهم الشيطان».

وقال الأستاذ السيد على فكرى في المحاضرة العاشرة من «المحاضرات الفكرية» ص ٨٤ تحت عنوان «الابداع في المولد» «أول من أحدثها — أى المولد — بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا سنة المولد النبوى ومولد الإمام على والسيدة فاطمة الزهراء وسيدينا الحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين وبقيت هذه المولد الى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة ٥٢٤ وأول من أحدث المولد — أى بعد ذلك — الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع بمدينة إربل بالموصل وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا وتتوسع الناس فيها وتبدعوا بكل ماتهواه أنفسهم ويزين لهم الشيطان».

ومن بحث في احتفالات بنى عبيد القداح بالموالد والأعياد الدكتور حسن ابراهيم حسن مدير جامعة اسيوط سابقاً وطه أحد شرف مفتش المواد الاجتماعية بوزارة التربية في كتابهما «المعز لدين الله» قالا ص ٢٨٤ تحت عنوان «الخلفات والأعياد» عمل الفاطميون على كسب احترام رعاياهم وساروا على هذه السياسة في بلاد المغرب وغلا خلفاؤهم في مصر في إقامة الحفلات التي طبعوها بطابع خاص وأقاموا المناظر وبخاصة في أنحاء القاهرة فكان المعز ومن أتى بعده من الخلفاء

(١) طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة للتنكاني.

يختلفون بصلة الجمعة على مارينا وصلة العيددين وتوديع الحملات الخيرية كما كانوا
 يختلفون يوم عاشوراء ومولد بعض أئمتهم^(١) مثل على بن أبي طالب وفاطمة الزهراء
 ابنة الرسول وزوجة علي ومولد الحسن والحسين كما كانوا يختلفون أيضاً بعض
 الأعياد الأخرى التي تيزهم عن السنين مثل عيد الغدير ومولد الخليفة القائم بالأمر
 وكانوا يختلفون كذلك بأعياد أخرى مثل ليلة أول رجب وليلة نصف رجب وليلة أول
 شعبان وليلة نصف شعبان وبعد غرة رمضان وكانوا يشاركون الأهلين في الاحتفال
 ببعض أعيادهم مثل عيد جبر الخليج وعيد النوروز وشاركوا القبط في الاحتفال يوم
 الغطاس وخيس العهد وغيرها. ونلاحظ على هذه الأعياد أموراً منها أن المعز لدين الله
 كان أول من مهد هذه الأعياد في مصر وعمل على ترويجها باقامة الولايات الضخمة —
 احتفالاً بها فكان يقيم الأسمطة في قصور الخلافة وفي المساجد وهذا خلاؤه حذوه
 فكانوا يقيّمون الأسمطة في قاعة الذهب بالقصر الكبير طوال شهر رمضان وأيام
 العيددين وكانت هذه الأسمطة آية في الروعة والجلال وكان يدعى إليها قاضي القضاة
 وكبار القواد والموظفين ويمثل الخليفة فيها الوزير غالباً، كما كانت الدولة تنفق عليها
 أموالاً طائلة مما يدل على وفرة ثروة مصر في عهد الفاطميين وكان الفاطميين يتخذون
 هذه الأعياد وسيلة لجذب الرعایا إليهم لذلك شارك المعز القبط في الاحتفال بعيد
 خيس العهد وعيد يوم الغطاس وعيد الميلاد وغيرها وقد نهج أبناؤه وأحفاده نهجه في
 ذلك حقاً لم ينل عيد النوروز من تقدير المعز منانه على يد الخلفاء الفاطميين الذين
 ولو الخلافة من بعده فقد أمر هذا الخليفة في سنة ٣٦٢ هـ بمنع الاحتفال بعيد النوروز
 وشهر بكل من حدثه نفسه بالابتهاج بليلته. وإنما فعل المعز ذلك لما كان يصاحب
 هذا العيد من عادات لم تكن رضا هذا الخليفة فقد كان الفساد والخلاعة يقتربان به
 كما يتبيّن ذلك مما أورده المقريزي نقلاً عن ابن زولاقي حيث يقول عند كلامه على
 حادث سنة ٣٦٢ هـ: «منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في
 السكك ومن صب الماء يوم النوروز» ويقول في حادث سنة ٣٦٤ هـ: «وفي يوم
 النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الأسواق وعملوا فيه وخرجوا إلى
 القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام ثم أظهروا السماجات والخلي في الأسواق ثم أمر المعز
 بالنداء بالكف وأن لا تؤخذ نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم
 على الجمال» وليس معنى ذلك أن المعز كان يقف في وجه رعایاه وإنما كان يعمل

(١) أي فيما يدعون والافعلى وفاطمة والحسن والحسين براء منهم.

على حفظ الأمن وبسط الطمأنينة والمحافظة على الآداب والفضيلة^(١)) وسوف يصبح عيد النوروز من أهم أعياد الفاطميين. وما يدل على أن المعز كان يتخذ من الأعياد وسيلة لجذب رعاياه إليه تلك الجهود التي كان يبذلها لاحياء بعض الأعياد القومية مثل عيد جبر الخليل فقد سن المعز خلافاته من بعده سنة التوడد إلى المصريين في ذلك اليوم فكان الفاطميون ينفقون الأموال الجزلة للاحتفال به فتعطل الحكومة وتحتفل به الدولة احتفالاً رسمياً. أضف إلى ذلك أن المعز كان يشترك مع رعاياه في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية ومولد النبي صل الله عليه وسلم وليلة أول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه وموسم غرة رمضان حتى لا يثير نفوس السنين ويقرب مسافة الخلف بين المبادئ السنوية والعقائد الشيعية وكذلك كان المعز لدين الله يستغل هذه الأعياد التي كان زخر بها عهده في نشر خصائص المذهب الاسماعيلي وعقائده لذلك كان يحتفل بيوم عاشوراء ليحيى فيها ذكرى الحسين رضي الله عنه كما كان يحيى ذكرى مولد كثير من الأئمة وذكر مولد الخليفة القائم بالأمر وهكذا اخند المعز من الاحتفال بهذه الأعياد وسيلة لجذب رعاياه إليه ونشر مبادئ المذهب الاسماعيلي

.٥٠١

كما بحث في تلك الاحتفالات الدكتور أحمد محنتار العبادي أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الاسكندرية وبيروت العربية في تأليفه في التاريخ العباسى والفاطمى ص ٢٦١-٢٦٢ قال في احتفالات المتس敏 بالفاطميين بالأعياد مانصه «اما احتفالاتهم بالأعياد الاسلامية فقد خرجت عن التقليد المعروف بالاحتفال بالعيدين فقط عيد الفطر وعيد الاضحى إذ تجاوزت ذلك الى الاحتفال بميلاد أهل البيت كالمولد النبوى ومولد الحسين ومولد السيدة زينب إلى جانب الاحتفال برؤيا هلال رمضان وبليالي رمضان وليلة الاسراء والمعراج (٢٧ رجب) وليلة النصف من شعبان.. الخ وكان يصاحب ذلك بيع الحلوي اللعب وعرائس المولد.. الخ كل هذه الأشياء ابتدعها الفاطميون» ١٥٠٩هـ. المراد من كلامه.

(١) كيف يكون محافظاً على الآداب والفضيلة من سيأتي في آخر هذه العبارة انه استغل الأعياد التي زخر بها عهده في نشر خصائص المذهب الاسماعيلي وعقائده.

فصل في الجواب عما استدل به المعارضون على مشروعية الاحتفال بالمولود النبوى

أما الاستدلال بقول الله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» على مشروعية الاحتفال بالمولود النبوى فمن قبيل حل كلام الله تعالى على مالم يحمله عليه السلف الصالح والداعاء إلى العمل به على غير الوجه الذى مضوا عليه فى العمل به وهو أمر لا يليق لما بينه الإمام الشاطبى فى كتاب الأدلة الشرعية من «الموافقات فى أصول الشريعة ج ٣ ص ٧١ وهو أن الوجه الذى لم يثبت عن السلف الصالح العمل بالنص عليه لا يقبل من بعدهم دعوى دلالة النص الشرعى عليه قال «إذ لو كان دليلا عليه لم يعزب عن فهم الصحابة والتابعين ثم يفهمه من بعدهم فعمل الأولين كيف كان مصادم لمقتضى هذا المفهوم ومعارض له ولو كان ترك العمل قال فما عمل به المتأخرن من هذا القسم مخالف لاجماع الأولين وكل من خالف الاجماع فهو خطئ وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلاله. فما كانوا عليه من فعل أو ترك فهو السنة والأمر المعتبر وهو الهدى وليس ثم الاصواب أو خطأ فكل من خالف السلف الأولين فهو على خطأ وهذا كاف . والحديث الضعيف الذى لا يعمل العلماء بمثله جار هذا المجرى ومن هنالك لم يسمع أهل السنة دعوى الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي أنه الخليفة بعده لأن عمل كافة الصحابة على خلافه دليل على بطلانه أو عدم اعتباره لأن الصحابة لا تجتمع على خطأ» قال «وكثيرا ما تجد أهل البدع والضلال يستدلون بالكتاب والسنة يحملونهما مذاهبهم ويعبرون بمشتبهاتهما في وجوه العامة ويظنون أنهم على شيء ولذلك أمثلة كثيرة كالاستدلالات الباطنية على سوء مذاهبهم بما هو شهير في النقل عنهم وسيأتي منه أشياء في دليل الكتاب ان شاء الله تعالى واستدلال التناسخية على صحة ما زعموا بقوله تعالى «في أي صورة ماشاء ركبك». وكثير من فرق الاعتقادات تعلق بظواهر من الكتاب والسنّة في تصحيح مذاهبوا اليه مما لم يجر له ذكر ولا وقع بيال أحد من السلف الأولين وحاشى الله من ذلك ومنه أيضا استدلال من أجاز قراءة القرآن بالادارة وذكر الله برفع الأصوات وبهيئة الاجتماع بقوله عليه الصلاة والسلام «ماجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم» الحديث. والحديث الآخر «ماجتمع قوم يذكرون الله» الخ وبسائر ماجاء في فضل مجالس الذكر وكذلك

استدلال من استدل على جواز دعاء المؤذنين بالليل بقوله تعالى «يدعون ربهم بالغداة والعشى» الآية وقوله «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية» وبجهر قوام الليل بالقرآن. واستدلاهم على الرقص في المساجد وغيرها بحديث لعب الحبشه في المسجد بالدرق والحراب وقوله عليه الصلاة والسلام «دونكم يابنى أرفة» واستدلال كل من اخترع بدعة أو استحسن محدثة لم تكن في السلف الصالح بأن السلف اخترعوا أشياء لم تكن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ككتب المصحف وتصنيف الكتب وتدوين الدواوين وتصنيف الصناع وسائر ما ذكر الأصوليون في أصل المصالح المرسلة فخلطوا وغلطوا واتبعوا ماتشبه من الشريعة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلاً لها وهو كله خطأ على الدين واتباع لسبيل المحدثين فإن هؤلاء الذين أدركوا هذه المدارك وعبروا على هذه المسالك إما أن يكونوا قد أدركوا من فهم الشريعة مالهم يفهمه الأولون أو حادوا عن فهمها وهذا الأخير هو الصواب إذ المتقدمون من السلف الصالح هم كانوا على الصراط المستقيم ولم يفهموا من الأدلة المذكورة وما أشبهها الاما كانوا عليه وهذه الحديثات لم تكن فيهم ولا عملوا بها فدل على أن تلك الأدلة لم تتضمن هذه المعانى المختربة بحال وصار عملهم بخلاف ذلك دليلاً اجماعياً على أن هؤلاء في استدلاهم وعملهم مخطئون ومخالفون للسنة فيقال من استدل بأمثال ذلك هل وجد هذا المعنى الذى استنبطت في عمل الأولين أو لم يوجد فإن زعم أنه لم يوجد ولا بد من ذلك فيقال له: أفك كانوا غافلين عما تنبهت أو جاهلين به أم لا. ولا يسعه أن يقول بهذا لأنه فتح لباب الفضيحة على نفسه وخرق للجماع. وإن قال إنهم كانوا عارفين بماخذ هذه الأدلة كما كانوا عارفين بماخذ غيرها قيل له فما الذى حال بينهم وبين العمل بمقتضاها على زعمك حتى خالفوها إلى غيرها ماذاك إلا لأنهم اجتمعوا فيها على الخطأ دونك أيها المتكلّل. والبرهان الشرعي والعادى دال على عكس هذه القضية فكل ماجاء خالفاً لما عليه السلف الصالح فهو الضلال بعينه فإن زعم أن مانتحله من ذلك إنما هو من قبيل المسوّدة عنه في الأولين وإذا كان مسوّدة عنه ووجد له في الأدلة مساغ فلا مخالفة إنما المخالفة أن يعائد مانقل عنهم بضده وهو البدعة المنكرة قيل له بل هو مخالف لأن ماسكت عنه في الشريعة على وجهين: أحدهما أن تكون مظنة العمل به موجودة في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يشرع له أمر زائد على ماضى فيه فلا سبيل إلى مخالفته لأن تركهم لما عمل به هؤلاء مضادله فمن استلحقه صار مخالفًا للسنة حسبما تبين في كتاب المقاصد: والثاني أن لا توجد مظنة العمل به ثم توجد فيشرع له أمر زائد يلائم تصرفات الشّرع في مثله وهي المصالح

المرسلة وهى من أصول الشريعة المبنى عليها إذ هي راجعة الى أدلة الشرع حسبما تبين في علم الأصول فلا يصح ادخال ذلك تحت جنس البدع. وأيضا فالمصالح المرسلة عند القائل بها لا تدخل في التبعيدات البتة وإنما هي راجعة الى حفظ أصل الملة وحياطة أهلها في تصرفاتهم العادية ولذلك تجد مالكا وهو المسترسل في القول بالمصالح المرسلة مشددا في العبادات أن لاتقع الا على ما كانت عليه في الأولين فلذلك نهى عن أشياء وكره أشياء وإن كان إطلاق الأدلة لainفيها بناء منه على أنها تقييد مطلقاتها بالعمل فلا مزيد عليه وقد تهدى أيضا في الأصول أن المطلق إذا وقع العمل به على وجه لم يكن حجة في غيره. فالحاصل أن الأمر أو الاذن إذ اوقع على أمر له دليل مطلق فرأيت الأولين قد عنوا به على وجه واستمر عليه عملهم فلا حجة فيه على العمل على وجه آخر بل هو مفتقر الى دليل يتبعه في اعمال ذلك الوجه وذلك مبين في باب الأوامر والتواهی من هذا الكتاب لكن على وجه آخر فإذا ليس مانتحل هذا المخالف العمل به من قبيل المسكت عنه ولا من قبيل ماأصله المصالح المرسلة فلم يبق إذا أن يكون إلا من قبيل المعارض لما مضى عليه عمل الأقدمين وكفى بذلك مزلة قدم» وبعد هذا عقد الشاطبي فصلا في المخالفه.

ذكر فيه أن المخالف على ضربين أحدهما أن يكون من أهل الاجتهاد فلا يخلو أن يبلغ في اجتهاده غاية الوعس أولا فإن كان كذلك فلا حرج عليه وهو مأجور على كل حال وإن لم يعط الاجتهاد حقه وقصر فيه فهو آثم حسبما بينه أهل الأصول والثاني أن لا يكون من أهل الاجتهاد وإنما أدخل نفسه فيه غلطا أو مغالطة إذ لم يشهد له بالاستحقاق أهل الرتبة ولارأوه أهلا للدخول معهم فهذا مذموم. وقلما تقع المخالفه لعمل المتقدمين الا من أهل هذا القسم لأن المجتهدین وإن اختلفوا في الأمر العام في المسائل التي اختلفوا فيها لا يختلفون إلا فيما اختلف فيه الأولون أو في مسألة موارد الظنون لا ذكر لهم فيها فالاول يلزم منه اختلف الأولين في العمل والثاني يلزم منه الجريان على ماورد فيه عمل. أما القسم الثاني فإن أهله لا يعرفون ما في موافقة العمل من أوجه الرجحان فإن موافقته شاهد للدليل الذي استدل به ومصدق له على نحو ما يصدقه الاجماع فإنه نوع من الاجماع فعل بخلاف ما إذا خالفه فإن المخالفه موهنة له أو مكذبة. وأيضا فإن العمل مخلص للأدلة من شوائب المحامل المقدرة الموهنة لأن المجتهد متى نظر في دليل على مسألة احتاج الى البحث عن أمور كثيرة لا يستقيم إعمال الدليل دونها. والنظر في أعمال المتقدمين قاطع لاحتمالاتها معاً ومعين لنا سخها من منسوخها ومبين لمجملها الى غير ذلك فهو عنون في سلوك

الاجتهاد عظيم ولذلك اعتمد مالك بن أنس ومن قال بقوله وقد تقدم منه أمثلة. وأيضاً فإن ظواهر الأدلة إذا اعتبرت من غير اعتماد على الأولين فيها مؤدية إلى التعارض والاختلاف وهو مشاهد معنى. ولأن تعارض الظواهر كثيراً مع القطع بأن الشريعة لا اختلاف فيها ولذلك لا تجد فرقاً من الفرق الضالة ولا أحداً من المختلفين في الأحكام لا الفروعية ولا الأصولية يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة بل قد رأينا من ذلك أمثلة بل قد شاهدنا ورأينا من الفساق من يستدل على مسائل الفسق بأدلة ينسبها إلى الشريعة المنزهة.

وفي كتب التوارييخ والأخبار من ذلك أطراف ما أشتمتها في الافتياط على الشريعة وانظر في مسألة التداوي من الخمار في درة الغواص للحريري وأشاهدها بل قد استدل بعض النصارى على صحة ما هم عليه الآن بالقرآن ثم تحيل فاستدل على أنهم مع ذلك كال المسلمين في التوحيد تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فلهذا يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة مافهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به فهو أخرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل ، وبعد هذا التبيان الشافي من الشاطبي جزاء الله عن دين الإسلام خير الجزاء – ذكر في ص ٧٧-٧٨ سبب وجوب مراعاة مافهم الأولون من الدليل وما كانوا عليه في العمل به وهو أنأخذ الأدلة على الأحكام يقع في الوجود على وجهين: أحدهما أن يؤخذ الدليل مأخذ الافتقار واقتباس ماتضمنه من الحكم ليعرض عليه النازلة المفروضة لتقع في الوجود على وفاق ما أعطى الدليل من الحكم أما قبل وقوعها فإن توقيع على وفقه. وأما بعد وقوعها فليتلافى الأمر ويستدرك الخطأ الواقع فيها بحيث يغلب على الظن أو يقطع بأن ذلك قصد الشارع قال وهذا الوجه هو شأن اقتباس السلف الصالح الأحكام من الأدلة. والثاني أن يؤخذ مأخذ الاستظهار على صحة غرضه في النازلة العارضة بأن يظهر بادي الرأي موافقة ذلك الغرض للدليل من غير تحرر لقصد الشارع بل المقصود منه تنزيل الدليل على وفق غرضه قال وهذا الوجه هو شأن اقتباس الزائفين الأحكام من الأدلة. قال الشاطبي «ويظهر هذا المعنى من الآية الكريمة «فاما الذين في قلوبهم زيف فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلاً» فليس مقصودهم اقتباس منها وإنما مرادهم الفتنة بها بهواهم إذ هو السابق المعتبر وأخذ الأدلة فيه بالطبع لتكون لهم حجة في زيفهم والراسخون في العلم ليس لهم هوى يقدمونه على أحكام الأدلة فلذلك يقولون آمناً به كل من عند ربنا ويقولون ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا فيتبرؤون إلى الله مما ارتكبه أولئك الزائفون فلذلك صار أهل الوجه الأول محكمين للدليل على أهواءهم

وهو أصل الشريعة لأنها إنما جاءت لتخراج المكلف عن هواه حتى يكون عبداً لله وأهل الوجه الثاني يحكمون أهواهم على الأدلة حتى تكون الأدلة فيأخذهم بما .

وقال في الجزء الأول من «الاعتراض» ص ٢٣١ «كل من اتبع المتشابهات أو حرف المناطقات أو حل الآيات مالا تحمله عند السلف الصالح أو تمسك بالأحاديث الواهية أو أخذ الأدلة بباديء الرأي ليستدل على كل فعل أو قول أو اعتقاد وافق غرضه بايّة أو حديث لا يفوز بذلك أصلاً والدليل عليه استدلال كل فرق شهرت بـ بـ دعـة عـلـى بـ دعـتـها بـ ايـة أو حـدـيـث مـن غـيرـتـوقف قال فـمـن طـلـب خـلاـص نـفـسـه تـشـيـث حـتـى يـتـضـع لـه الطـرـيق وـمـن تـسـاهـل رـمـته أـيـدـي الـهـوـي فـي مـعـاطـب لـامـلـصـ لـه مـنـهـ إـلـا ماـشـاء اللهـ» وجـزـم قـبـل ذـلـك بـأـن دـمـرـ الـوـقـوف فـي فـهـمـ النـصـوصـ وـالـعـمـلـ بـهـاـ عـلـى ماـمـضـىـ عـلـىـهـ السـلـفـ الصـالـحـ هوـ طـرـيقـ لـأـهـلـ الـبـدـعـ يـتـأـتـيـ بـهـ لـكـلـ زـانـغـ وـكـافـرـ أـنـ يـسـتـدـلـ عـلـىـ زـيـغـهـ وـكـفـرـهـ بـأـدـلـةـ الشـرـعـ حـتـىـ يـنـسـبـ النـحـلـةـ التـيـ التـزـمـهـ إـلـىـ الشـرـيـعـةـ قالـ «فـقـدـ رـأـيـناـ وـسـمـعـنـاـ عـنـ بـعـضـ الـكـفـارـ أـنـهـ اـسـتـدـلـ عـلـىـ كـفـرـهـ بـأـيـاتـ «الـقـرـآنـ» وـأـورـدـ الشـاطـبـيـ لـذـلـكـ اـمـثـلـ يـطـولـ الـكـلـامـ بـايـرـادـهـ».

وقال الحافظ ابن عبد الهادي في «الصارم المنكى في الرد على السبكي» بـصـدـدـ رـدـهـ تـأـوـيلـ السـبـكـىـ آـيـةـ مـنـ الـقـرـآنـ بـالـمـالـمـ يـسـبـقـهـ إـلـيـهـ أـحـدـ مـنـ السـلـفـ قـالـ صـ ٤٢٧ طـبـعـةـ «الـرـئـاسـةـ الـعـامـةـ لـادـارـاتـ الـبـحـوثـ الـعـلـمـيـةـ وـالـإـفتـاءـ وـالـدـعـوـةـ وـالـإـرـشـادـ».

«هـذـاـ تـأـوـيلـ الذـىـ تـأـوـلـ عـلـىـهـ الـمـعـتـرـضـ هـذـهـ آـيـةـ تـأـوـيلـ باـطـلـ قـطـعاـ وـلـوـ كـانـ حـقـاـ لـسـبـقـنـاـ إـلـيـهـ عـلـمـاـ وـعـمـلـاـ وـارـشـادـاـ اوـ نـصـيـحةـ وـلـاـ يـجـوزـ اـحـدـاـتـ تـأـوـيلـ فـيـ آـيـةـ اوـ سـنـةـ لـمـ يـكـنـ عـلـىـهـ عـهـدـ السـلـفـ وـلـاـ عـرـفـوـهـ وـلـاـ بـيـنـوـهـ لـلـأـمـةـ فـإـنـ هـذـاـ يـتـضـمـنـ أـنـهـ جـهـلـواـ الـحـقـ فـيـ هـذـاـ وـضـلـواـ عـنـهـ وـاهـتـدـيـ إـلـيـهـ هـذـاـ الـمـعـتـرـضـ الـمـسـتـأـخـرـ».

وقال الشيخ محمد بن الموصلى فى مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لـابـنـ الـقـيـمـ جـ ٢ـ صـ ١٢٨ـ ، إنـ إـحـدـاـتـ القـوـلـ فـيـ تـفـسـيرـ كـتـابـ اللهـ الذـىـ كـانـ السـلـفـ وـالـأـمـيـةـ عـلـىـ خـلـافـهـ يـسـتـلـزـمـ أـحـدـ أـمـرـيـنـ اـمـاـ أـنـ يـكـونـ خـطاـ فـيـ نـفـسـهـ اوـ تـكـوـنـ اـقـوـالـ السـلـفـ الـمـخـالـفـةـ لـهـ خـطاـ وـلـاـ يـشـكـ عـاقـلـ أـنـ أـوـلـىـ بـالـغـلـطـ وـالـخـطاـ مـنـ قـوـلـ السـلـفـ.

هذه ارشادات من الشاطبى وابن عبد الهادى وابن الموصلى لو مشى على ضـوـئـهـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـىـ الـمـالـكـىـ لـمـ يـقـعـ فـيـماـ وـقـعـ فـيـهـ مـنـ تـحـمـيلـ قـوـلـ اللهـ تـعـالـىـ «قـلـ بـغـصـلـ اللهـ وـبـرـحـتـهـ فـبـذـلـكـ فـلـيـفـرـحـوـاـ» مـالـمـ يـحـمـلـهـ السـلـفـ مـنـ الـاحـتـفالـ بـالـمـولـدـ الـنبـويـ.

وقد أجاد الإمام شمس الدين بن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» في تفسير هذه الآية الكريمة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) حيث قال فيه ص ٥ ط مطبعة الإمام «وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته – أى في هذه الآية – الإسلام والسنّة. وعلى حسب حياة القلب يكون فرحة بهما وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحا حتى إن القلب إذا باشر روح السنّة ليقرص فرحاً أحزن ما يكون الناس فإن السنّة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الوالصلين تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم ويُسْعى نورها بين أيديهم إذا اطافت لأهل البدع والنفاق أنوارهم. وأهل السنّة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة قال تعالى «يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ» قال ابن عباس تبيّض وجوه أهل السنّة وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق وهي – أى السنّة – الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهذا وفوزه قال تعالى «أَوْمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يُشَيِّ بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجِ مِنْهَا» فصاحب السنّة حي القلب مستنيره وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه» ١٠٠ هـ كلام ابن القيم جزاء الله خير الجزاء.

وأما حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرًا لله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم «فَإِنَّ أَحَقَّ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمْرَ بِصَوْمُهُ» فتخرّج الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتواه عمل المولد عليه لا يمكن الجمع بينه وبين جزمه أول تلك الفتوى بأن ذلك العمل بدعة لم تقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة فإن عدم عمل السلف الصالح بالنص على الوجه الذي يفهمه منه من بعدهم يمنع اعتبار ذلك الفهم صحيحًا إذ لو كان صحيحًا لم يعزب عن فهم السلف الصالح ويفهمه من بعدهم كما يمنع اعتبار ذلك النص دليلا عليه إذ لو كان دليلا عليه لعمل به السلف الصالح فاستنباط ابن حجر الاحتفال بالمولد النبوى مادام الأمر كذلك من حديث صوم يوم عاشوراء أو من أى نص آخر مخالف لما أجمع عليه السلف من ناحية فهمه ومن ناحية العمل به وماخالف إجماعهم فهو خطأ لأنهم لا يجتمعون إلا على هدى وقد بسط الشاطئ الكلام على تقرير هذه القاعدة في كتابه المواقفات وأتى في كلامه بما لاأشك في أن الحافظ ابن حجر العسقلانى لو تنبه له لما خرج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء مادام

السلف لم يفهموا تخرّيجه عليه منه ولم يعملا به على ذلك الوجه الذي فهمه منه، وقد ذكرنا من كلام الإمام الشاطبي في ذلك بصدق الرد على استدلال محمد بن علوى بقول الله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» ذكرنا منه ما يكفي ويشفي.

هذا ما يرد به على استدلال العسقلانى للاحتفال بحدث صوم يوم عاشوراء وأما ماسوى ذلك مما يلاحظ على فتاواه في عمل المولد فقد أجاد السيد رشيد رضا في الجزء الخامس من فتاواه ص ٢١١٣ - ٢١١٢ في تعقبه بأمور نلخص منها ما يلى:

١ - أن تصريحه في تلك الفتوى بأن أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة يكفى فقد قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا مأصلح أوها».

٢ - أن المحاسن التي ورد في فتاوى الحافظ أن من تحراها في عمل المولد وتجنب ضدتها كان عمل المولد بدعة حسنة لا تعد هى بنفسها من البدع وإنما البدعة فيها جعل ذلك الاجتماع المخصوص بال الهيئة المخصوصة في الوقت المخصوص واعتبار ذلك العمل من قبيل شعائر الإسلام التي لا ثبت الا بنص الشراع بحيث يظن العوام والجاهلون بالسنن أن عمل المولد من أعمال القرب المطلوبة شرعاً. وعمل المولد بهذه القيد بدعة سيئة وجناية على دين الله تعالى وزيادة فيه تعد من شرع مالم يأذن به الله ومن الافتداء على الله والقول في دينه بغير علم.

٣ - أن أمر الاحتفال بالمولد قد وصل إلى تكفير تاركه فصار بذلك كأنه من قواعد العقائد المعلومة من الدين بالضرورة وبذلك يعتبر زيادة في ضروريات الدين القطعية والزيادة في ضروريات الدين القطعية وشعائره تخرج المزيد عن كونه من الدين الذى جاء به خاتم النبىين عن الله تعالى القائل فيه «اليوم أكملت لكم دينكم» فهو إذا تشريع ظاهر مخالف لنص إكمال الدين ونافق له ويقتضى أن مسلمى الصدر الأول كان دينهم ناقصاً وكانوا هم كفاراً فيجب مادام الأمر قد وصل إلى ذلك ترك حضور الحفلات المولدية وإن حللت من القبائح واشتملت على المحاسن ليلاً يظن العوام والجهال بالسنة أنها من الفرائض التي يكفر تاركها قلت - القائل اسماعيل الأنصارى «قد وصل إلى السيد رشيد رضا سؤال عن وضع العلوين في جاوه وهو أنهم يعقدون في كل سنة حفلات - أى للمولد النبوى - كثيرة في أماكن متعددة وأوقات مخصوصة

يذبحون لها الدبائح وتشد لها الرحال من أماكن بعيدة ويلقون الناس في تلك الحفلات أن من لم يحضر المولد فهو كافر ومن لم يقم عند سماعه — أثناء قراءة قصة المولد — «مرحبا» الخ فهو كافر فإذا سألهم سائل هل هذا أمر من الله ورسوله أجابوه بقولهم أنت كافر اسكت لا تنازعنا في هذا فإننا أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب السيد رشيد رضا بجواب طويل لخصنامته ما هنا والذي أعتقده أن الحافظ ابن حجر العسقلاني لو كان يعلم أن أمر الاحتفال بالمولود النبوى يصل إلى تكfir تاركه لما أفتى بتلك الفتوى التي صدرت منه فيه.

٤ — أن أكثر القصص التي اعتيد التغنى بها في الحفلات المولدية يشتمل على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيرته وأفعاله.

٥ — أن ابن حجر العسقلاني وإن كان أحفظ الحفاظ في عصره لم يؤت من قوة الاستنباط ماأوتيه الأمة المجتهدون قلت — القائل اسماعيل الانصارى — يدل على أنه لم يؤت قوة الاستنباط في مسألة عمل المولد بالخصوص محاولته تخريج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء رغم تصريحه قبل ذلك بأن عمل المولد لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة لما قدمناه.

ويضاف إلى هذا التلخيص لكلام السيد رشيد رضا أن حديث صوم يوم عاشوراء لنجاة موسى عليه السلام فيه واغراق فرعون فيه ليس فيه سوى أن النبي صلى الله عليه وسلم صامه وأمر بصومه.

كما يضاف إليه أن الشرط الذى شرطه الحافظ ابن حجر للاحتفال بالمولود النبوى وهو تخري ذلك اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه السلام لاسبيل إليه وأن وصف البدعة في الدين بأنها حسنة مردود بالأدلة الشرعية كما سنبيه بعد إن شاء الله تعالى.

وأما مارواه البهقي عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة، فتخرير السيوطى عمل المولد النبوى عليه ساقط لعدم ثبوت ذلك الحديث عند أهل العلم فقد قال مالك لمن سأله عما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ماجاعته النبوة، قال له «أرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يعق عنهم في الجاهلية — أعقوا عن أنفسهم في الإسلام، هذه الأباطيل» نقل ذلك ابن رشد في كتاب العقيقة من «المقدمات المهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام والتحصيلات المحكمات

الشرعيات لأمهات مسائلها المشكلات» ج ٢ ص ١٥ ط مطبعة السعاده بجوار ديوان محافظة مصر عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، وقال عبد الرزاق في مصنفه «أنا عبد الله بن محرر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة» ثم قال عبد الرزاق إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث^(١) ذكر ذلك ابن القيم في «تحفة المودود بأحكام المولود» ص ٦١ طبعة بي بي.

وقال أبو داود في مسائل الإمام أحمد روايته عنه «سمعت أحمد حدثهم بحديث الهيثم بن جحيل عن عبد الله بن المثنى عن ثامة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه فقال أهذا عبد الله بن محرر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه» قال منها قال أحمد هذا منكر وضعف عبد الله بن المحرر ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد وقال في «تحفة المودود بأحكام المولود» ص ٥١ طبعة بي بي قال الخلال أني أبو المثنى العنبرى أن أباداود حدثهم قال سمعت أحمد يحدث بحديث الهيثم بن جحيل عن عبد الله بن المثنى عن ثامة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه» قال أهذا عبد الله بن المحرر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه منكر — وضعف عبد الله بن محرر».

وقال ابن حبان في الجزء الثاني من «كتاب المجرورين» ص ٢٩ طبعة دائرة المعارف العثمانية في ترجمة عبد الله بن محرر^(٢) (روى عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ما بعثه الله عز وجل نبياً) حدثناه يعقوب ابن إسحاق العسقلاني بتسترشنا محمد بن حماد الطهراني ثنا عبد الرزاق — أى عن عبد الله بن محرر به — وقال ابن حبان في عبد الله بن محرر كان من خيار عباد الله إلا أنه كان من يكذب ولا يعلم ويقلب الأخبار ولا يفهم حدثناه محمد بن عبد الرحمن

(١) عبارة إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث ليست في طبعة مصنف عبد الرزاق التي أشرف عليها الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي ، وفي ذلك دلالة على أن النسخة التي اعتمد عليها فيطبع ليست فيها تلك العبارة ولذلك احتاج الاعظمي حينما رأى كلام ابن القيم المحتوى على تلك العبارة إلى أن يعلق على ذلك الحديث بقوله في الجزء الرابع من مصنف عبد الرزاق ص ٣٢٥ مانصه (فتهاب ابن القيم عن مصنف عبد الرزاق ثم قال عبد الرزاق إنما تركوا عبد الله بن محرر لهذا الحديث كما في تحفة المودود) ص ٢٨.

(٢) هكذا ورد لفظ (محرر في «المجرورين» بالزای في آخره وضبطه التوی والسعقلانی بحاء مهملة وراء مكررة).

الدغول ثنا ابن قهزاد سمعت ابا إسحاق الطالقانى يقول سمعت ابن المبارك يقول: لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرز لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة فلما رأيته كانت بعرا أحب إلى منه^(١)) سمعت الدارمى يقول سمعت يحيى ابن معين يقول «عبد الله بن محرر ليس بشقة».

وقال البزار حدثنا سهيل بن ابراهيم الجارودى أبو الخطاب ثنا عوف بن محمد المرادى ثنا عبد الله بن المحرر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ما بعث نبأ[»] تفرد به عبد الله بن المحرر وهو ضعيف جدا إنما يكتب عنه مالا يوجد عند غيره[»] ورد هذا في باب قضاء العقيقة من «كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للحافظ الم testimى وقال البيهقي في «باب العقيقة سنة» من «السنن الكبرى» ج ٩ ص ٣٠٠ «روى عبد الله بن محرر في عقيقة النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه حديثا منكرا أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن دجاد العلوى رحمه الله أبا حاجب بن أحمد بن سفيان الطوسي ثنا محمد بن حماد الأبيوردى ثنا عبد الرزاق أنسا عبد الله بن محرر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة» قال عبد الرزاق إنما تركوا عبد الله ابن محرر حال هذا الحديث وقد روى من وجه آخر عن قتادة ومن وجه آخر عن أنس وليس بشيء[»] كلام البيهقي الذى عزا إليه السيوطي ذلك الحديث الذى ادعى أنه ظهر له تخریج عمل المولد عليه وقد أساء السيوطي التصرف حيث لم يذكر كلام البيهقي في الحديث بل تركه ليوهم من يقرأ تخریجه أنه صالح للاستدلال به.

وقال النووي في الجزء الثامن من «المجموع شرح المذهب» ص ٣٣٠ في «باب العقيقة»

أما الحديث الذي ذكره – أى الشيرازى – في عق النبي صلى الله عليه وسلم – عن نفسه فرواوه البيهقي بإسناده عن عبد الله بن محرر بالحاء المهملة والراء المكررة عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة» وهذا حديث باطل قال البيهقي هو حديث منكر وروى البيهقي بإسناده عن عبد الرزاق قال «إنما تركوا عبد الله بن محرر بسبب هذا الحديث قال البيهقي وقد روى

(١) من طريق محمد بن قهزاد عن أبي إسحاق الطالقانى روى مسلم في مقدمة صحیحه هذا الكلام عن ابن المبارك ولفظه «وحدثني محمد بن عبد الله بن قهزاد قال سمعت أبا إسحاق الطالقانى يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول «لخیرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرر لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة فلما رأيته كانت بعرا أحب إلى منه».

هذا الحديث من وجه آخر عن قتادة ومن وجه آخر عن أنس وليس بشيء فهو حديث باطل وعبد الله بن محرر ضعيف متفق على ضعفه قال الحفاظ هو — أى عبد الله بن محرر — متزوك»).

وقال الحافظ أبو الحجاج المزى في ترجمة عبد الله بن محرر من «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» بعد ايراده كلام أئمة الجرح والتعديل فيه قال قال عبد الرزاق عن عبد الله بن محرر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة قال عبد الرزاق إنما تركوه — أى عبد الله بن محرر — حال هذا الحديث».

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة عبد الله بن محرر من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» من بلايه — أى عبد الله بن محرر — «روى عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد مابعث» رواه شيخان عنه، ذكر الذهبي ذلك بعد أن قال في عبد الله بن محرر (قال أحمد ترك الناس حديثه وقال الجوزجاني هالك وقال الدارقطني وجاءه متزوك وقال ابن حبان كان من خيار عباد الله إلا أنه كان يكذب ولا يعلم ويقلب الأخبار ولا يفهم وقد ولـي الرقة للمنصور وقال هلال ابن العلاء ولاه أبو جعفر قضاء الرقة وقال ابن معين ليس بشيء») وذكر قول ابن المبارك المقدم فيه:

— وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «كتاب العقيقة» من تلخيص الخبر ، ج ٤ ص ١٤٧ » قوله — أى الرافعى — روى أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة البهقى من حديث قتادة عن أنس وقال: منكر وفيه عبد الله ابن محرر وهو ضعيف جداً وقال عبد الرزاق إنما تكلموا فيه لأجل هذا الحديث قال البهقى وروى من وجه آخر عن قتادة ومن وجه آخر عن أنس وليس بشيء قلت — القائل ابن حجر العسقلاني — أما الوجه الآخر عن قتادة فلم أره مرفوعاً وإنما ورد أنه كان يفتى به كما حبكة ابن عبد البريل جزم البزار وغيره بتفرد عبد الله بن محرر به عن قتادة. وأما الوجه الآخر عن أنس فأخرجه أبو الشيخ في الأضاحى وابن أمين في مصنفه والخلال من طريق عبد الله بن المثنى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبيه وقال النووي في شرح المذهب لهذا حديث باطل» ١٠١ هـ كلام الحافظ في تلخيص الخبر.

وذكر في الجزء التاسع من «فتح البارى» في شرح باب إماتة الأذى عن الصبى في العقيقة ، حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة

وجزم بعدم ثبوته قال: «فقد أخرجه البزار من رواية عبد الله بن حمر و هو به ملء عن قتادة عن أنس قال البزار تفرد به عبد الله وهو ضعيف». وأخرجه أبو الشيخ من وجهين آخرين أحدهما من رواية إسماعيل بن مسلم عن قتادة وإسماعيل ضعيف أيضاً وقد قال عبد الرزاق إنهم تركوا عبد الله بن حمر من أجل هذا الحديث فلعل إسماعيل سرقه منه. ثانيهما من رواية أبي بكر المستمل عن الهيثم بن جيل و داود ابن المحبر قالا حدثنا عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس و داود ضعيف لكن الهيثم ثقة و عبد الله من رجال البخاري فالحديث قوي الإسناد وقد أخرجه محمد بن عبد الملك بن أعين عن إبراهيم بن إسحاق السراج عن عمرو النافذ وأخرجه الطبراني في الأوسط عن أحد بن مسعود كلامها عن الهيثم بن جيل به وحده فلولا ما في عبد الله بن المثنى من المقال لكان هذا الحديث صحيحاً لكن قد قال ابن معين ليس بشيء وقال النسائي ليس بقوى وقال أبو داود لأنخرج حديثه وقال الساجي فيه ضعف لم يكن من أهل الحديث روى مناكير وقال العقيلي لا يتابع على أكثر حديثه وقال ابن حبان في الشفقات ربما أخطأ وثقة العجل والترمذ وغيرهما فهذا من الشيوخ الذين إذا انفرد أحدهم بالحديث لم يكن حجة قال وقد مشى الحافظ الضياء على ظاهر الإسناد فأخرج هذا الحديث في الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني في الجزء الأول من شرح المawahب اللدنية» ص ١٤٠ تعليقاً على قول السيوطى في الاحتفال بالمولود النبوى ظهر له تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة قال «تعقبه النجم بأنه حديث منكر كما قاله الحافظ بل قال – أى النوى – في شرح المذهب إنه حديث باطل فالتخريج عليه ساقط».

وأما خبر عروة في شأن أبي هب مع جاريته ثوبية فيمنع من فبول الاستدلال به على الاحتفال بالمولود النبوى أمور:

أوها: أنه مرسل كما يتبيّن من سياقه عند البخاري في باب «وأمهاتكم الاتي أرضعنكم» (ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) من صحيحه فقد قال «حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرنى عروة بن الزبير أن زينب ابنة أبي سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها أنها قالت يا رسول الله انكح

(١) أى وذلك غلط منه.

أختى بنت أبي سفيان فقال أتخبئ ذلك قلت نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركى في خير أختى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن ذلك لا يحل لي. قلت فإذا نحدث أنك ت يريد أن تنزع بنت أبي سلمة قال: بنت أم سلمة؟ قلت نعم فقال «لو أنها لم تكن في حجرى ماحتلى إنها لابنة أخرى من الرضاعة أرضعتنى وأبا سلمة ثوبية فلا تعرضن على بناتك ولا أخواتك قال عروة: ثوبية مولا لأبي هب وكان أبو هب أعتقها فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو هب أريه بعض أهله بشرحية قال له ماذا لقيت؟ قال أبو هب لم ألق بعدكم غير أنى سقيت في هذه بعثاقتنى ثوبية[ولهذا قال الحافظ ابن حجر العسقلانى في الجزء التاسع من «فتح البارى» ص ١٤٥ ط المطبعة السلفية «إن الخبر – أى المتعلق بتلك القضية – مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به».

الثانى – أن ذلك الخبر لو كان موصولا لاحجة فيه لأنه روا منا ذكر ذلك أيضا الحافظ ابن حجر.

الثالث : أن ما في مرسل عروة هذا من أن اعتاق أبي هب ثوبية كان قبل إرضاعها النبي صلى الله عليه وسلم يخالف ما عند أهل السير من أن إعتاق أبي هب إياها كان بعد ذلك الإرضاع بدهر طويل ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح البارى» وأوضحه في الجزء الرابع من «الإصابة في تمييز الصحابة» ص ٢٥٠ بقوله «قال ابن سعد أخبرنا الواقدى عن غير واحد من أهل العلم قالوا كانت ثوبية مرضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلها وهو بمكة وكانت خديجة تكرمها وهى على ملوك أبي هب وسألته أن يبيعها لها فامتنع فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقها أبو هب وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث إليها بصلة وبكسوة حتى جاء الخبر أنها ماتت سنة سبع مرجعه من خيبر وما ابنها مسروح قبلها» انتهى كلام الحافظ ابن حجر في «الإصابة» وقد راجعت أنا إسماعيل الأنصارى كتاب طبقات ابن سعد للاطلاع على نقل الحافظ ابن حجر هذا فوجدته قال فيه تحت عنوان «ذكر من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسمية إخوتها وأنسوانه من الرضاعة» ج ١ ص ١٠٨.

قال بعد ايراد مرسل عروة بن الزبير مانصه (وأخبرنا محمد بن عمر عن غير واحد من أهل العلم قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلها وهو بمكة وكانت خديجة تكرمها وهى يومئذ مملوكة وطلبت إلى أبي هب أن تباعها منه لتعتقها

فأبى أبو هب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أعتقها أبو هب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بصلة وكسوة حتى جاءه خبرها أنها قد توفيت سنة سبع مرجعه من خير فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد» هذا نص طبقات ابن سعد ويظهر من صنيع الحافظين أبي عمر بن عبد البر وابن الجوزي الميل إلى قول أهل السير الذي تعقب به ابن سعد في طبقاته مرسل عروة بن الزبير.

فقد قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» ج ١ ص ١٢ «ولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وولدت هالة لعبد المطلب حزنة فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزنة ثوبية جارية أبي هب وأرضعت معهما أبي سلمة بن عبد الأسد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم ثوبية وكانت تدخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فكانت خديجة تكرمها وأعتقها أبو هب بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خير بلغت وفاتها النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن ابنها مسروح وبلبنه أرضعتهم فقيل له قد مات فسأل عن قرابتها فقيل لم يبق منهم أحد»^(١).

وقال أبو الفرج بن الجوزي في «الوفا بأحوال المصطفى» ج ١ ص ١٠٦-١٠٧ في الباب السابع والعشرين في ذكر أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم «أول من أرضعه ثوبية مولاة أبي هب أيامًا ثم قدمت حليمة. وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف وزوج ابنته عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف في مجلس واحد فولد حزنة ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرضعهما ثوبية بلبن ابنها مسروح أيامًا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرضت عليه ابنته

(١) ومن طريق ابن عبد البر أورد المحب الطبرى في «ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى» ص ٢٥٩ طبعة مكتبة القدس قول أهل السير الذى عورض به مرسل عروة في الفصل الذى عقده لبيان أمهات النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع ولفظه «وارضعته — أى النبي صلى الله عليه وسلم — أيضًا ثوبية جارية أبي هب بلبن ابنها مسروح وكانت تدخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فكانت خديجة رضى الله عنها تكرمها وأعتقها أبو هب لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خير بلغت وفاتها النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن ابنها مسروح فقيل مات فسأل عن قرابتها فقيل لم يبق منهم أحد ذكره أبو عمر بن عبد البر.

حزة ليتزوجها إنها بنت أخي أرضعتني وأباه ثوبية وكانت ثوبية تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ماتزوج خديجة فذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكررها خديجة وهي يومئذ أمة ثم أعتقها أبو هلب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر.

الرابع أن مرسل عروة الذي خرج عليه ابن ناصر الدين الدمشقي وابن الجزرى عمل المولد النبوى مخالف لظاهر القرآن كما أوضحه الحافظ ابن حجر العسقلانى في فتح البارى حيث قال في كلامه على ذلك المرسل «وفيه دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة لكنه مخالف لظاهر القرآن قال الله تعالى «وقدمنا إلى ما عاملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا»، ونقل عن حاشية ابن المنير - أن ما في ذلك المرسل من اعتبار طاعة الكافر مع كفره حال لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح وذلك مفقود من الكافر . فاعتق أبي هلب ثوبية مadam الامر كذلك لم يكن قربة معتبرة فإن قيل إن قضية اعتقاد أبي هلب ثوبية مخصوصة من ذلك كقصة أبي طالب قلنا إن تخفيف العذاب عن أبي طالب ثبت بنص صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وما م الواقع لأبي هلب في ذلك المرسل فمستنته مجرد كلام لأبي هلب في المنام فشتان ما بين الامرين بهذا كله اتفصح بطلان الاستدلال بذلك المرسل على عمل المولد النبوى وأن قول ابن ناصر الدين في «مورد الصادى في مولد الهادى» (وقد صح أن أبي هلب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين لاعتقاده ثوبية سروراً بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم») وقول ابن الجزرى في عرف التعريف بالمولود الشريف بعد ذكره قضية أبي هلب مع ثوبية، فإذا كان أبو هلب الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى في النار بفرحة ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الواحد من أمة النبي صلى الله عليه وسلم يسر بولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم لعمري إنما يكون جزاءه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم». غير صحيح لا من ناحية جزمه بضمون مرسل عروة ولا من ناحية ضمان جنات النعيم لمن احتفل بالمولد النبوى.

وأما الاحتجاج للاحتفال بالمولد النبوى بأن صاحب إربل أبي سعيد كوكبورى الذى احتفل به أول الأمر هو ملك عادل فالجواب عنه من ناحية احتفاله به مابينه سماحة مفتى الديار السعودية ورئيس قضايتها العلامه الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى في رسالة له في بيان حكم الاحتفال بالمولد النبوى وادحاض شبه الدعوة إليه بقوله ص ٧٧ (هذا أى احتفال صاحب إربل بالمولد النبوى ليس

بحجة فإن البدعة في الدين لا تقبل من أى أحد كان لنصوص الأحاديث فلا يمكننا أن نعارض الأحاديث المحددة من الابتداع في الدين بعمل أبي سعيد كوكبوري بن أبي الحسن على بن بكتكين الذي أحدث الاحتفال بالمولد – أى بإربل – في القرن السادس وعدالته لا توجب عصمه وقد ذكر ابن خلkan أنه يحب السماع ، انتهى كلام الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم جزاء الله عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم خير الجزاء ونص عبارة ابن خلkan في حب صاحب إربل للسماع التي أشار إليها سماحته (يعلم السماع وإذا طاب مخلع شيئاً من ثيابه وسير للجماعة بكراة شيئاً من الأنعام ولم يكن له لذة سوى السماع) وقال (وبنى للصوفية خانقاھين فيما خلق كثير من المقيمين والواردين ويجتمع أيام المواسم فيما من الخلق ما يعجب الإنسان من كثرتهم ولهم أوقاف كثيرة تقوم بجميع ما يحتاج إليه ذلك الخلق ولا بد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها وكان – أى الملك المظفر – ينزل بنفسه إليهم ويعمل عندهم السماعات في كثير من الأوقات) هـ كلام ابن خلkan الذي أشار إليه سماحة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ ويضاف إلى ذلك ما ذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ص ١٣٨ ونصله (طبع هذا الأمير – أى صاحب إربل مختلفة متضادة فإنه كثير الظلم عسوف بالرعية راغب فيأخذ الأموال من غير وجهها وهو مع ذلك مفضل على القراء كثير الصدقات على الغرباء يسير الأموال الجمة الوافرة يستفك بها الأسارى من أيدي الكفار وفي ذلك يقول الشاعر:

ك ساعية للخير من كسب فرجها لك الويل لاتزني ولا تتصدقني هـ

وأما دعوى كون صاحب إربل أول من احتفل بالمولد النبوى فباطلة لأمرين أحدهما تصريحات أهل العلم المتقدمة – بأن أول من احتفل بالمولد النبوى بنو عبيد القداح المتسمون بالفاطميين الثاني مابينه أبو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة في «الباعت على انكار البدع والحوادث» في كلامه على الاحتفال ص ١٣ حيث قال «وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين وبه اقدى في ذلك صاحب إربل وغيره رحهم الله تعالى». ومن ذكر احتفال الشيخ عمر بن محمد الملا بالمولد في الموصل أبو المظفر يوسف بن فزاوغلى سبط ابن الجوزى في الجزء الثامن من «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» ص ٣١٠ والحافظ ابن الجوزى «كان – أى عمر بن محمد الملا – يعمل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سنة ويحضر عنده صاحب الموصل والأكابر

وكان نور الدين يحبه ويكتبه» وقال ابن كثير «قد كانت له — أى الشيخ عمر الملا — زاوية يقصد فيها وله في كل سنة دعوة في شهر المولد يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك» كما ذكر سبط ابن الجوزي وابن كثير ما بتلى الناس به من الاعتقاد في عمر الملا قال الأول «جميع الملوك والعلماء والأعيان يزورونه ويتركونه به» وقال الثاني أى ابن كثير — في الجزء المذكور ص ٢٨٣ «كان نور الدين يعتقد — أى الشيخ عمر الملا — ويعتقد أخاه أبا البيان وأتاه زائراً مرات ووقف عليه وقف». فأصل ما وقع من صاحب إربل أبي سعيد كوكبوري ومن نور الدين قبله من الاحتفال بالمولود النبوى إذاً من ذلك الصوفى عمر الملا وكان الواجب على نور الدين أن يعمل معه في قضية المولد مثل ما عمل معه في قضية أخرى جرت بينهما ذكرها ابن كثير ج ١٢ من تاريخه ص ٢٨٢ — ٢٨٣ هي أن الشيخ عمر الملا كتب إلى نور الدين إن المفسدين قد كثروا ويحتاج إلى سياسة . ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه: إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم ولو علم أن في الشريعة زيادة للمصلحة لشرعها لنا فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه . والعقول المظلمة لا تهتدى والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم. فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا جع الناس بالوصل وقرأ عليهم الكتاب وجعل يقول: انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك وكتاب الملك إلى الزاهد».

وأما ذكر ابن خلkan في «وفيات الأعيان» نتفاً من مظاهر احتفال صاحب إربل للمولود النبوى فلا اعتبار به فإنه قد أورد في تاريخه المذكور أمورا لم يرتكها أهل العلم كما نبه عليه ابن كثير وابن العماد الحنبلي فقد قال الحافظ ابن كثير في ترجمة الحضر بن نصر بن على بن نصر الاربلى الفقيه الشافعى أول من درس بإربل قال في ترجمته من «البداية والنهاية» ج ١٢ ص ٢٨٧ «ترجمة ابن خلkan في الوفيات وقال: قبره يزار وقد زرته غير مرة ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به: وهذا الذى قاله ابن خلkan مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله من يعظم القبور».

وقال ابن كثير في ترجمة ابن الرواندى أحد مشاهير الزنادقة من البداية والنهاية ج ١١ ص ١١٣ «قد ذكره ابن خلkan في الوفيات وقلس عليه ولم يجرحه بشيء ولا كان الكلب أكل له عجينا على عادته في العلماء والشعراء فالشعراء يطيل

ترجمهم والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة والزنادقة يترك ذكر زندقتهم»^(١) هـ وابن الرواوندي هذا الذى عاتب ابن كثير ابن خلكان على عدم تحريره ذكر ابن كثير فيه قبل ذلك العتاب مانصه «كان أبوه يهوديا فأظهر الإسلام ويقال إنه حرف التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه وصنف كتابا في الرد على القرآن سماه الدامغ وكتابا في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه الزمرة وكتابا يقال له التاج في معنى ذلك وله كتاب الفريد وكتاب إماماة المفضول الفاضل وقد انتصب للرد على كتبه هذه جماعة منهم الشيخ أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى شيخ المعتزلة في زمانه وقد أجاد في ذلك. وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام بن أبي على قال الشيخ أبو على قرأ كتاب هذا الملحد الجاهل السفيه ابن الرواوندي فلم أجد فيه الا السفه والكذب والافتراء قال وقد وضع كتابا في قدم العالم ونفى الصانع وتصحيف مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد وضع كتابا في الرد على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعة عشر موضعا ونسبه إلى الكذب يعني النبي صلى الله عليه وسلم وطعن على القرآن وضع كتابا لليهود والنصارى وفضل دينهم على المسلمين والإسلام يحتاج لهم فيها على ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام نقل ذلك ابن الجوزى عنه وقد أورد ابن الجوزى في منتظمته طرقا من كلامه وزندقه وطعنه على الآيات والشريعة ورد عليه في ذلك^(٢) وهو أقل وأحسن وأذل من أن يتلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفهه وتمويهه وقد أسنده إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبار منها ما هو صحيح عنه ومنها ما هو مفتuel عليه من هو مثله وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتستر في المسخرة يخرونها في قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزنادقة وهذا كثير موجود فيمن يدعى الإسلام وهو منافق يتمسخون بالرسول ودينه وكتابه وهؤلاء من قال الله تعالى فيهم «ولئن سألكم ليقولن إنما كنا نخوض

(١) مما قاله ابن الجوزى فيه ما في تلبيس البليس ص ١١٢-١١١ ونصه (أنبأنا محمد بن أبي طاهر عن أبي القاسم على بن المحسن التنوخي عن أبيه قال كان ابن الرواوندي ملازم الرافضة وأهل الالحاد فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر ثم قال ابن الجوزى من تأمل حال ابن الرواوندي وجده من كبار الملاحدة وصنف كتاباً اسمه الدامغ زعم أنه يدعي به هذه الشريعة فسبحان من دفعه وهو في شرخ الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض وعدم الفصاحة وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن»^(٢) هـ.

ونلعب قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم» الآية وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحبًا لابن الرواوندي قبحهما الله فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات. وأما ابن الرواوندي فلجأ إلى ابن لاوى اليهودي وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذى سماه الدامغ للقرآن فلم يلبث بعده إلا أيامًا يسيرة حتى مات لعنه الله. ويقال إنه أخذ وصلب. قال أبو الوفاء بن عقيل ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ستة وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغل في المخازى في هذا العمر القصير لعنه الله وقبحه ولارحم عظامه» ١٠١ هـ كلام ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ١١٢-١١٣

وقال ابن العماد الحنبلي في ترجمة أحمد بن يحيى الرواوندي بعد أن وصفه بالحادي قال ج ٢ ص ٢٣٥ من «شذرات الذهب» «والعجب من ابن خلكان كيف يترجمه ترجمة العلماء ساكتاً عن عواره مع سعة اطلاع ابن خلكان ووقفه على الحاده وقد اعترض جماعات كثيرة على ابن خلكان من أجل ذلك حتى قال العماد ابن كثير هذا على عادته من تساهله وغضبه عن عنيوب مثل هذا الشقى والله أعلم» ١٠٢ هـ كلام ابن العماد.

قلت — القائل إسماعيل الأنباري — لإيضاح صنيع ابن خلكان في ابن الرواوندي الذي استنكره ابن كثير وابن العماد أستحسن ايراد ترجمة ابن الرواوندي كما وردت في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٧ فأقول قال ابن خلكان فيه «أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الرواوندي العالم المشهور له مقالة في علم الكلام وكان من الفضلاء في عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً منها كتاب فضيحة المعتزلة وكتاب التاج وكتاب الزمرد وكتاب القصب وغير ذلك وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم توفى سنة خمس وأربعين ومائتين برحمة مالك بن طوق الشعلبي وقيل ببغداد وتقدير عمره أربعون سنة وذكر في البستان أنه توفى سنة خمسين والله أعلم رحمة الله تعالى» ١٠٣ هـ كلام ابن خلكان.

وأما ايراد سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، احتفال صاحب إربل بالمولود النبوى فلا يدل مجرد على أن ذلك معتبر لضعف الرجل واشتغال مصنفاته على الغث والسمين، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء الثاني من منهاج السنة ، ص ١٣٣ «هذا الرجل — أى يوسف بن غزاو على سبط ابن الجوزي صاحب «مرآة الزمان»

يذكر في مصنفاته أنواعاً من الغث والسمين ويحتاج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة وكان يصنف بحسب مقاصد الناس يصنف للشيعة ما يناسبهم ليعرضوه بذلك ويصنف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه فكانت طريقة طرifice الواعظ الذي قيل له مامذهبك قال في أي مدينة . ولهذا يوجد في بعض كتبه ثلب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة لأجل مذاهب من قصد بذلك من الشيعة ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم».

وقال الحافظ الذهبي في ترجمته من «ميزان الاعتلال في نقد الرجال» ج ٤ ص ٤٧١ «يوسف بن قزعل الوعاظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي روى عن جده وطائفه وألف كتاب مرآة الزمان فتراه يأتي فيه بمناقير الحكايات وما أظننه بشقة فيما ينقله بل يجحف وبجازف ثم إنه ترفض وله مؤلف في ذلك نسأل الله العافية مات سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق ، قال الشيخ محيي الدين السوسي لما بلغ جدي موت سبط ابن الجوزي قال: لارحه الله كان راضيا».

وقد نقل العلامة ابو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي المصري في الجزء الثاني من الجوهر المضيئة في طبقات الحنفية» ص ٢٣١ عن الحافظ الذهبي طعنه في سبط ابن الجوزي ونصه «قال الذهبي في الميزان وألف مرآة الزمان فرأه يأتي فيه بمناقير الحكايات وما أظننه ثقة فيما ينقله بل يتحسّن وبجازف ثم إنه يترفض وله مؤلف في ذلك».

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة سبط ابن الجوزي من «البداية والنهاية» ج ١٣ ص ١٩٤ بعد ذكره ثناء الشيخ شهاب الدين أبي شامة على سبط ابن الجوزي قال «لكنه — أي أبو شامة — قال قد كنت مريضاً ليلة وفاته فرأيت وفاته في المنام قبل اليقظة ورأيته في حالة منكرة ورأاه غيري أيضاً فسأل الله العافية».

وقال ابن العماد الحنبلي في «شدرات الذهب» ج ٥ ص ٢٦٧ في ترجمة سبط ابن الجوزي «كان — أي سبط ابن الجوزي — في شبابه حنبلياً وكان وافر الحرمة عند الملوك نقله الملك العظم إلى مذهب أبي حنيفة فانتقد عليه ذلك كثير من الناس حتى قال له بعض أرباب الأحوال وهو على المنبر إذا كان للرجل كبير ما يرجع عنه إلا بعيوب ظهر له فيه فأى شيء ظهر لك في الإمام أحمد حتى رجعت عنه فقال له اسكت فقال له الفقير — أي الصوف — أما أنا فسكت وأما أنت فتكلم فرام الكلام فلم يستطع فنزل عن المنبر» ذكر هذا ابن العماد في وفيات سنة أربع

وأما قول الرفاعي في رده (قد أكثر الإمام أبو شامة شيخ النوى الثناء على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف وثناء هذا الإمام الجليل على هذا الفعل الجميل في هذه الليلة أول دليل على أن عمل المولد بدعة حسنة) يعني بذلك الثناء قول أبي شامة في «الباعث على انكار البدع والحوادث» ص ١٣ (ومن أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل ما كان يفعل بمدينة إربل جبرها الله تعالى كل عام في اليوم الموافق ل يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقات المعروفة وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى القراء مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله وشكر الله على مامن به من ايجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع المرسلين) فالجواب عنه بأمور:

أولها أن أبي شامة ذكر في ذلك الثناء على صاحب إربل أن أول من احتفل بذلك اليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى — بالموصل الشيخ عمر الملا أحد الصالحين المشهورين وأنه هو الذي اقتدى به صاحب إربل في احتفاله به، وبين أبو شامة بهذا أن صاحب إربل إنما أخذ ذلك عن عمر الملا وعمر الملا هذا قال فيه سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» ج ٨ ص ٣١٠ مانصه (كان — أى عمر ابن محمد الملا — يعمل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سنة يحضر عنده صاحب الموصل والأكابر وكان نور الدين يحبه ويكتابه) وذكر أن جميع الملوك والعلماء والأعيان يزورونه ويتبركون به» وقال فيه الإمام الحافظ المؤرخ ابن كثير في الجزء الثاني عشر ص ٢٦٣ «قد كانت له — أى للشيخ عمر الملا — زاوية يقصد فيها وله في كل سنة دعوة في شهر المولد يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك» ثم قال في نفس الجزء ص ٢٨٣ (كان نور الدين يعتقد — أى الشيخ عمر الملا — ويعتقد أخاه أبي البيان وأتاه زائرا مرات ووقف عليه وفقاً) ٤٠١ هـ، فالمسألة إذا صوفية بحثة^(١) وعلى فرض أن عمر الملا من الصالحين كما ذكره من ذكره فالقول في عمله ما قاله الإمام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» ص ٢٩١ بصدق كلامه على الموسى المتبدعة من موالد وغيرها

(١) لا يستبعد أن يكون عمل المولد تسرب إلى الشيخ عمر الملا من بنى عبيد القداح المتسدين بالفاطميين فإنهم أخذوا الموصل سنة سبع واربعين وثلاثمائة كما في الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية ص ٢٣٢.

حيث قال «إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكراهيتها وأنكرها قوم لذلك وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل من فعلوها فليسوا دونهم في الفضل ولو فرضوا دونهم في الفضل فتكون حبيذ قد تنازع فيها أول الأمر فترد إذن إلى الله والرسول وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لامع من رخص فيها. ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من التأخررين مع هؤلاء التاركين المنكرين.

الثاني أن استحسان أبي شامة احتفال صاحب إربل بالمولود النبوى إنما بناه على اعتباره ذلك الاحتفال من قبيل ما يسميه بالبدعة الحسنة التي عرفها بقوله (هي كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشيء منها ولا يلزم من فعله محذور شرعى) ومن الواضح أن هذا التعريف لا ينطبق على احتفال صاحب إربل لكونه غير موافق للشريعة مادام بدعة ولو قوع المحذور الشرعى فيه كما بينه العلامة الشيخ محمد بخيت المطبىعى مفتى الديار المصرية سابقاً في كتابه (أحسن الكلام فيما يتعلق بالبدعة والسنن من الأحكام) ص ٥٢ ونصه (وأنست إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين في المولد النبوى جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه كله بالحل) .^{٤٠١}

وأما الثناء على أبي الخطاب بن دحية الذى صنف «التنوير في مولد السراج المنير» للملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل بأنه كان عالماً من الحفاظ فيرد عليه قبح أهل العلم فيه.

فقد قال سبط ابن الجوزى في ترجمة أبي الخطاب بن دحية من كتاب «مرآة الزمان» ج ٨ ص ٦٩٨ قال «كان — أى ابن دحية — في المحدثين مثل ابن عينى في الشعراء يشلب علماء المسلمين ويقع في أيام الدين ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوا وكان الكامل مقبلاً عليه فلما انكشف له حاله أعرض عنه وأخذ منه دار الحديث وأهانه فتوفى في ربیع الأول بالقاهرة — أى في السنة الثالثة والثلاثين وستمائة — ودفن بقرافة مصر وكان قدم دمشق وسأل الوزير بن شكر أن يجمع بينه وبين شيخنا تاج الدين فاجتمعوا وتناولوا وجرى بينهما البحث في قول العرب «لقيته من وراء وراء» فقال ابن دحية لا «يقال «وراء» بالرفع بل بالنصب^(١)» فقال تاج الدين أخطأت بل الصحيح «وراء» بالرفع فسقه على شيخنا تاج الدين فقال له يامدعى أنت تكتب «وكتب ابن دحية» ودحية باجماع المحدثين

(١) مراده بالرفع الضم وبالنصب الفتح.

ما أعقب وقد كذبت في نسبك^(٢)) قلت — القائل سبط ابن الجوزى — والصحيح مع تاج الدين وقد ذكرها الجوهري فقال «وراء» بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام وهو من الأضداد وأنشد :

لقاوكم إلا من وراء وراء
إذا أنا لم أؤمن عليك ولم يكن

انتهى كلام سبط ابن الجوزى في «مرأة الزمان» وما فيه من أن النقاش بين أبي الخطاب بن دحية وبين تاج الدين الكندي جرى في قول العرب لقيته من وراء وراء مخالف لما في «ذيل الروضتين» من أن النقاش بينهما إنما وقع في قول ابراهيم الخليل عليه السلام الوارد في حديث الشفاعة «إنما كنت خليلا من وراء وراء ونصه في ص ٦٥ «قال العز ابن تاج الأماء في عشية ثالث عشر رجب جرى بين التاج الكندي وبين ابن دحية كلام ومشاتمة عند الوزير قلت — القائل أبو شامة — حكى لي من حضر ذلك المجلس أن الشيخ الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية لما عاد من رحلته الخراسانية قصد مجلس الوزير صفي الدين عبد بن علي المعروف بابن شكر وزير العادل وكان الشيخ العلامة تاج الدين الكندي جالسا إلى جنبه فأجلس ابن دحية إلى الجانب الآخر فشرع ابن دحية يورد حديث الشفاعة فلما وصل إلى قول ابراهيم الخليل صلوات الله عليه قوله «إنما كنت خليلا من وراء وراء» لفظ باللغتين بفتح المهمزة فيما فقال الكندي «وراء وراء» بالضم فعز ذلك على ابن دحية وكان جريئاً ذا أنفة من الرد عليه فقال الوزير من ذا الشيخ فقال له هذا تاج الدين الكندي فسمح ابن دحية في حقه بكلمات فلم يسمع من الكندي إلا قوله «هو من كلب» فنبع . فهذه تورية حسنة من لفظ حلو وذلك أن ابن دحية كان ينسب إلى كلب من العرب وهي قبيلة دحية الصحابي رضي الله عنه . وفي صحة الانتساب إليه كلام ونظر فإن جماعة من المتقدمين قالوا لم يعقب على ما ذكرناه في ترجمته في تاريخ دمشق ووقع الناس في أبي الخطاب بسبب ذلك حتى قال بعضهم .

إليه بالبهتان والافك
دحية لم يعقب فلاتنتسب
ما صاح عند الناس شيء سوى
أنك من كلب بلاشك

فأخذ الشاعر المعنى الذي أشار إليه الكندي بذلك اللفظ الوجيز أما اللفظتان المتنازع فيما فرأيت في أمالى أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين فيما والجر أيضاً وقد نظمت ذلك في كتاب مفصل الزمخشري وغيره من المسائل النحوية وبالله

(١) كلام العلماء في عدم صحة انتسابه إلى دحية الصحابي كثير يطول الكلام بذلك.

التفوق» ١٠١ هـ كلام أبي شامة ويوافقه ما في حوادث سنة خمس وستمائة من «البداية والنهاية» ج ١٣ لابن كثير ص ٥١ ولفظه «فيها — أى في تلك السنة — عاد أبو الخطاب بن دحية الكلبى من رحلته العراقية فاجتاز بالشام فاجتمع في مجلس الوزير الصفى هو والشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندى شيخ اللغة والحديث فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى قول إبراهيم عليه السلام «إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِّنْ وَرَاءِ وَرَاءِ» بفتح اللفظتين فقال الكندى «مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ» بضمهما فقال ابن دحية للوزير بن شكر من هذا فقال هذا أبو اليمن الكندى فقال منه ابن دحية وكان جريئاً فقال الكندى : هو من كلب ينبع كما ينبع الكلب قال أبو شامة وكلتا اللفظتين محكية وحكى فيما الجر أيضاً» انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

وقال الحافظ الضياء «لقيته — أى ابن دحية — بأصبهان ولم أسمع منه شيئاً ولم يعجبنى حاله كان كثير الواقعية في الأئمة أخبرنى إبراهيم السنهورى أنه دخل المغرب وأن مشائخ أهل المغرب كتبوا له جرمه وتضعيفه ثم قال الضياء وقد رأيت منه غير شيء مما يدل على ذلك نقل ذلك عن الضياء الحافظ الذهبى في «تذكرة الحفاظ» ج ٤ ص ١٤٢١ وكذلك ذكر في «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» أن الحافظ الضياء قال في أبي الخطاب بن دحية لم يعجبنى حاله كان كثير الواقعية في الأئمة ثم قال أخبرنى إبراهيم السنهورى فذكر ما تقدم نقله من تذكرة الحفاظ.

وقال قاضى حماة ابن واصل : كان أبو الخطاب — أى ابن دحية — مع فرط معرفته وحفظه الكبير متهمًا بالمجازفة في النقل فبلغ ذلك الكامل فأمره أن يعلق شيئاً على كتاب الشهاب فعلق كتاباً تكلم فيه على أسانيده وأراه الكامل فقال له الكامل بعد أيام ضاع من الكتاب فعلق لي مثله ففعل فجاء متنافياً للأول فعلم السلطان صحة ما قيل عنه وعزله عن دار الحديث فولى مكانه أخاه الإمام أبو عمرو اللغوى^(١) ذكر ذلك الحافظ الذهبى في تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٢٢—١٤٢١ وفي «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ١٨٧ وهذا اللفظ الذى ذكرناه لتذكرة الحفاظ.

(١) ذكر ابن خلkan في ترجمة أبي الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية عزله بأخيه أبي عمر وعثمان بن الحسن اللغوى هذا قال ج ١ ص ٣٨٢ «كان أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن أسن من أخيه أبي الخطاب وكان حافظاً للغة العرب فيما بها وعزل الملك الكامل أبو الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشأها بالقاهرة ورتب مكانه أخاه أبو عمرو المذكور ولم ينزل بها إلى أن توفى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفوح المقطم وله رسائل استعمل فيها حوشى اللغة».

وقال ابن نقطة في ابن دحية «كان موصوفاً بالمعرفة والفضل إلا أنه كان يدعى أشياء لحقيقة لها — وذكر لي ثقة وهو أبو القاسم بن عبد السلام قال: أقام عندنا ابن دحية فكان يقول: أحفظ صحيح مسلم والترمذى قال فأخذت خمسة أحاديث من الترمذى وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء فعرضت حديثاً من الترمذى عليه فقال ليس بصحيح وأخر فقال لا أعرفه ولم يعرف منها شيئاً ذكر ذلك الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ١٨٨، كما ذكر في الجزء الرابع من «تذكرة الحفاظ» ص ١٤٢٢، أن ابن نقطة قال كان أبو الخطاب — أى ابن دحية — موصوفاً بالمعرفة والفضل لم أره إلا أنه كان يدعى أشياء لحقيقة لها فذكر لي أبو القاسم بن عبد السلام ثقة قال: نزل عندي ابن دحية فجعل يقول أحفظ صحيح مسلم وجامع الترمذى فأخذت خمسة أحاديث من الترمذى وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات وجعلتها جزءاً وعرضتها عليه فلم يعرف منها شيئاً».

وقال ابن النجاشي «رأيت الناس مجتمعين على كذبه وضعفه وادعائه سماع مالم يسمعه ولقاء من لم يلقه وكانت أمارة ذلك عليه لائحة وحدثني بعض المصريين قال قال لي الحافظ أبو الحسن بن المفضل وكان من أئمة الدين قال كنا بحضورة السلطان في مجلس عام وهناك ابن دحية فسألته السلطان عن حديث فذكرته له فقال لي من رواه؟ فلم يحضرني اسناده في الحال فانفصلا فاجتمع بي ابن دحية في الطريق فقال لي: ما ضرك لما سألك السلطان عن اسناد ذلك الحديث لم لم تذكر له أى إسناد شئت فإنه ومن حضر مجلسه لا يعلمون هل هو صحيح أم لا وقد كنت وبخت قوله لا أعلم وتعظم في عينيه وعين الحاضرين قال فلعلت أنه متهاون جرئ على الكذب. قال ابن النجاشي وذكر أنه سمع كتاب الصلة لابن بشكوان من مصنفه وكان القلب يأبى سماع كلامه — ويشهد ببطلان قوله وكان الكامل يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه ويتبرك به حتى سمعت أنه كان يسوى له المداس إذا قام. قال وكان صديقنا إبراهيم السنهوري دخل إلى الأندلس فذكر لشريكها حال ابن دحية وما يدعى به فأنكرها ذلك وأبطلوا لقاءه لهم وأنه إنما استغل بالطلب أخيراً وأن نسبة ليس بصحيح وكتب السنهوري بذلك محضراً وأخذ خطوطهم فيه فعلم ابن دحية بذلك فشكاه

للسلطان فأمر بالقبض عليه فضرب وجرس على حمار وأخرج من القاهرة^(١)) وأخذ ابن دحية المحضر فحرقه قال: وحضرت معه مجلس السلطان مارا وكان يحضر في كل جمعة فيصل عنده السلطان ويقرأ عليه شيئاً من مجموعاته وكان حافظاً ماهراً في علم الحديث حسن الكلام فيه فصيح العبارة تام المعرفة بالنحو واللغة ولهم كتب نفيسة وكان ظاهري المذهب كثير الواقعية في الأيماء وفي السلف من العلماء خبيث اللسان أحق شديد الكبر قليل النظر في أمور الدين متهاوناً» نقل ذلك الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» ج ٤ ص ٢٩٥-٢٩٦ عن ابن النجار.

كما نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في نفس المصدر «لسان الميزان» ج ٤ ص ٢٩٦ عن ابن النجار أيضاً أنه قال في ترجمة ابن دحية (حدثني على بن الحسن أبو العلاء الأصبهاني وناهيك به جلاله ونبلا قال لما قدم ابن دحية علينا أصبهان ونزل على أبي في الخانakah فكان يكرمه ويجله فدخل على والدِي يوماً ومعه سجادة فقبلها ووضعها بين يديه وقال صليت على هذه السجادة كذا وكذا ألف ركعة وختمت القرآن في جوف الكعبة مرات قال فأخذها والدِي قبلها ووضعها على رأسه قبلها منه مبتهجاً بها فلما كان آخر النهار حضر عندنا رجل من أهل أصبهان فتحدث عندنا إلى أن اتفق أن قال: كان الفقيه المغربي الذي عندكم اليوم – يعني ابن دحية – في السوق اشتري سجادة حسنة بكذا وكذا فأمر والدِي باحضار السجادة فقال الرجل إى والله هذه فسكت والدِي وسقط ابن دحية من عينه».

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن دحية من «تذكرة الحفاظ» ج ٤ ص ١٤٢١ «زعم – أى ابن دحية – ولم تدخل في الأذن دعوه أنه قرأ صحيح مسلم من حفظه على بعض شيوخه وكان معروفاً على كثرة علمه وفضائله بالمجازفة والدعوى العريضة» ووصفه في ص ١٤٢٢ بأنه كان مدلساً يستعمل «حدثنا فيما هو إجازة» وذكر في ترجمة ابن دحية من «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ١٨٦-١٨٧ أن ابن دحية ذكر أنه حدثه بالموطأ عالياً أبو الحسن بن حنين الكتاني وابن خليل. قالا حدثنا محمد بن فرج الطلائع – ثم تعقب ذلك بقوله «أقول فاما ابن خليل فإنه سكن

(١) اتهم أبو الحسن بن القطان إبراهيم السنهوري هذا بالمجازفة والكذب فاغتر بذلك الحافظ الذهبي فوصفه في الميزان ج ١ ص ٣٥ بأنه دجال فتعقبه الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ج ١ ص ٥٥ يقول ابن عبد الملك في ذيل التكلمة قد نزهه الله عن كل مارماه به وعدله كل من أخذ عنه ووثقه وصححوا نقله وقوله فيه «كان محدثاً حافظاً لمتون الأحاديث ضابطاً لما يرويه ثقة في نقله متيين الدين جليل المروءة».

مراكش وفاس وكان ابن دحية بالأندلس فكيف لقيه أو سمع منه وكذلك ابن حنين فإنه خرج عن الأندلس ولم يعد بل سكن مدينة فاس ومات بها سنة تسع وستين وخمسمائة في الجهد أن يكون ابن دحية روى الموطأ عن هذين بالإجازة فالله أعلم واستباح ذلك على رأي من يسوع قول «حدثني بذلك» ويكون إجازة لكنه قد صرخ بالسماع فيما أرى» ثم نقل الذهبي عن ابن مسدي أنه قال «رأيت بخطه أنه سمع بين الستين إلى السبعين وخمسمائة من جماعة كابي بكر بن خير واللوتى وأبى الحسين بن حنين وليس ينكر عليه وتعقب الذهبي ذلك بقوله «قلت بل ينكر عليه كما قدمنا» ونقل أيضا عن ابن مسدي أنه قال «وله — اى ابن دحية — تواليف تشهد باطلاعه، فتعقب ذلك بقوله «قلت وفي تواليفه أشياء تنقم عليه من تصحيح وتضليل»، وقال الذهبي في الجزء الخامس من «العبر في خبر من غير» ص ١٣٥ وليس — اى ابن دحية — بالقوى ضعفه جماعة وله تصانيف ودعاؤه مدحضة وعبارات مقعرة مبغضة وقد نفق على الملك الكامل وجعله شيخ دار الحديث.

وقال الحافظ ابن كثير في الجزء الثالث عشر من «البداية والنهاية» ح ١٣ ص ١٤٥ بعد ايراده ترجمة ابن دحية من تاريخ ابن خلkan قال «قلت تكلم الناس فيه — اى في ابن دحية — بأنواع من الكلام ونسبة بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على إسناده لتعلم كيف رجاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصرا^(١) والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنده بهنه وكرمه» ونقل ابن كثير قبل ذلك في ص ١٤٤ عن سبط ابن الجوزى أنه قال في ابن دحية «قد كان كابن عين في ثلب المسلمين والحقيقة فيهم ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه — وكذبوا وقد كان الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانه» .٥٠١٠ـ.

وابن عين الذى شبه به سبط ابن الجوزى ابن دحية هو محمد بن نصر الدين ابن نصر بن الحسين بن عين الملقب — شرف الدين الكوفي الأصل الدمشقى المولد الشاعر المشهور وصفه ابن خلkan في الجزء الثاني من «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» ص ٢٥ بأنه خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان في أواخر عصره من يقايس به» ثم قال «كان مولعا بالهجاء وثلب أعراض الناس وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقا كثيرا من رؤساء دمشق سماها مفترض الأعراض وكان السلطان صلاح

(١) نص كتاب الاجماع لابن المنذر ص ٤٢ طبعة «دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض» (أجعوا على أن لا يقصرا في المغرب ولا في صلاة الصبح).

الدين رحمه الله قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس فلما خرج منها قال:
فعلم أبعدتم أخائفة لـم يـقـتـرـف ذـنـبـا ولا سـرـقا
انـفـوا المـؤـذـن مـن بـلـادـكـم إنـكـانـيـنـفـى كـلـمـنـ صـدـقاـ
قال ابن خلكان (ولقد رأيته - أى ابن عين - بمدينة إربل في سنة ثلاث
وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيئاً).

وقال عبد الرحمن السيوطي في «طبقات الحفاظ» ص ٩٨، بعد أن أثني على ابن دحية مانصه «وكان مع معرفته وحفظه مجازفا في النقل مع الدعاوى العريضة ويستعمل «حدثنا» في الإجازة» هـ المراد من كلامه ولم يتعرض في «حسن المقصد في عمل المولد» للطعن فيه رغم معرفته بحاله بل اكتفى بقول ابن خلكان فيه كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء» وهذا من غرائب السيوطي.

بل الشيخ أحد الشهير بابن خلكان الذي أثني عليه اتهمه بسبب القصيدة التي وضعها في آخر كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» على أساس أنها مدح بها مظفر الدين الذي ألف له ذلك الكتاب يرى ابن خلكان أنها لاسعد بن مماتي لا لابن دحية.

فقد قال ابن خلكان في ترجمة القاضي الأسعد أبي المكارم أسد بن مماتي من «وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان» ج ١ ص ٦٩ «كان الحافظ أبو الخطاب بن دحية المعروف بذى النسرين رحمه الله تعالى عند وصوله إلى مدينة إربل ورأى اهتمام سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله تعالى بعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم حسبما هو مشروع في حرف الكاف من هذا الكتاب عند ذكر اسمه صنف له كتابا سماه التنوير في مولد السراج المنير» وفي آخر الكتاب قصيدة طويلة مدح بها مظفر الدين أولا:

لـولا الـوشـاة وـهـمـ أـعـداـءـنـا ماـوـهـمـوا
وـقـرـأـ الـكـتـابـ وـالـقـصـيـدةـ عـلـيـهـ وـسـمـعـنـا نـحـنـ الـكـتـابـ عـلـيـ مـظـفـرـ الـدـيـنـ فـيـ شـعـبـانـ
سـنـةـ سـتـ وـعـشـرـينـ وـسـتـمـائـةـ وـالـقـصـيـدةـ فـيـهـ ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ رـأـيـتـ هـذـهـ القـصـيـدةـ بـعـينـهـاـ فـيـ
جـمـعـوـةـ مـنـسـوـبـةـ إـلـىـ الـأـسـعـدـ بـكـمـاـهـاـ مـدـحـ بـهـاـ السـلـطـانـ الـمـلـكـ الـكـاـمـلـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـيـ فـقـوـيـ
الـظـنـ ثـمـ إـنـىـ رـأـيـتـ أـبـاـ الـبـرـكـاتـ بـنـ الـمـسـتـوـفـ قدـ ذـكـرـ هـذـهـ القـصـيـدةـ فـيـ تـارـيخـ إـربـلـ
عـنـ ذـكـرـ اـبـنـ دـحـيـةـ وـقـالـ سـأـلـتـهـ عـنـ مـعـنـيـ قـوـلـهـ فـيـهـاـ

نديه من عطاجا دى كفه المحر
فما أحار جوابا فقلت لعله مثل قول بعضهم
تسمى باسماء الشهور فكفة
جادي وماضمت عليه المحر

قال فتبسم وقال هذا أردت فلما وقفت على هذا ترجح عندي أن القصيدة
للأسعد المذكور فإنها لو كانت لأبي الخطاب – أبي ابن دحية – لما توقف في
الجواب. وأيضا فإن انشاد القصيدة لصاحب إربل كان في سنة ست وستمائة
والأسعد المذكور توفي في هذه السنة كما سيأتي وهو مقيم بحلب لتعلق له بالدولة
العادلية وبالجملة فالله أعلم من هم منها» ١٠١ هـ . كلام ابن خلكان وإليه أشار في
ترجمة ابن دحية بقوله «كان الحافظ أبو الخطاب المذكور قد ختم هذا الكتاب بقصيدة
طويلة أوها:

لولا الوشاة وهم اعداؤنا ما وهموا

وقد ذكرت فيما تقدم في ترجمة الأسعد بن ماتي في حرف الهمزة حديث هذه
القصيدة فليتأمل هناك» ١٠١ هـ . كلام ابن خلكان وقد أقره الحافظ الذهبي على ذلك في
ترجمة أبي الخطاب بن دحية من تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٢٣ قال قال ابن خلكان
قدم إربل فصنف لملكها كتاب المولد ومدحه بقصيدة مطلعها:

لولا الوشاة وهم اعداؤنا ما وهموا

ثم ظهرت القصيدة أنها في ديوان الأسعد بن ماتي.

والي كلام أهل العلم المذكورين وغيرهم في ابن دحية أشار الإمام محمد بن
إبراهيم آل الشيخ في رسالته في حكم الاحتفال بالمولود النبوى بقوله (واما ابن دحية
فلا يخفى كلام العلماء فيه وقد اتهموه بوضع حديث في قصر صلاة المغرب كما في
تاريخ ابن كثير).

وأما العبارة التي نقلها محمد بن علوى المالكى عن شيخ الإسلام تقى الدين
ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» تحت عنوان «رأى
الشيخ ابن تيمية يقول قد يثاب بعض الناس على فعل المولد» فالجواب عنها بأمور
أحدها أن شيخ الإسلام صرخ في أول تلك العبارة بأن الداعى للاحتفال بالمولود
النبوى قد يكون مضاهة للنصارى في مولد عيسى عليه السلام أى فيكون غير مشروع
لتلك المضاهاة . وقد يكون الداعى إليه عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فيثاب
المحتفل في هذه الحالة على عبادته للنبي صلى الله عليه وسلم التي دعاته إلى ذلك
الاحتفال لاعلى بدعة الاحتفال.

الثاني أنه فرق في تلك العبارة بين من يعمل المولد ولا يتركه إلا إلى شر منه وبين المؤمن المسدد الذي ليس كذلك فذكر أن الذى يعمل المولد ولا يتركه إلا إلى شر منه لا يدعى إلى تركه لما يترتب على ذلك من ارتکاب ما هو شر منه وأن المؤمن المسدد يستتبع منه الاحتفال بالمولود ويجب عليه الحرص على التمسك بالسنة ظاهرا وباطنا في خاصته وخاصة من يطعه.

الثالث أن إثابة الواقع في المواسم المبتدةعة من موالد وغيرها أوضح شيخ الإسلام بن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٢٩٠ أنها لما في تلك المواسم من المشروع وأنها لامتناع النهي عن تلك المواسم والاعتراض عنها بالمشروع ولفظه «لاريب أن من فعلها — أى المواسم المبتدةعة — متولا مجتهدا أو مقلداً كان له أجر على حسن قصده وعلى عمله من حيث مافيها من المشروع وكان مافيها من المبتدع مغفورة له إذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعدورين وكذلك ما ذكر فيها من الفوائد كلها إنما حصلت لها اشتمنت لها من المشروع في جنسه كالصوم والذكرة والقراءة والركوع والسجود وحسن القصد في عبادة الله وطاعته ودعائه وما اشتمنت عليه من المكروه انتفى موجبه بعفو الله لاجتهاد صاحبه أو تقليده. وهذا المعنى ثابت في كل ما يذكر في بعض البدع المكروهة من الفائدة لكن هذا القدر لا يمنع كراحتها والنهي عنها والاعتراض عنها بالمشروع الذي لا بدعة فيه كما أن الذين زادوا الأذان في العيددين هم كذلك بل اليهود والنصارى يجدون في عباداتهم أيضا فوائد وذلك لأنه لا بد أن تشتمل عباداتهم على نوع ما من مشروع في جنسه كما أن أقوالهم لا بد أن تشتمل على صدق مأثور عن الأنبياء ثم مع ذلك لا يوجب أن تفعل عباداتهم أو تروى كلماتهم لأن جميع المبدعات لا بد أن تشتمل على شر راجع على مافيها من الخير إذ لو كان خيرا راجحا لما أهلتها الشريعة فتحن تستدل بكونها بدعة على أن إثمتها أكبر من نفعها وذلك هو الموجب للنهي ثم قال الإمام ابن تيمية (وأقول) — إن إثمتها قد يزول عن بعض الأشخاص لعارض الاجتهاد أو غيره كما يزول إثم الربا والنبيذ المختلف فيما عن المجتهدين من السلف ثم مع ذلك يجب بيان حالها وأن لا يقتدى بمن استحلها وأن لا يقتصر في طلب العلم المبين لحقيقةها قال وهذا الدليل كاف في بيان أن هذه البدع مشتملة على مفاسد اجتماعية أو حالية مناقضة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ما فيها من المنفعة مرجوح لا يصلح للمعارضة ولم يكتف الإمام ابن تيمية بهذا بل أضاف إليه بيان ما في المواسم المبتدةعة من مفاسد راجحة على مافيها من المنفعة فقال «أما مافيها — أى تلك المواسم المبتدةعة من مولد وغيرها

من المنفعة فيعارضه مافيها من مفاسد البدعة الراجحة منها مع ما تقدم عن المفاسد الاعتقادية والخالية أن القلوب تستعبد بها وتستغنى عنها عن كثير من السنن حتى تجد كثيرا من العامة يحافظ عليها ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس ومنها أن الخاصة والعامة تنقص بسببيها عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهن فيها فتجد الرجل يجتهد فيها وبخلص وينبئ وي فعل فيها مالا يفعله في الفرائض والسنن حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة وي فعل الفرائض والسنن عادة ووظيفية وهذا عكس الدين فيقوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والرقابة والطهارة والخشوع وإجابة الدعوة وحلوة المناجاة إلى غير ذلك من الفوائد وإن لم يفته هذا كله فلا بد أن يفوته كماله. ومنها ما في ذلك من مصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وما يترب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين وانتشار زرع الجاهلية ومنها اشتتماها على أنواع من المكرهات في الشريعة مثل تأخير الفطور وأداء العشاء الآخرة بلا قلوب حاضرة والمبادرة إلى تعجิلها والسجود بعد السلام لغير سهو وأنواع من الأذكار ومقاديرها لا أصل لها إلى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته وسلمت سريرته. ومنها مسارة الطبع إلى الانحلال من ريبة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان كما قال أبو عثمان التيسابوري رحمه الله ماترك أحد شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره فينسليخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصيর فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعوا ومنها ما تقدم التنبية عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين النوع الذي فيه مشابهة والذى لامشابهة فيه ١٠٤ هـ.

الرابع أن محمد بن علوى قد أسقط من كلام شيخ الإسلام في الاحتفال بالمولد النبوى محبة للنبي صلى الله عليه وسلم ما بينه فيه من اختلاف الناس في اليوم المافق ل يوم المولد النبوى قوله في الاحتفال «إن هذا – أى الاحتفال به ذلك اليوم لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيرا محسنا أو راجحا لكان السلف رضى الله عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمها له منا وهم على الخير أحقر وإنما كمال محبتة وتعظيمها في متابعته وطاعته واتباع أمره واحياء سنته باطننا وظاهرها ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين

والانصار والذين اتباعوهم بإحسان. وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حرصاً على أمثال هذه البدع مع مالهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلة من يحمل المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلح فيه أو يصلح فيه قليلاً وبمنزلة من يتخذ المسابع والسبadas المزخرفة وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع ويفصح بها من الرياء والكبر والإشتغال عن المشروع مايفسد حال صاحبها كما جاء في الحديث «ما ساء عمل أمة قط إلا زخرفوا مساجدهم» أسقط السيد محمد بن علوى هذا كله من كلام شيخ الإسلام وكان الواجب عليه عدم اسقاطه لما لذكره من الأهمية.

الخامس أن ماتوهه محمد بن علوى من عبارة ابن تيمية التي ذكر منها ما ذكر وهو أنه يرى الاحتفال بيوم المولد النبوى يرده قوله في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» ص ٢٩١ بقصد كلامه على المواسم المبتدةعة من موالد وغيرها مانصه «إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكرامتها وأنكرها قوم كذلك وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل من فعلوها فليسوا دونهم في الفضل ولو فرضوا دونهم في الفضل ف تكون حينئذ قد تنازع فيها أولو الأمر فترت إذن إلى الله والرسول وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لامع من رخص فيها ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرین مع هؤلاء التاركين المنكرين».

وأما رحلة ابن بطوطة فليست من الكتب المعتمدة وليس مؤلفها ابن بطوطة من رجال هذا الميدان يتبين ذلك ما يلي:

١ - ما أوضحه الشيخ حسن السائح في مقدمته لرحلة الشيخ خالد بن عيسى البلوي المسماة «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» وهو - أن ابن بطوطة يعني بمعرفة أسماء العلماء ويزورهم أحياناً في منازلهم زيارة تخلو من الحنين إلى الارتقاء بعلمه وتقين السند فقد لقى ابن بطوطة عدة علماء ذكر أسماءهم وألقابهم غير حافل باختصاصاتهم وإنما يتبرك بهم وخصوصاً إذا كانوا من المتصوفة وربما سمع باسم العالم فذكر اسمه في الرحلة ولو أنه لم يتصل به اتصالاً شخصياً كما فعل في تونس حين ذكر من أعلامها ابن الغماز الذي لاشك أنه لم يتصل به لأنه توفي سنة ٦٩٣هـ وإنما اتصل بخلفه الربعي الذي ذكر له اسم شيخه فأثبته في الأعلام المعاصرین كما ذكر أنه كان يلتقط المشاهد فيثبتها في رحلته

وأن اتصاله بالعلماء والمحدثين قليل لأنها إنما يرغب في زيارة الصوفية لاستدرار بركتهم كما ذكر أن املاء ابن بطوطه رحلته من ذاكرته عرضه لكثير من الأخطاء حتى إنه ارتكب أغلاطاً جغرافية تدل على عدم اطلاعه على كتب فن الجغرافيا وعلى أنه إنما يعني في رحلته بذكر مشاهداته للأماكن التي زارها فحسب.

٢ - أن في رحلة ابن بطوطة أشياء لاتمت للحقيقة بصلة منها ما ذكره في ص ٥٨٥٧ ج ١ وهو أنه حضر حين كان في رحلته بدمشق وعظ تقى الدين بن تيمية يوم الجمعة على منبر الجامع بدمشق فكان من جملة كلام ابن تيمية أن قال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزوٰل هذا ونزل درجة من درج المنبر الخ. وقد أنكر الذين يعرفون شيخ الإسلام ابن تيمية حق المعرفة على ابن بطوطة حكايته لهذا وردوا عليه ومن أحسنهم رداً عليه الشيخ محمد منير الدمشقي في شرحه للاتفاقات السننية بالأحاديث القدسية (١) الذي سماه بالنفحات السلفية فقد قال فيه في كلامه على حديث النزول ص ٢٢٣ بعد أن ذكر أن هذا الحديث أفرده شيخ الإسلام بن تيمية بالتأليف وشرحه شرعاً لم يتمك لغيره مجالاً ولا كلاماً وأنه حق ودقق فيه بما لا ترى العيون مثله من فوائد ومسائل تنشرح لها الصدور وذكر أن شرح حديث النزول من أمهات الكتب التي يؤخذ منها مذهب الإمام الجليل ابن تيمية وعقيدته السلفية الموافقة للكتاب والسنّة وجاهير العلماء والمحققين فإنه تكلم على نزول رب وأئمّة بأقوال علماء السلف والخلف وحل إشكالات كثيرة قال محمد منير بعد ذكر ذلك كله «وما يستغرب منه أن أبا عبد الله بن بطوطة قال في رحلته المسماه تحفة الأنوار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار إنه رأى عالم الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزوٰل هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامـت العامة إلى هذا الفقيـه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطـت عمـامـته وظـهرـ على رأسـه شاشـية حرـير فأنكـروا عـلـيـه لـبـاسـهـ واحـتمـلوـهـ إـلـيـ دـارـ عـزـ الدـينـ بنـ مـسـلمـ قـاضـيـ الحـنـابـلـ فـأـمـرـ بـسـجـنـهـ وـعـزـرـهـ بـعـدـ ذـكـرـ التـهـ،ـ فـأـنـظـرـ أـرـشـدـكـ اللهـ إـلـيـ قولـ الحقـ

(١) وهو تأليف زين الدين عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري.

والحججة البينة كيف يكون هذا النقل في نظرك ورأيك ألم يكن تخططاً من صاحب الرحلة فإنه سمع هذا القول بزعمه من شيخ الإسلام بن تيمية ولم يرد عليه قوله أو رفع أمره إلى حاكم تلك الجهة أو شهره بين علماء الشام وغيرها من بلاد الإسلام التي تجول فيها المؤلف واجتمع بملوكها وأمرائها وعلمائها ولاريب أن من يصل في مسجد عام كمثل هذا يجتمع فيه العالم والجاهل والعاقل والمتغصب والمتغصبه فحكاية ابن بطوطة لهذا تمحال منه ظاهر. وبعيد كل وبعد فإن التلفظ بهذا يعد كفراً فإن الله يقول في كتابه الحكيم «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» والإمام ابن تيمية يقول على زعم صاحب الرحلة إن الله له مثل وهذا كفر باجاع المسلمين فلو كان صححاً لقام عليه علماء عصره وقتله وكفروه وشكوه إلى الحاكم ولألف في ذلك رسائل رد فيها على ابن تيمية وبيان كفره كل ذلك لم يحصل فدل على أنه خطأ في النقل وفي كلام صاحب الرحلة سقط وهو لا أي لا كنزوبي هذا. ويشهد لذلك تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ولم نجد أنسه من ابن تيمية في عصره لله تعالى. وهذا السقط كثير في التأليف وواجب على العلماء أن يحترموا أنفسهم ويقدروا تفوق غيرهم ويقرروا لهم بالفضل والسبق. وشيخ الإسلام بن تيمية يرفع الرأس به ويفتخر المسلمين بوجود مثله في عصره فإنه كان هادماً للتقاليد الضارة وداعية إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله. ومن طالع مؤلفاته وترك التعصب لمذهب أو رأي يرى ذلك ويتحقق»^(١) هـ. نص «التفحات السلفية»^(١) ومن أنكر على ابن بطوطة هذه الفرية السيد رشيد رضا في الجزء السادس من فتاويه فقد قال في جوابه عن سؤال وجه إليه حول عزو ابن بطوطة في رحلته إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال وهو يعظ على منبر الجامع ويدرك «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزوبي هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارض فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء الغ». «هل صحيحة تاريخ ابن تيمية أن يقول هذا وهل هناك شك في أن قائل هذا ينسب الله الجسمية وأنه بذلك انسليخ من الإيمان والإسلام» قال السيد رشيد رضا في الإجابة عن ذلك الاتهام لابن تيمية بتشبيه نزول الله بنزوله في المنبر. «هذه التهمة باطلة قطعاً كما يعلم من كتب شيخ الإسلام وفتاويه الكثيرة في مسألة الصفات وحديث النزول ، ولكن يظهر أن لها شبهة أثارتها فقد رأيت في بعض الكتب كتاب «الرد الوافر» أو غيره أنه كان يتكلم

(١) طبعة دار المعرفة بيروت.

في حديث النزول ويخطب على المنبر ويقرر مذهب السلف في إثبات كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بغير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل فقال مامعناه أنا نؤمن بنزوله بالمعنى الذي أرادهائق به بلا تشبيه «لاكتنزوني هذا» فزعم بعض الناس أنه قال «كتنزولي هذا» لأنه لم يسمع كلمة (لا) وربما كان منهم ابن بطوطة ثم أذاع هذا خصوصه المخالفون للسلف ولو صر زعمهم لقامت عليه قيمة أهل المسجد وأنزلوه عن المنبر مهاناً مذموماً بكل لسان إلا أن يقال إنهم كانوا موافقين له على رأيه إلا واحداً منهم هو ابن الزهراء الذي ذكره ابن بطوطة وكم في رحلة ابن بطوطة من الأكاذيب والخرافات.

قال «ولابن تيمية كتاب مستقل في حديث النزول هو جواب سؤال رفع إليه فأطالب في الجواب عنه ومر السيد شيريد رضا في ثنائه على شرح حديث النزول إلى أن قال «جملة القول أن شيخ الإسلام قد بسط في هذا الكتاب - أى شرح حديث النزول - وغيره من الدلائل على تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله مالم يسبقه أحد إلى مثله^(١) مع إثبات مأثبيته لنفسه منها والمنع من تحكمنا بأرائنا فيها فإنه مما حرمه الله تعالى علينا بقوله «وأن تقولوا على الله مالا تعلمون».

الثالث أن ما وصف به ابن بطوطة أهل مكة في زمانه مالا يليق مثل وصفه ايام باعتقادهم في مجنون على أساس اعتباره ولیاً من أولياء الله ونصه ج ١ ص ٩٨ «كان بمكة أيام مجاورتى بها حسن المغربي المجنون وأمره غريب وشأنه عجيب وكان قبل ذلك صحيح العقل خديماً لولي الله نجم الدين الإصبهاني أيام حياته حكاية كان حسن المجنون كثير الطواف بالليل وكان يرى في طوافه بالليل فقيراً يكثر الطواف ولا يراه بالنهار فلقيه ذلك الفقير ليلة وسأله عن حاله وقال يا حسن إن أمك تبكي عليك وهي مشتاقة إلى رؤيتك وكانت من إماء الله الصالحات أفتحب أن تراها قال نعم ولكنني لاقدرة لي على ذلك فقال له نجتمع هاهنا في الليلة المقبلة إن شاء الله تعالى فلما كانت الليلة المقبلة وهي ليلة الجمعة وجده حيث واعده فطافاً بالبيت ماشاء الله ثم خرج وهو في أثره إلى باب المصلى فأمره أن يسد عينيه ويمسك بشوشه ففعل ذلك ثم قال بعد ساعة اتعرف بذلك قال نعم قال ها هو ذا ففتح عينيه فإذا به على دار أمه فدخل عليها ولم يعلمهما بشيء مما جرى وأقام عندها نصف شهر وأطن

(١) من أهل عصره والا فعقيدته في الصفات هي عقيدة السلف الصالحة.

أن بلده مدينة أسفى ثم خرج إلى الجبانة فوجد الفقير صاحبه فقال له كيف أنت فقال ياسيدى إننى اشتقت إلى رؤية الشيخ نجم الدين و كنت خرجت على عادتى وغبت عنه هذه الأيام وأحب أن تردنى إليه فقال له نعم وواعده الجبانة ليلا فلما وفاه بها أمره أن يفعل ك فعله في مكة المشرفة من تغميض عينيه والامساك بذيله فعل ذلك فإذا به في مكة شرفها الله وأوصاه أن لا يحدث نجم الدين بشيء مما جرى ولا يحدث به غيره فلما دخل على نجم الدين قال له أين كنت يا حسن في غيبتك فأبى أن يخبره فعزم عليه فأخرجه بالحكاية فقال ارنى الرجل فأتى معه ليلا واتى الرجل على عادته فلما مر بهما قال له ياسيدى هو هذا فسمعه الرجل فضرب بيده على فمه وقال أسكتك الله فخرس لسانه وذهب عقله وبقي بالحرم مؤهلا يطوف بالليل والنهر من غير وضوء ولا صلاة والناس يتبركون به ويكسونه وإذا جاء خرج إلى السوق التي بين الصفا والمروة فيقصد حانوتا من الحوانيت فيأكل منها ما أحب لا يصده أحد ولا يمنعه بل يسر كل من أكل له شيئا وظهور له البركة والنماء في بيته وربحه ومتى أتى السوق تطاول أهلها بأعناقهم إليه كل منهم يحرص على أن يأكل من عنده لما جربوه من بركته وكذلك فعله مع السقائين متى أحب أن يشرب ولم يزل دأبه كذلك إلى سنة ثمان وعشرين فحج فيها الأمير سيف الدين يملوك فاستصحبه معه إلى ديار مصر فانقطع خبره نفع الله تعالى به» ١٠١هـ. كلامه والذى أراه أن أهل مكة في زماننا هذا لا يرضون لابن بطوطة أن

ينسب هذه الخراقة وامتها إلى أهل مكة في زمان ابن بطوطة هذا ما يشكك في كثير مما في رحلة ابن بطوطة وأما ما عزاه إلى ذلك القاضى محمد بن محيى الدين الطبرى من الاحتفال بالمولود النبوى فهو على فرض ثبوته ليس بقبول لأن الابتداع في الدين لا يقبل من أى أحد كان كما تقدم في جواب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى عن الاحتجاج بعمل أبي سعيد كوكبوري.

وأما قياس الاحتفال بالمولود النبوى على ما يقام للرؤساء من الاحتفالات إحياءً للذكرى فقد أحب عنه سماحة — مفتى الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في رسالته في حكم الاحتفال بالمولود النبوى والرد على من دعا إليه بقوله رحمه الله تعالى ص ٧٢-٧٣ «النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله في حقه «ورفعنا لك ذكرك» فذكره مرفوع في الأذان والإقامة والخطب والصلوات وفي التشهد والصلة عليه وفي قراءة الحديث واتباع ماجاء به فهو أجل من أن تكون ذكراه سنوية فقط قال ولكن الأمر كما قال السيد رشيد رضا في

كتابه «ذكرى المولد النبوى» قال^(١) إن من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا لأن هذا التعظيم لامشقة فيه على النفس فيجعلونه بدلاً مما يجب عليهم من الأعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وإنما التعظيم الحقيقى بطاعة المعلم والنصح له والقيام بالأعمال التي يقوم بها أمره ويعتبر دينه إن كان رسولاً وملكاً. وقد كان السلف الصالح أشد من بعدهم تعظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم ثم للخلفاء وناهيك بذلك أموالهم وأنفسهم في هذا السبيل ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللسانى ولاشك أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أحق بالخلق بكل تعظيم . وليس من التعظيم الحق له أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تبدل أو تغيير لأجل تعظيمه به . وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية . وما زالوا يتبعون بقصد التعظيم وحسن النية حتى صارت أديانهم غير ماجاعت به رسالتهم ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل الخلف الذين اتبعوا سنتهم شبراً بشبراً وذراعاً بذراع لضاع أصل ديننا أيضاً ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الأصل فالواجب علينا أن نرجع إليه ونعرض عليه بالتواجذ» ، وأضاف سماحة المفتى ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى أضاف إلى ذلك قوله «إن الاحتفال بالمولد النبوى إذا كان بطريق القياس على الاحتفالات بالرؤساء صار النبي صلى الله عليه وسلم ملحقاً بغيره وهذا ما لا يرضاه عاقل».

وأما تبرير الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى إذا لم يقتصر فيه على يوم معين فمخالف لما قاله المحافظ ابن حجر العسقلانى في الحديث الذى ادعى أنه ظهر له تخريج عمل المولد النبوى عليه وهو مثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرًا لله عز وجل فقال صل الله عليه وسلم فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم فصامه وأمر بصيامه فقد قال في فتاواه في عمل المولد بعد ذكره أن هذا الحديث يستفاد منه فعل الشكر لله على مامن به في يوم معين من أداء نعمة أو دفع نقمـة» قال «وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسيع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه مافيه».

(١) أى السيد رشيد رضا

وأما ما دعا به صاحب المقال المنشور في عدد مجلة المجتمع ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني عام ١٤٠٢هـ بقصد عده للمؤلفين في اباحة الاحتفال بالمولود النبوى ومؤلفاتهم من أن صاحب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ذكر في ص ٣١٩ أن الحافظ ابن كثير صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة منها «جامع الآثار في مولد النبي المختار» في ثلاث مجلدات واللله لغة الرائق في مولد خير الخلاق وهو مختصر وما دعا به من أن ابن فهد ذكر أن لابن كثير كتابا سماه مورد الصادى في مولد الهادى وقوله بأن الحافظ السخاوى «له كتاب في المولد يسمى «التبر المسبووك في ذيل السلوك» فكله غلط فاحش لا أساس له من الصحة . أما جامع الآثار في مولد النبي المختار و«اللله لغة الرائق في مولد خير الخلاق» فقد تتبعنا كشف الظنون للتأكد من كلامه فيما فوجدنا في حرف الجيم منه ص ٥٣٣ مانصه «جامع الآثار في مولد المختار» للحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقى المتوفى سنة ٨٤٢ اثنين وأربعين وثمانمائة وهو ثلاث مجلدات أوله «الحمد لله الذي أبدى عمداً صلى الله عليه وسلم أرذى العالمين» (الخ) ووجدنا في باب اللام منه ص ١٥٥٩ مانصه «اللله لغة الرائق في مولد خير الخلاق» كراسة مختصرة للحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقى المتوفى سنة ٨٤٢ اثنين وأربعين وثمانمائة ووجدنا في باب الميم منه ص ١٩١٠ مانصه «قد ذكر الحافظ السخاوى في الضوء الالامى جماعة من ألف في مولد النبي عليه الصلاة والسلام منهم الحافظ .. ابن ناصر الدين الدمشقى له فيه «جامع الآثار في مولد النبي المختار في ثلاث مجلدات و«مورد الصادى في مولد الهادى» في كراسة و«اللله لغة الرائق في مولد خير الخلاق» وهو أنصر من الذى قبله ١٠١هـ، ما قاله صاحب كشف الظنون في جامع الآثار في مولد المختار» واللله لغة الرائق في مولد خير الخلاق» ، وفي كلام ابن فهد والسخاوى والشوكانى ما يوافقه وأما «مورد الصادى في مولد الهادى» فدعوى كاتب ذلك المقال أن ابن فهد عزاه إلى ابن كثير لا أساس لها من الصحة أيضا فإنه إنما قال في لحظ الألحاظ بذليل طبقات الحفاظ» ص ٣٢١-٣٢٠ في ترجمة ابن ناصر الدين الدمشقى «صنف فمن ذلك المولد النبوى – هو جامع الآثار في مولد المختار – في ثلاثة أسفار و«توضيح المشتبه» وافتتاح القارى لصحى البخارى و«مورد الصادى في مولد الهادى» ومر في سرد مصنفاته إلى أن قال «اللله لغة الرائق في مولد خير الخلاق»، وبذلك الذى ذكره ابن فهد في «مورد الصادى» جزم السخاوى والشوكانى قال السخاوى في ترجمة ابن ناصر الدين من «الضوء الالامى لأعيان القرن التاسع» ج ٨

ص ١٠٤ «ومن تصانيفه – أى ابن ناصر الدين – طبقات شيوخه وجعلهم ثمان طبقات و«جامع الآثار في مولد المختار» ثلاثة أسفار و«مورد الصادى في مولد المادى» في كراسة و«اللطف الرائق في مولد خير الخلاائق» أخر من الذى قبله ١٥٠ هـ، وقال الشوكانى في الجزء الثانى من «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» ص ١٩٨ «صنف – أى ابن ناصر الدين – التصانيف منها طبقات شيوخه فجعلهم ثمان طبقات و«جامع الآثار في مولد المختار» في ثلاثة أسفار و«مورد الصادى في مولد المادى» في كراسة و«اللطف الرائق في مولد خير الخلاائق» في أقل من كراسة ١٥٠ هـ.

فتتبين بهذا كله أن قول صاحب ذلك المقال المنشور في «المجتمع» ذكر صاحب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون أن الحافظ ابن كثير قد صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة منها «جامع الآثار في مولد النبي المختار» في ثلاث مجلدات و«اللطف الرائق في مولد خير الخلاائق» وهو مختصر وقوله إن ابن فهد ذكر أن لابن كثير كتاباً يسمى «مورد الصادى في مولد المادى» ليس لهما أى مستند. ثم إن ما كتبه الحافظ ابن كثير في المولد النبوى في قسم السيرة النبوية من «البداية والنهاية» وفي سيرته المطولة وفي الفصول في اختصار سيرة الرسول وفي مصنفه المستقل في المولد النبوى بتحقيق صلاح الدين التجىوفي تهذيبه لما هذبه من مولد شيخه كمال الدين أبي المعال محمد بن علي الأنصارى وهو في قسم دلائل النبوة في الجزء السادس من «البداية والنهاية» لم يتعرض فيه للاحتفال بالمولد النبوى ولا للمنكريات التي أحدثت في العصور المتأخرة بمناسبة المولد فلايسعنا مادام الأمر كذلك أن نسلم دعوى كاتب ذلك المقال على ابن كثير^(١).

وأما قول صاحب المقال المنشور في المجتمع بان للسخاوي كتاباً في المولد يسمى «التبر المسبوك في ذيل السلوك» فغلط أيضاً فإن السخاوي قد ذكر في ترجمة أحد بن على المقرizi من «التبر المسبوك» ص ٢٣ «السلوك بمعرفة دول الملوك» من مؤلفات المقرizi ووصفه بأنه يشتمل على حوادث إلى وفاة المقرizi ثم قال «وكتابي هذا – أى التبر المسبوك – كما أشرت إليه ذيل عليه» وقال السخاوي في ترجمته لنفسه من «الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع» ج ٨ ص ١٧ بقصد سرد مؤلفاته «والتبر المسبوك في الذيل على تاريخ المقرizi السلوك يشتمل على حوادث

(١) فما أوهنه محمد بن علوى المالكى في رسالته في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ص ٣٨ من أن مولد الحافظ ابن كثير من جنس الموالد التي تعرضت للاحتفال بالمولد النبوى غير صحيح.

والوفيات من سنة خمس وأربعين إلى الآن في أربعة أسفار». فهذا ما أوضحه السخاوي نفسه وهو واضح الدلاله على أن موضوع كتاب «التب المسبوك في ذيل السلوك» ليس هو في المولد وإن كان قد اورد فيه أشياء لها صلة بالمولد.

ومما غلط فيه صاحب ذلك المقال قوله بقصد عده للمؤلفين في الاحتفال بالمولد النبوى (السيوطى ألف كتاباً في المولد النبوى سماه حسن المقصد في عمل المولد وكتابه «الحاوى للفتاوى» يبين في أحد فصول الكتاب حكم الاحتفال بالمولد النبوى ويرد فيه على من قال بان المولد بدعة مذمومة) غلط في ذلك حيث فرق بين «حسن المقصد في عمل المولد» للسيوطى وبين ماقى الحاوى للسيوطى عن المولد فإن كلام السيوطى في الحاوى عن المولد هو ماتنظمى عليه رسالته «حسن المقصد في عمل المولد» لاشيء آخر يحتوى عليه الحاوى وأما الاحتجاج للاحتفال بالمولد النبوى بأنه أمر استحسنه العلماء وجرى به العمل في كل صقع فالجواب عنه بما بينه الإمام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» ص ٢٩١ في كلامه على الموسام المبتدة من موالد وغيرها حيث قال (إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكرامتها وأنكرواها قوم كذلك وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل من فعلوها فليسو دونهم في الفضل ولو فرضا دونهم في الفضل فت تكون حيثئذ قد تنازع فيها أولو الأمر فترت إذن إلى الله والرسول وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لامع من رخص فيها ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرین مع هؤلاء التارکین المنکرین».

وهذا الجواب إنما هو عن الاحتفال بالمولد النبوى إذا سلم من المنكرات وسلامته من المنكرات معدومة منذ أحدث إلى عصرنا هذا كما بينه كثير من أهل العلم منهم في الزمن المتأخر صاحب الإبداع في مضار الابتداع وصاحب «حسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام» قال الاول ص ١٢٩ - ١٣٠ في كلامه على الموالد التي تقام في زمانه مانصه (لاشيه أنها لا تخلو من المحرمات والمكرورات وقد أصبحت مراتع للفسق والفحوج وأسواقاً تباع فيها الاعراض وتنتهك حرام الله تعالى وتعطل فيها بيوت العبادة فلا ريب في حرمتها). وقال الثاني وهو مفتى الديار المصرية سابقاً الشيخ محمد بخيت الطبعى في كتابه «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام ص ٥٢ قال: (وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين أي صاحب إربل في المولد النبوى جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه كله بالحل)» وقال أيضاً ص ٤٧ (قد استمر عمل الموالد إلى الآن غير أن

الناس تركوا بعض المولد الخامسة وزادوا موالد أخرى حتى كادت الموالد الآن لاتخفي وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونفصنوا أشياء وزادوا في أيامها» ١٠٥ هـ.

وأما الاحتجاج للاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى بان المولد ذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوى وهذه أمور مطلوبة شرعاً وممدودة وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالبحث عليها فالجواب عنه بأمور أحدها ما أوضحه السيد رشيد رضا في الجزء الخامس من «الفتاوى» وهو أن الابتداع فيما جمع من المولد بين تلك الأشياء وبين الخلط من المنكرات يرجع إلى ذلك الاجتماع المخصوص بتلك الهيئة المخصوصة في الوقت المخصوص وإلى اعتبار ذلك العمل من شعائر الإسلام التي لا تثبت إلا بنص الشارع بحيث يظن العوام والجاهلون بالسنن أن عمل المولد من أعمال القرب المطلوبة شرعاً. وعمل المولد بهذه القيد بدعة سيئة وجناية على دين الله تعالى وزيادة فيه تعد من شرع مالم يأذن به الله ومن الافتداء على الله والقول في دينه بغير علم كما ذكر في الجزء الأول من تاريخ الأستاذ محمد عبده بصدق بحثه في التصوف ص ١٢٤ أن من الفضلالات المتغلغلة في كتب الصوفية ما أحدهه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر المخالفة للسنة في ذاتها أو في كيفيةها ثم قال «ولا يخفى أنه ليس لأحد بعد زمن الوحي أن يجعل بعض العبادات التي لا أصل لها في الدين شعائر تؤدي بطرق مخصوصة في أزمنة مخصوصة بكيفية مخصوصة إذا لم يرد هذا التخصيص في السنة المتبعة مثال ذلك صلاة رجب «الرغائب» وشعبان اللتين نص الفقهاء على كونهما من البدع المذمومة وقس عليهما ما هو دون الصلاة من شعائرهم كالاجتماع لقراءة الأوراد والدلائل والأذكار بالكيفيات المخصوصة في الأيام المعلومة والموسم الموقته كالمولد وغيرها وما فيها من البدع والمنكرات الكثيرة ١٠٦ هـ.

قلت — القائل إسماعيل الأنصارى من المئات المبدعة لذكر الله تعالى في المولد بدعة «الصارى» وقد تناولها بالبحث السيد رشيد رضا والسيد حسين مخلوف وعلى محفوظ فقد قال السيد رشيد رضا في الجزء الثالث من فتاوىيه ص ١٠٢٣ في الجواب عن سؤال وجه إليه عن ابتداع الصارى الذى يذكر الله حوله أهل الطرق قال «لأنعرف من ابتدع نصب هذا العمود أو السارية ليجتمع الناس عندها في احتفالات هذه المولد ولا أعرف مثل هذا إلا في هذه البلاد ولا أدرى أيوجد فيما لا أعرفه من بلاد المسلمين الأخرى أم لا؟».

وقال الشيخ حسين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة العلماء

في كتابه «فتاوي شرعية وبحوث إسلامية» ج ١ ص ١٣٥ في الجواب عن سؤال وجه إليه — نصه «يقوم رجال من المنتسبين للصوفية بمراسيم في الموالد الكبيرة حول «الصارى» وهى أن يقف أربعة منهم كل واحد قبل الآخر مشيراً بذراعيه قابضاً باسطا عركاً جسمه يمنة ويسرة قائلاً يا الله يا الله بصوت مرتفع ثم يدور بعد ذلك طابوران يتقدمهم المنشد يصافح رجال كل طابور جميع من يقف في الحلقة يحدث ذلك ثلاث مرات فهل لذلك أصل في السنة أو في عمل السلف؟ قال في الجواب عنه مانصه؟ الجواب نحمد الله ونستغفره ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسبيئات اعمالنا وبعد فاعلم أنه لا أصل في الدين لذكر الله تعالى بهذه الهيئات المذكورة بالسؤال ولم يعرف عن السلف الصالح ولادعا إليه العارفون من أمية الصوفية بل هو من البدع السيئة التي استحدثها بعض أهل الطرق جهلاً بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكر ربه وهو من المحرم شرعاً إذا أدى التزام هذه الهيئات في الذكر إلى اعتقاد مشروعيتها وطلبتها ولو على سبيل الندب وقد استقر الآن في عقائد العامة من المداومة عليها ودعوة المشايخ إليها ودفعهم عنها واستمساكهم بها أنها من الدين بل ما لابد منه في الذكر ونيل الشواب والأجر وهذا ما يوجب التحرير ويقع في الإثم العظيم. والواجب على كل قادر من العلماء ومشايخ الطرق الصوفية أن ينهى عنها ويزجر من يأتي بها ويرشده إلى خطرها وإلى أن اقتران المعصية بالطاعة مؤثم ومحبط للثواب. أما الثواب الذي وعد الله به الذاكرين فإنما يكون من يذكره جل شأنه بخشوع القلب وخضوع الجوارح وحضور الفكر وشهاد جلال ذي الجلال لأ بهذه الهيئات والحركات التي أنكرها الراسخون في العلم من السادة الصوفية منذ ابتدعت هي وأمثالها كما يعلم من الاطلاع على كثير من كتبهم وإن مقام العبودية هو المقام الأسمى الذي وصف الله تعالى به عباده المصطفين الأخيار وخاطبهم به وشرفهم بنسبته في كثير من آيات القرآن الكريم ووصف به عباده الطائعين وعباده المختفين ولا يمكن التتحقق بهذا المقام إلا إذا وقف العبد بين يدي مولاه يذكره ويناجيه ويدعوه ويتهل إليه بما شرعه سبحانه في عبادته وأرشد إليه على لسان رسle وهو الذي درج عليه القدوة من سلف الأمة وصلحائتها وخروج العبد عن هذا المنهج والابتداع فيه من وسوسه الشيطان التي يبغى له بها الخذلان ويرديه بها في حمأة العصيان ومن العجب أن يسكت بعض المنتسبين للعلم عن إنكار هذه البدع وما إليها من الشعوذة والتدرجيل الذي اعتاده بعضهم يشهدونها ويقرؤونهم عليها ومجاورونهم في فعلها ويقاومون المنكرين لها الذاكرين عن حمى الدين والداعين إلى سبيل رب العالمين وهدى إمام العابدين نسأل الله أن يهديهم سواء السبيل ١٠٥ هـ.

وقال الأستاذ الشيخ على محفوظ في (الابداع في مضار الابداع) ص ١٨٢-١٨٣ في الكلام على بدع أهل الطرق قال «ومن بدعهم ما يصنونه في الموالد المسماى عندهم بركرة الخليفة وما يقع منهم حول «الصارى» من وقوفهم حلقة ويقولون كلاما بأصوات مرتفعة لا يعرفه الا من سأله عنده لعدم بيان حروفه ويسموه سلفية او بنيا او غير ذلك ثم يقف بعضهم في مقابلة بعض ويقولون يا الله يا الله برفع أصواتهم مع صعود أيديهم وهبوطها ثم يعودون للحالة الأولى وهكذا إلى ثلاث مرات ثم بعد ذلك يدور بعضهم واضعين أيديهم على مناكب بعض ويدكرون بأذكارهم المعلومة دائرين في وسط الحلقة يصافحون أهلها وهكذا مرة بعد أخرى ويسموه بالسلام كما هو مشاهد منهم في نحو مولد سيدى أحمد البدوى فكل هذا لا يخلو من محرم كما هو مشاهد عند ركبة الخليفة وعلى فرض خلوها من المحرم فهى أمور مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم على من يرفع صوته بالذكر فقال «اربعوا على انفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سمعياً قريباً وهو معكم» رواه البخارى اربعوا بكسر الممزة وفتح المودة أى ارقووا على انفسكم وأمسكوا عن الجهر. وإذا كان هذا حال رفع الصوت بالذكر وحده فما بالك به مع العبث بالأيدي وسنة المصادفة إنما تكون للمتلاقين لا للحاضرين والواجب تسمية ما ذكر خلفية لاسلفية إذ السلف براء منها».

الثاني ما ذكره الشاطئي في فصل عقده في «الاعتصام» ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٢ للتحذير من تحريف الأدلة عن مواضعها وهو أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمرا في الجملة مما يتعلق بالعبادات مثلا فأنتي به المكلف في الجملة أيضا كذكر الله والدعاء والنواول المستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسيعة كان الدليل عاصداً لعمله من جهتين: من جهة معناه ومن جهة عمل السلف الصالح به فإن أنتي المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص أو مقارناً بعادة مخصوصة والتزم بذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكان مقصود شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه كان الدليل بعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه فإذا ندب الشارع مثلا إلى ذكر الله فالزعم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم بل فيه ما يدل على خلافه لأن التزام الأمور غير الازمة شرعاً شأنه أن يفهم التشريع وخصوصاً مع من يقتدى به في المجامع كالمساجد فإنها إذا أظهرت هذا الظهور ووضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله صلى الله

عليه وسلم في المساجد وماأشبهها كالأذان وصلة العيدین والاستسقاء والكسوف فهم منها بلاشك أنها سنن إذا لم تفهم منها الفرضية فأحرى أن لايتناوها الدليل المستدل به فصارت من هذه الجهة بداعاً محدثة بذلك وعلى ذلك ترك التزام السلف الصالح لتلك الأشياء أو عدم العمل بها وهم كانوا أحق بها وأهلها لو كانت مشروعة على مقتضى القواعد لأن الذكر قد ندب إليه الشرع ندباً في مواضع كثيرة - حتى إنه لم يطلب في تكثير عبادة من العبادات ما طلب من التكثير من الذكر كقوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذَكْرًا كَثِيرًا» الآية وقوله «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ» بخلاف سائر العبادات. ومثل هذا الدعاء فإنه ذكر الله ومع ذلك فلم يلتزموا فيه كيفيات ولاقيدوه بأوقات مخصوصة بحيث تشعر باختصاص التبعد بتلك الأوقات إلا ماعينه الدليل كالغداة والعشى ولا ظهروا إلا ما نص الشارع على إظهاره كالذكر في العيدین وشبهه. وماسوی ذلك فكانوا مثابرین على إخفائه وسره ولذلك قال لهم حين رفعوا أصواتهم «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً» وأشباهه ولم يظهوه في الجماعات فكل من خالف هذا الأصل فقد خالف اطلاق الدليل لأنه قيد فيه بالرأي وخالف من كان أعرف منه بالشريعة وهم السلف الصالح رضي الله عنهم بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك العمل وهو يحب أن يعمل به خوفاً أن يعمل به الناس فيفرض عليهم وفي فصل من المواقفات جلة من هذا وهو مزلة قدم فقد يتوهם أن إطلاق اللفظ يشعر بجواز كل ما يمكن في مدلوله وقوعاً وليس خصوصاً في العبادات فإنها حمولة على التبعد على حسب ماتلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح كالصلوات حين وضعت بعيدة عن مدارك العقول في أركانها وترتيبها وأزمانها وكيفياتها ومقاديرها وسائل ما كان مثلها حسبما يذكر في باب الصالح المرسلة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فلا يدخل العبادات الرأي والاستحسان هكذا مطلقاً لأنه كالمนา في لوضعها وأن العقول لا تدرك معانيها على التفصيل وكذلك حافظ العلماء على ترك إجراء القياس فيها كمالك بن أنس رضي الله عنه فإنه حافظ على ترك الرأي جداً ولم يعمل فيها من أنواع القياس الا قياس نفي الفارق حيث اضطر إلى ذلك غيره من العلماء وإن تفاوتوا فهم محافظون جميعاً في العبادات على الاتباع لنصوصها ومنقولاتها بخلاف غيرها فبحسبها لا مطلقاً فإن الإنسان قد أمر بذلك في الجملة مثلاً فالمخصص كالخالف لمفهوم التوسعة وإن لم يفهم من ذلك توسيعة فلابد من الرجوع إلى أصل الوقف مع المنقول لأننا إن خرجنا عنه شككنا في كون العبادة على ذلك الوجه

مشروعة على الطريقتين المنبه عليهما في كتاب المواقف فيتعمّن الرجوع إلى المنسوق
وقوافاً معه من غير زيادة ولا نقصان ثم إذا فهمنا التوسيعة فلا بد من اعتبار أمر آخر وهو
أن يكون العمل بحيث لا يوهم التخصيص زماناً دون غيره أو مكاناً دون غيره أو
كيفية دون غيرها أو يوهم انتقال الحكم من الاستحباب مثلاً إلى السنة أو الفرض
لأنه قد يكون الدوام على كيفية ماضي مجتمع الناس أو مساجد الجماعات أو نحو ذلك
موهها لكونه سنة أو فرضاً بل هو كذلك ١٥٠هـ.

الثالث أن نفس نية المولد في ذلك العمل بدعة كما بينه ابن الحاج في الجزء
الثاني من «المدخل» ص ١١-١٢ وعلله بقوله «إذ إن ذلك — أي نية المولد —
زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب من
أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه لأنهم أشد الناس اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم وتعظيمياً له ولستته صلى الله عليه وسلم ولم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك
 ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد وهو تبع فيسعنا ما وسعهم وقد علم أن
 اتباعهم في المصادر والموارد كما قال الشيخ الإمام أبو طالب المكي رحمة الله تعالى في
 كتابه وقد جاء في الخبر «لاتقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً
 وقد وقع ماقاله عليه الصلاة والسلام بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتي بعد لأنهم
 يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصراً بخيل فإنما الله وإنما إليه
 راجعون وقال أيضاً وقد قال بعض الأدباء كلاماً منظوماً في وصف زماننا هذا كأنه
 شاهده.

والمنكرون لكل أمر منكر
بعضاً ليدفع معور عن معور
في صورة الرجل السميع البصر
 فإذا أصيب بيديه لم يشعر
من يسع في علم بل يظفر

ذهب الرجال المقتدى بفعاليهم
وبقيت في خلف يزكي بعضهم
أبني إن من الرجال بهيمة
فطن بكل مصيبة في ماله
فسل الفقيه تكن فقيها مثله

وذكر ابن الحاج فيمن اقتصر في عمل المولد على اطعام الاخوان ليس الا نوبي
 بذلك المولد أن نيته تلك بدعة وقال فيمن يتورع عما يشتغل به قراء زمانه وقراءه من
 أعمال لا تليق في الذكر فيعمل المولد عوضاً عن ذلك بقراءة البخاري قال ص ٢٦
 (هذا — أي قراءة البخاري عوضاً عن تلك الأعمال بنية المولد — وإن كانت قراءة
 الحديث في نفسها من أكبر القرب والعبادات وفيها البركة العظيمة والخير الكثير لكن

إذا فعل ذلك بشرطه اللائق به على الوجه الشرعي كما ينبغي لابنية المولد الاترى أن الصلاة من أعظم القرب إلى الله تعالى ومع ذلك فلو فعلها إنسان في غير الوقت الم مشروع لها لكان مذموماً مخالفًا فإذا كانت الصلاة بهذه المثابة فما بالك بغيرها) ١٠١ هـ.

وأما الاعتماد على دعوى تلقى أوامر نبوية في المنام بالاحتفال بالمولد النبوى فلا يعتبر لأن الرؤيا في المنام لا تثبت بها سنة لم تثبت ولا تبطل بها سنة ثبتت كما بينه أهل العلم.

فقد قال الإمام النووي في شرح قول مسلم في الكشف عن معایب رواة الحديث من صحیحه ج ١ ص ١١٥ «حدثنا سوید بن سعید حدثنا علی بن مسهر قال سمعت أنا وحزة الزیارات من أبیان بن أبی عیاش نحوأ من ألف حديث قال علی فلقيت حزة فأخبرنی أنه رأى النبي صلی الله علیه وسلم في المنام فعرض عليه ما سمع من أبیان فما عرف منها إلا شيئاً يسيراً خمسة أو ستة» قال النووي في شرحه لذلك مانصه «قال القاضی عیاض رحمه الله هذا ومثله استینان واستظهار على ما تقرر من ضعف أبیان لا أنه يقطع بأمر المنام ولا أنه تبطل بسببه سنة ثبتت ولا تثبت به سنة لم تثبت. وهذا باجماع العلماء. هذا كلام القاضی وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع قال «وليس هذا الذي ذكرناه مخالفًا لقوله صلی الله علیه وسلم «من رأى في المنام فقد رأى»» فإن معنى الحديث أن رؤيته صحیحة وليس من أضغاث الأحلام وتلبیس الشیطان ولكن لا يجوز إثبات حکم شرعی به لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد انفقوا على أن من شرط من تقبل روایته وشهادته أن يكون متيقطاً لا مغفلًا ولا سبیلاً للحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختلط الضبط والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روایته لاختلال ضبطه. هذا كله في منام يتعلق بإثبات حکم على خلاف ما يحكى به الولاة. أما إذا رأى النبي صلی الله علیه وسلم يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أو ينهى عن منهی عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلخلاف في استحباب العمل على وفقه لأن ذلك ليس حکماً مجرد المنام بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء والله أعلم»

وقال في أوائل تهذیب الأسماء واللغات ج ١ ص ٤٣ ط المطبعة المنیریة في کلامه على خصائص النبي صلی الله علیه وسلم (ومنه) – أي ما اختص به نبینا صلی الله علیه وسلم – أن من رأه في المنام فقد رأه حقاً فإن الشیطان لا يتمثل

بصوريه ولكن لايعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام فيما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقر في الشرع لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤيا لأن الخبر لا يقبل الا من ضابط مكلف والنائم بخلافه انتهى كلام التووى في «تهذيب الاسماء واللغات»:

وقال ابن الحاج في الجزء الرابع من «المدخل» ص ٣٠٢-٣٠٤ «ليحذر ما يقع لبعض الناس في هذا الزمان وهو أن من يرى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فيأمره بشيء أو ينهاه عن شيء ينتبه من نومه فيقدم على فعله أو تركه بمجرد النام دون أن يعرضه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قواعد السلف رضي الله عنهم قال تعالى في كتابه العزيز «إِن تنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» ومعنى قوله «فردوه إلى الله» أي إلى كتاب الله تعالى ومعنى قوله «والرسول» أي إلى الرسول في حياته وإلى سنته بعد وفاته على ما قاله العلماء رحمة الله عليهم وإن كانت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حقاً لاشك فيها لقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى في المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي» على اختلاف الروايات لكن لم يكلف الله تعالى عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم قال عليه الصلاة والسلام «رفع القلم عن ثلاثة» وعد منهم «النائم حتى يستيقظ ، لأنه إذا كان نائماً فليس من أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في نومه. هذا وجه وجہ ثان وهو أن العلم والرواية لا يوحذان إلا من متيقظ حاضر العقل والنائم ليس كذلك. وجہ ثالث وهو أن العمل بالمنام مخالف لقول صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلم حيث قال «تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي».. فجعل عليه الصلاة والسلام النجاة من الضلال في التمسك بهذين الثقلين فقط لثالثهما. ومن اعتمد على ما يراه في نومه فقد زادهما ثالثاً فعلى هذا من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأمره بشيء أو ينهاه عن شيء فيتعين عليه عرض ذلك على الكتاب والسنة إذ إنه عليه الصلاة والسلام إنما كلف أمته باتباعهما وقد قال عليه الصلاة والسلام «ألا فليبلغ الشاهد الغائب» الحديث وروى أبو داود في سننه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «تسمعون ويسمع منكم ويسمع من يسمع منكم» ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «صلوا كما رأيتموني أصلني» قوله عليه الصلاة والسلام «خذلوا عنى مناسككم» إلى غير ذلك فإذا عرضها على شريعته عليه الصلاة والسلام فإن وافقتها علم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق وتبقى الرؤيا تأنيساً له وإن خالفتها علم أن الرؤيا حق وأن الكلام الذي وقع له فيها القاه الشيطان له في ذهنه والنفس الأمارة لأنهما يوسسان له في حال يقظته فكيف في حال نومه

ولأجل هذا المعنى قال علماؤنا رحمة الله عليهم على ما سمعت سيدى أبا محمد رحمة الله يقول غير مامرة نقلًا عن العلماء إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا رؤى في المنام فأمر بشيء أو نهى عن شيء فالواجب فيه أن تعرّض — أي الرؤيا — على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فإن وافقت علم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق وتكون الرؤيا تأنيساً للرائي وبشارة له. وإن خالفت علم أن الرؤيا حق وأن الشيطان أوصل إلى سمع الرائي غير ماتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان المنام مما يتبعده به لبينه النبي صلى الله عليه وسلم أو نبه عليه أو أشار إليه ولو مرة واحدة كما فعل في غيره. وقد نقل الشيخ أبو زكريا يحيى التوسي رحمة الله في أوائل كتاب تهذيب الأسماء واللغات في أثناء الكلام على خصائصه عليه الصلاة والسلام قال «منه أي مachsen به صلى الله عليه وسلم أن من رأه في المنام فقد رأه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل في صورته. ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام مما يتعلق بالأحكام خلاف ما استقر في الشرع لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤيا لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه وعلى هذا فمن رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وخطبه وكلمه ووصل إلى ذهن الرائي لفظ أو الفاظ من العوائد التي هي واقعة في زمن الرائي أو قبله وتكون مخالفة لشريعته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز له ولا لغيره التدين بها ولا أن يعتقد أن ما وصل إلى ذهنه في منامه مما خالف الشريعة المطهرة أنه صحيح لأن تزييه النبي صلى الله عليه وسلم عن نسبة ذلك وما شاكله إليه واجب متعين إذ إن العصمة في رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام ليس إلا دون ما يكون من الزيادة والنقصان سيما وقد نقل القرافي في كتاب الذخيرة له قال: قال العلماء لاتصح رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم من السمع ما يحصل للرائي له عليه الصلاة والسلام من الرؤيا حتى لا يتبين عليه مثاله من كونه أسود أو أبيض أو شيخاً أو شاباً إلى غير ذلك من صفات الرائي التي تظهر فيه كما تظهر في المرأة أحوال الرائين وتلك الأحوال صفة الرائين لاصفة المرأة فإذا كانت رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام التي ضمن فيها عدم تلبيس الشيطان على الرائي إذا رأها على غير ماهي عليه كان ذلك راجعاً إلى صفة الرائي وحاله والجناب الكريم منزه عن ذلك وأشباهه فما بالك بسماع الكلام الذي لم تضمن العصمة فيه للرائي فإن قال قائل: إن رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام قد ضمنت العصمة فيها للرائي فيقاس عليها سمع الكلام فالجواب ما قد علم من القواعد المقررة في الشرع الشريف أن

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ويوسوس له في جميع أحواله في اليقظة والمنام فجاء النص في عصمه إذا رأى الرائي صورته عليه الصلاة والسلام في منامه وبقي ماعدا ذلك على الأصل لا يؤمن فيه تلبيس الشيطان على الرائي» ٢٠١ هـ، كلام ابن الحاج في «المدخل» وقال الإمام الشاطبى في الجزء الأول من «الاعتراض» ص ٢٠٩ في عمل بعض المتصوفة بما يدعى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره به في المنام أو تركه لما يدعى أنه صلى الله عليه وسلم أمره في المنام بتركه معرضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة قال «هو أى العمل بذلك أو الترك به فيما يخالف الشريعة — خطأ — لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال إلا أن تعرض على مافي أيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضها ولا وجب تركها والاعراض عنها وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحكام فلا..» ومر إلى أن قال ص ٢١٢—٢١١ «وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الرائي بالحكم فلابد من النظر فيها أيضا لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشرعيته فالحكم بما استقر. وإن أخبر بمخالف فمحال لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي التومية لأن ذلك باطل بالاجاع فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه وعند ذلك نقول إن رؤياه غير صحيحة إذ لو رأه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع لكن يبقى النظر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم «من رأى في المنام فقد رآني» وفيه تأويلان أحدهما ما ذكره ابن رشد إذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تحكم بهذه الشهادة فإنها باطلة فأجاب بأنه لا يحيل له أن يترك العمل بتلك الشهادة لأن ذلك إبطال لأحكام الشريعة بالرؤيا وذلك باطل لا يصح أن يعتقد إذ لا يعلم الغيب من ناحيتها إلا الأنبياء الذين رؤياهم وحي. ومن سواهم إنما رؤياهم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ثم قال وليس معنى قوله «من رأى فقد رآني حقاً» أن كل من رأى في منامه أنه رأه فقد رأه حقيقة بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة ويراه الرائي على صفة وغيره على صفة أخرى ولا يجوز أن تختلف صور النبي صلى الله عليه وسلم ولا صفاته وإنما معنى الحديث من رأى على صورتي التي خلقت عليها فقد رأني إذ لا يتمثل الشيطان بي إذ لم يقل من رأى أنه رأى فقد رأى وإنما قال «من رأى فقد رأني» وأنى لهذا الرائي الذي رأى أنه رأه على صورته أنه رأه عليها وإن ظن أنه رأه مالم يعلم أن تلك الصورة صورته بعينها وهذا مala

طريق لأحد إلى معرفته.

فهذا مانقل عن ابن رشد وحاصله يرجع إلى أن المرئي قد يكون غير النبي صلى الله عليه وسلم وإن اعتقد الرائي أنه هو والتأنيل الثاني يقوله علماء التعبير أن الشيطان قد يأتي النائم في صورة مامن معارف الرائي وغيرهم فيشير له إلى رجل آخر: هذا فلان النبي وهذا الملك الفلانى أو من أشبه هؤلاء من لايتمثل الشيطان به فيوقع اللبس على الرائي بذلك قوله علامة عندهم. وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه المشار إليه بالأمر والنهاي غير المافقين للشرع فيظن الرائي أنه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ولايكون كذلك فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى وما أخرى هذا الضرب أن يكون الأمر أو النهاي فيه مخالفًا لكمال الأول حقيق بأن يكون فيه موافقاً وعند ذلك لايبقى في المسألة إشكال. نعم لايمکم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم لامكان اختلاط أحد — القسمين بالآخر. وعلى الجملة فلايستدل بالرؤيا في الأحكام الا ضعيف المنة. نعم يأتي المرئي تأنيسا وبشارة ونذارة خاصة بحيث لايقطعون بمقتضاهما حكما ولايتبون عليها أصلا وهو الاعتدال فيأخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم»، وذكر أيضاً في الجزء الثاني من «المواقفات في أصول الشريعة» ص ٢٦٦ في كلامه على الرؤيا وماأشبهها من الخوارق ان الرؤيا والخوارق «لايصح أن تراعي وتعتبر الإبشرط أن لا تخترم حكما شرعا ولا قاعدة دينية قال فإن مايخترم قاعدة شرعية أو حكما شرعيا ليس بحق في نفسه بل هو إما خيال أو وهم وإنما من إلقاء الشيطان وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه وجميع ذلك لايصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عام لأشخاص وأصله لاينخرم ولاينعكس له اطراد ولايحيى من الدخول تحت حكمه مكلف وإذا كان كذلك فكل ماجاء من هذا القبيل الذي نحن بصدده مضاداً لما تهدى في الشريعة فهو فاسد باطل. ومن أمثلة ذلك مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر. فرأى الحاكم في منامه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له لا تحكم بهذه الشهادة فانها باطلة فمثل هذا من الرؤيا لايعتبر به في أمر ولانهى ولابشارة ولانذارة لأنها تخزم قاعدة من قواعد الشريعة».

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية» ج ١ ص ٩٤ تعليقاً على ماذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وهابيل واستحلف هابيل أن هذا — أى الدم الموجود بالمكان الذى

يقال — بأنه هو الذى قتل فيه قابيل أخاه هابيل المسمى بمقارة الدم بدمشق — دمه — أى هابيل — فلحل له وذكر أنه سأله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فأجابه إلى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خيس» قال ابن كثير تعليقاً على ذلك مانصه «هذا منام لو صح عن أَحْمَدَ بْنَ كَثِيرَ هَذَا لَمْ يَتَرَبَّ عَلَيْهِ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ».

وقال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الخنبلي في «الآداب الشرعية والمنج الموعية ج ٣ ص ٤٥٤^(١)» (قد تكلم العلماء فيما إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره في منامه أو نهاء، وتلخيصه أنه لا يغير ماتقرر في اليقظة شرعاً إجماعاً نظراً إلى ترجيح الدليلين. وأما ماليس فيه أمر ولا نهى عنه عليه الصلاة والسلام في اليقظة فهل يلزم العمل به قال القاضي عياض في أواخر مقدمة مسلم عن قول حزرة الزيارات إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فعرض عليه ما سمعه من أَبَانَ يعني ابن عياش فما عرف منه الا شيئاً يسيراً قال: وهذا ومثله استثناس واستظهار على ماتقرر من ضعف أَبَانَ لا أنه يقطع بأمر المنام ولا أنه تبطل بسببه سنة ثبتت ولا ثبتت به سنة لم تثبت . وهذا باجماع العلماء انتهى كلامه قال أبو زكرياء النواوى وكذا قال غيره من أصحابنا فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ماتقرر في الشيع ولا يخالف هذا قوله صلى الله عليه وسلم «من رأى في المنام فقد رأى» فإن معنى الحديث أن رؤياه صحيحة وليس من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان ولكن لا يجوز ثبات حكم شرعى بها لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل شهادته وروايته أن يكون متيقظاً لامفلاً ولا يسيئ الحفظ ولا يكتب الخطأ ولا يختلط الضبط والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، أما إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بفعل مندوب إليه أو ينهاه عن منهي عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء انتهى كلامه وهذا كله معنى كلام الشيخ تقى الدين بن تيمية» هـ . كلام ابن مفلح.

وقال الحافظ العراقي في كتابه «الباعث على الخلاص من حوادث القصاص» في كلامه على دعاوى المتصرف المنحرفة «يدعى بعضهم أن النبي صلى الله

(١) طبعة مطبعة المنار بمصر.

عليه وسلم أذن له أن يتكلّم على الناس ويجزم بأنه حق والنبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بما نهى هو عنه ويعلم بهذا أن هذه المرئيات ليست بحق والرأي ليس من أهل التكليف في حال نومه ومثل هذا شيء بما بلغنا عن القاضي الحسين من كبار الشافعية أنه أتاه سائل فقال له رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الثلاثاء من شعبان وقال: غدا من رمضان ولم يكن الملال رئي فقال له القاضي الحسين إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في اليقظة «لاتصوموا حتى تروا الملال» فلانتصوم حتى نراه. وكثير من الناس يفتر بالمنامات وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة. فإذا كانت الرؤيا مختلفة لما أمر به أو نهى عنه أو لما كان معهودا في زمانه استدللنا بذلك على أن الرؤيا فيها اختلال وأنها تخيل قال الإمام أبو عبد الله المازري انه لو رأه يأمر بقتل من يحرم قته ، كان هذا من الصفات المتخيّلة لا المرئية انتهى وأيضاً فلابد من اشتراط كون الرائي له من أهل الدين والعدالة ليميز بين الحق والباطل فلو كان غير ثقة أو مجھول الحال لم ثق بقوله فإنه لو روى حديثا في اليقظة من غير نوم لا يقبل قوله في هذه الحالة فكيف يقبل مع عدم الثقة به وانضم إلى ذلك أنه ليس من أهل التكليف في حالة نومه فلا يجب حينئذ عليه ما دعى أنه أمره به ولا يحرم عليه ما أحل له لكن إذا وافق ذلك شريعته المقررة فيستحب حينئذ الاتيان بما أمره به والانتهاء عما نهى عنه إن كان منها عنه في شريعته والاعتماد على كونه مشروعًا ويتأكد ذلك بالرؤيا إذا كانت من أهل الصدق والامانة والتقوى والخوف من الله تعالى والا فقد كذب جماعة من الضعفاء عليه في أحاديث موضوعة واعترف بعضهم بوضعيتها وهو أشد من الكذب عليه في المنام لأن الكذب عليه في اليقظة مختلف في الكفر به. فذهب الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين إلى التكفير به لقوله صلى الله عليه وسلم «إن كذبا علي ليس كذب على أحد فمن كذب علي متعمداً فليتبواً مقعده من النار» اتفق على إخراجـه البخاري ومسلم ولو قال قائل بعموم الحديث في الكذب عليه ولو في المنام لم يكن بعيداً وربما ظن الذى يزعم أنه رأى ذلك أن فيه تقوية لاعتقاد المريدين فيستحسنـه فيكون مستحلا له فيقع في الكفر وقد تعرض لذلك الإمام العلامـة أبو حيـان محمد بن يوسف الأندلسـي في تفسيرـه المسمـى بالبحر المحيـط في سورة الأعرافـ فقال «وقد ظهرـ في هذا الزمانـ العجيبـ ناسـ يتسمـونـ بالمشـايـخـ يلبـسـونـ ثيـابـ شهرـةـ عندـ العـامةـ بالـصـلاحـ ويتـركـونـ الاـكتـسابـ ويرـتـبونـ لهمـ أذـ كـارـاـ لمـ تـردـ فيـ الشـرـيـعـةـ يـجـهـرونـ بهاـ

في المساجد ويجمعون لهم خداماً يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم وتنشأ أموالهم وينذرون عنهم كرامات ويرون لهم منامات يدونونها فيأسفار، ويحضرون على ترك العلم والاشغال بالسنة ويرون أن الوصول إلى الله تعالى بأمر يقررونها من خلوات وأذكار لم يأت بها كتاب منزل ولانبي مرسلاً ويتغاضون على الناس بالانفراد على سجادة ونصب أيديهم للتبليل وقلة الكلام واطلاق الرأس وتعيين خادم يقول: الشيخ مشغول في الخلوة. رسم الشيخ: قال الشيخ رأى الشيخ الشيخ نظر اليك. الشيخ كان البارحة يذكرك إلى نحو هذا اللفظ الذي يخشنون به على العامة ويجلبون به عقول الجهلة. هذا إن سلم الشيخ وخدمه من الاعتقاد الذي غالب الآن على متصوفة هذا الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة فإذا ذاك يكون منسلحاً — عن شريعة الإسلام بالكلية قال: والعجب مثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرواتب وتبني لهم الربط وتتوقف عليهم الأوقاف ويخدمهم الناس مع عروهم عنسائر الفضائل ولكن الناس أقرب إلى أشباههم منهم إلى غير أشباههم قال وقد أطلنا في هذا رجاءً أن يقف عليه مسلم فينتفع به. وقال الإمام أبو حيان في تفسيره في سورة «الأنعام» لقد يظهر من هؤلاء النسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم بذلك يذكرون ذلك على المنابر ولا ينكرون عليهم أحد. هذا مع خلوهم عن جميع العلوم يدعون علم الغيب وقد كثرت بديار مصر هذه الخرافات وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيخوخ ثم أنشد خمسة أبيات من قصيدة له وهي:

وأعيادهم طلاب العلم
لم يكن للخليل لا والكليم
أبصر اللوح مابه من رقوم
ودرى ما يكون قبل المجموع
أنا صدقـت بافتراء عظيم

عجزوا عن مدارك العقل والنفل
فارتقوا يدعون أمراً عظيماً
بينما المرء منهم في انسفال
فجنـى العلم منه غضاً طرياً
إن عـقـلـ لـفـىـ عـقـالـ إـذـ ما

انتهى كلام الحافظ العراقي في الباعث على الخلاص من حوادث القصاص.
وقال الحافظ أبو زرعة العراقي في «طرح التثريب في شرح التقريب» ج ٨ ص ٢١٥ في شرح حديث «رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، مانصه (لو أخبر صادق عن النبي صل الله عليه وسلم في النوم بحكم شرعى مخالف لما تقرر في الشريعة لم نعتمد وذكر بعضهم أن سبب ذلك نقص الرأى لعدم

ضبطه وقد حكى عن القاضى حسين أن شخصا قال له ليلة شك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي صم غدا أو نحو ذلك فقال له القاضى قد قال لنا في اليقظة لا تصوموا غدا فنحن نعتمد ذلك أو ما هذا معناه وحكى القاضى عياض الاجاع على عدم اعتماد المنام في ذلك وقال شيخنا الإمام جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى ورأيت في مجموع عتقة منسوب لابن الصلاح عن كتاب آداب الجدل للأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني حكاية وجهين في وجوب امثال الأوامر المحكمة عنه — أى عن النبي صلى الله عليه وسلم — في المنام قلت — القائل أبو زرعة العراقي — ولاشك في أن معلهما مالم يخالف شرعا مقررا أى اذا خالف شرعا مقررا يرفض بخلاف.

وقال السخاوى في «فتح المغيث» شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث ج ٣ ص ٨٩ في تعريف الصحبة مانصه «لا يدخل — أى في الصحبة — من رأه في المنام — أى فلا يعتبر صحابيا — كما جزم به البلقينى ثم شيخنا وإن كان قد رأه حقا فذلك فيما يرجع إلى الأمور عنوية لا الأحكام الدنيوية حتى لا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة».

وقال الشيخ ملا على قارى في الجزء الخامس من «مرقة المفاتيح» شرح مشكاة المصايح» ص ١٨٤ مانصه (لا يخفى أن مبني الاعتقاد لا يكون إلا على الأدلة اليقينية» قال «ولهذا لم يعتبر أحد من الفقهاء جواز العمل في الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية من الأمور الكشفية أو من الحالات المنامية ولو كانت منسوبة إلى الحضرة النبوية على أصحابها أفضل الصلاة وأكمل التحية».

وأما الإستدلال للاحتفال بالمولود النبوى بأن السيوطى نقل عن الكمال الأدفوى أنه قال في (الطالع السعيد) الجامع لأسماء نجباء الصعيد «حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبو الطيب محمد بن ابراهيم السبti المالكى نزيل قوص كان يجوز بالمكتب في اليوم الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيقول ياققى هذا يوم سرور إصرف الصبيان فيصرفنا. ثم قال: أبو الطيب فقيه مالكى متورع أخذ عنه أبو حيان وغيره فالجواب عنه بأمور يتعلق بعضها بذلك المرجع «الطالع السعيد» وبعضها بالاحتجاج بكون السبti شيخ أبي حيان وبعضها بكلام السبti الذي استدل به السيوطى ومن هذا حذوه في الدعوة إلى الاحتفال بالمولود وبعضها. بإيراد السيوطى تلك القصة في «حسن المقصد في عمل المولد هل يقتضى قبوها أم لا وبعضها بتصرف السيوطى في «الطالع السعيد» فأقول وبالله التوفيق.

أما «الطالع السعيد» فقد انحرف فيه مؤلفه الأدفوى انحرافاً يوجب عدم الاعتماد عليه وذلك في أمور نذكر منها ما يلى:

١ - قال في ترجمة ابراهيم بن علي الأندلسى ثم القنائى بعد أن وصفه بأنه من المشهورين بالكرامات والماكاشفات قال فيه وفي زوجته ص ٦٠ (يقال إنه جرب من وقف بين قبريهما ودعا وسأل حاجة تقضى).

٢ - قال في ترجمة جبريل بن عبد الرحمن الأقصري بعد أن وصفه بأنه مشهور بالكرامات معروفة بالماكاشفات قال ص ١٧٧ حكى لي بعض العدول بالأقصر أنه زار قبره فوجد عنده أوساخاً وقمامات قال فقلت ما هذا يا سيدي ماينبغى أن يكون ذلك عند قبرك ثم عدت إلى زيارته ثانى يوم فوجدت المكان مكتوباً مرسوشاً نظيفاً وذكر لي جماعة أن الشيخ أبا الحجاج كان يكثر زيارة قبره ويدعوه عنده ثم قال الأدفوى زرت قبره ووجدت عنده انشراحًا».

٣ - قال في ترجمة عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائى ص ٢٩٩ - ٣٠٠ حكى لي الشيخ الصالح الفاضل الثقة العدل ضياء الدين منتظر بن الحسن خطيب أدفو عن الشيخ العالم العارف كمال الدين على بن محمد بن عبد الظاهر نزيل أخيه وحكى لي أيضاً ابنه الشيخ العارف أبو العباس بن الشيخ كمال الدين المشار إليه أنهما سمعاً الشيخ كمال الدين يقول زرت جبانة قتا وجلست عند سيدي الشيخ عبد الرحيم وإذا يد خرجت لي من قبره وصاحتني قال وقال لي يابنى لاتعصى الله طرفة عين فإني في أعلى عليين وأنا أقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وأهل بلاده متفقون على تجربة الدعاء عند قبره يوم الأربعاء يمشي الإنسان حافية مكشف الرأس وقت الظهر ويدعو بالدعاء الذي سندكره ويدعون أنه ما حصلت لانسان ضائقه وفعل ذلك الا وفرج الله عنه وهم يرروننه عن الشيخ أبي عبد الله القرشي وقالوا قال القرشي من فعل ذلك ودعا ولم تقض حاجته فليس القرشي قال يصلى ركعتين ويقرأ شيئاً من القرآن ويقول لله إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبأبينا آدم وأمنا حواء وما بينهما من الأنبياء والمرسلين وبعده عبد الرحيم اقض حاجتي ويدرك حاجته^(١) حكى لي الشيخ محمد بن حسن القزويني المحتد قال

(١) تسلیم الأدفوی أن قضاء حاجة الداعی بذلك الدعاء كان نتيجة توسّله بعد الرحیم دون غيره من جاء في ذلك الدعاء التوسّل بهم من الأنبياء والمرسلين من آدم إلى خاتم الأنبياء يقتضی أن التوسّل بعد الرحیم بن احمد بن حجون القنائی عنده ارفع من التوسّل بجميع الأنبياء والمرسلين وذلك غلوّ مضارف إلى جهله بأن الوضع الذي ورد به التوسّل في ذلك الدعاء غير مشروع.

كان بقوص وال يقال له الزردكاش فعمل على ابني فصر به فجئت إلى أمه بنت أخي الشيخ أبي عبد الله الاسوانى فأخبرتها فتألمت كثيراً فذكرت لها هذا الدعاء فتوجهت إلى قنا وفعلت ذلك فلم يقم الوالى إلا أياماً ميسيرة وتوفى. وجاءة كثيرة يذكرون مثل ذلك حتى حکى لى بعض الفقهاء الحكام وكانت به حمى الربع وقلق منها أنه توجه إلى قنا وطلع إلى الجبانة وفعل ما ذكره وأن الحمى أفلعت عنه وله ولأمثاله من العارفين أحوال تتلقى بالقبول والتسليم وفوق كل ذى علم عليم» قال الأدفوی وما نظمته وقد جرى بيبي وبين شخص معاوقة في ذلك فقلت:

<p>سرايرهم الله في طيها نشر وجازوا بحارا دونها وقف الفكر فمكّنهم حتى غدا لهم الأمر وهم في سماء المجد أنجمها الزهر ولا تستمع ماقال زيد ولا عمرو بأسياf عزم دونها البيض والسمر يعود ومن نيل المنى كفه صفر</p>	<p>الا إن أرباب المعارف سادة هم القوم حازوا ما يعز وجوده أطاعوا إله العرش سرا وجهة فهم في الشري غيث الورى معدن القرى فطف بحماتهم واسع بين خيامهم إذا طفت بين الحي تحمس وتنقى ومن يعرض يوما عليهم فإنه</p>
-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

ثم قال الأدفوی وإذا وقعت العناية وثبتت الولاية وصحت الرواية ونمازع منازع بعد ذلك في أمر أجازه العقل ولم يمنعه الشرع كان النزاع غواية فنسأل الله التوفيق والمداية» ومر الأدفوی إلى أن قال «وكانـت وفاته بقنا وقبـره بـجـانتـها يـزار ولا يـكـاد يـخلـوـ من زـائرـ قـاصـدـ أو عـابرـ تـقـصـدـ العـبـادـ من أـقـصـيـ الـبـلـادـ وـتـأـتـيـ إـلـيـ الـخـلـائـقـ من كـلـ فـجـ وـوـادـ وـتـزـدـحـمـ النـاسـ فـيـ الدـفـنـ عـنـدـهـ لـيـسـتـمـنـحـواـ رـفـهـ حتـىـ انـ القـاضـيـ الرـضـيـ بـنـ أـبـيـ الـمـنـىـ أـعـطـيـ جـلـةـ عـلـىـ ذـكـ قـيلـ أـلـفـ دـيـنـارـ ولـكـ اـمـرـيـءـ مـانـوـيـ زـرـتـهـ مـرـاتـ كـثـيرـةـ وـلـهـ الـحـمـدـ وـالـمـنـةـ وـعـلـىـ تـلـكـ الـجـبـانـةـ نـورـ وـبـهـجـةـ يـدـرـكـانـ بـالـبـصـرـ وـفـيـهاـ رـوـحـ يـعـرـفـ بـالـفـكـرـ وـالـنـظـرـ.

٤ - قال الأدفوی في ترجمة على بن حميد بن الصباغ القوصى ص ٣٨٦ - ٣٨٧ دفن بقنا تحت رجل شيخه سيدى عبد الرحيم القناوى زرته مرات كثيرة ودعوت عنده بدعوات وطلبت حاجات فقضيت والحمد لله على نعمه.

٥ - قال في ترجمة أبي بكر محمد بن على بن أحمد بن محمد الأدفوی ص ٥٥٤ - ٥٥٥ كان أبو بكر من العلماء الصالحين من تعتقد بركته ويزار قبره ويقال إن

الدعاء عنده مستجاب رأيت شيخنا تقى الدين محمد بن أحمد المقرىء الشهير بالصائغ
مرة وعنده الم وفكرة ثم إنه ركب دابة وتوجه ثم اجتمعت به بعد في بقية النهار
فرأيته منشحا وقال لي ركبت الدابة وقصدت القرافة للزيارة والدعاء وترك الدابة
تمشى ولا أتعرض لها فقلت في أى موضع وقف الدابة دعوت فلم تزل ماشية إلى قبر
أبى بكر الأدفوى فوقت دعواتي ورجعت وحصل عندي سرور ثم اجتمعت به بعد
ذلك بيوم وقال لي قضيت الحاجة».

٦ - قال في ترجمة مفرج بن موقف الدمامينى ص ٦٥٦ قبره يزار زرته مرات ودعوت
عنه ورجوت بركته».

٧ - قال في ترجمة يوسف بن عبد الرحيم الأقصري ص ٧٢٤ «له قبر مشهور
بالأقصر يزار وإن بعد على الزائر المزار ويرجى أن تحظى عنه الأوزار زرتة غير مرة
وعدت إليه كرة بعد كرة نفع الله به».

فقد خالف ما ذكره الأدفوى في تراجم هؤلاء الأشخاص هدى النبي صلى الله
عليه وسلم في زيارة القبور فإن هديه في زيارتها أن يقول الزائر ويفعل عند زيارتها -أى
القبور - من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار ،
كما بينه ابن القيم في زاد المعاد في هدى خير العباد واتبعه قوله «وأبى المشركون إلا
دعاء الميت والاشراك به والاقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه
بعكس هديه صلى الله عليه وسلم فإنه هدى توحيد وإحسان إلى الميت . وهدى هؤلاء
شرك واسعة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة أقسام . إما أن يدعوا الميت أو يدعوا
به أو عنده ويرون الدعاء عنده أو جب وأولى من الدعاء في المساجد . ومن تأمل
هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبين له الفرق بين الأمرين وبالله
التوفيق».

ولم يقتصر صاحب الطالع السعيد على هذا النوع من الغلو المتمثل في التعلق
بقبور أولياء كتابه بل أضاف إليه دعوى أن بعضهم يتصرف في الكون ودعوى أن
بعضهم يعلم الغيب ودعوى اجتماع بعضهم بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة .

فقد قال في ترجمة علي بن حميد بن الصباغ القوصي ص ٣٨٤ مانصه
«الاتفاق على أنه القطب الذى عليه المعارف في زمانه تدور وأنه له تصرف وتمكن
وتصلع في المكارم وتيقن والذى اختص في زمانه بهذه الطرائق ودارت عليه الحقائق

وانتفع ببركته الخالق»^(١).

وقال في ترجمة كمال الدين على بن محمد بن جعفر القوصي ص ٣٩٥ «حکی لی صاحبنا جمال الدين محمد بن على بن معل أحد الأکابر العدول بقصص قال: حضرنا في إخيم في شهر رمضان في العشر الأخير من الشهر ليلة عند الشيخ كمال الدين ونحن جمّع كثیر وفيما شرف الدين بن وإلى الليل فقرأ شخص بحضور الشيخ كمال الدين «قل يا عبادی الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطعوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم» فقال الشيخ: أنا قلت: إن الله قد غفر لكم أجمعين، قال جمال الدين فقلت في نفسي: وشرف الدين بن وإلى الليل قد غفر له — فالتفت الشيخ إلي وقال: الرحمة إذا جاءت جاءت كالسیل لا تبقى حبراً ولا مدرأً ولا قدرأ».

وقال في ترجمة كمال الدين المذکور ص ٣٩٦—٣٩٥ «حکی شیخنا الفقيه العالم تاج الدين محمد ابن الشیخ جلال الدين أحد الدشناوى قال: كنت عند الشیخ باخیم وکت يوماً في خلوة وعندی بعض ضعف أجدھ في نفسي والشیخ كمال الدين يتکلم في المیعاد فقلت: إن کان هذا الشیخ رجلاً صالحًا يرسل إلى الساعۃ قطعة سکر ونارنجة من هذه الشجرة وإذا بابنه الشیخ أبي العباس أحمد أحضر إلى زبیدیة وفيها سکر ومعها نارنجة فسألته عن ذلك فقال نحن في المیعاد والشیخ أسر إلى أن آخذ سکراً وأخذ من هذه الشجرة نارنجة — وأحضر ذلك اليك. وحکی القاضی الفقيه العالم سراج الدين یونس بن عبد المجید الأرمٹی قاضی قوص قال لما ولیت إخیم اجتمعت بالشیخ كمال الدين فأعطانی تقاضی فقلت یاسیدی کأنی ما أعجبتک فإن هذه إشارة إلى سنة فبسم وأعطانی أربع تقاضات فأقمت بإخیم أربع سنین قال ولما کان في عید الأضحی أثبت ناصر الدين القاسم رؤبة هلال ذی الحجه فقصدوا أن یعیدوا فارسل الوالی إلى فقلت نجتمع عند الشیخ فاجتمعنا وتحدثنا في أن نعید على حکم الثبوت فتحدثنا مع الشیخ في ذلك فسکت ساعۃ ثم قال: ما یعید غداً أحد في بلد ولا قریة ثم قال وأکشف لكم عرفة والله ما وقف أحد فبطل العید ثم بعد ذلك سئل من یرد من البلاد فكان كما قال الشیخ وجاء الحجاج وافقوا على ما قال. وقال لی الشیخ أبو العباس ابنه زیادة على ماحکاه الشیخ سراج الدين سألت أبی

(١) ومن غرائب صاحب «الطالع السعید» روایته في ترجمة هذا الشیخ ص ٣٨٥ عن أبی عبد الله محمد بن أحد بن عبد الرحمن المراگی عن الشیخ أبی الحسن بن الصباغ أنه — أعنی على بن حمید الصباغ — سئل عن التوحید فقال «إثبات الذات ببنی الجهة وإثبات الصفات ببنی التشبيه».

كيف قال ذلك. قال: يابنى الفضورات تبيع المحظورات لاشك أن أهل المعاشر يتوقعون عشر ذى الحجة فإذا عيدوا أخذ بعضهم فى المعاشر وقد اتفق باخيم أن شخصا زنى بامرأة يوم عرفة فالتصقا وأخرجها ملتصقين وماتا وعمل بذلك حضر على الحاكم فبهذا النسب أظهرت هذا الحال.

وقال في ترجمة الشيخ على بن وهب بن دقيق العيد القشيري ص ٤٣٥ «كان من الأولياء حكى تلميذه البرهان المالكي أنه توجه في خدمته إلى الأقصر لزيارة الشيخ أبي الحجاج فقدموا وقت المساء فقال الشيخ مانقدم على الفقراء عشاء فنزلوا في مكان فلما كان بعد ليل طرق الباب فخرجوا فوجدو الشيخ أبي الحجاج فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الفقيه أبو الحسن قدم قم فسلم عليه وقد حكاهما الشيخ عبد الغفار في كتابه» وقال في ترجمة محمد بن يحيى الصنفى أبي عبد الله الاسوانى ص ٦٤٠ مانصه «كان من أصحاب أبي يحيى بن شافع وكان يدعى أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع به» ١٠١ هـ.

هذه دعاوى آخر يدعى بها أولياء كتاب الأدفوى أنفسهم ويقبلها منهم الأدفوى من دون عرضها على الكتاب والسنة ولو اتبع الأدفوى ما في تفسير شيخه أبي حيان البحر المحيط» من ردود على غلاة المتصوفة الذين يدعون تلك الدعاوى معتمداً في تلك الردود على كتاب الله تعالى لما نشر تلك الدعاوى ولاقبلها ولكن التوفيق بيد الله عز وجل.

وأما كون أبي الطيب السبتي شيخ أبي حيان فلا يوجب اعتبار ماليس بصواب من كلامه بل لا يوجب اعتبار ذلك الشيخ نفسه إذ كم من شيخ لم يعلم من أبي حيان وأجل منه غير معتبر كما لا يخفى على من له أدنى صلة بكتب الجرج والتعديل بل إن سبب خروج أبي حيان من الأندلس عدم رضاه عن على بن الطباع أحد مشايخه — يقول المقرى في ترجمته من نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» ج ٢ ص ٥٨٣—٥٨٤ في بيان ذلك مانصه (أفاد غير واحد أن سبب رحلة الشيخ أبي حيان من الأندلس أنه نشأ شربئنه وبين شيخه أحد بن على ابن الطباع فألف أبو حيان كتابا سماه «الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع فرفع ابن الطباع أمره لل Amir محمد بن نصر المدعي بالفقير وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فنشأ شر عن ذلك) قال «وخرج أبو حيان من الأندلس سنة تسع وسبعين وستمائة».

وأما قول أبي الطيب السبتي حينما يجوز بالمكتب في اليوم الذي يقال بأنه

يوافق يوم المولد النبوى ياققىه هذا يوم سرور اصرف الصبيان فاما بناء على اعتباره ذلك اليوم يوم عيد وهو اعتبار مصادم للأدلة كما بينه الإمامان ابن تيمية والشاطبى جزاها الله عن سنة نبينا صلى الله عليه وسلم خير الجزاء.

واما ايراد السيوطى في حسن المقصد في عمل المولد قصة ابى الطيب السبti فلا يوجب قبولها فإنه يورد في مولفاته أمورا لا يسع طالب الحق سوى رفضها لخالفتها النصوص من ضمنها ما يلي:

١ - قوله في الجزء الثانى من «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» ص ١٤ بعد أن نقل عن ابن الجوزى أن الحاكم العبيدي وصل به ظلمه إلى أن يدعى الربوبية فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون يا واحد يا أحد يا عمي يا هيت قال بعد أن ذكر ذلك مانصه «قلت كان في عصرنا أمير يقال له ازدر الطويل اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم هذا وكان يروم أن يتولى المملكة فلو قدر الله ذلك فعل نحو مافعله الحاكم وقد أطلعنى على ماف ضمire وطلب منى أن أكون معه على هذا الاعتقاد في الباطن إلى أن يؤول إلى السلطنة فيقوم في الخلق بالسيف حتى يوافقوه على اعتقاده فضقت بذلك ذرعا ومازالت تتضرع إلى الله تعالى في هلاكه وأن لا يوليه على المسلمين وأستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم وأسأل فيه أرباب الأحوال حتى قتله الله فله الحمد على ذلك.

٢ - أنه ذكر في ذلك الجزء من «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» ص ١٠١ ماجرى بين القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن القاضى تاج الدين بن بنت الأعز وبين وزير الملك الأشرف ابن السلسليوس حتى عزل عن القضاء وتولى القضاء بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جاعة وذلك في رمضان سنة تسعين وستمائة ذكر السيوطى ذلك ثم قال «فتوجه القاضى تقى الدين إلى الحجاز ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة وكشف رأسه ووقف بين يدى الحجرة الشريفة واستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقسم عليه أن لا يصل إلى وطنه الا وقد عاد إلى منصبه فلم يصل إلى القاهرة الا والسلطان الأشرف قد قتل وكذلك وزيره فأعيد إلى القضاء ووصل إليه الخبر بالعود قبل وصوله إلى القاهرة وذلك في أول سنة ثلاثة وتسعين فأقام في القضاء إلى أن مات في جادى الأولى سنة خمس وتسعين.

٣ — قوله في رسالته «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك»^(١) وهي من محتويات المجلد الثاني من «الحاوى للفتاوى» ص ٢٦١ مانصه (في كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للإمام شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان قال سمعت يوسف بن علي الزناني يحكى عن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة وكان بعض الخدام يؤذيها قالت فاستفشت بالنبي صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلًا من الروضة يقول أمالك في اسوة فاصبرى كما صبرت أو نحو هذا قالت فزال عنى ما كنت فيه وما ت الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني»^{٢٠٠}هـ، ومن الواضح كون هذه الحكايات التي يذكرها السيوطي في الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مخالفة غاية المخالفه لنصوص كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأكثر اعتماد المنحرفين في ذلك على محمد بن النعمان صاحب كتاب المستغيثين بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام الذي جاء في كتاب تلخيص كتاب «الاستغاثة» المعروف بالرد على البكري فيه وفي أمثاله ج ١ ص ٢٥١ مانصه (ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بأقوالهم في شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس معهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها) وجاء فيه في ص ٢٩٥ من نفس الجزء بقصد كلامه على المنحرفين في شأن القبور مانصه (وطائفة صنفوا كتاباً وسموها مناسك حج المشاهد كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفید أحد شيوخ الإمامية كتاباً في ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل وأخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموا بذلك منسقاً وحجًا فالمعنى واحد فمن هؤلاء من يقول وحق النبي الذي تمحى إليه المطاييا فيجعل الحج إلى النبي لا إلى بيت الله عز وجل وكثير من هؤلاء اعظم قصده من الحج قصد قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاج حج البيت)^{٢٠١}هـ.

(١) سبب تأليف السيوطي لهذه الرسالة ماذكره الشيخ نجم الدين الغزى في الجزء الأول من «الكتاكي卜 السائرة بأعيان المائة العاشرة» ص ٢٢٨ — ٢٢٩ طبعه دار الأفاق البيروتية حيث قال «ذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتاب ترجمه — أى السيوطي أنه — أى السيوطي — كان يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فقال لي ياشيخ الحديث فقلت له يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا قال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال صلى الله عليه وسلم لك ذلك وألف في ذلك كتابه تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك».

ولسوء تصرف السيوطى فى مؤلفاته أمثلة كثيرة غير تلك التي ذكرنا وقد حمل ظهور بعض ذلك له فى بعض مؤلفاته على غسله والرجوع عنه كما صرخ به فى حسن المعاشرة فى «أخبار مصر والقاهرة» ونص عبارته التى تدل على ذلك (بلغت مؤلفاتى إلى الان ثلاثة كتب سوى ماغسلته ورجعت عنه. هذا مقاله ويحتاج الكبير بما بقى إلى نفس ذلك العمل بما فى ذلك تأليفه فى المولد الذى سماه حسن المقصد فى عمل المولد الذى أساء التصرف فيه فى أمور كثيرة منها أنه قال فى كلامه على المولد ص ١٩٣ «قد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاج فى كتابه المدخل على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدا وحاصله مدح ما كان فيه من اظهار شعار وشكر وذم ما تحتوى عليه من محرمات ومنكرات» وذكر قوله فى عمل المولد إذا خلا من السماع وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا إليه الاخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره — أى من المحرمات والمنكرات هو بدعة بنفس نيته فقط لأن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن تبع فيسعنا ما وسعهم. ثم بعد ذلك كله أتى بما يدل على أنه لا يدرك هل كلام ابن الحاج معه أو عليه ونص مأتى به (وحاصل ما ذكره أنه لم يذم المولد بل ذم ما يحتوى عليه من المحرمات والمنكرات. وأول كلامه صريح في أنه ينبغي أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الخيرات والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات وهذا هو عمل المولد الذى استحسناته فإنه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن واطعام الطعام وذلك خير وبر وقربة. وأما قوله آخرًا إنه بدعة فإما أن يكون مناقضا لما تقدم أو يحمل على أنه بدعة حسنة كما تقدم تقريره في صدر الكتاب أو يحمل على أن فعل ذلك خير والبدعة منه نية المولد كما أشار إليه بقوله « فهو بدعة بنفس نيته فقط وبقوله ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوى به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الاخوان إليه وهذا إذا حقق النظر لا يجتمع مع أول كلامه لأنه حتى فيه على زيادة فعل البر وما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالى إذا أوجد في هذا الشهر الشريف سيد المرسلين صل الله عليه وسلم وهذا هو معنى نية المولد فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولا وأما مجرد فعل البر وما ذكر معه من غير نية أصلا فإنه لا يكاد يتصور ولو تصور لم يكن عبادة ولا ثواب فيه إذ لا عمل إلا بنينة ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة هذا النبي الكريم في هذا الشهر الشريف وهذا معنى نية المولد فهو نية مستحسنة بلاشك فتأمل» ١٠٠ هـ كلام السيوطى ومنه يظهر أن لا وجہ لاستدلاله لعمل المولد بكلام ابن الحاج مadam لا يعرف

وأما صنيع السيوطى في كتاب «الطالع السعيد» الجامع لأسماء نجاء الصعيد فهو أنه يقبل منه ما يوافق اتجاهه ويرفض ما لا يوافقه منها بلغ من القوة يتبين ذلك من صنيعه في «المنجل في تطور الولى» حيث قال في تلك الرسالة وهي من محتويات الجزء الأول من «الحاوى للفتاوى» في ص ٢١٩ «قال الشيخ تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى في ترجمة أبي العباس الملشم كان من أصحاب الكرامات والأحوال ومن أخص الناس بصحبته تلميذه الشيخ الصالح عبد الغفار بن نوح صاحب كتاب الوحد في علم التوحيد وقد حكى في كتابه كثيراً من كراماته من ذلك قال: كنا عنده يوم الجمعة فاشتغلنا بالحديث وكان حديثه يلذ للمسامع في بينما نحن في الحديث والغلام يتوضأ فقال له الشيخ إلى أين يامبارك فقال: إلى الجامع فقال: وحياتى صليت فخرج الغلام وجاء فوجد الناس قد خرجوا من الجامع قال عبد الغفار فخرجت فسألت الناس فقالوا كان الشيخ أبو العباس في الجامع والناس تسلم عليه فرجعت إليه فسألته فقال أنا أعطيت التبدل» ساق السيوطى في تلك الرسالة هذه القصة مستدلاً بها على أن الشخص الواحد يكون في الزمان الواحد في مكаниن رغم اطلاعه في «الطالع السعيد» ص ١٣٢ – ١٣٦ على قول مؤلفه الأدفوى في هذه الحكاية مانعه: (ذكرتها لغرابتها وكيف يعقل أن الشخص الواحد يكون في الزمان الواحد في مكانين يتكلم في هذا ويصلى في ذلك وهذا مفزع على أن النفس تدبر جسدين ولقد أحسن شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيان حين يقول في قصيدة له إن عقل لفى عقال إذا ما صدقت بافتراء عظيم

وقول أنا في مقامى اللبناني من سياقة كلام ذكرته فيها منه قوله:

فقل لمن قد هام في حبه وكاد من قول له يصرع دع عنك قولا قاله واتشد فالتيس من صدق مايسمع

وحكى لي الشيخ الثقة أثير الدين المذكور قال كان الشيخ كريم الدين شيخ الخانقه عند قاضى القضاة الشيخ تقى الدين ابن دقق العيد وخرج من عنده وقال: هذا الكريم مجانون كان الساعة يبحث ويقرر أنه يكون الشخص فى مكان وجسده فى مكان آخر ذا مجانون وفي الطائفة الصوفية جماعة ثبت ماتنكره بداعه العقول . وتوجد ماتنفيه العادات التي يقضى باعتبار حكمها في شرع الرسول والإيمان بها عندي بدعة وضلاله أفضى إليها فرط الجهالة نعم لاراتياب في حصول الكرامات لمن خصه الله

بعنایته ووفقه لطاعته لكن الكراهة جنس تخته أنواع. منها مانثبته إذا ثبت لنا بمشاهدة أو نقل من يعتمد عليه كإجابة دعوة وظهور بركة ونحوها، ومنها مانفيه كرؤبة البارى في الدنيا وإن ثبت ذلك للنبي صل الله عليه وسلم وقد صرخ بتغزير من يدعى ذلك الإمامان أبو محمد بن عبد السلام وأبو عمرو بن الصلاح وسبقهما الإمام أبو الحسن الواحدى إلى إنكار ذلك وإن كان الاستاذ الفشيرى حكى عن امكانه أن فيه خلافا عن الأشعرى ومنها مانتوقف في إثباته وفيه خلاف بين الأئمة كاحياء الموتى كما وقع للسيد المسيح وماشبه ذلك مما وقع معجزة لنبى ومن منع من وقوع ذلك الاستاذ أبو إسحاق الإسفرايني والله أعلم» كما يتبيّن رفض السيوطى مالا يوافق هواه في «الطالع السعيد» من عدم اعتباره في «المنجلى في تطور الولى» متعلق به الأدفوي على مارواه في ترجمة مفرج بن موفق الدمامى بسنده عن موسى بن إسماعيل بن هارون الحفاظي الدمامى أنه قال حدثنا والدى قال خبزت والدى كعكا بدمامين وكنا يوم عرفة وكان والدى مقىما بمكة فأحببت والدى أن يأكل والدى منه فقالت للشيخ مفرج لو أكل زوجى منه فقال: اكتبى كتابا إليه وهاتى الكعك فهنا من يتوجه فكتبت كتابا وجعلت الكعك في منديل وناولته له فأخذه وكان والدى يطوف بين المغرب والعشاء فتناوله المنديل والكتاب ورجع فصلى الصبح بدمامين مع الجماعة فلما رجع والدى أحضر المنديل» فقد علق الأدفوي في ٦٥١-٦٥٠ على هذه القصة بقوله «قلت ولاشك في وقوع مثل ذلك عقلا ولاورد من الشرع ما يمنع الواقع ولكن اطردت العادة المستمرة والقاعدة المستقرة بعدم وقوع ذلك. والعوائد يقضى بها في حكم الشرع باتفاق أئمة الاجتهد وبنوا عليها حكاما كثيرة وجعلوها ضابطا يرجع إليها وحاكمها يعول عليه حتى قال بعض الفقهاء إذا قال الرجل لزوجته إن طرت أو صعدت السماء فأنت طالق طلقت في الحال لاستحالته عادة ولا يتوقف على وجود المشروط بل يحكم بالواقع في الحال. وكذا لو تزوج امرأة بالغرب وهو بالشرق وأتت بولد لا يلحق به عند جاهير العلماء والفقهاء وإن كان النسب يلحق بالإمكان والشرع متشفوف إلى الإلحاد ولافرق بين من هو من أهل الكرامات أولا وألحقو النسب بالاحتمالات المرجوحة الضعيفة وكذلك قال أرباب الأصول إنه يقطع بكذب الخبر إذا أثبته واحد بعد أن دونت الكتب وفتشر فيها فلم يوجد ومع جواز ذلك كله شرعا وعقلا فقطعوا بالكذب مع الاحتمال العقلى وعدم المانع الشرعى وقد قال الإمام ابن الخطيب في المحصل إن من الجائز العقلى ما يقطع بعدم وقوعه فإذا نجوز عقلا أن الله يخلق جبرا وبحرا من زئبق ومع هذا فنقطع بعدم الواقع وقد حكى

صاحب المحيط من الحنفية وكذا صاحب الذخيرة أنه لو قال رجل إنه كان يوم التروية بالبصرة وإنه وجد ذلك اليوم بعكة إن هذا القائل يكفر عند محمد بن يوسف أبي حنيفة الأصفهاني وقال شمس الأئمة لا يكفر بل يجهل وقال أصحابنا لو قال لبعده إن لم أحج في هذا العام فأنت حر وتنازعا وأقام العبد بيته أنه كان يوم النحر بالبصرة مثلاً عتق العبد وقال بعض أصحابنا إنه لو علق الطلاق باحياء الموتى وقع الطلاق في الحال وإن لم يوقعه في مسألة التعليق بالصعود وكل ذلك أن الأمور البعيدة لها حكم المعلوم فكلما كان أبعد وقوعاً كان أبعد قبولاً. وأيضاً فإن الله تعالى قال «سبحان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» وسبحان تقع عند أهل العربية للتعجب وصيغة التعجب الواردة في القرآن يقصد بها المخاطبون بمعنى أنه أمر يتعجب منه فأمر يتعجب منه بالنسبة إلى الرسول الكريم صاحب الآيات الباهرة. والمعجزات الظاهرة صلى الله عليه وسلم لأنشتبه بخبر واحد تروج عليه القضايا فذلك عندي من الرزايا لاسيما من امرأة لا يدرى أنسنت أم حفظت أم توهمت أو اختلقت. والأمور البعيدة في العادة يتعجب من وقوعها ويتوقف في قبوها إلا إذا علم صدق الخبر كما في القصص المذكورة بعد وفي قصة زكريا عليه السلام من سؤاله كيف يوجد له ذرية بعد كبره وكبار زوجته بعد دعائه بذلك وإن خبر الملائكة له عن الله تعالى بذلك ما يشهد بأن الأمور التي تجري على خلاف العادة لا تسلم بمجرد دعواها ولا مجرد الإخبار، وكذلك في قصة مريم وفي قصة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وتصرعها بأن هذا الشيء عجيب والسؤال والتعجب من الجميع إنما هو لبعده عادة والا فالقدرة الالهية صالحة ولا يتعجب مما يفعله.

وذكر الأدفوي أن ظهور الكرامة على أيدي الصحابة أدى إلى إيمان الكافرين وأقرب إلى وفاق المناقين قال ومع ذلك فقد قال تعالى «ولاعلى الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيس من الدمع حزنا» الآية قال فلم تطوا لهم الأرض حتى ساروا ولا خفت أجسامهم حتى طاروا وقد صدم الجهد وردع أهل الفساد وهم رؤوس الأولياء وصفوة الأوصياء ولو وقع ذلك لقص علينا انهم لما حزنوا وبكوا ساروا أو طاروا، ولكن في ذلك مسرة للنفوس ، وزينة للطروس ، وداعية للإيمان، وردع بعض أهل العصيان والله تعالى أعلم والخير كله في اتباع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم» ومر الأدفوي إلى أن قال «لانشبت الكرامة باشتهرها واستفاضتها عند الفقراء فإن الكذب فيها كثير ، وكثير منهم جاهل بشروط صحة النقل وتحrir الأمر. وكثير منهم مغلل يروى ما يسمعه ويحسن الظن

بناقله وقال الإمام الحافظ يحيى بن سعيد القطان إذا رأيت في السنن رجالاً صالحًا فانقضى يدك منه فإني لم أر أكذب من الصالحين في الحديث» ثم إن أكثرها مرسلة وبعضاً منها يبني على التوهم فإذا سلمت من ذلك وروها لنا عدل متيقظ ضابط يروى عن مشاهدة أو عن خبر من يقبل من وصفته ويُسند ذلك إلى مشاهدة الناقل قبلنا ذلك كما يقبلسائر الأخبار بالشرط المتقدم وهو أن لا يكون بعيداً في العادة أو وقع هو أو مثيله معجزة كما قال الأستاذ ومن يقول بقوله وقد قال إمام الحرمين في «الشامل» إنه يمنع إثبات بعض ما يجوز عقلاً كramaة ونقله عن القاضي وصححه . وقد ذكرت شيئاً من ذلك في كتاب «الإمتناع في أحكام السماع»^(١)، رفض السبوطى فى رسالته «المتجلى في تطور الولى» مضمون تعليق الأدفوى في تلك القصة لأنه جزم فيها بوقوع أمور يمنعها تعليق الأدفوى حتى صرخ بأن الكعبة تطوف بالأولياء وهى فى مكانها.

وأما الاستدلال لما اعتاده أهل مكة ليلة الثاني عشر من ربيع الأول كل عام من زيارة مولد النبي صلى الله عليه وسلم المكانى^(٢) والاحتفال به بأن جبريل أمر حمداً صلى الله عليه وسلم بصلة ركعتين ببيت لحم مولد عيسى عليه السلام، فاجلواه عنه أن أمر جبريل حمداً صلى الله عليه وسلم بذلك ورد من روایة شداد

(١) هو كتاب للأدفوى ذكر ابن حجر الميمى في «كف الرعاع عن محمرات السماع» ص ٤٧ بهامش الزواجر عن اقتراف الكبائر أنه تابع فيه ابن طاهر في جميع كذباته يعتمدتها و يجعلها حجة له على ما يريد الانتصار به للصوفية المبرئين من ذلك السفساف الأغبياء عن الانتصار لهم».

(٢) مولد النبي صلى الله عليه وسلم المكانى بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصارم المسلول» على شاتم الرسول ص ١٥٦ - ١٥٧ ط مكتبة تاج بطنطا قال «وقد ذكر أهل العلم بالسير منهم أبو الوليد الأزرقى أن ربع عبد المطلب مكة صارت لبني عبد المطلب فمنها شعب ابن يوسف وبعض دار ابن يوسف لأبي طالب والجيو الذى بينه وبين دار ابن يوسف دار المولد مولد النبي صلى الله عليه وسلم وما حوله لأبي النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب ولاريض أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له هذه الدار ورثها من أبيه وبها ولد وكان له دار ورثها هو وولده من خديجة رضى الله تعالى عنها قال الأزرقى وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنيه كليهما مسكنه الذي ولد فيه ومسكنه الذي ابنتى فيه بخديجة بنت خويلد ولد فيه ولد جيماً قال وكان عقيل ابن أبي طالب أخذ مسكنه الذي ولد فيه وأما بيت خديجة فأخذه معتتب بن أبي هب وكان أقرب الناس إليه جواراً فباعه بعد من معاوية ١٠ هـ.

ابن أوس وأنس بن مالك وأبى هريرة رضى الله عنهم لقصة — الإسراء لكنه مستنكر كما يتبيّن فيما يلى.

أما روایة شداد بن أوس رضى الله عنه فقد قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم الأشعري عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي حدثنا أبو الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير حدثنا شداد بن أوس قال: قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك قال صليت بأصحابي صلاة العتمة بمكة معتما فأتاني جبريل عليه السلام ببداية أبيض أو قال بيضاء — فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب على فرازها بأذنها ثم حلني عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث انتهت طرفها حتى بلغنا أرضا ذات نخل فأنزلنى فقال صل صليت ثم ركبت فقال: أتدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال: صليت بشرب صليت بطيبة فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها عند منتهي طرفها ثم بلغنا أرضا قال انزل ثم قال صل صليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت قلت: الله أعلم قال: صليت بمدين عند شجرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضا بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل صليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت؟ قلت الله أعلم . قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مرريم ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليمانى فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر صليت من المسجد حيث شاء الله وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى فأتيت بوانعين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل أرسل إلي بهما جيما فدللت بينهما ثم هداى الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرقـت به جيـمى وبين يديـ شـيخ متـكـء علىـ مـثـواـتـ لهـ فـقاـلـ أـخـذـ صـاحـبـكـ الفـطـرـةـ إـاـهـ لـيـهـىـ ،ـ ثـمـ انـطـلـقـ بيـ حـتـىـ أـتـيـناـ الـوـادـىـ الـذـىـ فـيـ الـمـدـىـ فـإـذـ جـهـنـمـ تـنـكـشـفـ عـنـ مـثـلـ الرـوـاـبـىـ قـلـتـ يـارـسـولـ الـلـهـ كـيـفـ وـجـدـتـهـ قـالـ وـجـدـتـهـ مـثـلـ الـحـمـةـ السـخـنـةـ ثـمـ اـنـصـرـفـ بـيـ فـمـرـنـاـ بـعـيرـ لـقـرـيـشـ بـمـكـانـ كـذـاـ وـكـذـاـ قـدـ أـضـلـواـ بـعـيرـاـ لـهـ قـدـ جـعـهـ فـلـانـ فـسـلـمـتـ عـلـيـهـمـ قـالـ بـعـضـهـمـ هـذـاـ صـوـتـ مـحـمـدـ ثـمـ أـتـيـتـ أـصـحـابـيـ قـبـلـ الصـبـحـ بـمـكـةـ فـأـتـانـىـ أـبـوـ بـكـرـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ يـارـسـولـ الـلـهـ أـيـنـ كـنـتـ الـلـيـلـةـ فـقـدـ التـمـسـكـ فـيـ مـكـانـكـ قـالـ عـلـمـتـ أـنـيـ أـتـيـتـ بـيـتـ الـمـدـىـ اللـيـلـةـ قـالـ يـارـسـولـ الـلـهـ إـاـهـ مـسـيـرـةـ شـهـرـ فـصـفـهـ لـيـ قـالـ فـفـتـحـ لـيـ صـرـاطـ كـأـنـيـ أـنـظـرـ إـلـيـ لـاـيـسـأـلـنـىـ عـنـ شـيـءـ إـلـاـ أـنـبـأـتـهـ بـهـ فـقاـلـ أـبـوـ بـكـرـ أـشـهـدـ إـنـكـ لـرـسـولـ الـلـهـ وـقـالـ المـشـرـكـونـ اـنـظـرـوـاـ إـلـىـ اـبـنـ أـبـيـ

كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة قال فقال إن من آية ما أقول لكم أنى مررت بعمرلكم في مكان كذا وقد أضلوا بغيرا لهم فجمعه لهم فلان وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا وياتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جل آدم عليه مسح أسود وغراستان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريبا من نصف النهار حتى أقبلت العبر يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن طريق أبي إسماعيل — هذا بسنده ومتنه روى البيهقي هذه الرواية كما بينه ابن كثير في تفسيره وهذه الرواية تكلم فيها الحافظان الذهبي وابن كثير متبعين بكلامهما قول البيهقي في إسنادها «هذا إسناد صحيح».

فقد قال الحافظ الذهبي في الجزء الأول من تاريخ الإسلام ومشاهير طبقات الأعلام» بعد ايراد كلام البيهقي هذا في إسنادها ص ١٤٢ «قلت: ابن زريق — أى روای تلك الرواية — تكلم فيه النسائي» ٤٠١ هـ. كلامه

وذكر في ترجمة ابن زريق من «ميزان الاعتدال» ج ١ ص ١٨١ أن النسائي قال ليس بثقة ثم قال أبو داود ليس بشيء وكذبه محدث حفص محمد ابن عوف الطائي» ((١)) تعقب الذهبي بهذا قول أبي حاتم في ابن زريق «لابأس به سمعت ابن معين يثنى عليه».

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره لسوره الإسراء تحت عنوان «ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء» بعد ايراده حديث شداد بن أوس هذا من طريق أبي إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى» رواه البيهقي من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذى به ثم قال بعديتما «هذا إسناد صحيح قال وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطولة الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن ابراهيم بن العلاء الزبيدي به» ذكر ابن كثير هذا كله ثم قال «ولاشك أن هذا الحديث أعني الحديث المروى عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ماهو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منكر كالصلة في بيت لحم وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم».

وأما رواية أنس رضي الله عنه لصلة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء

(١) روى الآجري عن أبي داود أن محمد بن عوف قال ما لاشك أن إسحاق بن زريق يكذب» افاد ذلك الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ج ١ ص ٢١٦

ببيت لحم بأمر جبريل عليه السلام فعن النساء في كتاب الصلاة تحت عنوان فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك واختلاف الفاظ them فيه» من «المجتبى» ج ١ ص ٢٢١ طبعة المطبعة المصرية بالأزهر قال أخبرنا عمرو ابن هشام قال حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد ابن أبي مالك قال حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أتيت بذابة فوق الحمار دون البغل خطوها عند منتهي طرفها فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصل ففعلت فقال أتدرى أين صلิต صلิต بطيبة واليها المهاجر ثم قال انزل فصل فصل صلية فقال أتدرى أين صلية صلية بطور سيناء حيث كلام الله عز وجل موسى عليه السلام ثم قال انزل فصل فنزلت فصل صلية فقال أتدرى أين صلية صلية ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ثم دخلت بيت المقدس فجمع لـ الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل حتى أتمتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها أبنا الخالة عيسى وبخي علىهما السلام ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ثم صعد بي فوق سبع سموات فأتينا سدة الممتهن فغشيتني ضبابة فخررت ساجدا فقيل لي إنني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك حسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت إلى إبراهيم فلم يسألني عن شيء ثم أتيت على موسى فقال كم فرض الله عليك وعلى أمتك قلت حسين صلاة قال فانك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فرجعت إلى ربى فخفف عنى عشرًا ثم ردت إلى حس صلوات قال فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإنه فرض على بنى إسرائيل صلاتين فيما قاموا بهما فرجعت إلى ربى عز وجل فسألته التخفيف فقال إنني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك حسين صلاة خمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت أنها من الله تبارك وتعالى صرئ فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت أنها من الله صرى أى حتم فلم أرجع». ومن

طريق المجتبى للنسائى هذا أورد ابن كثير هذه الرواية في تفسيره^(١) ج ٣ ص ٦ ضمن أحاديث الاسراء وقال في ص ٥ «فيها غرابة ونکارة جداً». وقال في الفصول في اختصار سيرة الرسول في حديث أنس هذا الذى رواه النسائى في «المجتبى» غريب منكر جداً وإسناده مقارب وفي الأحاديث الصحيحة ما يدل على نکارته والله أعلم».

وأما رواية أبي هريرة رضي الله عنه لصلة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ببيت لحم بأمر جبريل فعند ابن حبان في الجزء الأول من كتاب المجرورين ص ١٨٨-١٨٧ في ترجمة بكر بن زياد الباھلی قال أبو حاتم بن حبان بعد أن ذكر أنه شيخ دجال يضع الحديث على الثقات لا يحمل ذكره في الكتب الاعلى سبيل القدح فيه قال روى عن بكر بن زياد عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بي إلى بيت المقدس من بي جبريل بقير أبي إبراهيم عليه السلام فقال يا محمد انزل فصل هنا ركتعين هذا قبر أبيك إبراهيم ثم من بي بيت لحم فقال انزل فصل هاهنا ركتعين فإن هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتي بي إلى الصخرة فقال يا محمد من هاهنا عرج ربك إلى السماء وذكر كلاما طويلاً أكره ذكره ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم بالرملي ثنا عبد الله بن سليمان بن عميرة البلوي المقدسي ثنا بكر بن زياد الباھلی وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف البز في هذا الشأن»^٢ هـ كلام ابن حبان.

وقد تلقاه ابن الجوزي في «الموضوعات» والسبكي في «شفاء السقام في زيارة خير الانام» والذهبي في ترجمة بكر بن زياد من ميزان الاعتدال وابن كثير في الفصول في اختصار سيرة الرسول والشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» بالقبول.

فقد قال ابن الجوزي ج ١ ص ١١٣-١١٤ في باب ماروى ان الله تعالى عرج إلى السماء مانصه «أبنانا أبو منصور بن خيرون قال أبنانا أبو محمد الحسين بن علي بن الجوهري عن أبي الحسن علي بن عمر الدارقطنى عن أبي حاتم بن حبان الحافظ قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن سليمان بن عميرة قال حدثنا بكر بن زياد الباھلی قال حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن أبي

(١) وقال «هي في سنن النسائي المجتبى ولم أرها في الكبير».

عروبة عن قتادة عن زراة بن أوفى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أسرى بي إلى بيت المقدس من بي جبريل بقير أبي إبراهيم فقال يا محمد انزل فصل هنا ركعتين ثم من بي بيت لحم فقال انزل فصل هنا ركعتين فإنها ها هنا ولد أخوك عيسى ثم أتى بي إلى الصخرة فقال يا محمد من هنا عرج ربك إلى السماء».

وذكر كلاماً طويلاً أكره ذكره» قال أبو حاتم هذا حديث لا يشكي عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف بالبزلي في هذا الشأن وكان بكر بن زياد دجالاً يضع الحديث على الثقات».

وقال السبكى في «شفاء السقام» ص ١٣٣ تعليقاً على قول شيخ الإسلام ابن تيمية «في الحديث الذى فيه هذا قبر أبيك إبراهيم انزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه «كذب لحقيقة له» قال السبكى تعليقاً على ذلك مانصه «أما قوله – أى شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية – إن الحديث الذى فيه هذا قبر أبيك إبراهيم فانزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه كذب لحقيقة له، فصدق فيما قال وهذا الحديث يرويه بكر بن زياد الباھلی قال ابن حبان شيخ دجال يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب الاعلى سبيل القدح فيه وذكر ابن حبان من طريقه الحديث المذكور وفيه «ثم أتى بي إلى الصخرة فقال ابن حبان وهذا شيء لا يشكي عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف البزلي في هذا الشأن هذا كلام ابن حبان ثم قال السبكى «وقد

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك قوله في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٤٣٨-٤٣٩ «وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء صلى فيه ركعتين ولم يصل بمكان غيره ولا زاره وحديث العراج فيه ما هو في الصحيح وفيه ما هو في السنن أو في المسانيد وفيه ما هو ضعيف وفيه ما هو من الموضوعات المختلفات مثل ما يرويه بعضهم فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له جبريل هذا قبر أبيك إبراهيم انزل افضل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه، وأعجب من ذلك أنه قد رو في أنه قيل له في المدينة انزل فصل هنا، قبل أن يبني مسجده وإنما كان المكان مقبرة المشركين والنبي صلى الله عليه وسلم بعد المحرقة إنما نزل هناك لما بركت ناقته هناك فهذا ونحوه من الكذب المخالق باتفاق أهل المعرفة. وبيت لحم كنيسة من كنائس النصارى ليس في اتيانها فضيلة عند المسلمين سواء كان مولد عيسى أو لم يكن.

ذكر هذا الحديث أبو القاسم المكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم المدمي في كتاب صنفه في فضائل زيارة قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال: نا الشيخ الصالح الثقة أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن ابراهيم المدمي قراءة عليه رحمه الله أنا محمد بن أحد أبو بكر بن محمد الواسطي الخطيب قراءة عليه ثنا أبو القاسم عيسى بن عبد الله بن عبد العزيز الموصلى المعروف بالصالحي ثنا أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازى وكيل المسجد الأقصى ثنا العباس بن أحمد بن عبد الله وأنا سأله ثنا عبد الله بن أبي عميرة المدمي ثنا بكر بن زياد الباهلى عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أسرى بي إلى بيت المقدس من بي جبريل إلى قبر ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فقال انزل صل هاهنا ركعتين فإن هاهنا قبر أبيك ابراهيم عليه السلام ثم مربى إلى بيت لحم فقال انزل صل هاهنا ركعتين فإن هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بي إلى الصخرة قال وذكر الحديث. ورواه ابن حبان عن محمد بن أحمد بن ابراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن أبي عميرة ثنا بكر بن زياد» انتهى المراد من كلام السبكي على هذه الرواية.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة بكر بن زياد الباهلى من «ميزان الاعتدال» ج ١ ص ٣٤٥ قال ابن حبان — أى في بكر بن زياد الباهلى — دجال يضع الحديث ثم ساق عنه عن ابن المبارك عن سعيد بن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة مرفوعا «مر بي جبريل ببيت لحم فقال انزل فصل هاهنا ركعتين فإن هنا ولد أخوك عيسى ثم أتى بي قبر ابراهيم فقال صل هنا ثم أتى بي الصخرة فقال من هنا عرج ربكم إلى السماء الحديث وهذا شيء لا يشتك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف البطل في هذا الشأن قلت — القائل الذهبي — صدق ابن حبان» انتهى كلام الحافظ الذهبي.

وقال ابن كثير في «الفصول في اختصار سيرة الرسول» ص ١٢٢ بعد أن ذكر حديث أنس المتقدم وذكر أنه غريب منكر جداً قال «و كذلك الحديث الذي تفرد به بكر بن زياد الباهلى المتزوج عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليلة أسرى بي قال لي جبريل هذا قبر أبيك ابراهيم انزل فصل فيه (لا يثبت أيضا حال بكر بن زياد المذكور).».

وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص ٤١ «حديث «لما أسرى بي إلى بيت المقدس من بي جبريل بقبر أبي إبراهيم فقال إنزل يا محمد فصل هنا ركعتين ثم من بي بيت لحم فقال إنزل فصل هاهنا وذكر حديثا طويلا. رواه ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعا وفي استناده بكر بن زياد قال ابن حبان دجال يضع الحديث قال الذهب صدق ابن حبان» ١٠١هـ.

هذا كلام أولئك العلماء في روایات أمر جبريل النبي صلی الله علیه وسلم ليلة الإسراء بأن يصلی رکعتین ببیت لحم وبه يتضح قول شیخ الإسلام بن تیمیة في تفسیر سورۃ الاخلاص ص ١٦٩ مانصه «الذی یرویه بعضهم في حديث الإسراء أنه قیل للنبي صلی الله علیه وسلم هذه طیة انزل فصل فنزل فصلی هذا مكان أیک انزل فصل کذب موضوع لم يصل النبي صلی الله علیه وسلم تلك اللیلة إلا في المسجد الأقصی خاصۃ كما ثبت ذلك في الصحيح ولا نزل إلا فيه» وقول ابن القیم في الفصل الذي عقدہ للإسراء من «زاد المعاد في هدی خیر العباد» «قد قیل إنه أی النبي صلی الله علیه وسلم — نزل ببیت لحم وصلی فيه ولم یصح ذلك عنه البتة» كما یتضیح بما نقلناه عن أهل العلم في رواية بکر بن زیاد الباهلي بطلان دعوى الحافظ ابن حجر في «لسان المیزان» ج ٢ ص ٥١—٥٣ أن الموضوع من حديث بکر بن زیاد هو من قوله «ثم أتی بی الصخرة» وأما باقیه فقد جاء في طريق آخر فیها الصلاة ببیت لحم وردت من حديث شداد بن أوس» فدعوى أن ماروی في أن جبريل أمر النبي صلی الله علیه وسلم ليلة الإسراء أن يصلی رکعتین ببیت لحم أصل لما یصنعه أهل مکة كل عام في ليلة الثاني عشر من ربیع الأول دعوى باطلة مادام الأمر كما بینا.

وقد أجاد ابن ظهیرة حيث بين في كتابه «الجامع اللطیف في فضل مکة وأهلها وبناء البیت الشریف» أن ما یصنعه أهل مکة ليلة الثاني عشر من ربیع الأول كل عام لم یقف له على أصل ونص کلامه في ذلك بقصد الكلام على مکان مولد النبي صلی الله علیه وسلم بمکة. (جرت العادة بمکة في ليلة الثاني عشر من ربیع الأول في كل عام أن قاضی الشافعی یتهیأ لزيارة هذا المکان الشریف بعد صلاة المغرب في جمع عظیم منهم الثلاثة القضاة وأکثر الأعيان من الفقهاء والفضلاء وذوی البویت بفوائیس کثیرة وشروع عظیمة وزحام عظیم ویدعى فيه للسلطان ولأمير مکة وللقاضی الشافعی بعد تقدم خطبة مناسبة للمقام ثم یعود منه إلى المسجد الحرام قبیل العشاء ویجلس خلف مقام الخلیل عليه السلام بازار قبة الفراشین ویدعو الداعی

لن ذكر آنفا بحضور القضاة وأكثر الفقهاء ثم يصلون العشاء وينصرفون ولم أقف على أول من سن ذلك وسألت مؤرخي العصر فلم أجد عندهم علما بذلك ٢٠١ هـ.

وأما حديث (من سن سنة حسنة كان له أجرها) الحديث فقد أجاب الإمام الشاطئي في ج ١ من «الاعتراض» ص ١٤٢ - ١٤٥ عن قول من قال بأن معنى «من سن سنة حسنة» من اختراع السنة من عند نفسه بشرط أن تكون حسنة وزعم أن معناه ليس من عمل بسنة ثابتة أجراب عن ذلك بوجهين أحدهما أن قوله - صلى الله عليه وسلم - (من سن سنة حسنة) ليس المراد به الاختراع البينة واللازم من ذلك التعارض بين الأدلة القطعية إن زعم مدعى ذلك أن ما ذكره من الدليل مقطوع به فإن زعم أنه مظنون بما تقدم من الدليل على ذم البدع مقطوع به فيلزم التعارض بين القطعى والظنى والاتفاق من المحققين على تقديم القطعى على الظنى قال ولكن فيه بحثا من وجهين^(١) أحدهما أن يقال إنه من قبيل المتعارضين إذ تقدم أولاً أن أدلة الدم تكرر عمومها في أحاديث كثيرة من غير تخصيص وإذا تعارضت أدلة العموم والتخصيص لم يقبل بعد ذلك التخصيص والثاني على التنزل لفقد التعارض فليس المراد بالحديث الاستثنان بمعنى الاختراع وإنما المراد به العمل بما ثبت من السنة النبوية وذلك لوجهين: أحدهما أن السبب الذى جاء لأجله الحديث هو الصدقية المشروعة بدليل مافي الصحيح من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتaby النمار أو العباء متقدلى السيف عامتهم من مضر فتمعروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلاط فأذن وأقام فصل ثم خطب فقال «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة» إلى آخر الآية «إن الله كان عليكم رقيبا» والآية التي في الحشر «اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد» تصدق رجل من ديناره من درره من ثوبه من صاع بره من صاع تمراه حتى قال « ولو بشق تمراه» قال «فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» فتأملوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) عبارة الأصل، «والاتفاق من المحققين ولكن فيه من وجهين» وهي ناقصة غير مستقيمة.

«من سن سنة حسنة» تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يقدر عليه حتى بتلك الصفة فافتتح بسببيه باب الصدقة على الوجه الأبلغ فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال «من سن في الإسلام سنة حسنة» الحديث فدل على أن السنة لها نماذج مافعل ذلك الصحابي وهو العمل بما ثبت كونه سنة وأن الحديث مطابق لقوله في الآخر «من أحيا سنة من سنتي قد أحييتها بعدي» الحديث إلى قوله «ومن ابتدع بدعة ضلاله» وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ومن أحيا سنتي فقد أحببني» وجده ذلك في الحديث الأول ظاهر لأنه صلى الله عليه وسلم لما حض على الصدقة أولاً ثم جاء بعد ذلك الانصارى بما جاء به فانتال بعده العطاء إلى الكفاية فكأنها كانت سنة أيقظها رضى الله عنه بفعله فليس معناه من اخترع سنة وابتدعها ولم تكن ثابتة. ونحو هذا الحديث في رقائق ابن المبارك^(١) ما يوضح معناه عن حذيفة رضى الله عنه قال قام سائل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل فسكت القوم ثم إن رجلاً أعطاهم فأعطاه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استن خيراً فاستن به فله أجره ومثل أجره من اتبعه غير منتفص من أجورهم شيء»، ومن استن شرًا فاستن به فعليه وزره ووزر من اتبعه غير منتفص من أوزارهم شيء فإذا قوله «من سن سنة حسنة» معناه من عمل بسنة لامن اخترع سنة.

الوجه الثاني من وجهي الجواب – عن قوله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة حسنة» الخ. أن قوله «من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة» لا يمكن حلها على الاختراع من غير أصل لأن كونها حسنة أو سيئة لا يعرف إلا من جهة الشرع، فلزم أن تكون السنة في الحديث إما حسنة في الشرع وأما قبيحة بالشرع فلا يصدق إلا على مثل الصدقة المذكورة وما يشبهها من السنن المشروعة وتبقى السنة السيئة منزلة على المعاصي التي ثبت بالشرع كونها معاصي كالقتل المنبه عليه في حديث ابن آدم حيث قال عليه السلام «لأنه أول من سن القتل» وعلى البدع لأنه قد ثبت ذمها والنهى عنها بالشرع.

وأضاف الشاطئي إلى جوابه هذا عن قوله «من سن سنة حسنة» أضاف إليه الجواب عن قوله في حديث بلال بن الحارث عند الترمذى الذى ورد في الاعتراض (ومن ابتدع بدعة ضلاله) بما نصه «أما قوله «من ابتدع بدعة ضلاله» فهو على ظاهره لأن سبب الحديث لم يقيده بشيء فلا بد من حمله على ظاهر اللفظ

(١) ص ٥١٣ - ٥١٤.

كالعمومات المبتدأة التي لم تثبت لها أسباب. ويصح أن يحمل على نحو ذلك قوله «ومن سن سنة سيئة» أي من اخترعها وشمل ما كان منها مخترعا ابتداء من المعاصي كالقتل من أحد ابني آدم وما كان مخترعا بحكم الحال إذ كانت قبل مهملة – متناساة فأثارها عمل هذا العامل فقد عاد الحديث والحمد لله حجة على أهل البدع من جهة لفظه وشرح الأحاديث الأخرى له وإنما يبقى النظر في قوله «ومن ابتدع بدعة ضلاله» فإن تقييد البدعة بالضلال يفيد مفهوما والأمر فيه قريب لأن الإضافة فيه لم تفده مفهوما. وإن قلنا بالمفهوم على رأى طائفنة من أهل الأصول فإن الدليل دل على تعطيله في هذا الموضع كما دل دليل تحريم الربا قليلا وكثيره على تعطيل المفهوم في قول الله تعالى «لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا مُضاعِفَةً» ولأن الضلال لازمة للبدعة باطلاق بالأدلة المتقدمة فلامفهوم أيضا».

وأما حديث «مارآه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن» الحديث فالجواب عن الاستدلال به بأمور: أولها أن المراد بالمسلمين فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يدل على ذلك مارواه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة من «المستدرك» ج ٣ ص ٧٨ قال: أخبرنا أبو عبد الله بن جعفر القطبي ثنا عبد الله بن أحد ابن حنبل ثنا أبي وأحمد بن منيع قالا ثنا أبو بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر عن عبد الله – أى ابن مسعود – قال: مارأى المسلمين حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمين سيئا فهو عند الله سيئ وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبي بكر رضي الله عنه» هكذا رواه الحاكم في المستدرك ثم قال: هذا حديث صحيح الاستناد ولم يخرجاه وله شاهد أصلح منه إلا أن فيه إرسالا. أخبرنا أبو العباس المحبوبى ثنا سعيد ابن مسعود ثنا يزيد بن هارون أبا داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «لما قبض النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم اجتمع المهاجرون والأنصار إلى سقيفة بنى ساعدة في بيعة أبي بكر فأتيت أم سلمة فقلت لها بائع الناس أبابكر» وقد وافق الحافظ الذهبي في «تلخيص المستدرك» الحاكم على تصحيح أثر ابن مسعود (مارآه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن) الخ وجاء في ترجمة أبـدـنـ حـنـبـلـ – من «البداية والنهاية» لـابـنـ كـثـيرـ ١٠ صـ ٣٢٨ـ ٣٢٧ـ مـانـصـهـ «قال الإمام اـحـدـ حدـثـنـاـ اـبـوـ بـكـرـ بـنـ عـيـاشـ ثـنـاـ عـاصـمـ عـنـ زـرـ عـنـ عـبـدـ اللهـ هـوـ اـبـنـ مـسـعـودـ قالـ «ـ مـارـآـهـ مـسـلـمـنـوـنـ حـسـنـاـ فـهـوـ عـنـدـ اللهـ حـسـنـ»ـ ثـمـ قـالـ اـبـنـ كـثـيرـ «ـ قـلـتـ رـأـيـ الصـحـابـ جـمـيعـاـ أـنـ يـسـتـخـلـفـواـ أـبـاـبـكـرـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ»ـ ثـمـ قـالـ اـبـنـ كـثـيرـ «ـ قـلـتـ وـهـذـاـ أـلـثـرـ فـيـهـ حـكـاـيـةـ إـجـمـاعـ عـنـ الصـحـابـ فـيـ تـقـدـيمـ الصـدـيقـ وـالـأـمـرـ كـمـ قـالـهـ اـبـنـ

مسعود» قلت — القائل إسماعيل الانصارى لذلك ترى الإمام ابن تيمية يبحث بأثر ابن مسعود هذا على خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه وذلك في «منهج السنة» ج ١ ص ١٦٦-١٦٧ قال في دفاعه عن مبادئ الصحابة رضوان الله عليهم لأبي بكر الصديق رضى الله عنه «روى ابن بطة وغيره بالأسانيد المعروفة إلى زر بن حبيش قال قال عبد الله بن مسعود «إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتغى برجالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فمارأه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارأه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء» وفي رواية قال أبو بكر بن عياش الرواى لهذا الأثر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه «وقد رأى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر» ١٠ هـ، نص منهج السنة كما استدل به الإمام ابن القيم في الجزء الرابع من «إعلام الموقعين على أن الأخذ بفتاوي الصبحابة رضى الله عنهم أولى من الأخذ بفتاوي غيرهم ونص — ص ١٣٨ روى أبو داود الطيالسي ثنا المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فبعثه برجالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه فما رأه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارأه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح» ومن الحال أن ينطلي الحق في حكم الله خير قلوب العباد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظفر به من بعدهم».

الثاني من الأجبوبة عن قول ابن مسعود في أثره هذا «مارأه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» أن المراد به ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسنا لاما رأه بعضهم واستحسنه ذكر هذا الجواب ابن حزم وابن قدامة وابن القيم والشاطبي وفيما يلي نصوصهم.

قال ابن حزم في «الأحكام في أصول الأحكام» ج ٦ ص ١٨-١٩ «حدثنا المهلب التميمي عن محمد بن عيسى بن مناس عن محمد بن مسحور عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب أخبرنى عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عاصم بن بهدلة عن شقيق عن عبد الله فذكر كلاما فيه «فما رأه المسلمون

حسناً فهو عند الله حسن» ثم قال ابن حزم «فهذا هو الاجماع الذي لا يجوز خلافه لو تيقن وليس مارآه بعض المسلمين أولى بالاتباع ممارآه غيرهم من المسلمين ولو كان ذلك لكنا مأمورين بالشيء وضده وبفعل شيء وتركه معاً وهذا عمال لاسيئ إليه» ١٠٠ هـ. كلام ابن حزم.

وقال ابن قدامة في روضة الناظر ص ٨٦ في الجواب عن خبر (مارآه المسلمين حسناً فهو عند الله حسن) مانصه (الخبر دليل على أن الاجماع حجة ولا خلف فيه).

وقال ابن القيم في كتابه «الفروسية» ص ٦٠ طبعة مطبعة الأنوار في أثر ابن مسعود هذا «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاختاره لرسالته ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبته فمارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن».

قال (هو – أى مارآه المسلمين حسناً فهو عند الله حسن) في هذا الأثر – دليل على أن ما أجمع عليه المسلمين ورأوه حسناً فهو عند الله حسن لا مارآه بعضهم فهو حجة عليكم».

وقال الشاطئي في كلامه على الاستحسان في «الاعتراض» ج ٢ ص ١٣٠ قال في الجواب عن حديث (مارآه المسلمين حسناً فهو عند الله حسن^(١)) إن ظاهره يدل على أن مارآه المسلمين حسناً فهو حسن، والأمة لا تجتمع على باطل فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسن شرعاً لأن الاجماع يتضمن دليلاً شرعياً فالحديث دليل عليكم لا لكم» ولم يقتصر الشاطئي على هذا بل أضاف إليه قوله ص ١٣١ «إنه إذا لم يرد به أهل الاجماع وأريد بعضهم يلزم عليه قبول استحسان العوام وهو باطل بوجاع» ثم قال «لايقال إن المراد استحسان أهل الاجتهد لأننا نقول: هذا ترك للظاهر فيبطل الاستدلال ثم إنه لافتادة في اشتراط الاجتهد لأن المستحسن بالفرض لا ينحصر في الأدلة فأى حاجة إلى اشتراط الاجتهد» قال «فإن قيل إنما يشترط حذراً من مخالفة الأدلة فإن العامي لا يعرفها قيل بل المراد استحسان ينشأ عن الأدلة بدليل أن الصحابة رضي الله عنهم تصرروا أحکامهم على اتباع الأدلة وفهم مقاصد الشرع»

(١) مورد هذا الأثر الذي أجابه الشاطئي عزاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلط لأنه من قول ابن مسعود لا من قوله صلى الله عليه وسلم.

وجزم الشاطبى بأن تعلق المبتدةع بهذا الخبر تعلق بما لا يغنى ولا ينفع البتة» ويقرب من كلام الشاطبى هنا قوله ج ٢ من الاعتصام ص ٣٠٧ - ٣٠٨ في معنى «مارأه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن» إنما معناه عند العلماء أن علماء الإسلام إذا نظروا في مسألة مجتهد فيها فمارأوه فيها حسنا فهو عند الله حسن لأنه جار على أصول الشريعة قال «والدليل على ذلك الاتفاق على أن العوام لو نظروا فأداهم اجتهادهم إلى استحسان حكم شرعى لم يكن عند الله حسنا حتى يوافق الشريعة» قال «والذين نتكلم معهم في المسألة ليسوا من المجتهدين باتفاق منا ومنهم فلا اعتبار بالاحتجاج بالحديث على استحسان شيء واستقباحه بغير دليل شرعى ومنهم من ترقى في الدعوى حتى يدعى فيها الإجماع من أهل الأقطار وهو لم يبرح من قطره ولا يبحث عن علماء أهل الأقطار ولا عن تبيانهم فيما عليه الجمهور ولا يعرف من أخبار الأقطار خبرا فهو من يسأل عن ذلك يوم القيمة. وهذا الاضطراب كله منشأه تحسين الفتن بأعمال المتأخررين وإن جاءت الشريعة بخلاف ذلك والوقوف مع الرجال دون التحرى للحق».

هذا وما يتعلق بالبحث في «مارأه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن» امران هامان أحدهما قول العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباب عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ج ٢ ص ١٨٨ مانصه «مارأه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن» رواه أحمد في كتاب السنة وليس في مسنده كما وهم عن ابن مسعود بلحظ إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمداً صلى الله عليه وسلم فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه وزراء نبيه فمارأه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن ومارأه المسلمين قبيحا فهو عند الله قبيح».

الثاني جزم بعض أهل العلم برفع الأثر الذى ورد فيه «مارأه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن» جزم بذلك ابن قدامة في «روضة الناظر» والشاطبى في «الاعتصام» حيث عبر كل واحد منها بأنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الملا على قارى في «الموضوعات الكبرى» ص ١٠٦ طبعة بيروت مانصه «قد صح عن ابن مسعود مرفوعاً وموقاوا «مارأه المسلمين حسنا فهو عند الله حسن» ونقل الشيخ محمد أحد الدوى الشافعى أحد علماء الأزهر فى كتابه «طريق الوصول إلى إبطال البدع بعلم الأصول» ص ٢٥-٢٦ عن الشيخ محمد عبد الحى اللكنوى أنه قال في تحفة الأخيار» قال سعيد الرومى في المجلس الثامن عشر من كتاب مجالس الابرار» مانصه «قد نسب جماعة هذا الحديث منهم الرازى في التفسير الكبير والعينى

في شرح الهدایة وغيره من شرائحها إلى النبی صلی اللہ علیہ وسلم و قالوا قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم «مارآہ المسلمون حسنا فھو عند اللہ حسن». وفي الإجابة عن هذین الأمرين اهالىن نقول: أما دعوى العجلونى أن أثر ابن مسعود الذى ورد فيه (مارآہ المسلمون حسنا فھو عند اللہ حسن) ليس في مسند الإمام أحمد بن حنبل فغير صحيحه فقد جاء في الجزء الخامس من مسند الإمام أحمد تحقيق الشیخ أحمد شاکر ص ٣٦٥١ مانصه «حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلی اللہ علیہ وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتاعه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبیه يقاتلون على دینه فما رأى المسلمين حسنا فھو عند اللہ حسن ومارأوا سیئا فھو عند اللہ سیئ». ومن طريق الإمام أحمد بن حنبل أورده ابن كثیر في تفسيره وفي تاريخه قال في تفسيره ج ٢ ص ١٧٣ في تفسير الآية الكريمة «الله أعلم حيث يجعل رسالته» «قال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلی اللہ علیہ وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلی اللہ علیہ وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبیه يقاتلون على دینه فمارآہ المسلمون حسنا فھو عند اللہ حسن ومارأوه سیئا فھو عند اللہ سیئ»

وقال في الجزء العاشر من «البداية والهایة» ص ٣٢٧-٣٢٨ في ترجمة الإمام أحمد قال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود قال: مارآہ المسلمون حسنا فھو عند اللہ حسن ومارأوه سیئا فھو عند اللہ سیئ وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه اسناد صحيح ، قلت — القائل ابن كثیر — وهذا الأثر فيه حکایة اجماع عن الصحابة في تقديم الصديق والأمر كما قاله ابن مسعود هـ ٤٠١.

وأما رفع الأثر الذي ورد فيه (مارآہ المسلمون حسنا فھو عند اللہ حسن) إلى النبي صلی اللہ علیہ وسلم فقد جزم ابن الجوزی وابن القیم وابن عبد المادی ببطلانه واستغرب به الزیلیعی قال ابن الجوزی في «العلل المتناهیة في الأحادیث الواهیة» ج ١ ص ٢٨٠ «أنا القزار قال أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال أخبرنا محمد بن إسماعیل بن عمر البجلي أخبرنا يوسف بن عمر البجلي قال قرء على أحمد بن أبي زهیر البخاری وأنا أسمع قيل له حدثكم على بن إسماعیل قال نا أبو معاذ رجاء بن سعید قال نا

سلیمان بن عمرو النخعی وأنا اسمع قال حدثنا أبی عیاش وحید الطویل عن أنس بن مالک قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم «إن الله نظر في قلوب العباد فلم يجد قلباً أتقى من أصحابي ولذلك اختارهم فجعلهم أصحاباً فما استحسنوا فهو عند الله حسن وما استتبخوا فهو عند الله قبيح» قال ابن الجوزی «تفرد به النخعی قال أَحْمَدُ بْنُ حِنْبَلَ كَانَ يَضْعِفُ الْحَدِيثَ وَقَالَ أَيْضًا «هَذَا الْحَدِيثُ إِنَّمَا يَعْرُفُ مِنْ كَلَامِ أَبْنِ مُسْعُودٍ»^(۱) مـ کلام ابن الجوزی وأبو بکر بن ثابت الذى ورد في سنده هو الخطیب البغدادی وقد روی هذا الحديث في الجزء الرابع من «تاریخ بغداد» ص ۱۶۵ قال «أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ عَمْرَ الْبَجْلِ أَخْبَرَنَا يُوسُفُ بْنُ عَمْرَ الْقَوَاسِ قال قرئ على أَحْمَدَ بْنَ أَبْيَ زَهِيرَ الْبَخَارِيِّ وَأَنَا اسْمَعْ وَأَصْلَهُ فِي كِتَابِي قِيلَ لَهُ حَدِيثُكُمْ عَلَى بْنِ إِسْمَاعِيلِ حَدِيثَنَا أَبْوَ دَاؤِدَ النَّخْعَنِيِّ وَرَدَ هَذَا فِي تَرْجِمَةِ أَحْمَدَ بْنَ أَبْيَ زَهِيرَ الْبَخَارِيِّ مِنْ تَارِيَخِ بَغْدَادٍ وَقَالَ أَبْنُ الْقَيْمِ فِي «الْفَرْوَسِيَّةِ» فِي الْكَلَامِ عَلَى اثْرِ أَبْنِ مُسْعُودٍ «مَارَأَهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عَنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ» مَانِصَهُ «لَيْسَ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صلِّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمَ وَإِنَّمَا يَضْيِفُهُ إِلَى كَلَامِهِ مِنْ لَعْنِهِ لِمَا بَلَّهُ الْحَدِيثَ وَإِنَّمَا هُوَ ثَابِتٌ عَنْ أَبْنِ مُسْعُودٍ قَوْلُهُ ذَكْرُهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مُوقِفٌ عَلَيْهِ.

وقال الحافظ ابن عبد المادی «روی — أی اثر ابن مسعود — مرفوعاً عن انس باسناد ساقط والأصل وقفه على ابن مسعود» نقل ذلك عن ابن عبد المادی صاحب *كشف الخفا* ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحادیث على السنة الناس الشیخ إسماعیل العجلوني وقال العلامہ الحافظ الزیلیعی فی «باب الاجارة الفاسدة» من نصب الرایة تعليقاً علی قول صاحب المدایة (قال علیه السلام «مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن») قال ج ٤ ص ١٣٣-١٣٤ قلت : غریب مرفوعاً ولم أجده إلا موقعاً على ابن مسعود وله طرق أحدها رواه أَحْمَدُ فی مسنده حدثنا أبو بکر ابن عیاش ثنا عاصم عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود قال «إن الله نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلی الله علیه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبیه یقاتلون علی دینه فما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن

(۱) فما جاء في رفعه إذا مع ضعفه ليس من رواية ابن مسعود وإنما هو من رواية أنس.

ومارأوه سينا فهـ عنـد الله سـيـء» انتهى ومن طرـيق أـحـد روـاهـ الحـاـكـمـ فيـ المـسـتـدـرـكـ فيـ فـضـائـلـ الصـحـابـةـ وزـادـ فـيـهـ «وـقـدـ رـأـيـ الصـحـابـةـ جـيـعـاـ أـنـ يـسـتـخـلـفـ أـبـوـ بـكـرـ «انتـهـىـ وـقـالـ صـحـيـحـ الـاسـنـادـ وـلـمـ يـخـرـجـاهـ اـنـتـهـىـ ،ـ وـكـذـلـكـ روـاهـ الـبـزـارـ فيـ مـسـنـدـ وـالـبـيـهـقـيـ فيـ كـتـابـ «الـمـدـخـلـ»ـ وـقـالـاـ لـاـ تـلـعـمـ روـاهـ مـنـ حـدـيـثـ زـرـ عنـ عـبـدـ اللهـ غـيرـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ عـيـاشـ وـغـيرـ أـبـيـ بـكـرـ يـرـوـيـهـ عنـ عـاصـمـ عنـ أـبـيـ وـائـلـ عنـ عـبـدـ اللهـ ،ـ زـادـ الـبـيـهـقـيـ :ـ وـرـوـاـيـةـ اـبـنـ عـيـاشـ أـشـبـهـ اـنـتـهـىـ طـرـيقـ آـخـرـ روـاهـ أـبـوـ دـاـوـدـ الطـيـالـسـيـ فيـ مـسـنـدـ حـدـثـناـ الـمـسـعـودـيـ عنـ عـاصـمـ عنـ أـبـيـ وـائـلـ عنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ مـسـعـودـ فـذـكـرـهـ إـلـاـ أـنـ قـالـ عـوـضـ سـيـءـ ،ـ قـبـيـحـ ،ـ وـمـنـ طـرـيقـ أـبـيـ دـاـوـدـ روـاهـ أـبـوـ نـعـيمـ فيـ تـرـجـمـةـ اـبـنـ مـسـعـودـ وـالـبـيـهـقـيـ فيـ كـتـابـ الـاعـتـقـادـ وـكـذـلـكـ روـاهـ الـطـبـرـانـيـ فيـ مـعـجمـهـ وـالـمـسـعـودـ ضـعـيفـ»ـ طـرـيقـ آـخـرـ روـاهـ الـبـيـهـقـيـ أـيـضاـ فيـ الـمـدـخـلـ أـخـبـرـنـاـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ الـحـاـفـظـ ثـنـاـ أـبـوـ الـعـبـاسـ الـأـصـمـ ثـنـاـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـحـاقـ الصـفـانـيـ ثـنـاـ أـبـوـ الـجـوـابـ ثـنـاـ عـمـارـ بـنـ زـرـيـقـ عنـ الـأـعـمـشـ عـنـ مـالـكـ بـنـ الـحـارـثـ عـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ يـزـيدـ قـالـ قـالـ عـبـدـ اللهـ فـذـكـرـهـ.

وـقـدـ جـعـ الـعـلـائـيـ فـيـ كـلـامـهـ عـلـىـ أـثـرـ اـبـنـ مـسـعـودـ هـذـاـ مـارـأـهـ الـمـسـلـمـونـ حـسـنـاـ فـهـوـ عـنـ اللهـ حـسـنـ بـنـ ذـكـرـ عـدـمـ رـفـعـهـ وـبـنـ عـزـوـهـ إـلـىـ مـسـنـدـ أـحـدـ وـلـفـظـهـ حـسـبـمـاـ فـيـ الـأـشـبـاهـ وـالـنـظـائـرـ لـلـسـيـوطـيـ صـ ٨٩ـ لـمـ أـجـدـهـ مـرـفـوعـاـ فـيـ شـيـءـ مـنـ كـتـبـ الـحـدـيـثـ اـصـلاـ وـلـاـ بـسـنـدـ ضـعـيفـ بـعـدـ طـوـلـ الـبـحـثـ وـكـثـرـةـ الـكـشـفـ وـالـسـؤـالـ إـنـماـ هـوـ مـنـ قـوـلـ عـبـدـ اللهـ اـبـنـ مـسـعـودـ مـوـقـوـفاـ عـلـيـهـ أـخـرـجـهـ أـحـدـ فـيـ مـسـنـدـهـ.

وـأـمـاـ جـعـ الـصـحـابـةـ الـمـصـحـفـ وـقـصـرـهـمـ النـاسـ عـلـيـهـ فـقـدـ أـجـابـ الشـاطـئـيـ فـيـ «ـالـاعـتـصـامـ»ـ جـ ١ـ صـ ١٤٥ـ ١٤٧ـ عـنـ اـيـرـادـهـ فـيـ الـبـدـعـ الـمـسـتـحـدـثـةـ بـأـنـ لـيـسـ مـنـ قـبـيلـهـ إـنـماـ هـوـ مـنـ الـمـصالـحـ الـمـرـسـلـةـ وـالـمـصالـحـ الـمـرـسـلـةـ عـمـلـ بـمـقـتضـاـهـاـ السـلـفـ الـصـالـحـ مـنـ الـصـحـابـةـ وـمـنـ بـعـدـهـ يـقـولـ فـيـ ذـلـكـ،ـ «ـأـمـاـ جـعـ الـمـصـحـفـ وـقـصـرـ الـنـاسـ عـلـيـهـ فـهـوـ عـلـىـ الـحـقـيـقـةـ مـنـ هـذـاـ الـبـابــ -ـ أـىـ بـابـ الـمـصالـحـ الـمـرـسـلـةـ -ـ إـذـ أـنـزلـ الـقـرـآنـ عـلـىـ سـبـعـةـ أـحـرـفـ كـلـهـاـ شـافـ كـافـ تـسـهـيـلـاـ عـلـىـ الـعـرـبـ الـمـخـتـلـفـاتـ الـلـغـاتـ فـكـانـتـ الـمـصـلـحةـ فـيـ ذـلـكـ ظـاهـرـةـ إـلـاـ أـنـهـ عـرـضـ فـيـ إـيـاحـةـ ذـلـكـ بـعـدـ زـمـانـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـتـحـ لـبـابـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ الـقـرـآنـ حـيـثـ اـخـتـلـفـواـ فـيـ الـقـرـاءـةـ فـخـافـ الـصـحـابـةـ رـضـوانـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـيـهـمـ اـخـتـلـافـ الـأـمـةـ فـيـ يـنـبـيـعـ الـمـلـةـ فـقـبـرـوـاـ النـاسـ عـلـىـ مـائـيـتـ مـنـهـاـ فـيـ مـصـاحـفـ عـشـمـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـاـطـرـحـواـ مـاـ سـوـيـ ذـلـكـ عـلـمـاـ بـأـنـ مـاـ اـطـرـحـوـهـ مـضـمـنـ فـيـمـاـ أـثـبـتـوـهـ لـأـنـهـ مـنـ قـبـيلـ الـقـرـاءـتـ الـتـيـ يـؤـدـيـ بـهـ الـقـرـآنـ ثـمـ ضـبـطـواـ ذـلـكـ بـالـرـوـاـيـةـ حـيـنـ فـسـدـتـ الـأـلـسـنـةـ وـدـخـلـ فـيـ الـإـسـلـامـ أـهـلـ الـعـجمـةـ خـوـفـاـ مـنـ فـتـحـ بـابـ آـخـرـ مـنـ

الفساد وهو أن يدخل أهل الإلحاد في القرآن أو في القراءات ما ليس منها فيستعينوا بذلك في بث المغادهم إلا ترى أنه لما لم يكن لهم الدخول من هذا الباب دخلوا من جهة التأويل والدعوى في معانى القرآن فحق مافعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن له أصلاً يشهد له في الجملة وهو الأمر بتبلیغ الشريعة وذلك لاختلاف فيه لقوله تعالى «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغْ مَا نَزَّلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» وأمته مثله. وفي الحديث (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) وأشباهه، والتبلیغ كما لا يتقييد بكيفية معلومة لأنه من قبيل المعقول المعنى فيصح بأى شئ أمكن من الحفظ والتلقين والكتابة وغيرها كذلك لا يتقييد حفظه عن التحرير والزيغ بكيفية دون أخرى إذا لم يعد على الأصل بالابطال كمسألة المصحف ولذلك أجمع عليه السلف الصالح» وبعد أن أجاب الشاطبى بهذا قال «وَإِنْ تَعْلَمْ – أَىِّ الْمَعَارِضِ – بِمَا وَرَدَ مِنَ الْخِلَافِ فِي الْمَصَالِحِ الْمَرْسَلَةِ وَأَنَّ الْبَنَاءَ عَلَيْهَا غَيْرُ صَحِيحٍ عِنْدَ جَمَاعَةِ الْأَصْوَلِيِّينَ فَالْحَجَةُ عَلَيْهِمْ إِجَاعٌ الصَّاحِبَةِ عَلَى الْمَصَفَّ وَالرَّجُوعُ إِلَيْهِ وَإِذَا ثَبِّتَ اعْتِبَارَهَا مُطْلَقاً وَلَا يَبْقَى بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ نِزَاعٌ إِلَّا فِي الْفَرْوَعِ». وفي الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم (فعليكم بستنی وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسکوا بها وعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمون) فأعطى الحديث كما ترى أن ماسنه الخلفاء الراشدون لاحق بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ماسنوه لا يعود أحد أمرئين إما أن يكون مقصوداً بدليل شرعى فذلك سنة لا بدعة وإنما بغير دليل ومعاذ الله من ذلك ولكن هذا الحديث دليل على إثباته سنة إذ قد أثبته كذلك صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم فدليله من الشرع ثابت فليس بدعة ولذلك أردف اتباعهم بالنهى عن البدع باطلاق ولو كان عملهم ذلك بدعة لوقع في الحديث التداعف.

وقال في الجزء الثاني من «المواقفات» ص ٣٤١-٣٤٢ في جمع المصحف إن جمع المصحف لم يكن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستغناء عنه بالحفظ في الصدور وأنه لم يقع في القرآن اختلاف يخاف بسببه الاختلاف في الدين وإنما وقعت فيه نازلتان أو ثلاثة كحديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضى الله عنهما وقصة أبي بن كعب مع عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما وفيه قال عليه الصلاة والسلام «لاتماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر» فحاصل الأمر أن جمع المصحف كان مسكتوا عنه في زمانه عليه الصلاة والسلام ثم لما وقع الاختلاف في القرآن وكثير حتى صار أحدهم يقول لصاحبه أنا كافر بما تقرأ به صار جمع المصحف واجباً ورأياً رشيداً في واقعة لم يتقدم بها عهد فلم يكن فيها مخالفة واللزم أن يكون

النظر في كل واقعة لم تحدث في الزمان المقدم بدعة وهو باطل باتفاق لكن مثل هذا النظر من باب الاجتهاد الملائم لقواعد الشريعة وإن لم يشهد له أصل معين وهو الذي يسمى المصالح المرسلة. وكل ما أحدهه السلف الصالح من هذا القبيل لا يختلف عنه بوجهه وليس من المخالف لقصد الشارع أصلاً كيف وهو يقول^(١) «مارأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» «ولاتجتمع أمتي على ضلاله» فثبتت أن هذا المجمع عليه موافق لقصد الشارع فقد خرج هذا الضرب عن أن يكون فيه الفعل أو الترك مخالفًا للشارع وأما البدعة المذمومة فهي التي خالفت مواضع الشارع من الأفعال والترك هـ ٤٠١.

وأما كتابة العلم فقد أجاب الإمام الشاطبي في الاعتصام ج ١ ص ١٤٦ عن دعوى كونها من البدع المحدثة بما نصه.

«قد ثبت في السنة كتابة العلم ففي الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم «أكتبوا لأبي شاه» وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال «ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عبد الله ابن عمرو فإنه كان يكتب و كنت لا أكتب» وذكر أهل السير أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون له الوحي وغيره منهم عثمان وعلى وعاء و المغيرة بن شعبة وأبي بن كعب و زيد بن ثابت وغيرهم. وأيضاً فإن الكتابة من قبيل مالا يتم الواجب إلا به إذا تعين لضعف الحفظ و خوف اندرايس العلم كما خيف دروسه حينئذ وهو الذي نبه عليه اللخمي قال الشاطبي وإنما كره المتتدمون كتب العلم لأمر آخر لا لكونه بدعة فكل من سمي كتب العلم بدعة فإذا متجوز وإنما غير عارف بوضع لفظ البدعة فلا يصح الاستدلال بهذه الأشياء على صحة العمل بالبدع». .

واما تقسيم القرافى فى كلامه البدعة إلى أقسام أحكام الشرع الخمسة فقد تعقبه الإمام الشاطبي في الجزء الأول من «الاعتصام» ١٥٥-١٥٠ بقوله «إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعى بل هو في نفسه متدافع لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعى لامن نصوص الشرع ولا من قواعده إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بيعة ولكن العمل

(١) لم يثبت ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ثبت من قول ابن مسعود رضي الله عنه.

داخلا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها فالجمع بين عدتك الأشياء بداع
 وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إياحتها جع بين متنافيين أما المكروه
 منها والمحرم فمسلم من جهة كونها بداع لامن جهة أخرى إذ لو دل دليل على منع
 أمر أو كراحته لم يثبت ذلك كونه بداع لإمكان أن يكون معصية كالقتل والسرقة
 وشرب الخمر ونحوها فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البة الا الكراهة والتحريم
 حسبما يذكر في بابه. فما ذكره القرافي عن الأصحاب من الاتفاق على انكار البدع
 صحيح وما قسمه فيها غير صحيح ومن العجب حكاية الاتفاق على انكار البدع
 ومع معرفته بما يلزمها في خرق الاجماع وكأنه إنما اتبع في هذا التقسيم شيخه – أى
 العز – من غير تأمل فإن ابن عبد السلام ظاهر منه أنه سمي المصالح المرسلة بداعا
 بناء والله أعلم على أنها لم تدخل أعيانها تحت النصوص المعينة وإن كانت تلائم
 قواعد الشرع. فمن هنالك جعل القواعد هي الدالة على استحسانها بتسميته لها بالفظ
 البدع وهو من حيث فقدان الدليل العين على المسألة. واستحسانها من حيث دخولها
 تحت القواعد. ولما بني على اعتماد تلك القواعد استوت عنده مع الأعمال الداخلة
 تحت النصوص المعينة وصار من القائلين بالمصالح المرسلة وسمها بداعا في اللفظ كما
 سمي عمر رضي الله عنه الجموع في قيام رمضان في المسجد بدعة» وجزم الشاطبي بأن
 القرافي لاعذرله في نقل تلك الأقسام على غير مراد شيخه وعلى غير مراد الناس لأنه
 خالف الكل في ذلك التقسيم فصار مخالف للإجماع» هذا ما أجاب به الشاطبي على
 سبيل الإجمال وأجاب على سبيل التفصيل بقوله «أما قسم الواجب فقد تقدم مافي
 آنفنا^(١) فلا نعيده، وأما قسم التحرير فليس فيه ما هو بدعة هكذا بإطلاق بل ذلك
 كله مخالفة للأمر المشروع فلا يزيد على تحريم أكل المال بالاطلاق إلا من جهة كونه
 موضوعا على وزان الأحكام الشرعية الالزمة كالزكوات المفروضة والنفقات المقدرة قال
 «إذا لا يصح أن يطلق القول في هذا القسم بأنه بداع دون أن يقسم الأمر في ذلك ،
 وأما قسم المندوب فليس من البدع بحال وتبين ذلك بالنظر في الأمثلة التي مثل بها
 كصلة التراويح في رمضان جماعة في المسجد فقد قام بها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في المسجد واجتمع الناس خلفه فخرج أبو داود عن أبي ذر قال: صمنا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا شيئا من الشهر حتى بقى سبع
 فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم بنا فلما كانت الخامسة
 قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلنا يارسول الله لو نفتنا قيام هذه الليلة قال فقال

(١) وهو أن الجمع بين كون الشيء بداع وبين كون الدليل يدل على وجوبه جع بين متنافيين.

«إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة» قال فلما كانت الرابعة لم يقم فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح قال قلت وما الفلاح قال: السحر ثم لم يقم بنا بقية الشهر» ونحوه في الترمذى وقال فيه «حسن صحيح» لكنه صلى الله عليه وسلم لما خاف افتراضه على الأمة أمسك عن ذلك ففى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد ذات ليلة فصل بصلاته ناس ثم صلى القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال «قد رأيت الذى صنعتم فلم يعنى من الخروج إلا أننى خشيت أن يفرض عليكم» وذلك في رمضان خرجه مالك في الموطأ. فتأملوا ففى هذا الحديث ما يدل على كونها سنة فإن قيامه أولاً بهم دليل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان وامتناعه بعد ذلك من الخروج خشية من الافتراض لا يدل على امتناعه مطلقا لأن زمانه كان زمان وحى وتشريع فيمكن أن يوحى إليه إذا عمل به الناس بالالتزام فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الأمر إلى أصله وقد ثبتت الجواز فلا ناسخ له، وإنما لم يقم بذلك أبو بكر رضى الله عنه لأحد أمرين إما لأنه رأى أن قيام الناس آخر الليل وما هم به عليه كان أفضل عنده من جمعهم على إمام أول الليل ذكره الطرطوشى^(١) وإنما لضيق زمانه رضى الله عنه عن النظر في هذه الفروع مع شغله بأهل الردة وغير ذلك مما هو أو كد من صلاة التراويح فلما تهدى الإسلام في زمن عمر رضى الله عنه ورأى الناس في المسجد أو زاعا كما جاء في الخبر قال لوجمع الناس على قارئ واحد لكان أمثل فلما تم له ذلك نبه على أن قيامهم آخر الليل أفضل ثم اتفق السلف على صحة ذلك واقراره والأمة لا تجتمع على ضلاله وقد نص الأصوليون على أن الاجاع لا يكون إلا عن دليل شرعى» ثم قال الشاطبى «فإن قيل فقد سماها — أى صلاة التراويح — عمر رضى الله عنه بدعة وحسنها بقوله «نعمت البدعة هذه» وإذا ثبتت بدعة مستحسنة في الشعور ثبت مطلق الاستحسان في البدع فالجواب: إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضى الله عنه لا أنها بدعة في المعنى فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسمى، وعند

(١) في كتابه «الحوادث والبدع» ص ٥٢ طبعة دار الأصفهانى وشركاؤه بجدة ولفظه «يختتم أى عدم صلاة أبي بكر رضى الله عنه التراويح مع الناس — أن يكون رأى من قيام الناس في آخر الليل وقتهم عليه ما كان أفضل عنده من جمعهم على إمام في أول الليل».

ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه فقد قالت عائشة رضي الله عنها «إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم» وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة بالأمة وقال «إنى لست كهيتكم إنى أبىت عند ربى يطعننى ويسقينى» وواصل الناس بعده لعلمهم بوجه علة النهي.

وأصحاب الشاطئي عن تغيل القرافي للمندوب من البدع حسب تقسيمه بإقامة صور الأيماء والقضاء وولاة الأمور بقوله «ليس ذلك من قبيل البدع بسبيل أma أولا فإن التجمل بالنسبة إلى ذوى المياثات والمناصب الرفيعة مطلوب وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلقة يتجلّم بها للونود ومن العلة في ذلك ما قاله القرافي من أن ذلك أهيب وأوقع في النفوس من تعظيم العظام ومثله التجمل للقاء العظام كما جاء في حديث أشجع عبد القيس وأما ثانيا فإن سلمنا أن لا دليل عليه بخصوصه فهو من قبيل المصالح المرسلة وما قاله من أن عمر كان يأكل خبز الشعير ويفرض لعامله نصف شاة فليس فيه تفحيم صورة الإمام ولا عدمه بل فرض له ما يحتاج إليه خاصة وإن فنصف شاة لبعض العمال قد لا يكفيه لكترة عيال وطرق ضيق، وسائر ما يحتاج إليه من لباس وركوب وغيرها فذلك قريب من أكل الشعير في المعنى وأيضا فإن ما يرجع إلى المأكول والمشرب لا تجمل فيه بالنسبة إلى الظهور للناس» وعلق الشاطئي على قول القرافي فكذلك يحتاجون إلى تحديد زخارف وسياسات لم تكن قدية وربما وجبت في بعض الاحوال» علق عليه بأنه مفترض إلى التأمل ففيه على الجملة أنه مناقض لقوله في آخر الفصل الخير كله في الاتباع والشركه في الابتداع، مع ما ذكر قبله فهذا كلام يقتضي أن الابتداع شركه فلا يمكن أن يجتمع مع فرض الوجوب وهو قد ذكر أن البدع قد تجب وإذا وجبت لزم العمل بها وهي لما كانت ضمن الشركه فقد اجتمع فيها الأمر بها والأمر بتركها ولا يمكن فيما الانفكاك وإن كانا من جهتين لأن الواقع يستلزم الاجتماع وليس كالصلة في الدار المخصوصة لأن الانفكاك عن الواقع ممكن وهاهنا إذا وجبت فإنما تجب على الخصوص وقد فرض أن الشر فيها على الخصوص فلزم التناقض وأما على التفصيل فإن تحديد الزخارف فيه من الخطأ مالا يخفى وأما السياسات فإن كانت جارية على مقتضى الدليل الشرعي فليست ببدع وإن خرجمت عن ذلك فكيف يندب إليها وهي مسألة النزاع».

وأجاب عن الأشياء التي أوردها القرافي في قسم المكره بأنها هي من قبيل البدع في الجملة ولا كلام فيها أو من قبيل الاحتياط على العبادات المحضة أن لا يزيد فيها ولا ينقص منها وذلك صحيح لأن الزيادة فيها والنقصان منها بدع منكرة فحالاتها وذرائعها يحتاط بها في جانب النهي.

وأجاب عن ايراد القرافي في قسم المباح مسألة المناخل بأنها ليست في الحقيقة من البدع بل هي من باب التنعم ولا يقال فيمن تنعم بمباح إنه قد ابتعد وإنما يرجع ذلك إذا اعتبر إلى جهة الإسراف في المأكولات لأن الإسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية فالمناخل لا تعود القسمين فإن كان الإسراف من ماله فإن كره والا اغفر مع أن الأصل الجواز وما يحكيه أهل التذكير من الآثار أن أول ما أحدث الناس أربعة أشياء : المناخل ، والشبع ، وغسل اليدين بالأشنان بعد الطعام والأكل على الموائد وهذا كله إن ثبت نacula ليس ببدعة وإنما يرجع إلى أمر آخر وإن سلم أنه بدعة فلأنه مباحة بل هي ضلالة ومنهى عنها ولكن الانقول بذلك ، هذا ما أجاب به الشاطبى عن كلام القرافي إجمالاً وتفصيلاً وقد أجاد فيه وأما تقسيم العز بن عبد السلام شيخ القرافى البدعة إلى الأقسام الخمسة فقد أجاب عنه العلامة إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الشاطبى في الجزء الأول من الاعتصام ص ١٥٥-١٦٧ قال في الجواب عن أمثلة الواجب مانصبه فأمثلة الواجب منها من قبيل مالا يتم الواجب الا به كما قال فلا يشترط أن يكون معمولاً به في السلف ولا أن يكون له أصل في الشريعة على الخصوص لأنه من باب المصالح المرسلة لا البدع أما هذا الثاني فقد تقدم وأما الأول فالأنه لو كان ثم من يسير إلى فريضة الحج طيرانا في الماء او مشيا على الماء لم يعد مبتدعاً بمشيه كذلك لأن المقصود إنما هو التوصل إلى مكة لأداء الفرض وقد حصل على الكمال فكذلك هذا على أن هذه أشياء قد ذمتها بعض من تقدم من المصنفين في طريقة التصوف وعدها من جلة ما ابتعد الناس وذلك غير صحيح ويكتفي في رده اجماع الناس قبله على خلاف ماقال على أنه نقل عن القاسم بن حميرة أنه ذكرت عنده العربية فقال: أنها كبر وأخرها بمعنى وحکى أن بعض السلف قال: النحو يذهب الخشوع من القلب ومن أراد أن يزدرى الناس كلهم فلينظر في النحو ونقل نحو من هذه وهذه كلها لادليل فيها على الذم لأنه لم يذم النحو من حيث هو بدعة بل من حيث يكتسب به أمر زائد كما يذم سائر علماء السوء لأجل علومهم بل لأجل ما يحدث لهم بالعرض من الكبر به والعجب وغيرهما ولا يلزم من ذلك كون العلم بدعة فقمية العلوم التي يكتسب بها

أمر مذموم بدعى إما على المجاز المحسن من حيث لم يجتهد إليها أولاً ثم احتج بعد أو من عدم المعرفة بموضوع البدعة إذ من العلوم الشرعية ما يداخل صاحبها الكبر والزهو وغيرهما ولا يعود ذلك عليها بنم ومتى حكى بعض هذه المتضوفة عن بعض علماء الخلف أنه قال: العلوم تسعه أربعة منها سنتها معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف. فأما الأربع المعروفة فعلم الإيمان وعلم القرآن وعلم الآثار والفتاوي، وأما الخامسة المحدثة فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم العقول بالنظر. وهذا إن صح نقله فليس أولاً كما قال فإن أهل العربية يحكون عن أبي الأسود الدؤلي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي أشار عليه بوضع شيء في النحو حين سمع أغربها قارئاً «إن الله بريء من المشركين ورسوله» باجر. وقد روى عن ابن أبي مليكة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبو الأسود فوضع النحو والعروض من جنس النحو. وإذا كانت الاشارة من واحد من الخلفاء الراشدين صار النحو والنظر في الكلام العربي من سنة الخلفاء الراشدين وإن سلم أنه ليس كذلك فقاعدة المصالح تعم علوم العربية أي تكون من قبيل المشروع فهي من جنس كتب المصحف وتدوين الشرائع. وما ذكر عن القاسم بن خيميرة قد رجع عنه قال أحمد بن يحيى ثعلب قال كان أحد الأئمة في الدين يعيّب النحو ويقول أول تعلمه شغل وآخره يزدرى العالم به الناس فقرأ يوماً «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» برفع «الله» ونصب «العلماء» فقيل له كفرت من حيث لا تعلم تحمل الله يخشى العلماء فقال لاطعنت عن علم يدل إلى معرفة هذا أبداً «قال عثمان بن سعيد الداني الإمام الذي ذكره أحمد بن يحيى هو القاسم بن خيميرة قال «وقد جرى لعبد الله بن أبي إسحاق مع محمد بن سيرين كلام وكان ابن سيرين يتنقص النحوين فاجتمعوا في جنازة فقرأ ابن سيرين «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» برفع اسم الله فقال له ابن أبي إسحاق كفرت يا أبا بكر تعيب على هؤلاء الذين يقيمون كتاب الله فقال ابن سيرين إن كنت أخطأت فأستغفر الله.

وأجاب الشاطبي عمما ذكره العز بن عبد السلام في شأن احداث المدارس بقوله (أما المدارس فلم يتعلّق بها أمر تعبدى يقال في مثله بدعة الاعلى فرض أن يكون من السنة أن لا يقرأ العلم إلا في المساجد وهذا لا يوجد بل العلم كان في الزمان الأول يبيث بكل مكان من مسجد أو منزل أو سفر أو حضر أو غير ذلك حتى في الأسواق فإذا أعد أحد من الناس مدرسة يعني باعدادها الطلبة فلا يزيد

ذلك على اعداده له منزلا من منازله أو حائطا من حوائطه أو غير ذلك ، قال « وإن قيل أن البدعة في تخصيص ذلك الموضع دون غيره فالتفصيص هاهنا ليس بتخصيص تعبدى وإنما هو تعين بالحبس كما تعين سائر الأمور المحبسة وتخصيصها ليس ببدعة فكذلك مانحن فيه بخلاف الربط فانها خصت تشبيها بالصفة بها للتعبد فصارت تعبدية بالقصد والعرف حتى إن ساكنيها ميابنون لغيرهم في التحلة والمذهب والزى والاعتقاد».

وأجاب عما ذكره العز بن عبد السلام في بناء القنطر بأنه راجع إلى اصلاح الطرق وإزالة المشقة عن سالكيها قال «وله أصل في شعب اليمان وهو إماتة الأذى عن الطريق فلا يصح أن يعد في البدع بحال» وعلق على تمثيل العز للبدعة المندوبة بكل احسان لم يعهد في العصر الأول علق عليه بقوله مانصه (قوله — أى العز — وكل احسان لم يعهد في العصر الأول فيه تفصيل فلا يخلو الاحسان المفروض ان يفهم من الشريعة أنه مقيد بقيود تعبدى أولا فإن كان مقيدا بالتعبد الذي لايعقل معناه فلا يصح أن يعمل به إلا على ذلك الوجه وإن كان غير مقيد في أصل التشريع بأمر تعبدى فلا يقال إنه غير بدعة على أى وجه وقع الا على أحد ثلاثة أوجه. أحدها أن يخرج اصلا شرعا مثل الاحسان المتبع بالمن والأذى والصدقة من المديان المضروب على يده وماأشبه ذلك ويكون إذا ذاك معصية والثاني أن يتلزم على وجه لايتعدى بحيث يفهم منه الجاھل أنه لايجوز إلا على ذلك الوجه فحينئذ يكون الالتزام المشار إليه البدعة بل بدعة مذمومة وضلاله فلا تكون إذا ذاك مستحبة. والثالث أن يجري على رأى من يرى المعقول المعنى وغيره بدعة مذمومة كمن كره تخيل الدقيق في الصيغة فلا تكون عنده البدعة مباحة ولا مستحبة».

وأجاب عما ذكره العز في صلاة التراويح بأنه قد تقدم الكلام عليها — أى في رده على القراف فلا حاجة إلى اعادته وأجاب الشاطبى عما ذكره العز في علم المقاييس وعلم المعمول بقوله «أما علم المقاييس فأصله في السنة ثم في علم السلف بالقياس ثم قد جاء في ذم القياس أشياء حلوها على القياس الفاسد فذلك من قبيل النظر في الأدلة وقد كان السلف الصالح يجتمعون للنظر في المسائل الاجتهادية التي لانص فيها للتعاون على استخراج الحق فهو من قبيل التعاون على البر والتقوى ومن قبيل المشاورة المأمور بها فكلماها مأمور به. وأما علم المعمول بالنظر فأصل ذلك في الكتاب والسنة لأن الله تعالى احتاج في القرآن على المخالفين لدينه بالأدلة العقلية كقوله «لو كان فيما آلمة إلا الله لفسدتا» وقوله «هل من شركائكم من يفعل من

ذلكم من شيء» وقوله «أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لم شرك في السموات» وحکى عن ابراهيم عليه السلام محاجته للكفار بقوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) الغر في الحديث حين ذكرت العدوى «فمن أعدى الأول إلى غير ذلك من الأدلة فكيف يقال إنه من البدع».

وأجاب عن قول عز الدين إن الرد على القدرة وكذا غيرهم من أهل البدع من البدع الواجبة بأنه غير جار على الطريق الواضح ولو سلم فهو من المصالح المرسلة قال وأما أمثلة البدع المحمرة ظاهرة.

وأجاب عن تشيل العز بن عبد السلام للبدعة المندوبة حسب تقسيمه باحداث الرابط.

أجاب عنه بقوله (إن عني بالربط مابنى من الحصون والقصور قصدا للرباط فيها فلاشك أن ذلك مشروع بشرعية الرباط ولا بدعة فيه وإن عني بالربط مابنى للتزام سكنها قصد الانقطاع إلى العبادة لأن إحداث الربط التي شأنها أن تبني تدبينا للمنقطعين للعبادة في زعم المحدثين ويوقف عليها أوقاف يجرى منها على الملزمين لها ما يقوم بهم في معاشهم من طعام ولباس وغيرهما لا يخلو أن يكون لها أصل في الشريعة أم لا فإن لم يكن لها أصل دخلت في الحكم تحت قاعدة البدع التي هي ضلالات فضلا عن أن تكون مباحة فضلا عن أن تكون مندوبة إليها وإن كان لها أصل فليست ببدعة فإذا خالما تحت جنس البدع غير صحيح» ولم يكتف الشاطبي بهذا بل أضاف إليه تفتييد القول بأن حال أهل تلك الربط يشبه حال أهل الصفة واجاد الكلام في ذلك غاية الاجادة ونص كلامه:-

«إن كثيرا من تكلم على هذه المسألة من المصنفين في التصوف تعلقا بالصفة التي كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع فيها فقراء المهاجرين وهم الذين نزل فيهم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) الآية وقوله تعالى «واسبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى» الآية فوصفهم الله بالتعبد والانقطاع إلى الله بدعائه قصداً الله خالصا فدل على أنهم انقطعوا لعبادة الله بدعائه قصداً الله لا يشغلهم عن ذلك شاغل فعن إنما صنعوا صفة مثلها أو تقاربها يجتمع فيها من أراد الانقطاع إلى الله ويلتزم العبادة ويتجرد عن الدنيا والشغل بها وذلك كان شأن الأولياء ينقطعون عن الناس ويشتغلون باصلاح مواطنهم ويولون وجههم شطر الحق فهم على سيرة من تقدم وإنما يسمى ذلك بيعة باعتبار ما

بل هي سنة وأهلها متبعون للسنة فهي طريقة خاصة لأناس ولذلك لما قيل لبعضهم في كم تجب الزكاة قال: على مذهبنا أم على مذهبكم ثم قال: أما على مذهبنا فالكل الله وأما على مذهبكم فكذا وكذا أو كما قال. وهذا كله من الأمور التي جرت عند كثير من الناس هكذا غير محققة ولا منزلة على الدليل الشرعي ولا على أحوال الصحابة والتابعين ولا بد من بسط طرف من الكلام في هذه المسألة بحول الله حتى يتبين الحق فيها لمن أنصف ولم يغالط نفسه وبالله التوفيق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة كانت المجرة واجبة على كل مؤمن بالله من كان بيكة أو غيرها فكان منهم من احتال على نفسه فهاجر بالله أو شيء منه فاستعان به لما قدم المدينة في حرفته التي كان يخترف من تجارة أو غيرها كأبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه هاجر بجميع ماله وكان خمسة آلاف. ومنهم من فر بنفسه ولم يقدر على استخلاص شيء من ماله فقدم المدينة صفر اليدين وكان الغالب على أهل المدينة العمل في حوائطهم وأموالهم بأنفسهم فلم يكن لغيرهم معهم كبير فضل في العمل وكان من المهاجرين من أشركهم الأنصار في أموالهم وهو الأكثرون بدليل قصة بنى النضير فإن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير قال للأنصار إن شتم قسمتها بين المهاجرين وتركتم نصيبيكم فيها وخلأ المهاجرين بينكم وبين دوركم وأحوالكم فإنهم عيال عليكم فقالوا نعم فعل ذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم غير أنه أعطى أبادجانة وسهل بن حنيف وذكر انهم فقراء وقد قال المهاجرين أيضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله مارأينا قوماً أبذر لكثير ولا أحسن موساً بقليل من قوم نزلنا بين اظهارهم يعني الأنصار لقد كفونا المؤنة وشاركونا في المهن حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاما دعوتهم لهم وأثننتهم عليهم. ومنهم من لم يلتقط نوى التمر فيرضها ويبيعها علفاً للابل ويتفقون من ذلك الوجه ومنهم من لم يجد وجهها يكتسب بها لقوت ولا لسكنى فجمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في صفة كانت في مسجده وهي سقيفة كانت من جملته إليها يأowون وفيها يقدعون إذ لم يجدوا مالاً ولا أهلاً وكان النبي صلى الله عليه وسلم يغض الناس على اعانتهم والاحسان إليهم وقد وصفهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه إذ كان من جملتهم وهو أعرف الناس بهم قال في الصحيح: وأهل الصفة أضيف الإسلام لا يأowون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أنتهى يعني النبي صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها إليهم ولا يتناول منها شيئاً وإذا أنتهى هدية أرسل إليهم وأصحاب منها وأشركهم فيها فوصفهم

بأنهم أضياف الإسلام وحكم لهم كما ترى بحكم الأضياف وإنما وجبت الضيافة في الجملة لأن من نزل بالبادية لا يجد منزلولا لاطعاما لشراء إذ لم يكن لأهل الوبر أسواق ينال منها ما يحتاج إليه من طعام يستر ولا خانات يُؤوي إليها فصار الضيف مضطراً وإن كان ذا مال فوجب على أهل الموضع ضيافته وإيواءه حتى يرتحل فإن كان لامال له فذلك أخرى فكذلك أهل الصفة لما لم يجدوا منزلولا آواهـم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد حتى يجدوا كما أنهم حين لم يجدوا ما يقتتهم ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اعانتهم وفيهم نزل قول الله تعالى «يأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض» إلى قوله — للقراء الذين أحصروا في سبيل الله ، الآية فوصفهم الله تعالى بأوصاف منها أنهم أحصروا في سبيل الله أى منعوا وحبسوا حين قصدوا الجهاد مع نبيه صلى الله عليه وسلم كان العدو أحصرهم فلا يستطيعون ضربا في الأرض لا لتخاذل المسكن ولا للمعاش كان العدو قد أحاط بالمدينة فلما هم يقدرون على الجهاد حتى يكسبوا من غنائمه ولا هم يتغرون للتجارة أو غيرها لخوفهم من الكفار ولضعفهم في أول الأمر فلم يجدوا سبيلا للكسب أصلا وقد قيل إن قوله تعالى (لا يستطيعون ضربا في الأرض) انهم قوم اصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمني وفيهم أيضا نزل (للقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) الأخرى كيف قال «أخرجوا» ولم يقل خرجوا فإنه قد كان يحتمل أن يخرجوا اختياراً فبان أنهم أخرجوا منها اضطرارا ولو وجدوا سبيلاً أن لا يخرجوا لفعلوا فيه دليلاً على أن الخروج من المال اختياراً ليس بمقصود للشارع وهو الذي تدل عليه أدلة الشريعة فلأجل ذلك بوأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفة فكانوا في أثناء ذلك ما بين طالب للقرآن والسنة كأبي هريرة فإنه قصر نفسه على ذلك ألا ترى إلى قوله في الحديث (و كنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا) وكان منهم من يتفرغ إلى ذكر الله وعبادته وقراءة القرآن فإذا غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا معه وإذا أقام أقام معه حتى فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين فصاروا إلى ماصار الناس إليه غيرهم من كان ذا أهل ومال وطلب للمعاش واتخاذ المسكن لأن العذر الذي حبسهم في الصفة قد زال فرجعوا إلى الأصل لما زال العارض فالذى تحصل أن القعود في الصفة لم يكن مقصوداً لنفسه ولا بناء الصفة للقراء مقصوداً بحيث يقال إن ذلك مندوب إليه لمن قدر عليه ولا هي رتبة شرعية تطلب بحيث يقال إن ترك الاكتساب والخروج عن المال والانقطاع إلى الزوايا يشبه حالة أهل الصفة وهي الرتبة

العليا لأنها تشبه بأهل صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) الآية فإن ذلك لم يكن على مازعم هؤلاء بل كان على ما تقدم . والدليل من العمل أن المقصود بالصفة لم يدم ولم يثابر أهلها ولا غيرهم على البقاء فيها ولا عمرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان من قصد الشارع ثبوت تلك الحالة لكانوا هم أحق بفهمها أولا ثم باقامتها والمكث فيها عن كل شغل وأولى بتجديد معاهدها لكنهم لم يفعلوا ذلك البة فالتشبه بأهل الصفة إذا في إقامة ذلك المعنى واتخاذ الزوايا والربط لا يصح فليفهم الموفق هذا الموضع فإنه مزلة قدم من لم يأخذ دينه عن السلف الأقدمين والعلماء الراسخين ولا يظن العاقل أن القعود عن الكسب ولزوم الربط مباح أو مندوب إليه أفضل من غيره إذ ليس ذلك بصحيح ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أوها ولا كفى المسكين المفتر بعمل الشيوخ المتأخرین أن صدور هذه الطائفة المتصفين بالصوفية لم يتخدوا رباطاً ولا زاوية ولا بنوا بناء يضاهون به الصفة للجتماع على التبعد والانقطاع عن أسباب الدنيا كالفضيل ابن عياض وابراهيم بن ادhem والجندى وابراهيم الخواص والحارث المحاسبي والشبلى وغيرهم من سابق في هذا الميدان واما محصول هؤلاء أنهم خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفوا السلف الصالح وخالفوا شيخ الطريقة التي انتسبوا اليها ولا توفيق إلا بالله».

أجاب الشاطئي عن تمثيل العز بن عبد السلام للبدعة المندوبة حسب تقسيمه بالكلام في دقائق التصوف.

أجاب عنه بأن الكلام في دقائق التصوف ليس ببدعة باطلاق ولا هو مما صح بالدليل باطلاق بل الأمر ينقسم ثم قال^(١) «لفظ التصوف لابد من شرحه أولا حتى يقع الحكم على أمر مفهوم لأنه أمر جمل عند هؤلاء المتأخرین فلترجع إلى ما قال فيه المتقدمون وحاصل ما يرجع فيه لفظ التصوف عندهم معنيان: أحدهما التخلق بكل خلق سني والتجرد عن كل خلق دني والآخر أنه الفناء عن نفسه والبقاء لربه وهذا في التحقيق إلى معنى واحد إلا أن أحدهما يصلح التعبير به عن البداية والأخر يصلح التعبير به عن النهاية وكلها اتصف إلا أن الأول لا يلزم الحال والثانى يلزم الحال وقد يعبر فيهما بلفظ آخر فيكون الأول عملا تكليفيا والثانى نتيجه ويكون الاول اتصف الظاهر والثانى اتصف الباطن ومجموعهما هو التصوف. وإذا ثبت هذا

(١) الاعتصام ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٦.

فالتصوف بالمعنى الأول لابدعة في الكلام فيه لأنه إنما يرجع إلى تفقه يبنى عليه العمل وتفصيل آفاته وعوارضه وأوجه تلافي الفساد الواقع فيه بالإصلاح وهو فقه صحيح وأصوله في الكتاب والسنّة ظاهرة فلا يقال في مثله بدعة إلا إذا أطلق على فروع الفقه التي لم يلف مثلها في السلف الصالح أنها بدعة كفروع أبواب السلم والاجارات والجراح ومسائل السهو والرجوع عن الشهادات وبيع الآجال وما أشبه ذلك. وليس من شأن العلماء إطلاق لفظ البدعة على الفروع المستنبطة التي لم تكن فيما سلف وإن دقت مسائلها فكذلك لا يطلق على دقائق فروع الأخلاق الظاهرة والباطنة أنها بدعة لأن الجميع يرجع إلى أصول شرعية. وأما بالمعنى الثاني فهو على أضرب: أحدها يرجع إلى العوارض الطارئة على السالكين إذا دخل عليهم نور التوحيد الوجданى فيتكلّم فيها بحسب الوقت والحال وما يحتاج إليه في النازلة الخاصة رجوعاً إلى الشيخ المربى وما بين له في تحقيق مناطها بفراسته الصادقة في السالك بحسبه وبحسب العارض فيداوه بما يليق به من الوظائف الشرعية والأذكار الشرعية أو باصلاح مقصدہ إن عرض فيه العارض فقلما يطأ العامل بل العارض إلا عند الاخلال ببعض الأصول الشرعية التي بنى عليها في بدايته فقد قالوا: إنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول فمثل هذا لابدعة فيه لرجوعه إلى أصل شرعى ففى الصحيح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه ناس من أصحابه رضى الله عنهم فقالوا يا رسول الله إننا نجد في أنفسنا الشيء يعظم أن نتكلّم به أو الكلام به مانحب أن لنا وأنا تكلمنا به قال: أو قد وجدتموه قالوا نعم قال: «ذاك صريح الإيمان» وعن ابن عباس رضى الله عنهمما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن احذنا يجد في نفسه يعرض بالشيء لأن يكون حمماً أحب إليه من أن يتتكلّم به قال «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» وفي حديث آخر «من وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله» وعن ابن عباس رضى الله عنهمما في مثله: إذا وجدت شيئاً من ذلك فقل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» إلى أشباء ذلك وهو صحيح مليح. والثاني يرجع إلى النظر في الكرامات وخرائق العادات وما يتعلّق بها مما هو خارق في الحقيقة أو غير خارق وما هو منها يرجع إلى أمر نفسي أو شيطاني أو ما أشبه ذلك من أحکامها. فهذا النظر ليس ببدعة كما أنه ليس ببدعة النظر في المعجزات وشروطها والفرق بين النبي والمتنبي وهو من علم الأصول فحكمه حكمه. والضرب الثالث ما يرجع إلى النظر في مدركات النفوس من العالم الغائب وأحكام

التجريد النفسي والعلوم المتعلقة بعالم الأرواح وذوات الملائكة والشياطين والنفوس الإنسانية والحيوانية وما أشبه ذلك وهو بلاشك بدعة مذمومة إن وقع النظر فيه والكلام عليه بقصد جعله علما ينظر فيه وفنا يستغل بتحصيله بتعلم أو رياضة فإنه لم يعهد مثله في السلف الصالح وهو في الحقيقة نظر فلسفى إنما يستغل باستجلابه والرياضة لاستفادته أهل الفلسفة الخارجون عن السنة المعدودون في الفرق الضالة فلا يكون الكلام فيه مباحا فضلا عن أن يكون مندوبا إليه. نعم قد يعرض للسلوك فيتكلم فيه مع المربي حتى يخرج عن طريقة ويبعد بينه وبين فريقه لما فيه من إمالة مقصد السالك إلى أن يعبد الله على حرف زيادة إلى الخروج عن الطريق المستقيم بتبعه والالتفات إليه إذ الطريق مبني على الاخلاص التام بالتوجه الصادق وتجريد التوحيد عن الالتفات إلى الأغيار وفتح باب الكلام في هذا الضرب مضاد لذلك كله والضرب الرابع يرجع إلى النظر في حقيقة الفناء من حيث الدخول فيه والاتصاف بأوصافه وقطع أطماع النفس عن كل جهة توصل إلى غير المطلوب وإن دقت فإن أهواء النفوس تدق وتسرى مع السالك في المقامات فلا يقطعها إلا من حسم مادتها وبت طلاقها وهو باب الفناء المذكور وهذا نوع من أنواع الفقه المتعلق بأهواء النفوس ولا يبعد من البدع للدخوله تحت جنس الفقه لأنه وإن دق راجع إلى ماجل من الفقه ودقته وجنته إضافيان والحقيقة واحدة. ثم أقسام آخر جيئها إما يرجع إلى فقه شرعى حسن في الشرع وإما إلى ابتداع ليس بشرعى وهو قبيح في الشرع.

وقال الشاطئي في الرد على كلام العز بن عبد السلام في الجدل وجع المحاير للاستدلال قال (أما الجدل وجع المحاير للاستدلال على المسائل فقد مر الكلام فيه) أى في الرد على القرافى ، وقال في الرد على عد العز بن عبد السلام زخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتلحين القرآن من البدع المكرورة قال (إن أراد مجرد الفعل من غير اقتران أمر آخر فغير مسلم وإن اراد مع اقتران أصل التشريع ف الصحيح ما قال ان البدعة لا تكون بدعة الا مع اقتران هذا القصد فإن لم يقترن فهو منها عنها غير بدعة).

وقال في الرد على عد المصاحفة عقب صلاة الصبح والعصر من أمثلة البدع المباحة قال (أما أنها بدعة فمسلم وأما أنها مباحة فممنوع إذا لا دليل في الشرع يدل على تخصيص تلك الأوقات بها بل هي مكرورة إذ يخالف بدوامها الحالها بالصلوات المذكورة).

وقال في الرد على عد التوسع في المللذات من البدع المباحة (قد تقدم مافيه)

بشير بذلك الى قوله ص ١٥٥ في الرد على عد القراف المناخل في قسم المباح مانصه (ليست – أى المناخل – في الحقيقة من البدع بل هي من باب التنعم ولا يقال فيمن تعم بمباح إنه قد ابتدع وإنما يرجع ذلك إذا اعتبر إلى جهة الاسراف في المأكل لأن الاسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية».

هذا آخر جواب الشاطبي عن كلام العز بن عبد السلام وقد وضع منه كما ذكره الشاطبي ص ١٦٧ ج ١ أن البدع لا تنقسم إلى ذلك الانقسام بل هي من قبيل النهي عنه إما كراهة واما تحريما.

وأما دعوى الشيخ محمد بن علوى أنه لو كانت كل بدعة حرمته لوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطيارات والأسطيل» فالجواب عليها بما بينه الإمام ابن القيم في كتابه «الفروسيّة» ص ١٠١ حيث قال في القسي الفارسية «الصواب المقطوع به أنه لا يكره الرمي بها ولا النضال عليها وقد انعقد إجماع الأمة على إباحة الرمي بها وحلها وهي التي يقع بها الجهاد في هذه الأعصار، وبها يكسر العدو وبها يعز الإسلام ويرعب المشركون . والمقصود نصرة الدين وكسر أعدائه لاعين القوس وجنسها وقد قال تعالى «وأعدوا لهم ما تستطعتم من قوة» والرمي بهذه القسي من القوة المعدة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ارموا واركعوا وأن ترموا أحباً الي من أن ترکبوا» ولم يخص نوعاً من نوع وليس هذا الخطاب مختصاً بالصحابة بل هو لهم وللأمة إلى يوم القيمة فهو أمر كل طائفة بما اعتادوه من الرمي والقسي والأحاديث التي تقدمت في فضل الرمي وتبلigh العدو السهام عامة في كل نوع فلا يدعى فيها التخصيص بغير موجب. وأما النهي عنها – أى القسي الفارسية – (١) إن صح فذاك في وقت مخصوص وهو حين كانت العرب هم عسكر الإسلام وقبيلهم العربية – فكلامهم بالعربية وأدواتهم عربية وفروسيتهم عربية وكان الرمي بغير قسيهم والكلام بغير لسانهم حينئذ تشبهها بالكافر من العجم وغيرهم أما في هذه الأزمان فقسى عسكر الإسلام الفارسية أو التركية وكلامهم وأدواتهم وفروسيتهم العربية فلو كره لهم ذلك ومنعوا منه فسدت الدنيا والدين وتعطل سوق الجهاد واستولى الكفار على المسلمين وهذا من أبطل الباطل فإن صح الخبر فالنبي صلى الله عليه وسلم لعنها وأمر بالقائها حين لم يكن العجم والترك قد أسلموا

(١) وكان ابن القيم قد قال قبل ذلك بعد أن ذكر أن الإمام أحمد نص على جواز المسابقة بالقسي الفارسية وأباح الرمي بها قال مانصه «قال أبو بكر من أصحابنا يكره واحتاج بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى مع رجل قوساً فارسية فقال «ألقها فإنها ملعونة».

فهى كانت شعاراً للكفار والمرتكبين أو منع الرجل من حملها لعدم أهل الإسلام حينئذ ولهذا قال «عليكم برمي القنا» فلم تستعمل الرماح حينئذ واستعمل معهم ما ينافون شوكته من السلاح ومن هذا لو حاصرنا حصناً فقوس الجرخ فيه أفعى من قوس اليد لكان الرمي بقوس الجرخ فيه أولى من الرمي بقوس اليد بل كان يتبعين فإن كان الرمي بالمنجنيق أدعى إلى فتحه كان أولى من النشاب وحده والكافر عدو والمقصود قتله كييفما أمكن كقتل الحية والكلب العور فكل طائفة من المسلمين الأفضل في حقها أن تقاتل بما اعتادته من القسي والآلات وأنواع الحرب والقتال ولو كانت عساكر الإسلام اليوم تقاتلون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القسي الفارسية وينصر الله ورسوله بها مدحها وأثنى عليها ولم ينفهم عنها وبالله التوفيق».

ومن أحسن ماجاء في الرد على تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة قول الإمام تقى الدين ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٢٧٤-٢٧٥ «لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلية وهي قوله «كل بدعة ضلالة» بسلب عمومها وهو أن يقال ليست كل بدعة ضلالة فإن هذا إلى مشaqueة الرسول أقرب منه إلى التأويل بل الذي يقال فيما يثبت به حسن الاعمال التي قد يقال هي بدعة إن هذا العمل المعين مثلاً ليس ببدعة فلا يندرج في الحديث أو إن اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم لدليل كذا وكذا الذي هو أقوم من العموم مع أن الجواب الأول أجود وهذا الجواب فيه نظر فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الجامعة فلا يعدل عن مقصوده بأبيه هو وأمي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قول السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من فتاواه ص ١٣٧٨-١٣٧٩ في البدع مانصه (منها ما يكون كفراً أو وسيلة إلى الكفر ومنها ما هو حرام وما هو مكروه). وليس في البدع الشرعية شيء جائز كان يمكن مباحاً لأنها لا تكون إلا ضلالة كما ورد في الحديث وقد صرخ بهذا الفقيه ابن حجر المكي في «الفتاوى الحديبية» ص ٢٠٦ وأما البدعة غير الشرعية فهي التي قالوا إنها تنقسم إلى الأحكام الخمسة كما بيته ابن حجر في ص ١١٢ من «الفتاوى الحديبية» أيضاً ولكن أخطأ في بعض الأمثلة وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية وقد فصل العلامة الشاطبي هذا البحث تفصيلاً تماماً في كتابه «الاعتراض» وسبق لنا نقل كثير من فصوله ولم يبلغنا قبل اليوم أن الجهل بلغ من أحد ينسب إلى الإسلام مبلغاً حمله على القول بأن العمل بالبدعة الشرعية جائز وأنه خير من تركها وبعد أن أثنى الشيخ رشيد رضا على فتوى

للشيخ سليم البشري جيدة في التحذير من العمل بالبدع الشرعية قال «لكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر مالا تؤثر الفتوى الفردية يسهل على الشيخ وهو رئيس العلماء أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الأربعة في الأزهر وأمرها باحصاء البدع الفاشية في المساجد والأضرحة والموالد وغيرها وتأليف رسائل في التنفير منها تطبع ويدرك فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألفوها وأقروها وأن يعهد إلى علماء جميع المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس في المساجد بنظام متبع وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين بها والمتكررين على كل من يخالفها ويمكن طبع الألوف من هذه الرسائل على نفقة الأوقاف الخيرية المطلقة وتوزيعها بغير ثمن وأن يعهد إلى بعض المنشئين المجيدين بإنشاء خطب في ذلك توزعها وزارة الأوقاف على خطباء جميع المساجد ليخطبوا بها وأن يقترح على الشعراء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزجر الناس عن تلك البدع ويسهل عليه أيضاً أن يتولى الحكومة إلى ابطال كثير من تلك البدع ولاسيما بعد الموسام والاحتفالات التي للحكومة يد فيها فعلى الله أن يوفق الشيخ إلى هذا العمل الذي لا يقدر عليه غيره فيكون ذخرا له عند الله تعالى ومحجا لثناء الناس كلهم بحق.

**فصل فيما ترتب على الاحتفال
بذلك اليوم من أمور خطيرة
ومفاسد كبيرة**

ترتبط على الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى أمور خطيرة ومفاسد كثيرة. فمن الأمور الخطيرة التي ترتبت عليه صدور أوامر من بعض الولاة في العصور المتأخرة بتضليل ذلك اليوم عيداً وورود تصريحات من بعض أهل العلم المشجعين على الاحتفال بذلك اليوم باعتباره عيداً وعلى سبيل التمثيل لذلك لا الحصر أورد ما يلى:

١ - ما ورد في الجزء الثانى من «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» للشيخ أحد بن خالد الناصري السلاوى ج ٢ ص ٤٣ ونصه (في سنة إحدى وسبعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بعمل المولد النبوى وتعظيمه والاحتفال به وصيراه عيداً من الأعياد في جميع بلاده وذلك في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وكان الأمر به قد صدر عنه وهو صبرة من بلاد الريف في آخر صفر من السنة فوصل برسالة إقامته بحضور فاس الفقيه أبو يحيى بن أبي الصبر» هكذا ورد في الاستقصاء ذكر السلاوى بعد ذلك أن بنى العزف أصحاب سبعة سبقو السلطان يوسف إلى عمل المولد ثم قال «فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالغرب والله أعلم».

٢ - ماجاء في المدخل لابن الحاج ج ٢ ص ٤٦ ونصه «لقد أحسن الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف ابن الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي مروان عبد الملك البكري عرف بابن السمات .. حيث قال:

تاج على هام الزمان مكمل
كل الفضائل حين تقبل تقبل
بل أنت أحل في العيون وأجل
أخفى الأهلة وجهه المتهلل الخ

أعلمت أنك ياربيع الأول
مستعدب الالام مرتب اللقا
ماعذت إلا كنت عيداً ثالثاً
شرفاً بولد مصطفى لما بدا

نقل عنه هذه الأبيات ابن الحاج في الجزء الثاني من المدخل ص ٤٦ رغم أن ابن الحاج نفسه قد جزم بأن المواسم التي لم تثبت شرعاً هي بين مواسم تنسب

إلى الشريعه وليس منه وبين مواسم تشبه اصحابها فيها بالنصارى^(١)) وقد أطال في تفصيل ذلك.

٣ - ماجاء في الإعلام باعلام بيت الله الحرام للشيخ قطب الدين الحنفي ص ١٩٦ في كلامه على الاحتفال بالمولود النبوى ونصه «كيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف لا يجعلونه عيداً من أكبر أعيادهم.

٤ - ماورد في كتاب «التبر المسبوك في ذيل السلوك» للسخاوى ص ١٤ بقصد كلامه على الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى ونصه (وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبىهم عيداً أكبر فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر) وقد تعقبه الملا على القارىء في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٢٩-٣٠ بقوله (قلت مما يرد عليه أنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب) هـ كلام علي القارى جزاه الله عنه خير الجزاء.

وعلى أساس اعتبار ذلك اليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى عيداً أفتى ابن عباد وابن عاشر بنع صومه كما بينه الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الطراطى المعروف بالخطاب في «مواهب الجليل شرح مختصر خليل» حيث قال قال الشيخ زروق في شرح القرطبة صيام يوم المولد كرهه بعض من قرب عصره من صح علمه وورعه قال انه من أعياد المسلمين فينبغي أن لا يصوم فيه وكان شيخنا أبو عبد الله القورى يذكر ذلك كثيراً ويستحسناته انتهى قلت - القائل الخطاب - لعله - أى زروق - يعني ابن عباد فقد قال في رسائله الكبرى مانصه «وأما المولد فالذى يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وامتاع البصر والسمع والتزيين بلبس فاخر الشباب وركوب فاره الدواب أمر مباح لainك على أحد قياساً على غيره من أوقات الفرح. والحكم بكل هذه الأشياء بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم الشهود وانقسم فيه ظلام الكفر والجحود وادعاء أن هذا الزمان ليس من المواسم الشرعية لأهل الإيمان ومقارنة ذلك بالنيروز

(١) راجع المدخل ج ٢ ص ٢٧٦ - ٣٠٥

والمهرجان أمر مستثقل تشمئز منه القلوب السليمة وتدفعه الآراء المستقيمة^(١)). ولقد كنت فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد إلى ساحل البحر فاتفق أن وجدت هناك سيدى الحاج ابن عاشر رحمه الله وجاءة من أصحابه وقد أخرج بعضهم طعاما مختلفا ليأكلوه هناك فلما قدموه لذلك أرادوا منى مشاركتهم في الأكل وكانت إذاك صائم فقلت لهم انى صائم فنظر إلي سيدى الحاج نظرة منكرة وقال لي ما معناه إن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام بمنزلة العيد فتأملت كلامه فوجدته حقا وكأننى كنت نائما فأيقظنى . انتهى ما في موهاب الجليل شرح مختصر خليل ج ٢ ص ٤٠٦ - ٤٠٧ وما ظنه من أن ابن عباد هو الذى جرت تلك القضية بينه وبين ابن عاشر جزم به الشيخ أحد بابا التنبكتى في «الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب» ص ٧١ والشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوى في الجزء الثاني من «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا» ص ١٤٤ . قال الشيخ أحد بابا «قال ابن عباد في رسائله كنت قدما خرجت يوم مولده صلى الله عليه وسلم إلى ساحل البحر فوجدت هناك السيد الحاج ابن عاشر رحمه الله وجاءة من أصحابه معهم طعام يأكلونه فأرادوا منى الأكل فقلت إنى صائم فنظر إلي السيد الحاج نظرة منكرة وقال: هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم كالعيد فتأملت مقاله فوجدته حقا وكأنه أيقظنى من النوم».

وقال السلاوى في ترجمة ابن عباد^(٢) مانصه «من فوائده التى نقلها عن شيخه

(١) ورد في تعليق بعض الفضلاء على كلام ابن عباد هذا مانصه «يحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة ولا يجوز تعظيم نبى الله تعالى إلا بما يرضيه ويرضى الله تعالى بل تنبغي الصدقة في السر بما يعمل في تلك الأيام من الأطعمة فإن ذلك أسلم من فساد النباتات ومن حضور الجماعات» ذكر ذلك صاحب «المعيار» ج ١١ ص ٢٧٦ كما ذكر في الجزء الثاني من «المعيار» ص ٤٧١-٤٧٢ أن ايقاد الشمع ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم وليلة سابعه بدعة وأن فيه مفاسد ، ثم قال «وقد تصدى لتغيير ذلك وشدة النكير فيه شيخ شيوخنا الشيخ المحصل العالم ابو عبد الله سيدى محمد بن ممزوق برد الله ضجعته وأسكنه جنته فانقطعت تلك المفاسد من تلمسان طول حياته رحمه الله ثم عادت بجنته رحمه الله بل زادت».

(٢) للشيخ ابن عباد خطب مدونة باللغة المشهورة بأيدي الناس يقرأون منها ما يتعلق بالمولد النبوى الشريف بين يدى السلطان تبركا بها ويقرؤونها في المجتمعات في المواسم كأول رجب وشعان ونصفهما والسابع والعشرين منها كرمضان ذكر ذلك المقى في ترجمة ابن عباد من نفح الطيب من غصن الأندرس الرطيب ج ٥ ص ٣٤٩-٣٥٠ قال «وقد حضرت براكسن المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ - أي ابن عباد - في المولد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام بين يدى مولانا السلطان أحمد المنصور بالله الشريف الحسني رحمه الله تعالى وقد احتفل بذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها.

ابن عاشر ماذكره في رسائله قال : كنت قدمًا خرجت في يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم صائمًا إلى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدى الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضي عنه وجماعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الأكل فقلت إنى صائم فنظر إلي سيدى الحاج نظرة منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستتبع في مثله الصوم كالعيد فتأملت قوله فوجدته حقا وكأنه أيقظنى من النوم»^{١٠١} هـ . وقد اغتر بهذه الفتوى الخطأة الشيخ محمد بن عرفة الدسوقي حيث قال في حاشيته على شرح الدردير لختصر خليل ج ١ ص ٤٧٤ في باب الصيام «تبينه من مجلة الصيام المكروه كما قاله بعضهم صوم يوم المولد المحمدى الحاقا له بالأعياد» ولاشك في ان اعتبار ذلك اليوم عيده بدعة كما أوضحه الإمام الشاطبى في الاعتصام ج ١ ص ٢٠ . فقد قال في تعريف البدعة على رأى من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات مانصه «فالبدعة إذن عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه . وقال في تعريفها على رأى من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية» ثم قال بعد إيراد هذين التعريفين مانصه «قوله في الحد «تضاهى الشرعية» يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها من أوجه متعددة، وذكر من أمثلة ذلك اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيدها»^{١٠١} هـ .

كما لاشك في أن منع صوم اليوم الموافق ل يوم المولد النبوى لو كان معلوماً مخالف لما خرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة الانصارى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال «ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علي فيه النبوة» فإن في إجابة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن صيام يوم الاثنين بهذا الجواب كما في «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» لابن رجب ص ٩٨ إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على عباده^(١) فإن أعظم نعم الله على هذه الامة إظهار محمد صلى الله عليه

(١) هذا هو الصواب لقول الشيخ محمد بن علوى المالكى في ص ٧ من رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف وفي ص ١٠ من مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى وفي ص ٦ من مقدمته لطبعه مولد ابن الدبيع تحت عنوان «مختصر في السيرة النبوية» في كلامه على حديث أبي قتادة الانصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال «فيه ولدت وفيه أُنزل علي» قال في كلامه عليه (هذا في معنى الاحتفال به الا ان الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام او إطعام طعام او اجتماع على ذكر او صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم او سماع شمائله الشريفة.

وسلم لهم وبعثته بإرساله إليهم» ومر إلى أن قال (فأما النعمة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببيها دين الله الذي رضيه لعباده وكان قبولة سبب سعادتهم في دنياهم وأخرتهم فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جليل وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددتها بالشكر، ثم قال (ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحًا من الغرق ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجندوه وأغرقهم في اليم فصامه نوح وموسى شكرًا لله فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعة لأنبياء الله وقال لليهود نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»، وهذه الرواية التي أشار إليها ابن رجب هنا عزها إلى مسند أحمد قبل ذلك في المجلس الثاني في يوم عاشوراء ص ٤٦ من «لطائف المعارف» ولفظه «وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «مر النبي صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء فقال: ما هذا الصوم قالوا: هذا اليوم الذي نجى الله عز وجل موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينه على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرًا لله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم» ولو استغنى ابن رجب عن هذه الرواية بحديث ابن عباس في الصحيحين قال «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه واغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه» أقول لو استغنى ابن رجب بهذه الرواية عن تلك الرواية التي ورد فيها ذكر نوح لأجاد فإن ذكر نوح فيها غريب كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسير قول الله تعالى (واسْتَوْتْ عَلَى الْجُودِي) قال ج ٢ ص ٤٤٧ (قال الإمام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي^(١) عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال «مر النبي صلى

(١) عبد الصمد بن حبيب الأزدي الذي جاء ذكر نوح في حديث صوم يوم عاشوراء من روایته هو وإن قال فيه يحيى بن معين لا يأس به فقد قال أحد والبخاري فيه لين الحديث وقال البخاري هو عبد الصمد بن أبي الختر الراسى وذكره أحد فوضع من أمره» ووالده حبيب بن عبد الله مجھول في زمن التابعين روى عنه ابنه عبد الصمد وحده ذكر ذلك كله الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

الله عليه وسلم بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال: ما هذا الصوم قالوا: هذا اليوم الذي نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرًا لله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم، أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فصام وقال لأصحابه «من كان أصيبح منكم صائمًا فليتم صومه ومن كان أصحاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه» ثم قال ابن كثير (هذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شاهد في الصحيح) وذكر في البداية والنهاية ج ١ ص ١١٧ أن ذكر نوح في هذا الحديث من المستغرب فيه والله أعلم.

والمقصود أن استحباب صوم اليوم الذي يوافق يوم المولد النبوى لو كان معينا هو الذى يقتضيه حديث أبي قتادة عند مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال «ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علي في النبوة» ومنها دعوى أن ليلة المولد النبوى أفضل من ليلة القدر وهي دعوى ذكرها القسطلانى^(١) في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ١٣٦-١٣٥ ولفظه «فإن قلت إذا قلنا بأنه عليه السلام ولد ليلا فأياماً أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده عليه السلام أجيبي بأأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة. أحدها أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له. وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولا نزع في ذلك فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر. الثاني أن ليلة القدر شرفت بنزل الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم. ومن شرفت به ليلة المولد أفضل من شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى ف تكون ليلة المولد أفضل. الثالث أن ليلة القدر وقع فيها التفضل على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلق فكانت ليلة المولد أعمّ نفعاً فكانت أفضل».

وقد تعقب هذه الدعوى الشيخ محمد بن عبد الباقى الزرقانى في شرحه على «المواهب اللدنية» ج ١ ص ١٣٦ بقوله «وهذا الذى ساقه المصنف – يعني القسطلانى – وأقره متعقب قال الشهاب الميتى فيه اجمال واستدلال بالآيات ينبع المدعى لأنه إن أريد أن تلك الليلة ومثلها من كل سنة إلى يوم القيمة أفضل من ليلة

(١) وقد حاد في ذلك عن الصواب كما حاد عنه فيه قبله الشيخ الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الذى صنف فيه مصنفًا سماه «جنا الجنتين في فضل الليلتين».

القدر فهذه الأدلة لا تنتهي ذلك كما هو جلي وإن أريد عين تلك الليلة فليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك وإنما أتي فضلها في الأحاديث الصحيحة على سائر ليالي السنة بعد الولادة بدة فلم يكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما تفضيل وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم وقد نص الشارع على أفضليتها ولم يتعرض لليلة مولده ولا لأمثالها بالفضيل أصلاً فوجب علينا أن نقتصر على ماجاء عنه ولا ينبع شيئاً من عند نفوسنا القاصرة عن إدراكه إلا بتوقف منه صلى الله عليه وسلم على أنا وإن سلمنا أفضلية ليلة مولده لم يكن له فائدة إذ لا فائدة في تفضيل الأزمنة إلا بفضل العمل فيها. وأما تفضيل ذات الزمن لا يكون بكون العمل فيه فليس له كبر فائدة قال الزرقاني بعد ايراد كلام الميتمي هذا «هو وجيه».

وتعقب أيضاً الملا على القاري دعوى القسطلانى بأن ليلة المول، أفضل من ليلة القدر بقوله ص ٩٧ من «المورد الروى في المولد النبوى» «أغرب القسطلانى وقال: ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة ذكرها حيث لا يفيد الاطلاق مع أن الأفضلية ليست إلا لكون العبادة فيها أفضل بشهادة النص القرآنى «ليلة القدر خير من الف شهر» ولا تعرف هذه الأفضلية لليلة مولده صلى الله عليه وسلم لا من الكتاب ولا من السنة ولا عن أحد من علماء هذه الأمة».

يؤيد ذلك التعقب الصبادر من الزرقانى ومن على القاري ماجاء عن قتادة في تفسير قول الله تعالى «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم» فقد جاء عن قتادة في تفسير قول الله تعالى في هذه الآية «فلا تظلموا فيهن أنفسكم» مانصه «إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة وزراً من الظلم فيما سواها وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء وقال: إن الله اصطفى صفاياً من خلقه اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل» هكذا أورده الحافظ ابن كثير في تفسير الآية المذكورة وعزاه السيوطي في «الدر المنثور في التفسير بالتأثر»

إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ^(١).

فقبول القسطلاني قول من قال بفضل ليلة المولد على ليلة القدر مادام الامر كذلك ليس إلا من قبيل الغلو الذى وصفه به والد الشيخ نجم الدين الغزى ونقله عنه ولده النجم في الجزء الثاني من «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» ص ١٢٧ ونصه «وكان له — أى القسطلاني صاحب كتاب المواهب اللدنية — اعتقاد تام في الصوفية وأكثر في المواهب من الاستشهاد بكلام سيد وفا وكان يميل إلى الغلو في رفعه قدر النبي صلى الله عليه وسلم ٤٠١ هـ، المراد من كلام الغزى وما يدل على ما وصف به والد النجم الغزى القسطلاني ماورد في الفصل الذى عقده القسطلاني في آخر كتابه «المواهب اللدنية» لزيارة القبر النبوى والمسجد النبوى من الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم عند القحط وعدم الامطار عند الجوع واعترافه بوقوع الاستغاثة منه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى حيث قال ج ٨ ص ٣١٨ مانصه «ولقد كان حصل لي داء أعىى دواء الأطباء وأقمت به سين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثة وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفا ومن على بالعود إليها في عافية بلا حسنة فبينا أنا نائم ثم إذا رجل مع قرطاس كتب فيه هذا دواء لأحد القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوى ثم استيقظت فلم أجده والله شيئاً مما كنت أجده وحصل لي الشفاء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم» قال «ووقع لي أيضاً في سنة خمس وثمانين وثمانمائة بطريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر أن صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها أيام فاستغثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فأتاني آت في منامي ومعه الجنى الصارع لها فقال لقد أرسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعانته وحلفته أن لا يعود لها ثم استيقظت وليس بها قلبة كأنما نشطت من عقال ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بكرة في سنة أربع وتسعين وثمانمائة فالحمد لله رب العالمين» ٤٠١ هـ كلام القسطلاني.

ثم أن ممؤسس عليه القول بتفضيل ليلة المولد النبوى على ليلة القدر وهو تقدير كون ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلاً غير موافق لما روى مسلم في صحيحه من طريق شعبة عن غيلان عن عبد الله بن معبد عن أبي قتادة الأنصارى في حديث طويل ولفظه «وسائل عن صوم يوم الاثنين قال «ذلك يوم ولدت فيه

(١) الا أنه قد سقط من «الدر المنشور» لفظ «والأشهر الحرم» بعد قوله «رمضان» ولفظ «أهل» قبل لفظ «العقل».

ويوم بعثت فيه أو انزل على فيه» فان هذا الحديث يدل اوضح دلالة على ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد نهارا لقوله «ذاك يوم ولدت فيه» وليس للقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم ولد ليلا مستند ثابت ومن عدم تأمل الشيخ محمد بن علوى المالكى ذلك كله استساغ التعليق على كلام الملا على في «المورد الروى» الآنف الذكر بقوله «اما نفس ليلة مولده التي مضت وانقضت فهى افضل من ألف ليلة من ليالى القدر لأن ليلة القدر من بركاتها وأما ليلة المولد من كل عام المافق ليلة المولد التي مضت فصحيحة أنها لا تعرف لها هذه الفضيلة» فإن تفضيله ليلة المولد التي مضت على الف ليلة من ليالى القدر يحتاج إلى الدليل كما يحتاج إليه تفضيل الليلة الماقفة لتلك الليلة التي وافق على أنها لا تعرف لها الفضيلة التي ثبتت لليلة القدر ولو قسّك في كل واحدة من اللياليين يقول الله تعالى في كتابه الكريم (ليلة القدر خير من ألف شهر) لم يتورط فيما تورط فيه^(١).

ومنها التوسع في الموالد إضافة إلى ذلك المولد جريا على طريقة بنى عبيد القداح المتسمين بالفاطميين^(٢) الذين توسعوا في الموالد بعد ابتداعهم الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوم المولد النبوى.

(١) وقد كتب التووى طرة على كتابه رياض الصالحين جاء فيها مانصه «ليلة القدر افضل ليالى السنة خص الله بها هذه الأمة وهى باقية إلى يوم القيمة ، ذكر ذلك الشيخ ابن مرزوق في جنا الجنتين في شرف الليالي وقال نقلته إلى أصلى من هذا الكتاب – أى رياض الصالحين – من خطه ثم قال ابن مرزوق هذا نص أو قريب منه يدل على أفضلية ليلة القدر على ليلة المولد لكونه قال فيها «أفضل ليالى السنة» وليلة المولد منها» وليت ابن مرزوق تلقى هذا بالقبول ولم يحد عنه إلى القول بفضل ليلة المولد على ليلة القدر الذى لم يذكر له رغم اطالته فيه ما يصلح الاعتماد عليه.

(٢) هم ملاحدة في الباطن أخذوا من مذاهب الفلسفه والمجوس ماخلطا به أقوال الرافضة فصار خيار ما يظهرونه من الإسلام دين الرافضة وأما في الباطن فملاحدة شر من اليهود والنصارى ولا من لم يصل إلى منتهى دعوتهم فإنه يبقى راضيا داخلًا الإسلام ولذا قال فيهم العلماء ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحسوب وهم من أشد الناس تعظيمًا للمشاهد ودعوة الكواكب ونحو ذلك من دين المشركين وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. وآثارهم في القاهرة تدل على ذلك، ذكر ذلكشيخ الإسلام بن تيمية في الرد على البكري وقال لقد كت لما رأيت آثارهم أبين للناس أصل ذلك وحقيقة دينهم وأنهم من أبرء الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم دينا ونسبا وقد صنف العلماء فيهم وفي أصولهم كتابا نظرية وخبرية» ورد هذا كله في تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ص ٣٠٧

فقد قال المقرئي في الجزء الثامن من «الخطط» ص ٣٨٤ تحت عنوان «ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميين يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكتثر نعمتهم» قال «كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي موسم رأس السنة ، وموسم أول العام ، ويوم عاشوراء ، ومولد النبي صل الله عليه وسلم ، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومولد الحسن ، ومولد الحسين عليهما السلام ، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ، ومولد الخليفة الحاضر ، وليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه ، وموسم ليلة رمضان ، وغرة رمضان ، وسماط رمضان ، وليلة الحنـتـم ، وموسم عيد الفطر ، وموسم عيد النحر ، وعيد الغدير ، وكسوة الشـتـاء ، وكسوة الصـيف ، وموسم فتح الخليج ، ويوم النوروز ، ويوم الغطاس ، ويوم الميلاد ، وخيس العـدـس ، وأيام الرـكـوبـاتـ .

وقال العـلـامـ الشـيـخـ مـحـمـدـ بـخـيـتـ الـطـبـيعـيـ الـخـفـيـ مـفتـىـ الـديـارـ الـمـصـرـيـةـ فـيـ كـتـابـهـ «أـحـسـنـ الـكـلـامـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـالـسـنـةـ وـالـبـدـعـةـ مـنـ الـأـحـكـامـ» ص ٤٧ بعد ذكره مـوـالـدـ بـنـىـ عـبـيـدـ الـقـدـاحـ «قـدـ اـسـتـمـرـ عـمـلـ الـمـوـالـدـ إـلـىـ الـآنـ غـيرـ أـنـ النـاسـ تـرـكـواـ بـعـضـ الـمـوـالـدـ الـخـمـسـةـ وـزـادـواـ مـوـالـدـ أـخـرـىـ حـتـىـ كـادـتـ الـمـوـالـدـ الـآنـ لـاتـخـصـىـ وـزـادـواـ عـلـىـ مـاـكـانـ يـعـمـلـ فـيـهاـ زـمـنـ الـفـاطـمـيـنـ أـشـيـاءـ وـنـقـصـواـ أـشـيـاءـ وـزـادـواـ فـيـ أـيـامـهـاـ» ثـمـ جـزـمـ بـأنـ الـمـوـالـدـ مـاـكـانـ تـعـرـفـ فـيـ دـوـلـةـ الـإـسـلـامـ إـلـاـ مـنـ قـبـلـ الـفـاطـمـيـنـ وـقـالـ فـيـ صـ ٥٢ـ «وـأـنـتـ إـذـاـ عـلـمـتـ مـاـكـانـ يـعـمـلـ الـفـاطـمـيـنـ وـمـظـفـرـ الـدـينـ فـيـ الـمـوـلـدـ الـنـبـوـيـ جـزـمـتـ بـأـنـ لـاـيمـكـنـ بـحـكـمـ عـلـيـهـ كـلـهـ بـالـحلـ .».

وـمـنـهـ دـعـوىـ أـنـ مـنـ صـادـفـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ السـاعـةـ التـيـ ظـهـرـ فـيـهـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـسـأـلـ اللـهـ فـيـهـ شـيـثـاـ أـعـطـاهـ إـيـاهـ قـيـاسـاـ عـلـىـ سـاعـةـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ التـيـ صـحـ فـيـهـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ لـاـ يـصـادـفـهـاـ عـبـدـ مـسـلـمـ يـسـأـلـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـهـ شـيـثـاـ الـأـعـطـاهـ إـيـاهـ .

قال ابن الحاج في «المدخل» ج ٢ ص ٣١ «إذا كانت تلك الساعة التي وجد فيها آدم عليه الصلاة والسلام لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه فلما شد أن من صادف الساعة التي ظهر فيها - أى نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام إلى الوجود وهو يسأل الله تعالى شيئاً أنه قد نجح سعيه وظفر براده إذ إن المعنى الذي فضل الله تعالى به تلك الساعة في يوم الجمعة هو خلق آدم عليه الصلاة والسلام فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد الأولين والآخرين صل الله عليه وسلم».

وقال القسطلاني في «المواهب اللدنية» ج ١ ص ١٣٢ (إذا كان يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين صل الله عليه وسلم) وعبر عن ذلك المعنى الشيخ محمد بن علوى بن عباس المالكى في رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ١٣-١٢ وفي مقدمته لطبعه مولد الدبىع التي اخترع فيها تسمية ذلك المولد بختصر في السيرة النبوية- ص ٩-١٠ وفي مقدمته للمرور الروى في المولد النبوى ص ١٢ بقوله «يؤخذ من قوله صل الله عليه وسلم في فضل يوم الجمعة وعد مزاياه «وفيه ولد آدم» تشريف للزمان الذى ثبت أنه ميلاد لأى نبى كان من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الذى ولد فيه أفضل النبىين وأشرف المرسلين ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه بل يكون له خصوصاً ولتنوعه عموماً مهما تكرر كما هو الحال في يوم الجمعة شكرًا للنعمة وإظهارًا لمزيدية النبوة وإحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الاصلاح المهم في تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود) وهذا حذو السيد محمد بن علوى في ذلك الأستاذة يوسف السيد هاشم الرفاعى في مقاله المنشور في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الاول في عام ١٤٠٢هـ تحت عنوان «حول موضوع شرعية الاحتفال بالمولود النبوى حلقة (٢)» وأنور أسعد أبو الجدايل فى تعقيبه على رد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان عليه المنشور في عدد جريدة المدينة ٥٤٢٧ الصادر يوم الثلاثاء ٤/٤/١٤٠٢هـ وصاحب المقال المنشور في عدد «المجتمع» ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني ١٤٠٢هـ بتوقيع «أنتوكم في الله من السعودية - الرياض». وقد تعقب الزرقانى في شرحه للمواهب اللدنية ج ١ ص ١٣٣-١٣٢ القسطلاني في ايراده لذلك بقوله (المصنف - أى القسطلاني في عهدة أن فيه ساعة كمسافة يوم الجمعة لأنه إن أراد أن في ذلك اليوم ومثله إلى يوم القيمة ساعة كمسافة الجمعة أو أفضل فدليله هذا لا يتيح ذلك وإن أراد عين تلك الساعة فمسافة الجمعة لم تكن موجودة حينئذ وإنما جاء تفضيلها في الأحاديث الصحيحة بعد ذلك بعده فلم يمكن اجتماعهما حتى يفاضل بينهما وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم وقد نص الشارع عليها ولم يتعرض لمسافة مولده ولا لأمثالها فوجب علينا الاقصار على ما جاءنا عنه ولا نبتعد شيئاً من عند نفوسنا القاصرة عن اداركه إلا بتوقف» ١٤٠١هـ. كلام الزرقانى وقد أجاد فيه. هذا وقد وقع غلط من الشيخ محمد بن علوى والأستاذة الثلاثة في جزمهم بأن النبي صل الله عليه وسلم قال في حديث فضل الجمعة وعد

مزياه (وفيه ولد آدم) فإنه لم يقل فيه «ولد» وإنما جاء عنه في رواية (خلق آدم) ببناء لفظ (خلق) للمفعول فقد روى مالك في الموطا عن أبي هريرة مرفوعاً (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط من الجنة وفيه تب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة ومامن دابة إلا وهي مصيحة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلٍ يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه» الحديث وروى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة مرفوعاً (سيد الأيام يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة» وجاء في رواية أخرى (خلق الله آدم) ففي المسند والسنن من حديث أوس بن اوس عن النبي صلٍ الله عليه وسلم (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفحه وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليٰ قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني قد بليت قال «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» ورواه الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه وروى الترمذى في جامعه من حديث أبي هريرة عن النبي صلٍ الله عليه وسلم أنه قال «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» قال الترمذى حديث حسن صحيح وصححه الحاكم أفاد جميع ما يتصل بهاتين الروايتين الإمام ابن القيم في الفصل الذى عقده لل الجمعة وخصائص يومها من «زاد المعاد» ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ طبعة مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية.

وأما ما ترتيب على الاحتفال بالولد من المفاسد فقد أوضح منه أهل العلم من لا يرى منهم الاحتفال ومن يراه أموراً نسردها مع تحذيراتهم منها فيما يلي:

قال الونشريسي في المعيار ج ٨ ص ٢٥٥ في كلامه على المولد «وقد وقعت فيه قضايا أخرى جعلته إلى ارتكاب بعض البدع من كثرة الاجتماع فيه أو اجتماع آلات اللهو إلى غير ذلك من البدع غير المشروعة. والتعظيم له صلٍ الله عليه وسلم هو باتباع السنن والاقتداء بالآثار لا بأحداث بدع لم تكن في السلف الصالح حدث الشبلي أبو محمد رحمه الله عن شيخ أبي الحسن الغزاني أنه أراد أن يكتب التصليحة والحديث وغير ذلك في إجازته بالذهب فاستشار سيدى أبي علي بن قداح فقال له لم تفعل ذلك قال للتعظيم فقال: تعظيم النبي صلٍ الله عليه وسلم إنما هو باتباع سنته والاقتداء بهديه وهدى أصحابه ولم يكن هذا في الزمن الأول»، وذكر في الجزء التاسع من المعيار

ص ٤٥٢ أن أبا إسحاق الشاطئي سئل عن عهد بنته ليوقف على إقامة مولده صلى الله عليه وسلم فأجاب بقوله: أما الوصية بالثالث ليوقف على إقامة ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فمعلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة وكل بدعة ضلاله والإنفاق على إقامة البدعة لا يجوز والوصية غير نافذة بل يجب على القاضى فسخه ورد الثالث إلى الورثة يقتسمونه فيما بينهم وأبعد الله الفقراء الذين يطلبون انفاذ مثل هذه الوصية وما ذكرت^(١) من وجهى المنع من الانفاذ صحيح يقتضى عدم التوقف في ابطال الوصية ولا يكفى في ذلك منكم السكت لأن الحكم بالانفاذ عند جماعة من العلماء فاحذروا أن يكون مثل هذا في صحيحتكم والله يقينا وإياكم الشر بفضلة».

كما ذكر الونشريسي في الجزء السابع من المعيار ص ١٠٠ - ١٠١ في كتاب الحبس من «المعيار» أن الأستاذ أبا عبد الله الحفار سئل عن التحبيس على إقامة المولد فأجاب بقوله «إن تلك الليلة - أى التي يقال بأنها توافق ليلة المولد النبوى - تقام على طريقة الفقراء - أى المتصوفة - وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنعة من شنع الدين لأن عهدهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطع ويقررون لعوم المسلمين أن ذلك من أعظم القربات في هذه الأوقات وأنها طريقة أولياء الله لهم قوم جهله لا يحسن أحدهم احكام ما يجب عليه في يومه وليته بل هو من استخلفه الشيطان على إضلال عوام المسلمين ويزبون لهم الباطل ويفسدون إلى دين الله ماليس منه لأن الغناء والشطع منباب اللهو واللعب وهم يضيغونه إلى أولياء الله لهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا إلى أكل أموال الناس بالباطل فصار التحبيس عليهم ليقيموا بذلك طريقتهم تحبيسا على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما حبس في هذا الباب على غير طريقته» وذكر في ذلك الجزء السابع من المعيار ص ١١٤ أن الأستاذ أبا عبد الله الحفار سئل عن امرأة تصدقت بوضع على ليلة المولد يزرع ذلك الموضوع ويؤخذ قمحه ويعمل به تلك الليلة المذكورة فيجتمع فقراء هذا الزمان ويدركون الله عز وجل فيأخذون في الغناء والرقص ثم يأكلونه بعد ذلك كما في علمكم فهل تبقى الوصية على حالها أو تقلب إلى الصدقة في تلك الليلة على المساكين أو ترجع لورثة المتصدقة؟ فأجاب بقوله: ما أوصت به المرأة المذكورة يصرف فائد

(١) بخاطب أبو إسحاق الشاطئي بذلك السائلين عن كلام للحفار في الموضوع ذكره صاحب المعيار ج ٧ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ومراده بالوجهين المانعين من إنفاذ الوصية كون الاحتفال بالمولد النبوى بدعة وابتداع المتصوفة فيه ما يبتدعوه من البدع.

الموضع المذكور في الوجه الذي قصدت لكن على الوجه الذي يستحب وينعقد قربة وذلك أن يصرف ذلك للضعفاء والمساكين على جهة الشكر لله عز وجل الذي أنعم به على عباده من ولادة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي كان سبباً في إنقاذهم من النار فهو محل الشكر وذلك لا يكون إلا على الوجه المشروع».

وما أفاده صاحب المعيار ج ١ ص ١٦٠-١٦١ أن القاضي أبو عمرو بن منظور سئل عن إمام قرية يوم الناس وهو يحب طريقة القراء وفي القرية زاوية يجتمع فيها بعض من أصحاب القرية ليلة الجمعة وليلة الاثنين والإمام المذكور معهم يستفتحون بعشر من القرآن ويدوّون بالذكر الموصوف لهم فإذا فرغوا منه يستفتحن المدح وأصحابه دائرون عليه يضربون الكف ويقولون معه والإمام المذكور مدح مع المداحين ويضرب الكف معهم ويرقص مع الذي رقص منهم فإذا كان ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم يشي الإمام معهم إلى قرية أخرى بنحو عشرين ميلاً من قريتهم ويقى المسجد بلا خطبة ولا إمام ولا أذان حتى يرجعوا وتكون غيبتهم أربعة أيام أو ثلاثة أيام فقيل إن الإمام الذي يعمل هذا لا تجوز إمامته والذي يسمع العريف خير من القراء والإمام المذكور يعلم أن طريقة القراء بدعة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد التابعين بعده ويعلم أن أفضل الذكر ماخفى وكل بدعة ضلاله وكل ضلاله في النار لكن حمله على هذا محنته في الذكر وفي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحنته في مجامعة الانحصار هل يلزم من اغتاب هذه الطريقة شيء أم لا؟.

فأجاب : تأملت السؤال بمحوله وقد سئل عن مثله العلماء الفقهاء الذين يقتدى بهم ويعمل على قوله، والكل منعوا تلك الطريقة وقالوا بتبييع مرتكبها والسنّة بخلاف ذلك والرقص لا يجوز وهو تلاعب بالدين وليس من أفعال عباد الله المحتدين وإمامة من يرى هذا المذهب ويسلك طريقهم لاتخوز لاسيما وقد انضاف إليه مع عمله هذا تعطيل المسجد وتركه دون مؤذن ولا إمام «ومن أظلم من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعي في خرابها» وهذا يدخل تحت الوعيد، وقول من قال إن من يسمع العريف خير من القراء فهذا يظهر أنه صحيح ووجهه أن الذي يسمع العريف عاص وتعلم أنه على غير شيء. وهذا الذي يشطح ويرقص يعتقد أنه على شيء وهو على غير شيء أو متلاعب وما خلقنا لللعب وهو بدعة وكل بدعة ضلاله وكل ضلاله في النار ويكون للأمام حظه من هذه الطريقة حضوره كاف في منع إمامته لأنه مكثر سوادهم ومن كثر سواد نوع عدّ منهم. وأما محنة الرسول والصحابة فيتوصل

إليها بغير هذا وهي ساكنة في القلب والأكثار من الصلاة والسلام عليه والرضا عن أصحابه في نفسه وفي بيته هو وجه العبادة . والطاعن في هذا الإمام وإن كان من قرية أخرى قام على وجه الحسبة وتغيير المنكر فلاعتاب عليه إن شاء الله تعالى فهذا وجه الجواب عن السؤال بموجبه.

كما ذكر صاحب المعيار ج ١٢ ص ٤٨ - ٤٩ أن أحد القباب سئل عما يفعله المعلمون من وقد الشمع في مولد النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الأولاد للصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعض الأولاد من هو حسن الصوت عشرة من القرآن وينشد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع الرجال والنساء بهذا السبب فهل ما يأخذ المعلم من الشمع جائز أم لا لأن بعض الطلبة قال إنه إجازة ولافرق بينه وبين حق الشهور والحدائق ولاسيما من عرف منه أنه لا يزین المسجد ولايقرأ أحد عنده عشرة ولا ينشد مدحه ولا غيره ولايسوق له إلا من يقرأ عنده . فقال له السائل إن الأولاد يكلفون آباءهم بشراء الشمع ويشترونه كرها فقال له يلزمك هذا في حق الشهر والحدائق والأولاد يطلبون من آبائهم فيعطيونه كرها وهذا غير معترض لأن الآباء قد دخلوا عليه فيلزمهم لأنه إذا رد ولده التزم أنه يعطى حق الشهر والحدائق والشمع في المولد ولو كانت ثم عادة أخرى لالتزامها فهل ما قاله هذا الطالب صحيح أم لا؟ فإن كان صحيحاً فهل يؤثر اجتماع الرجال والنساء إن اجتمعوا أم لا يلزم هذا إلا الحاكم لأن هذا أمر لا يقدر على تغييره إلا من له الامر؟ فأجاب بأن قال: جميع ما وصفت من محدثات البدع التي يجب قطعها . ومن قام بها أو أعان عليها أو سعى في دوامها فهو ساع في بدعة وضلاله ويظن بجهله أنه بذلك معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بولده وهو مختلف سنته مرتکب لنهايات نهى عنها صلى الله عليه وسلم متظاهر بذلك محدث في الدين ماليس منه . ولو كان معظمها له حق التعظيم لأطاع أوامرها فلم يحدث في دينه ماليس منه ولم يتعرض لما حذر الله تعالى منه حيث قال «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» . وأما ما يأخذ المعلم من ذلك فإن كان إنما يعطاه على القيام بهذه البدع والقيام بتلك الأمور فلا خفاء بقبح المأمور على هذا الوجه وإن كانوا يعطونه ذلك في هذا الوقت وإن لم يفعل شيئاً من هذه البدع فقد قال ابن حبيب إنه لا يقضى للمعلم شيء في أعياد المسلمين وإن كان ذلك مما يستحب فعله وقال إن الاعطاء في أعياد النصارى مثل النمير وزوال المهرجان مكره ولا يجوز لمن فعله ولا يحل لمن قبله لأنه من تعظيم الشرك قال ابن رشد كان القياس أن لا فرق بين الحدائق وما يعطى في الأعياد إذ

جرت بها العادة وأنه يقضى بالجُمِيع وإنما فرق ابن حبيب بين ذلك لأن الحذاق بلغها الصبي بتعليم المعلم والأعياد لافعل فيها. وإذا كان ابن حبيب يقول لا يقضى له بالأعياد والمواسم الشرعية فكيف بما ليس بشرعى ، وعلى الجملة لاشك أن الأمر أخف إذا كان لا يقوم ببدعة في ذلك الوقت. وأما ما ذكرتم عن القائل إن الصبي يطلب ذلك من أبيه حتى يعطيه كرها فكلام لا يساوى سماعه. ومن استقرأ العادة علم أن المعطى لشيء من ذلك إنما يقصد به إقامة تلك البدع وكون المعطى شرعاً يعنى هذا المقصود وإذا كان كذلك كان المأخوذ إنما هو على بدعة.

وقال ابن الحاج في الجزء الثاني من «المدخل» «من جملة مآحدته من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات واظهار الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد وقد احتوى على بدع ومحرمات فاطنب في ذلك كما ذكره القسطلاني في الجزء الأول من المواهب اللدنية ص ١٤٠ حيث قال «لقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الانكار على مآحدته الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله يثبته على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة فإنه حسبنا ونعم الوكيل» وقد لخص الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ كلامه في رسالة له في المولد النبوى تلخيصاً أحسن من أصله فلذلك استغنى به عنه فاقول قال مفتى الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ «قد ذكر ابن الحاج في المدخل ما احتوى عليه الاحتفال بالمولد النبوى في زمانه فكيف بزماننا هذا ما يلي:

١ - استعمال الأغانى والآت الطرب من الطار المضرر والشابة وغير ذلك قال ابن الحاج «مضوا في ذلك على العوائد الذمية في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي فضلها الله وعظمها ببدع ومحرمات وذكر ابن الحاج قول القائل:
 ياعصبة ماضر أمة أسد وسعي على إفسادها إلا هي
 طار ومزمار ونفحة شادن أرأيت قط عبادة بلامى

٢ - قلة احترام كتاب الله عز وجل فإنهم يجتمعون في هذه الاحتفالات بيته وبين الأغانى ويبتدئون به وقصدهم الأغانى قال ابن الحاج إن بعض السامعين إذا طول القراءة يتقلقلون منه لكونه طول عليهم ولم يسكت حتى يستغلوا بما يحبونه من اللهو قال وهذا غير مقتضى ما وصف الله به أهل الخشية من أهل الإيمان وهو أنهم يحبون سمعاً كلام مولاهم لقوله تعالى في مدحهم «وإذا سمعوا مأنزل إلى الرسول

ترى أعينهم تفيف من الدمع ما عرّفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين» فوصف الله تعالى من سمع كلامه بما ذكر وبعض هؤلاء يستعملون الصد من ذلك فإذا سمعوا كلام ربهم عز وجل قاموا بعده إلى الرقص والفرح والسرور والطرب بحالاً ينبغي فإنما الله وإنما إليه راجعون على عدم الاستحياء من عمل الذنوب يعملون أعمال الشيطان ويطلبون الأجر من رب العالمين ويزعمون أنهم في تعب وخير وقال يا ياليت ذلك لو كان يفعله سفلة الناس ولكن قد عمّت البلوى فتجد بعض من ينسب إلى شيء من العلم أو العمل يفعله وكذلك بعض من ينسب إلى المشيخة اعني في تربية المربيين وكل هؤلاء داخلون فيما ذكر ثم العجب كيف خفيت عليهم هذه المكيدة الشيطانية والدسية من اللعن.

٣ — الافتتان بالمردان فإن الذي يعني في الاحتفالات ربما يكون شاباً نظيف الصورة حسن الكسوة والهيئة أو أحداً من الجماعة الذين يتصنّعون في رقصهم بل يخطبونهم للحضور فمن لم يحضر منهم ربما عادوه ووجدوا في أنفسهم عليه وحضوره فتنة سيما وهم يأتون إلى ذلك شبه العروس لكن العروس أقل فتنة لأنها ساكنة حبية وهؤلاء عليهم العنبر والطيب يتذذلون ذلك بين أثوابهم ويتكسرن مع ذلك في مشيهم إذ ذاك وكلامهم ورقصهم ويتغافلون فتأخذهم إذ ذاك أحوال النفوس الرديئة من العشق والاشتياق إلى التمتع بما يرونه من الشبان ويتمكن منهم الشيطان ويتقوى عليهم النفس الامارة بالسوء وينسد عليهم باب الخير سداً قال ابن الحاج «وقد قال بعض السلف لأن أوثقنا على سبعين عذراء أحب إلى من أن أوثقنا على شاب. قوله هذا ظاهر بين لأن العذراء تتمنع النفوس الزكية ابتداء من النظر إليها بخلاف الشاب لما ورد أن النّظرة الأولى سهم والشاب لا يتنبّه ولا يختفى بخلاف العذراء والشيطان من دأبه أنه إذا كانت المعصية كبرى أجلب عليها بخيله ورجله ويعمل الحيل الكثيرة، قال ابن الحاج «وبعض النسوة يعاين ذلك على ما قد علم من نظرهن من السطوح والطاقات وغير ذلك فيرينه ويسمعنـه وهـن أرق قلوبـا وأقل عقولـا فـتقع الفتنة في الفريقيـن». هذا بعض ما ذكره ابن الحاج من المحرمات التي تحصل في احتفال الرجال بالمولد، ثم ذكر من المفاسد المتعلقة بالنساء ما يليـ:

١ — افتتان الرجال بالنساء لأن بعض الرجال يتطلع إليـنـ من بعض الطاقات والسطوح وتزداد الفتنة برفع أصواتهن وتصفيقـهن بالـأـكـفـ وغير ذلك مما يكون سبباً إلى وقـوعـ المفسدةـ العـظـمىـ.

٢ — افتـانـهنـ فيـ الـاعـتـقادـ وـذـكـ لـأنـهنـ لاـ يـحـضـرنـ لـلـمـولـدـ الاـ وـمعـهـنـ شـيـخـةـ تـتـكـلمـ فيـ

كتاب الله وفي قصص الأنبياء بالalicet فيما تقع في الكفر الصريح وهي لا تشعر لأنها لا تعرف الصحيح من السقيم والحق من الكذب فتدخل النساء في الغالب وهن مؤمنات ويخرجن وهن مفتتات في الاعتقاد أو فروع الدين.

٣ - خروج النساء إلى المقابر وارتكاب أنواع المحرمات من الاختلاط وغيره ويدرك ابن الحاج أن هذه المفسدة من آثار بناء البيوت على المقابر قال «فلو امتنثنا أمر الشرع في هدمها لانسنت هذه المثاليم كلها وكفى الناس أمرها». قال فبسبب ما هناك من البنيان والمساكن وجد من لآخر فيه السبيل إلى حصول أغراضه الخسيسة ومخالفة الشرع قال «الأترى إلى ما قد قيل من العصمة أن لا تتجدد» فإذا هم الإنسان بالمعصية وارادها وعمل عليها ولم يجد من يفعلها أو وجده ولكن لا يجد مكانا للجتماع فيه فهو نوع من العصمة فكان البنيان في القبور فيه مفاسد - منها هتك الحريم بخروجهن إلى تلك الموضع فيجدن أين يقمن أغراضهن هذا وجه. الثاني تيسير الأماكن للاجتماع للأغراض الخسيسة فتيسير الأماكن هناك سبب وتسهيل لوقوع المعاصي هناك.

٤ - فتح باب الخروج لهن لغير ضرورة شرعية فإنهم - أى أهل زمانه^(١) - ضموا لأيام المولد النبوى الثلاثة يوم الاثنين لزيارة الحسين وجعلوا يوم الأربعاء لزيارة نفيسة فالتزمن الزيارة في تلك الأيام لما يقصد من أغراض الله أعلم بها قال ابن الحاج « ولو حكى هذا عن الرجال لكان فيه شناعة وقع فكيف به في النساء فإنما الله وإنما إليه راجعون.

هذا ما ذكره ابن الحاج في «المدخل» من مفاسد الاحتفالات بالمولود في زمانه بالنسبة لمن يقصدون المولد ثم قسم الذين يعملون المولد في ذلك الزمن لا لقصد المولد إلى خمسة أقسام:

أحدتها : من له فضة عند الناس متفرقة قد أعطاها لهم في بعض الأفراح والمواسم فيعمل المولد ليستردها قال ابن الحاج «فهذا قد اتصف بصفة النفاق وهو أنه يظهر خلاف ما يبطن إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغي به الدار الآخرة وباطنه أنه يجمع به فضته.

الثاني من يتظاهر من ذوى الأموال بأنه من الفقراء المساكين فيعمل المولد لتزييد دنياه بمساعدة الناس له فيزداد هذا فسادا على المفاسد المتقدم ذكرها ويطلب مع ذلك ثناء الناس عليه بما ليس فيه.

(١) أى أهل زمان ابن الحاج.

الثالث من يخاف الناس من لسانه وشره وهو من دوى الأموال فيعمل المولد ليأخذ من الناس الذين يعطونه تقية على أنفسهم وأعراضهم . قال ابن الحاج «فيزداد من الحطام بسبب مافيه من الخصال المذمومة شرعا وهذا أمر خطير لأنه زاد على الأول أنه من يخاف من شره وهو معدود بفعله من الظلمة».

الرابع : من يعمل المولد وهو ضعيف الحال ليتسع حاله.

الخامس : من له من الفقراء لسان يخاف منه ويتقى لأجله فيعمل المولد حتى يحصل له من الدنيا من يخشاه ويتقى حتى إنه لو تعتذر عن حضور المولد الذي يفعله أحد من معارفه بخل به من الضرر ما يتoshوش به وقد يقول ذلك إلى العداوة أو الوقوع في حقه في محافل بعض ولاة الأمور قاصدا بذلك حط رتبته بالحقيقة فيه أو نقص ماله إلى غير ذلك مما يقصده من لا يتوقف على مراعاة الشرع الشريف.

قال ابن الحاج بعد بسط الكلام على هذه المفاسد : هذا الذي ذكر بعض المفاسد المشهورة المعروفة . وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الانس والجهن مما يتعدى حصره . فالسعيد السعيد من أعطى قياده للاتباع وترك الابتداع وفقنا الله تعالى لذلك بمنه» ٢٠١ هـ ، اختصار سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله تعالى لكلام ابن الحاج في المدخل في بيان ما أحدث عند عمل المولد من المضار ولاشك عندى في أن من قارن بيته وبين كلام ابن الحاج نفسه في المدخل تبين له أنه من المختصرات التي تتفوق أصولها جزاء الله خير الجزاء .

وقال الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباوي الملقب الأندلسي في تاريخ قضاة الأندلس الذي سماه «كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» قال في ترجمة القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد السلام المستيري^(١) ص ١٦٣-١٦٢ ط دار الكاتب المصري بالقاهرة، أخبرنى – أى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى – عن هذا القاضى رحمه الله بما حاصله أن الأمير أبا يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة والمثول بين يديه ليلة المولد النبوى الشريف إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة الغربية من الاحتفال في الأطعمة وتزيين محل بحضور الأشراف وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطرية فحين كمل المقصود من المطلوب وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه والناس على منازلهم بين قاعد وقائم . هز المسمع طره وأخذ يهنتهم بالحانه،

(١) توفى هذا القاضى في أوائل الطاعون النازل بيده قبل عام ٧٥٠.

وتبغه صاحب يراغه بعادته من مساعدته تزخرج القاضى أبو عبد الله عن مكانه وأشار بالسلام على الأمير وخرج من المجلس فتبعه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر فناموا به فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجاتهم فأمر أحد وزرائه بتقادهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم وأعلم الوزير الموجه لما ذكر القاضى بالغرض المأمور به فقال له أصلحك الله هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها وجعنا السلطان أبقاء الله من أجلها لو شهدنا نبينا المولود فيها صلوات الله وسلمه عليه لم يأذن لنا في الاجتماع على مانحن فيه من مسامحة بعضنا البعض في اللهو ورفع قناع الحياة بحضور القاضى والفقهاء وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة إلا أن تنس إليها حاجة كالاقرار بما يوجب الحد أو الكفارة فليسلم لنا الأمير أصلحه الله في القعود بمسجده هذا إلى الصباح وإن كنا في مطالبة أخرى من تبعات رباء ودسائس أنفس وضروب غرور لكننا كما شاء الله في مقام الاقتداء لطف الله بنا أجمعين بفضله فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحيى واعلمه بالقصة فأقام يسيراً وقام من مجلسه وأرسل إلى القاضى من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بت分区ق طعام على الضعفاء وإرفاق الفقراء شكر الله هـ ٢٠١.

وقال العلامة أبو العباس سيدى أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المعروف ببابا التنبكى في ترجمة أبي موسى عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام من كتابه «ليل الابتهاج بتطريز الديباج» ص ١٩٣ بهامش الديباج قال «فائدة» قال الخطيب ابن مزروق سمعت شيخنا الإمام أبو موسى بن الإمام وغيره من شيوخ المغرب يستحسنون ما أحدهم العزفي ولده أبو القاسم بالغرب في ليل المولد وما من الأئمة ويستتصوبون قصدهما فيه والقيام به^(١) ونقل عن بعض علماء المغرب إنكاره والأظهر عندي ما قاله بعض المغاربة استعمال الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة واحياء سنته ومعونة آله وتعظيم حرمهم وفعل أنواع البر أفضل مما سواها مما أحدث إذ لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول شهوة. وطريق الحق والسلامة معروف فالأفضل تكثير الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وأعمال البر هـ ملخصاً» وقال المقرى في «أزهار الرياض في أخبار عياض» ج ١ ص ٢٤٣ بقصد كلامه على احتفال السلطان أبي حمو موسى بن يوسف بعد أن ذكر أن العزف صاحب

(١) ذكر ابن مزروق ذلك في كتابه «جنا الجنتين في شرف الليلتين».

سبتة^(١)) هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب قال «على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حد الإسراف والغلو وكل يعمل على شاكلته».

وذكر البناني المالكي من أمثلة الإيصاء بالمعصية الذي صرخ الشيخ خليل المالكي في مختصره ببطلانه أن يوصي المرأة باقامة مولد على الوجه الذي يقع في زمانه من اختلاط النساء بالرجال والنظر للمحرم ونحو ذلك من المنكر ونقله عنه الشيخ محمد عرفة الدسوقي في حاشيته على شرح الدردير لمختصر خليل في باب الوصايا.

وقال ابن حجر الهيثمي في كتابه الذي سماه «الفتاوى الحديثية» ص ١٠٩ الطبعة الأولى المصرية في الموالد والأذكار التي تفعل عندهم في زمانه قال «أكثراها مشتمل على خير كصدقة وذكر وصلة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وعلى شربل شرور لولم يكن منها إلا رؤية النساء للرجال الأجانب وبعضاها ليس فيها شر لكنه قليل نادر» وذكر أن ما كان مشتملاً منها على شر من نوع القاعدة المشهورة المقررة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح قال فمن علم وقع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص آثم وبفرض أنه عمل في ذلك خيرا فربما خيره لايساوي شره ألا ترى أن الشارع صلى الله عليه وسلم اكتفى من الخير بما تيسر وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال «إذا أمرتكم بأمر فأنتم منه ما تستطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» فتأمله تعلم ماقررته من أن الشر وإن قل لا يرخص في شيء منه والخير يكتفى منه بماتيسر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) ص ٢٩١ في بيان مفاسد الموارم المبتدة عن موالد وغيرها (منها مع ما تقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية أن القلوب تستعبد بها وتستغنى بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيرا من العامة يحافظ عليها مالا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس، ومنها أن الخاصة وال العامة تنقص بسببها عنایتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهن فيها فتجد الرجل يجتهد فيها ويخالص وينبئ وي فعل فيها مالا يفعله في الفرائض والسنن حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة وهذا عكس الدين فيفيته بذلك مافي الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والرقة والطهارة والخشوع واجابة الدعوة وحلوة الناجاة إلى غير ذلك من الفوائد وإن لم يفته هذا كله

(١) ذكر الحافظ الذهبي في الجزء الرابع من تذكرة الحفاظ ص ١٤٢٢ أن أبا العباس بن الخطيب محمد بن أحمد اللخمي العزفي صاحب سبعة توفى سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة» أي التي توفى فيها ابن دحية.

فلا بد أن يفوته كماله ومنها ما في ذلك من مصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وما يترب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المسلمين وانتشار زرع الجاهلية. ومنها اشتتمالها على أنواع من المكريات في الشريعة مثل تأخير الفطور وأداء العشاء الآخرة بلأقلوب حاضرة والمبادرة إلى تعجيلها والسجود بعد السلام لغير سهو وأنواع من الأذكار ومقاديرها لا أصل لها إلى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته وسلمت سريرته ومنها مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر فتحب أن تخرب من العبودية والاتباع بحسب الامكان كما قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله «ماترك أحد شيئاً من السنة الالكبير في نفسه» ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الایان مايفسد عليه دينه أو يكاد وهم يحسرون أنهم يحسنون صنعا. ومنها ماتقدمة التنبية عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين النوع الذي فيه مشابهة والنوع الذي لاما به فيه .

وقال الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابه «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام ص ٤٥ مانصه (والمحرمات – أى في عمل المولد – والمكريات ماعدا ذلك – أى المباح – كشد الرحال إلى تلك البقاع والسفر إليها وايقاد الشموع ونحوها مايدخل تحت الإسراف والتبذير وإحراق الصواريخ والشنكات ونحو ذلك ما هو إضاعة للمال في الباطل خصوصا إن كان مايصرف على ذلك من أموال بيت المال أو من أموال الأوقاف فإن الأوقاف إذا علمت شروط واقفيها وجب شرعا العمل بها وإن لم تعلم صرف ريعها للقراء لافي مثل هذه الألاعيب. ومن المحرم أيضا كل مكان من أنواع الملاهي والمغاني المفسدة للأخلاق وماأشبه ذلك فإن كل هذا حرم بلا شبهة وبذلة مذمومة وفي الحديث الصحيح (إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال).

وقال السيد محمد رشيد رضا في الجزء التاسع من «المنار» ص ٩٦ في كلامه على الآية الكريمة «فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» قال في المولد ونحوها من الاحتفالات الموسمية المبتدةة «هي مشتملة على كثير من المعاصي المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة التي يعد مستحلها مرتدًا عن الإسلام باتفاق المذاهب والجمهور غافلون عن ضرر هذه البدع التي جعلت من قبيل شعائر الإسلام بالاحتفال بها وشد الرحال إليها وانفاق الأموال العظيمة في

سبيلها وتعطيل كبرى شعائر الإسلام وهي الصلاة وابطال دروس العلوم الدينية من المساجد التي تقام فيها لأجلها كالمسجد الأحمدي في طنطا والمسجد الإبراهيمي في دسوق») ١٠٤ هـ المراد منه.

وقال السيد علي فكري في المحاضرة العاشرة من محاضراته ص ٨٤ تحت عنوان «البدع في المولد» في بيان ما شتملت عليه المولد زمن تأليفه لتلك المحاضرات من المفاسد قال:

«منها إضاعة الأموال في الزينات بكثرة الوقود في المساجد والطرق وأيقاد الشموع في الأضرحة وكل ما يرجع إلى الاسراف والتبذير وفي الحديث الشريف «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، واضاعة المال، على أنه لو صرفت هذه الأموال في مشروع خيري كبناء مسجد أو مستشفى أو ملجاً لكان خيراً وابقى لهم وللامة الإسلامية».

ومنها انتهاك حرمة المساجد بتقديرها بالأكل والشرب والمبيت فيها وكثرة الللغط ودخول الأطفال والرجال والبنات والنساء حفاة أو بالنعال فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر الدينية في مسجد يعمل فيه مولد.

ومنها خروج النساء متبرجات سافرات واحتلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه الفتنة وعدم اللفة والصيانة.

ومنها : استعمال الأغانى والآلات الطرب في إقامة الأذكار على الوجه المحرم شرعاً بالاجماع.

ومنها : قراءة القرآن على غير الوجه المشروع الدال على عدم الاحترام لكتاب الله تعالى بل اهانته والاستخفاف به.

ومنها : شرب الدخان في مجالس القرآن والتشويش على القارئ والاعراض عن استماعه بالمحادثة والمطالعة.

ومنها : ما ينفقه بعض الأغنياء في سبيل المولد بحياة بعض الليالي باسمائهم حباً في الظهور وطلبًا للشهرة والسمعة وغير ذلك مما يفسد أخلاق ابناء الأمة ويبعث في نفوسهم الميل إلى الشهوات وانتهاك المحرمات.

سرد هذه المفاسد ثم قال (فالواجب شرعاً على المسلمين عامة وأولياء الأمور خاصة أن يمنعوا الناس عن تلك المفاسد والمخازي وأن يعملوا على ابطال تلك العادات في المولد»).

وقال في المحاضرة السادسة عشرة ص ١٢٩ أما العادة المتبعه في الاحتفال بمولد النبي الشريف من إقامة الزيارات والسرادقات وتسير المراكب ودق الطبول والمزمار والاشارات وسماع الأغانى والأناشيد والرقص في حلقات الذكر واطلاق الصواريخ والألعاب النارية في الهواء وخروج النساء المتبرجات لرؤبة الاحتفال والموكب واختلاط الرجال والشبان بالنساء والفتيات فكل ذلك مخالف لآداب الشريعة السمحاء وما يغضب رسول الله» ١٤٠ هـ.

وقال الأستاذ الشيخ على محفوظ في (ابداع في مضار الابداع) ص ١٢٨-١٢٦ في بيان ماتحتوى عليه الاحتفالات بِمَوْلَدِهِ من المحرمات والمكروهات مانصه «فمن المحرمات إضاعة الأموال بكثرة الوقود في المساجد والطرق وایقاد الشموع والسرج في الأرضحة وكل ما يرجع إلى الاسراف والتبذير وفي الحديث (إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال. ومنها انتهاء حرم المساجد بتقديرها وكثرة اللغط فيها ودخول الأطفال حفاة أو بالنعال فلا يكاد يتيسر لأحد اقامه الشعائر في مسجد يعمل فيه مولد. ومنها خروج النساء متبرجات مع اختلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه من وقوع الفاحشة وناهيك ما يكون من البغایا وتطلبهن الفاحشة جهارا. ومنها استعمال الأغانى وألات الطرف على الوجه المحرم بالاجامع وغير ذلك مما يفسد أخلاق الأمة ويعيث في نفوس الشبان روح العشق والميل إلى الفجور ومنها قراءة القرآن على غير الوجه المشروع فيرجعون فيه كترجيع الغناء غير مراعين فيه ما يجب له من الآداب وبعضهم يفتح اللهو والغناء بقراءة شيء من القرآن وكل ذلك مع ما فيه من تعريضه للإهانة وعدم الاحترام لكتاب الله تعالى ضد ما وصف الله به المؤمنين عند سماع كلامه حيث قال (وإذا سمعوا ما نزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتتبنا مع الشاهدين) وما يشعر بالاستهانة والاستخفاف بكتاب الله تعالى وإن لم يقصد الفاعل ذلك شرب الدخان في مجلس القرآن الكريم خصوصا إذا كان من يقرب منه حال القراءة والتشويش عليه والاعراض عنه لظاهر قوله تعالى «إذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترجمون» والاستماع الاصناع والانصات السكوت قال العلامة الشبراوى في شرح الورد نقاً عن شيخه السباعي الذى ندين الله به حرمة شرب الدخان في مجلس القرآن ولا وجہ للقول بالكرابة - وإذا كان الحديث الدينى في مجلس القرآن منهيا عنه فشرب الدخان في مجلسه أولى بالنهى لما فيه من الرائحة الكريهة وإن كان شاربوه لا يدركون ذلك للالف والعادة كالذين تعودوا معاجلة المواد

البرازية لا يتأملون من رائحتها وإذا كان العقلاء يرون من الآداب أن لا يشرب الدخان بحضور ملوك الدنيا وأمرائها أفلا يرون ذلك علماً بالآداب في وقت مناجاة ملك الملوك بقراءة القرآن وكم من شيء لا يمنع بغير حضرة الملك ولكن يمنع بحضرتهم فعلى فرض أن شرب الدخان مكروه في غير مجلس القرآن فهو في مجلس القرآن لإخلاله بالأدب في حضرة كلام ذي العظمة والجلبروت حرم لأن ترى أن كثيراً من الأشياء مباح خارج الصلاة لكنه يحرم في أثنائها وإن لم يبطلها وماذاك إلا لاخلاله بأداب الوقوف بين يدي الله تعالى ولنضرب لذلك مثلاً يوضحه لك ويزيدك إيماناً به لو أن ملكاً أصدر قانوناً يتضمن شيئاً من مصالح الرعية كنظام الضرائب ومنابعات الري وحفر الأنهر أو أمر عماله في الأقاليم أن يجمعوا العمد والمشابغ وأرباب المصالح في البلاد ويقرعوا عليهم هذا القانون ويشددوا عليهم في تنفيذه واحترامه فاجتمعوا وقام فيهم عمال الملك يتلون عليهم هذا القانون كما أمروا ففي أثناء تلاوته رأى أحد العمال رجلين يتكلمان أو أحدهما يشرب الدخان في مجلس الاجتماع ماذا يكون الحال؟ ليس يغضب التالي للقانون من ذلك إن لم يعاقب بالطرد لما في ذلك من انتهاك حرمة القانون وبالتالي فإذا كان هذا في قانون الملك المخلوق فما بالك بقانون ملك الملوك الخالق القادر رب الأرباب ومالك العباد. وفيه من ضروب المصالح والفوائد ما يضمن لمن اهتدى بهديه سعادة الدنيا والآخرة. ومنها تطلب الرياء والسمعة بما ينفق في سبيل المولد فتري الأغنياء يتنافسون في الليالي التي يحيونها باسمائهم وكل يجد في أن تكون ليته أحسن الليالي ليقال. ومن المكرهات قراءة القرآن على قارعة الطريق وفي الحوانيت كما سبق لك ومنها التكلف الذي يقع منهم في الوفاء بشهواتهم ومنها الإفراط في السهر الذي يترتب عليه تضييع الصلوات وضرر البدان ومنها شد الرحال إلى البقاء النائية وإهمال المزارع والصنائع والبيوت حتى تصير عرضة للتلف وسطوا اللصوص إلى غير ذلك مما لا يخفى على بصير تركناه خوف الاطالة) ثم ذكر الشيخ على محفوظ أن الموالد التي تقام في زمانه لا شك أنها لا تخلي عن المحرمات والمكرهات قال «وقد أصبحت — أي الموالد — مراتع الفسق والفحور وأسواقاً تابع فيها الأعراض وتنتهك محارم الله تعالى وتعطل فيها بيوت العبادة فلا ريبة في حرمتها والمصلحة المقصودة منها لا تبيح هذه المحظورات التي فيها ويمكن تأديتها من غير هذا الوجه والقاعدة أن دراً المفاسد مقدم على جلب المصالح وأن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى من الخير بما تيسر وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال (إذا أمرتكم بأمر فأنتم منه ما تستطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبه) متفق عليه فهو صريح في أن الشر

وأن قل لا يرخص في شيء منه).

وقال تحت عنوان (المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه) ص ١٤١ (ومنها — أى تلك المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه) ليلة الثاني عشر من ربیع الأول يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فیه تكون حرمة بيوت الله تعالى ويصرفون في الوقود فيها ويرفع القراء أصواتهم بقصائد الغناء التي تثير شهوة الشبان إلى الفسق والفحotor فتراهم عند ذلك يصيرون بأصوات منكرة ويخذلون في المساجد ضجة فظيعة وقد لا يتعرضون في قصائدهم لشيء من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الكريمة وأعماله النافعة الجليلة وفيهم من يشتغل بالذكر المحرف وكل ذلك لم يأذن به الله ورسوله ولم يهد عن السلف الصالح فهو بدعة وضلاله كما سبق في بدع الموالد» ٢٠١ هـ.

وقال السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من «النار» ص ٧٤-٧٦ في كلامه على الآية الكريمة «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله» قال «ولقد تشوّهت سيرة مدعى التصوف في هذا الزمان وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والأهواء من رسوم الدين أفسدوا التصوف من قبلهم وأظهروا في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها المولد ومن العجيب أن تبع الفقهاء في استحسانها الأغنياء فصاروا يبذلون فيها الأموال العظيمة زاعمين أنهم يتقربون بها إلى الله تعالى ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم أو إزالة منكر أو إعانة منكوب لضيّعوا به وبخلوا ولا يرون ما يكون فيها من المنكرات منافي للتقرب إلى الله تعالى كان كرامة الشيخ الذي يختلفون بمولده تتبع المحظورات وتحل للناس التعاون على المنكرات. فالمولد أسوق الفسوق فيها خيام للعواهر وخانات للخمور ومرافق يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات ومواقع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل يقصد بها إضحاك الناس وبعض هذه المولد يكون في المقابر ويرى كبار مشايخ الأزهر يتخطّون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة، ويوقفون الشموع الكثيرة احتفالاً باسم صاحب المولد وبهنيء بعضهم بعضاً بهذا العمل الشريف في عرفهم، وذكر الأستاذ الإمام عند شرح مفاسد المولد هنا أن بعض كبار الشيوخ في الأزهر دعوا مرة للعشاء عند أحد المحتفلين فأبى فقيل له في ذلك فقال: إننى لأحب أن أكثر سواد الفاسقين فإن هذه المولد كلها منكرات. ووصف ما يمر به المدعو قبل أن يصل إلى موضع الطعام ثم قال لشيخ صديق لصاحب الدعوة كم

ينفق صاحبك في احتفاله بالموالد فقال: اربعمائة جنيه قال الأستاذ لاشك أن هذا في سبيل الشيطان فلو كلمت صاحبك في أن يجعل ذلك جماعة من المجاورين في الأزهر يستعينون به على طلب العلم فيكون بذلك شرعاً وهملاً المجاورون يذكرون بخير ويدعون له فأجاب ذلك الشيخ قائلاً: إن الكون يلزم أن يكون فيه من هذا وهذا فقال الأستاذ هذا الذي أريد فإن كوننا ليس فيه إلا هذه النعمات في الطرق المذمومة فأحب أن ينفق صاحبك على نشر علم الدين ليكون بعض الإنفاق عندنا في الخير ويبقى للموالد أغنياءً كثيرون فقال الشيخ حيثذاً أما قرأت حكاية الشعراني مع الزمار إذ رأى شيخاً كبيراً ينفع في مزمار والناس يتفرجون عليه فاعتبره عليه في سره مما كان من الشيخ إلا أن قال يا عبد الوهاب أتريد أن ينقص ملك ربك مزماراً فعلم الشعراني أنه من أولياء الله تعالى قال الأستاذ ثم تركني المشايخ بعد سرد الحكاية وذهبوا إلى المولد. فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع اتخذوا الشيوخ أنداداً وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحاجات وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة وصارت الحكايات الملفقة ناسخة^(١) فعلاً لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير ونتيجة ذلك كله أن المسلمين رغبوا بما شرع الله إلى ما توهوا أنه يرضي غيره من اتخاذهم أنداداً له وصاروا كالاباحيين في الغالب فلا عجب إذا عم فيهم الجهل واستحوذ عليهم الضعف وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد والأعمال التي نحن عليها بل وفي الثاني ولا يشهد بهذه البدع كتاب ولا سنة وإنما سرت علينا بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى إذرأى قومنا عندهم أمثال هذه الاحتفالات فظنوا أنهم إذا عملوا مثلها يكون لدينهم عظمة و شأن في نفوس تلك الأمم فهذا النوع من اتخاذ الانداد كان من أهم أسباب تأخر المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه.

قلت : القائل إسماعيل الانصارى من نظر فيما تقدم في وصف احتفال بنى عبيد القداح بالموالد تبين له من اضاعة الاموال فيها مالا ينبعى وكذلك ما في تاريخ ابن خلكان ومراة الزمان لسبط ابن الجوزى من ذكر الاموال الكثيرة التي تصرف في احتفال أبي سعيد كوكبوري بن أبي الحسن على بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل بالموالد النبوى فقد قال ابن خلكان ج ١ ص

(١) عندهم.

٤٣٦—٤٣٧ في وصف احتفاله بذلك اليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد كان في كل سنة يصل إليه من البلاد القرية من أربيل مثل بغداد والموصى والجزيرة وسنجر ونصبدين وبلاط العجم وتلك التواحى خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ولايزالون يتواصلون من المحرم إلى إربيل شهر ربيع الأول ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر منها قبة له والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحد قبة فإذا كان أول صغر زينوا تلك القباب بتنوع الزينة الفاخرة المتجملة وقعد في كل قبة جوق من الأغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق حتى ربوا فيها جوقاً وتبطل معايش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة إلى آخرها ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم ومايفعلونه في القباب ويبت في الخانقاه ويعلم في السماع فيها ويركب عقيب صلاة الصبح يتصدق ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد وكان يعمله سنة في ثامن الشهر وسنة في ثانية عشره لأجل الاختلاف الذى فيه فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهى حتى يأتي بها إلى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطيخون الألوان المختلفة فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصل المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جلتها شمعتان أو أربع أشك في ذلك من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يستدها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي إلى الخانقاه فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقحة وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا تتحقق عدده ثم ينزل إلى الخانقاه وتحتمل الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس وينصب كرسى للوعاظ وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذى فيه الناس والكرسى وشبابيك آخر للبرج أيضاً إلى الميدان وهو ميدان كبير في غاية الاتساع ويجتمع فيه الجناد ويعرضهم ذلك النهار وهو تارة ينظر إلى عرض الجناد وتارة إلى الناس والوعاظ ولايزال كذلك حتى يفرغ الجناد من عرضهم فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصالحية ويكون سماطاً عاماً فيه من

الطعام والخبز شيء كثير لا يحده ولا يوصف ويمد سماتا ثانيا في الخانقة للناس المجتمعين عند الكرسي وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحدا واحدا من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم من قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ويخلع على كل واحد منهم ثم يعود إلى مكانه فإذا تكامل ذلك كله حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره ولزيارون على ذلك إلى العصر أو بعدها ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل السماتات إلى بكرة هكذا دأبه في كل سنة.

هذا ما ذكره ابن خلكان من وصف احتفال الملك المظفر بالمولود النبوى ثم قال: وقد خصت صورة الحال فإن الاستقصاء يطول فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان إلى العود إلى بلده فيدفع لكل شخص شيئا من النفقـة^(١) وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية في حرف العين وصوله إلى إربـل وعمله لكتاب التنوير في مولد السراج المنير لما رأى من اهتمام مظفر الدين به وأنه أعطاه ألف دينار غير ماغرم عليه مدة إقامته من الاقامـات الـوافـرة» يشير ابن خلـكان بقولـه «وقد ذـكرـتـ في ترجمـةـ الحـافظـ أـبـيـ الـخطـابـ بـنـ دـحـيـةـ فـيـ حـرـفـ الـعـيـنـ»ـ الخـ إـلـىـ قولـهـ فيـ تـرـجـمـةـ أـبـيـ الـخـطـابـ عـمـرـ بـنـ الـخـسـنـ الـمـعـرـوـفـ بـاـبـنـ دـحـيـةـ صـ ٣٨١ـ جـ ١ـ مـاـنـصـهـ «قـدـمـ مـدـيـنـةـ إـرـبـلـ فـيـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـسـتـمـائـةـ وـهـوـ متـوجـهـ إـلـىـ خـرـاسـانـ فـرـأـيـ صـاحـبـهاـ الـمـلـكـ الـمـعـظـمـ مـظـفـرـ الـدـيـنـ أـبـنـ زـيـنـ الـدـيـنـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ مـوـلـعـاـ بـعـمـلـ مـوـلـدـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـظـيمـ الـاحـتـفالـ بـهـ كـمـاـ هـوـ مـذـكـورـ فـيـ تـرـجـمـةـ كـوـكـبـورـىـ أـبـيـ سـعـيدـ الـمـلـكـ الـمـعـظـمـ صـاحـبـ إـرـبـلـ فـعـمـلـ لـهـ كـتـابـ سـمـاـهـ كـتـابـ تـرـجـمـةـ كـوـكـبـورـىـ أـبـيـ سـعـيدـ الـمـلـكـ الـمـعـظـمـ صـاحـبـ إـرـبـلـ فـعـمـلـ لـهـ كـتـابـ سـمـاـهـ كـتـابـ تـنـويرـ فـيـ مـوـلـدـ السـرـاجـ الـمـنـيرـ وـقـرـأـ عـلـيـهـ بـنـفـسـهـ وـسـمـعـنـاهـ عـلـىـ الـمـلـكـ الـمـعـظـمـ فـيـ سـتـةـ مـجـالـسـ فـيـ جـادـيـ الـآخـرـةـ سـنـةـ سـتـ وـعـشـرـيـنـ وـسـتـمـائـةـ»^{١٥٠ـ هـ}.

وقال أبو المظفر يوسف بن فراوغلى الشهير بسبط ابن الجوزى في القسم الأول من الجزء الثامن من «مرأة الزمان في تاريخ الأعيان» ص ٦٨٢ - ٦٨١ قال في ترجمة مظفر الدين كوكبورى «كان يعمل في كل سنة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربیع الأول يجتمع فيه الدنبـا من العلماء والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية

(١) لخص المؤرخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحـىـ بنـ العمـادـ الحـنـبـلـ فـيـ «ـشـذـراتـ الـذـهـبـ فـيـ أـخـبـارـ مـنـ ذـهـبـ»ـ جـ ٥ـ صـ ١٤٠ـ مـأـورـدـهـ أـبـنـ خـلـكـانـ فـيـ ذـلـكـ وـنـقـلـ عـنـ أـبـنـ شـهـبـةـ أـنـهـ قـالـ فـيـ تـارـيـخـ الـإـسـلـامـ «ـقـالـ جـنـاعـةـ مـنـ أـهـلـ إـرـبـلـ كـانـتـ نـفـقـتـهـ عـلـىـ الـمـوـلـدـ فـيـ كـلـ سـنـةـ ثـلـاثـمـائـةـ الـفـ دـيـنـارـ»ـ.

والفقراء من كل صنف ويضرب الخيام في الميدان وينزل من القلعة بنفسه فيقرأ القراء ويعظ الوعاظ ويد سماطاً أو لها عنده وأخره في القلعة ويحضره الخلاائق فلا يبقى إلا من يأكل ويحمل وحكي لى من حضر بعض السنين فقال: عدلت على السساط مائة قرش قشليميش وخمسة آلاف رأس شوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوي ثم يخلع فيه على الأعيان ويفرق فيه الأموال على أقدارهم ولا يحضر هذا السساط أحد من عسكنره ثم يقوم في الميدان فيدخل الخانكاه وقد اجتمع فيه من الصوفية مابين ثمانمائة إلى الألف فيأخذون في السماع من بعد الظهر إلى الفجر وهو يرقص بينهم فإذا كان من الغد بعث اليهم من يكتب أسماءهم وكل شيخ ومعه جاعة فيعطي المشايخ على قدر طبقاتهم من المائة دينار إلى الخمسين والثلاثين ولأتبعاهم على حدة ومن شاء أن يسافر ومن شاء أن يقيم أياماً» وقال «ص ٦٨٣ حكى لى بباربل أنه كان ينفق على المولد في كل سنة ثلاثة آلاف دينار» هـ.

وكذلك الاحتفالات بالمولد التي وقعت بعد تلك الاحتفالات جرت على المبالغة والاسراف في صرف الاموال.

فقد قال شمس الدين السخاوي في كلامه على الاحتفال بالمولد النبوى «وأكثرهم - أى أهل الاقطار - بذلك أى بعمل المولد عنانية أهل مصر والشام ولسلطان مصر في تلك الليلة من العام الأعظم مقام. قال ولقد حضرت في سنة خمس وثمانين وسبعمائة ليلة المولد عند الملك الظاهر برقوم رحمه الله بقلعة الجبل العلية فرأيت ما هالنى وسرنى وما سأعنى وحررت ما أتفق في تلك الليلة على القراء والحاضرين من الوعاظ والمنشدين وغيرهم من الأتباع والغلمان والخدم المترددin بنحو عشرة الآف مثقال من الذهب العين بالحدس المصيب لا المين مابين خلع وقطع ، ومشروب ومشروم ، ومشمع ، وغيرها ما يستقيم به الضلوع ، وعدلت في ذلك خمسا وعشرين جوقة من القراء الصنثيين المرجو كونهم مثبتين ، ولم ينزل واحد منهم إلا بنحو عشرين خلعة من السلطان ومن الأمراء الأعيان قال السخاوي قلت ولم ينزل ملوك مصر خدام الحرمين الشرفين من وففهم الله هدم كثير من المناكير والشين ونظروا في الرعية كالوالد لولده وشهروا أنفسهم بالعدل فاسعفهم الله بجنده ومدده كالملك الشهيد الظاهر المصدق أبي سعيد جقمق يعتنون به ويتوجهون لطريق سبيه بحيث ارتفعت جوق القراء في أيامه بيقين للزيادة على الثلاثين فذكروا بكل جيل وكفوا من المهمات كل عريض وطويل» نقل هذا كله الملا على قاري صاحب المورد

الروى في المولد النبوى» ص ٢٥-٢٦ عن السخاوى.

وورد في الجزء الأول من «أزهار الرياض في أخبار عياض» تأليف شهاب الدين أحد بن محمد المقرى التلمسانى ص ٢٤٣ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

أن السلطان أبا حمو موسى بن يوسف يحتفل بليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ولا يقع منهم فيه إغفال قال «وقد تقدم أن العزف صاحب سبته هو الذى سن ذلك في بلاد المغرب قال «ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو المذكور ما قاله صاحب راح الأرواح^(١) «إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلة والسلام بمجموعة من تلمسان المحروسة مدعوة حفيلاً يحضر الناس فيها خاصة وعامة فما شئت من نمارق مصنفة وزرائب مبثوثة وبسط موشأة ووسائل بالذهب مغشاة، وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالملاحم، ومبادر صفر منصوبة كالقباب يمخالها البصر من تبر مذاب، ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة كانها أزهار الربيع المنمنمة، تستهيها الأنفس وتستلذها التواطر، وبمخالط حسن رياها الأرواح وبخامر، رب الناس فيها على مرأتهم ترتيب احتفال، وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال، وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثم، يخرجون فيها من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب ، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب، وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه خزانة المنجانة، قد زخرفت كأنها حلة يمانية ، لها أبواب مرتجة على عدد ساعات الليل الزمانية، فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ، وفتح عند ذلك باب من أبوابها ، وبرزت منه جارية صورت في أحسن صورة، في يدها اليمنى رقة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة، فتضعنها بين يدي السلطان بطافه، ويسراها على فمها كالمؤدية بالمباعدة حق الخلافة، هكذا حالمهم إلى انبلاج عمود الصباح، ونداء المنادى حى على الفلاح» انتهى كلام صاحب راح الأرواح. وقال^(٢) في نظم الدرر والعيقان في هذا المعنى مانصه «وكان يعني السلطان أبا حمو يقوم بحق

(١) صاحب «راح الأرواح» هو أبو عبد الله التنسى ثم التلمسانى كما بينه المقرى في الجزء الرابع من نفح الطيب» ص ٦٠٤

(٢) اي صاحب راح الأرواح بين ذلك المقرى في ج ٤ من «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» ص ٦٠٥ الطبعة البولاقية.

ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل لها بما هو فوق سائر الموسم، يقيم
 مذعاة ، يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصقوفة ، وزرابي مبسوطة،
 وشمع كالاسطوانات، وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا
 أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات ، ينال كل منها بحظه، وخزانة المنجاهة
 ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيكة تحمل طائرا، فرخاً تحت جناحيه،
 ويختله فيما أرقم ، خارج من كوة بجذر الأيقه صعدا، وبصدرها أبواب مرتجة بعدد
 ساعات الليل الزمانية، يصادق طرفها ببابان كبيران وفوق جميعها دوين رأس الخزانة،
 قمر أكمل، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك، ويسamt أول كل ساعة
 بابها المرتج، فينقض من البابين الكبيرين عقابان، بفني كل واحد منها صنجة
 صفر، يلقاها إلى طست من الصفر مجوف، بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة
 فيرين، وينهش الأرقام أحد الفرخين فيصرف له أبواه، فهنا يفتح باب الساعة الذهابة،
 وتبرز منه جارية محترمة، كأظرف ما ثلت راء، يمناها إضمارة فيها اسم ساعتها
 منظوما، ويسراها موضوعة على فيها ، كالمبادعة بالخلافة، والمسمى قائم ينشد أمداح
 سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يؤتى
 آخر الليل بمأوى كالملاحم دورا، والرياض نورا، قد اشتتمل من أنواع محاسن الطعام
 على ألوان تستهيها الأنفس ، وتستحسنها الأعين، وتلذ بسماعها الأذن، ويشره
 بصرها للقرب منها والتناول وإن كان ليس بغثيان، والسلطان لم يفارق مجلسه الذي
 ابتدأ جلوسه فيه، وكل ذلك بمرأى منه وسمع، حتى يصل هناك صلاة الصبح على
 هذا الأسلوب تقضي ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام دولته، أعلى
 الله مقامه في علينا وشكرا له في ذلك صنعه الجميل آمين ومامن ليلة مولد مرت في
 أيامه إلا ونظم فيها قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم أول ما ينتدئ
 المسمى في ذلك المحفل العظيم بانشاده ثم يتلوه إنشاد من رفع إلى مقامه العلي في تلك
 الليلة نظما، انتهى كلام صاحب نظم الدرر والعقيان وهو أتم مساقا من كلامه في
 راح الارواح» .

هذه تصريحات أهل العلم من لا يرى منهم الاحتفال بالمولود النبوى ومن يراه
 بما تحتوى عليه تلك الاحتفالات باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى فى
 أزمنتهم من بدع ومعاصى تتنافى مع دعوى المحافظين تعظيم
 النبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ماقاله الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن
 النباوى المالقى الأندلسى فى ترجمة القاضى ابى عبد الله محمد بن عبد السلام

(١) من «كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» ص ١٦٢-١٦٣ طبعة دار الكتاب المصري بالقاهرة مانصه «أخبرني - أى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي - عن هذا القاضى رحمة الله به حاصله أن الأمير أبي يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة وللمثول بين يديه ليلة الميلاد النبوى الشريف إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة المغربية من الاحتفال في الأطعمة وتزيين محل بحضور الأشراف وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة فحين كمل المقصود من المطلوب وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه والناس على منازلهم بين قاعد وقائم هز المسمع طره وأخذ يهنتهم بألحانه وتبعه صاحب يراعه بعادته من مساعدته تزحزح القاضى أبو عبد الله عن مكانه وأشار بالسلام على الأمير وخرج من المجلس فتبعه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر فناموا به فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجاتهم فأمر أحد وزرائه بتفقدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم وأعلم الوزير الموجه لما ذكر القاضى بالغرض المأمور به فقال له أصلحك الله هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها وجعلنا السلطان أبقاء الله من أجلها لشهادها نبينا المولود فيها صلوات الله وسلم عليه لم يأذن لنا في الاجتماع على مانحن فيه من مساحة بعضنا لبعضنا البعض في اللهو ورفع قناع الحياة بحضور القاضى والفقهاء وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة إلا أن تنس إليها حاجة كالاقرار بوجوب الحد أو الكفارة فليسلم لنا الأمير أصلحه الله في القعود بمسجده هذا إلى الصباح وإن كنا في مطالبات آخر من تبعات رباء ودسائس أنفس وضروب غرور لكن كما شاء الله في مقام الاقتداء لطف الله بنا أجمعين بفضله فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحيى وأعلمه بالقصة فأقام يسيراً وقام من مجلسه وأرسل إلى القاضى من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتقديم طعام على الضعفاء وإرافق الفقراء شكرأ الله ١٠٢ هـ كلامه وإذا كان هذا موقف ذلك القاضى من اللهو واللعب في عمل المولد بما بالك بما انضم اليهما بعد ذلك من المنكر نسأل الله السلامة آمين.

(١) توفى هذا القاضى في أوائل الطاعون النازل ببلده عام ٧٥٠

فصل في الكلام على قصص المولد وعلى ماتحتوى عليه من أضرار

جرت عادة المحتفلين باليلم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى بالاجتماع على قصص تسمى بالموالد وهى قصص ألفت لقراءتها فى تلك المناسبة على هيئة يعتقد قراءها أنها من القرب ويتوهם العوام أنها من السنن المأثورة ولكن الكلام على تلك العادة يتطلب أمرين أحدهما بيان حكم الاجتماع على قراءة تلك القصص والثانى ذكر ما تحتوى عليه تلك القصص من أضرار نوضح ذلك فنقول أما حكم الاجتماع على قراءة تلك القصص فهو أنه بدعة لا ريب في ذلك كما بينه العلماء ومن كلامهم في ذلك ما يلى:

١ - قال العلامة الإمام الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في مناظرته لعلماء مكة التي وقعت بينه وبينهم عام ١٢١٨ بقصد بيانه للبدع المذمومة مانصه (ومنها) - أى من البدع المذمومة - الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاداً أنه قربة مخصوصة مطلوبة دون علم السير فإن ذلك لم يرد) وذكر في التفرقة بين الوارد من الأذكار وغيرها مانصه (ومنها) - أى البدع المذمومة - ما اعتقد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد بألحان وتخلط بالصلوة عليه وبالاذكار القراءة ويكون بعد صلاة التراويح ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب بل تتوهم العامة أن ذلك من السنن المأثورة فيه عن ذلك» ورد ذلك كله في الجزء الأول من «الدرر السننية» ص ١٣٢-١٣٣.

٢ - قال السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من الفتاوى ص ١٢٤٣ مانصه (هذه المولد - أى القصص المسماة بالموالد - بدعة بلا نزاع وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوى أحد ملوك الشراكسة بمصر).

وأما الأضرار المحتوية عليها تلك القصص المعروفة باسم المولد فكثيرة.

أوها : ايراد أحاديث غير ثابتة فيها

نبه على وجود الأحاديث الغير الثابتة في تلك القصص السخاوي والسيد رشيد رضا وعلى فكري قال السخاوي (اكثر ما يأبدي الوعاظ منه - أى مما يقرأ في المولد - كذب و اختلاق بل لم يزالوا يولدون ما هو أقبح وأسخن مما لا تخل روایته ولا سمعه بل يجب على من علم بطلانه إنكاره والأمر بترك قراءته) نقل ذلك الملا على قارى في

«المورد الروى في المولد النبوى» ص ٣٢ عن السخاوى وقال السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من فتاویه ص ١٢٤٣ (لم نطلع على قصة من قصص المولد النبوى الشریف إلا ورأينا فيها كثيرا من الأخبار الموضوعة) وذكر أن تلك القصص التي يؤثرها الجھال زعما منهم أنها أكثر تعظیما للنبي صلی الله علیه وسلم مشحونة بالمواضیعات والأکاذیب ثم قال «وقد أغناه الله تعالى بفضله العظیم علیه عن تعظیم غيره بالکذب في سیرته» وذكر في الجزء السادس من الفتاوی ص ٢٤٢٨ تحت عنوان «معجزات المولد النبوى أن في تلك القصص الضعیف والموضوع وأن اکثرها مراسلی واسرائیلیات منکرة» وقال السيد علی فکری في «المحااضر السادسة عشرة من المحاضرات الفكریة» ص ١٢٩ (يجب أن تكون القصة التي تتلى في المولد النبوى الشریف مأخوذه من الأحادیث الشریفة المقبولة أما ما اعتاد الناس سماعه من أهل التلحین والترنیم من الأقوال الخرافیة والاصفات التي لا تقرها الشریعة الإسلامیة في الذات المحمدیة فمنکر يجب الإقلاع عنه».

وعلى سبيل التمثیل لما في تلك القصص وبعض الكتب المصنفة في الدفاع عن المولد من أحادیث غير صحیحة أورد مايلي:

١ - ماجاء عن جابر بن عبد الله الأنصاری أنه قال «قلت يارسول الله بأبي أنت وأمى أخبرني عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال يا جابر إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبیك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا اسماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنی ولا إنسی فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حلقة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقی الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات ومن الثاني الأرضین ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنین ومن الثاني نور قلوبهم وهی المعرفة بالله ومن الثالث نور أنفسهم وهو التوحید لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أورد هذا منه القسطلانی في الجزء الأول من «المواهب اللدینیة» ص ٤٧ وزعم أن عبد الرزاق رواه كذلك بسنده عن جابر وأشار إلى أن له بقیة بقوله بعد إيراد ما أورده منه (الحدیث).

وأورده حسين بن محمد الديار بكرى في الجزء الأول من «تاریخ الخمیس فی أحوال أنفس نفیس» ص ٢٠-١٩ عن جابر بن عبد الله الانصاری بلفظ «سألت رسول الله صلی الله علیه وسلم عن أول شيء خلقه الله قال هو نور نبیک یا جابر خلقه ثم خلق منه كل خیر وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنتي عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم والکرسی من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسی من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثنتي عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق الخلق من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنتي عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والکواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنتي عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحلل والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياة اثنتي عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترش النور عرقاً فقطرت منه مائة الف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبی أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيمة . فالعرش والکرسی من نوری والکروبيون من نوری والروحانیون من الملائكة من نوری وملائكة السموات السبع من نوری والجنة وما فيها من النعيم من نوری والشمس والقمر والکواكب من نوری والعقل والعلم والتوفيق من نوری وأرواح الأنبياء والرسل من نوری والشهداء والصالحون من نتائج نوری ثم خلق سبحانه اثنتي عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكراهة والسعادة والمحبة والرحة والرأفة والحلل والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب رکبه الله في الأرض وكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شیث ومنه إلى يانش وهكذا كان ينتقل من ظاهر إلى طیب إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلنى سید المرسلین وخاتم النبیین ورحمة للعالمین وقائد الغر المحجلین هكذا بده خلق نبیک یا جابر».

بهذا اللفظ أورده الديار بكرى وقال «ذکرہ البیهقی» وذكر ابن الحاج في

المدخل^(١) ج ٢ ص ٣٤ أن الخطيب أبا الربيع روى في شفاء الصدور له أن أول مخلوق الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فا قبل ذلك النور يتrepid ويسبح بين يدي الله عز وجل فقسمه الله تعالى إلى أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العرش ومن الثاني القلم ومن الثالث اللوح ثم قال للقلم إجر واكتب فقال يارب ما أكتب قال مأنا خالقه إلى يوم القيمة فجري القلم على اللوح وكتب حتى أتى على آخر مأمره الله سبحانه وتعالى به وأقبل الجزء الرابع يتrepid بين يدي الله تعالى ويسبح الله عز وجل فقسمه الله أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العقل ومن الثاني المعرفة وأسكنها في قلوب العباد ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأ بصار والجزء الرابع جعله الله حول العرش حتى خلق آدم عليه الصلاة والسلام فأسكن ذلك النور فيه فنور العرش من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور القلم من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور اللوح من نوره صلى الله عليه وسلم ونور النهار من نوره صلى الله عليه وسلم ونور العقل من نوره صلى الله عليه وسلم ونور المعرفة ونور الشمس ونور القمر ونور الأ بصار من نوره صلى الله عليه وسلم واورد معه ابن الحاج في الباب ما أورد ثم قال «وقد ورد في هذا المعنى كثير فمن أراده فليقف عليه في كتاب الشفاء لأبي الربيع ولأجل هذا المعنى قال آدم عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم فيما نقل يا أبا معناعي ويا ابن صورتي»^{١٠١} هـ وإلى هذا الحديث أشار الشيخ ابراهيم الرياحى التونسي في أول مولده بقوله ص ٤ «إن أول مخلوق الله نور هذا النبي الأواه» والبرنزجى في مولده ص ٤٢ ط مطبعة مصطفى البابى الحلبي بقوله في مولده صلى الله عليه وسلم «هو آخر الأنبياء بصورته وأو لهم معناه» والميرغنى بقوله في مولده ص ٩ (قال – أى النبي صلى الله عليه وسلم «أول مخلوق الله نور نبيه ياجابر» جواباً للمسألة المحكية.

(١) كتاب المدخل رغم مافيه من تنببيهات على كثير من البدع فيه كثير من الأحاديث الموضوعات ذكر ذلك صاحب كتاب السنن والمبتدعات ص ٢٩١ وقد أجاد في تصریحه بذلك وقال الشهاب الحفاجي في الجزء الأول من نسیم الرياض في شرح شفاء القاضی عیاض ص ٢٦٢ ط دار الكتاب العربي في کلامه على البدع قد استوفی اقسامها ابن الحاج في المدخل وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله وإن كان فيه أمور غير مسلمة» قلت القائل إسماعيل الأنصاري من الأمور التي لا تسلم في المدخل لمخالفتها النصوص الشرعية دعوه في الفصل الذي عقده لزيارة القبور وفي الفصل الذي عقده لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاستفادة باصحاب القبور وإلى التردد على قبورهم لقضاء الحاجات وقد شان ابن الحاج كتابه بذلك وبعد التحری فيما يذكره فيه من الأحاديث.

٢ — حديث «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين» إليه أشار الميرغني في ص ٩ بقوله (وقال — أى النبي صلى الله عليه وسلم «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين^(١)») ونقل الشيخ محمد بن علوى في تعليقه على الطبعة الأولى لمولد الدبيع ص ٢٠ عن العلقمي أنه صحيح في شرح الجامع الصغير ونصه (الشيخ العلقمي في شرح الجامع الصغير قال عن هذا الحديث (كنت نبياً وأدم بين الماء والطين) إنه حديث صحيح ، كذا في شرح الجامع وقال الملا على القارى في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٣٣ (هو — أى خبر «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين) وإن قال بعض الحفاظ لم نقف عليه بهذا اللفظ لكن جاء معناه من طرق صحيحة منها مارواه أحد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الاستناد عن العرباض بن سارية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنى مكتوب عند الله خاتم النبيين وإن آدم لم ينجدل في طينته» أى لطريخ مليقى على الأرض قبل نفح الروح فيه. ومنها مارواه أحد والبخارى في تاريخه وأبو نعيم في الخلية وصححه الحاكم عن ميسرة الضبى رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً قال وأدم بين الروح والجسد» وبروى (كتبت) من الكتابة. ومنها خبر الترمذى وحسنه عن أبي هريرة رضى الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وأدم بين الروح والجسد.

٣ — ماجاء عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال في قوله تعالى (وَإِذْ أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم «كنت أول النبىين فى الخلق وآخرهم فى البعث) أورده الشيخ محمد بن علوى المالكى في تعليقه على طبعة مولد ابن الدبيع الاولى طبعة مطابع سحر بجدة ص ٢٠ وفي تعليقه على طبعة مولد ابن الدبيع الاخرى ط مطبعة السعادة ص ١٤ وفي تعليقه على المورد الروى في المولد النبوى ص ٤٢ قال في الجميع «قال السخاوى ورواه أبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال ومن طريقه عن أبي هريرة مرفوعاً وله شاهد صححه الحاكم وآخر في صحيحي ابن حبان والحاكم وثالث عند الترمذى وقال حسن صحيح.

(١) ذكر ذلك في مولده وهو مولد يحتوى من الاطراء على اشياء كثيرة منها هذا ومنها قوله في ص ٤ (من ميم اسمه — أى محمد صلى الله عليه وسلم — امتدت سائر العوالم الخلقية وجاء رحمته التي رحم بها الملوان ومن ميمه الأخرى تعينت مياه العوالم الحسية والمعنوية وامتلاؤها من أنوار واسرار وإذاعان، ومن دال ذلك الاسم دامت نظمات الملك الملكية.

٤ — خبر «لما أراد الله أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجبت بماء التنسيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شاعر عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم»، ذكره القسطلاني في المولد من «المواهب اللدنية» ج ١ ص ٤٢ وذكر هو والزرقاني شارح المواهب اللدنية أنه أورده عبد الله ابن أبي جمرة في بهجة النفوس وأبو الربيع بن سبع في شفاء الصدور وأبو سعد في شرف المصطفى وابن الجوزي في الوفاء».

٥ — ماجاء عن زين العابدين على بن الحسين عن جده على بن أبي طالب رضي الله عنهم رفعه (كنت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم جعل ذلك النور في صلبه فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب حتى استقر في صلب عبد المطلب ، هكذا أورده الملا علي قاري في (المورد الروى في المولد النبوي) ص ٥٧—٥٨ وأورد منه أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني في (المواهب اللدنية) ج ١ ص ٤٩ أورد منه «كنت نوراً بين يدي ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام» مقتضاها عليه وذكر أنه في أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مزروق عن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم . وجاء في طبعتي مولد الديبع اللتين أشرف عليهما الشيخ محمد بن علوى المالكى^(١) مانصه (عن بحر العلم الدافق ، ولسان القرآن الناطق ، أو حد علماء الناس ، سيدنا عبد الله بن سيدنا العباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كنت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسببيحه فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور في طينته قال صلى الله عليه وسلم (فأهبطني الله عز وجل إلى الأرض في ظهر آدم وجعلني في السفينة في صلب نوح ، وجعلني في صلب الخليل إبراهيم حين قذف به في الناز ، ولم يزل الله عز وجل

(١) طبعة مطبعة السعادة ص ٢٣—٢٥ وطبعه مطابع سحر بجده ص ٢٩ — ٣١ وأما طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر المؤرخة عام ١٣٤٢ فلفظها «قريشا» وهو اللفظ الوارد من رواية ابن عباس رضي الله عنهما «وأما رواية «كنت نوراً» فإنما وردت من رواية على وسلمان رضي الله عنهما.

ينقلنى من الأصلاب الظاهرة إلى الأرحام الزكية القاخرة حتى أخرجنى الله من بين أبوى وها لم يلتقيا على سفاح قط) وعلى لفظ مولد ابن الديبع علق الشيخ السيد محمد بن علوى المالكى ص ٢٩ – بما نصه قوله (كنت نوراً) رواه محمد بن عمر^(١) العدنى شيخ مسلم في مسنده وابن الجوزى في «الوفا» ٣٥/١ وفي الموضوعات له والسيوطى في الثالثى المصنوعة ٢٦٥/١ والقاضى عياض فى الشفاء وقال يشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدحه صلى الله عليه وسلم ٨٣/١ وهو قوله رضى الله عنه:

مستودع حيث يخصف الورق
أنت ولا مضفة ولا علق
جم نسراً وأهله الغرق
إذا مضى عالم بدا طبق
في صلبه أنت كيف يخترق
علياء تحتها النطق
الخصائص ٩٧/١

من قبلها طبت في الظلال وفي
ثم هبّطت البلاد لا يشر
بل نطفة تركب السفين وقد ألم
تنقل من صلب الى رحم
وردت نار الخليل مستترا
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر هذه الأبيات في ترجمة خريم بن أوس قال: قال هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فسمعت العباس عممه يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك: فأنشأ يقول... وساق الأبيات ثم قال وقد روى هذه الأبيات جرير بن أوس أخوه خريم بن أوس كما رواه خريم كذا في الاستيعاب ٤٤٧/٢ قال مقيده وجرير هذا قدم مع أخيه خريم على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر : جرير بن أوس الطائي هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فورد عليه منصرفه من تبوك فأسلم وروى شعر العباس بن عبد المطلب الذي مدح به النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: خريم وجرير قدما معا على النبي صلى الله عليه وسلم ورويا شعر العباس ، الاستيعاب ٢٤٠/٢ قال مقيده عفا الله عنه وذكر هذه الأبيات أيضا الحافظ ابن حجر في «الاصابة» في ترجمة خريم وقال رواها ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين ٤٢٣/١ قال مقيده ثم ظفرت بفائدة نفيسة وهي أن الحاكم روى أيضا في كتابه «المستدرك» هذه الأبيات عن خريم وأقره الذهبي وهو معروف بشدته وتعنته فقال رواية الأعراب عن آباءهم ومثلهم لا يضعون» كذا في المستدرك

(١) كذا في الأصل والصواب «أبي عمر»

وتلخيصه ٣٢٧/٣ وقد ذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن كثير في السيرة ١٩٥/١ عن أبي السكين زكريا الطائي عن زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال قال جدي خريسم بن أوس هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت العباس عمه يقول يارسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل «لايفضض الله فالك فأنشأ» يقول : وقال قد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس، ١٠١ هـ تعليق محمد بن علوى.

٦ - ماذكره ابن الجوزي في سلوة الأحزان وهو أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت المهر منه – فقال يارب وماذا أعطيها . قال يا آدم صل على حبيبي محمد عشرين مرة ففعل ، أورده الملا على القاري في المورد الروى ص ٤٥ وقال قبل ذلك «عن ابن عباس رضي الله عنهما كان – أى زمن السجود لآدم(١) – يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أصلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لأنها خلقت من حى فلما استيقظ ورأها سكن إليها ومد يده لها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها لي فقال حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا تصلى على محمد ثلاث مرات» وجع الملا على القاري بين الروايتين بقوله «قلت ولعل الثلاث كان مهرا معجلا والعشرين صداقاً مؤجلاً».

وأورده المناوي في مولده ص ٢٠-١٩ بلفظ (خلق الله حواء من ضلع من أصلاع آدم الشمالية أى خلقها الله تعالى منه وهو في سنة المنام فلما استيقظ منه ورأها جالسة على كرسى من المعادن الذهبية رام القرب منها فقالت الملائكة له مه يا آدم قال كيف وقد خلقها الله تعالى لي وذلك من الله بالهام فلما انقضت من آدم مقالته اللغظية قالت له الملائكة حتى تؤدى صداقها بالكمال والتمام فقال وما هو قالوا أن تصلى على محمد بن عبد الله ثلاث مرات وفي رواية عشرين عددة فعل فجرى وجوب الصداق في ذريته على مر الدور والأعوام ثم جمع الله رؤساء الملائكة وقال أشهدكم ياملائكتى أنى زوجت عبدي آدم من أمتي حواء».

٧ - حديث «ان الأرواح خلقت قبل الأجساد» أورده الملا على قاري في «المورد الروي في المولد النبوى» ص ٣٥ بتصديق الكلام على حديث «كنت نبياً وأدمن بين الروح والجسد» وذكر كلام السبكى في تفسيره به ونصه « جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد» فالإشارة بـ «كنت نبياً» إلى روحه الشريفة أو حقيقة من

(١) لفظ «أى زمن السجود لآدم» من شرح المواهب اللدنية للزرقانى وقد أدى عدم ذكره في متن ذلك الخبر وعدم التنبيه عليه في بعض المراجع إلى الخلط.

حقائقه لا يعلمها إلا الله ومن حباء بالاطلاع عليها ثم إنَّه تعالى يؤتى بكلِّحقيقة منها ماشاء في أي وقت شاء فحقيقةه صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من حين خلق آدم عليه السلام آتاهَا الله تعالى ذلك الوصف بأنَّ خلقها متهيَّة له وأفاض عليها من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه الشَّريف على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته الزائدة عنده. فحقيقةه موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشَّريف المتصف بها فجيئ بذلك إثناوَه النَّبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكما لا تَهُم معجل لتأخر فيه وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والارحام الطاهرة إلى أن ظهر على الوجه الأتم صلى الله عليه وسلم قال «ومن فسر ذلك بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى لأنَّ علمه تعالى محيط بجميع الأشياء فالوصف بالنَّبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له فيه ولا لم يختص بأنهنبيٌ إذ الأنبياء كلهن كذلك بالنسبة لعلمه سبحانه»^{١٠} هـ مانقله الملا على قاري في «المورد الروى في المولد النبوي» ص ٣٥ - ٣٦ عن السبكي في تفسير حديث «كنت نبياً وأدَم بين الروح والجسد» بخبر «إنَّ الأرواح خلقت قبل الأجساد» واعتبره أحسن ما قيل في تفسيره وهذا الذي نقله الملا على قاري عن السبكي مأخوذه من رسالة السبكي «التعظيم والمنة في «لتؤمن به ولتنصرنه» وهي من محتويات الجزء الأول من فتاوى السبكي.

٨ - ماورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما افترَ آدم الخطية قال يارب أسلوك بحق محمد الا غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت حمداً ولم أخلقك قال: يارب لأنك لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم لأنَّه أحب الخلق إلي واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد مخلقتك) أورده الملا على قاري في «المورد الروى في المولد النبوي» وقال ص ٤٦ - ٤٥ (رواوه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه.

وهو آخر الأنبياء من ذريتك) ويظهر من صنيع الملا على قاري في المورد الروى اعتماده على تصحيح الحاكم اياه وقد علق الشيخ محمد بن علوى على عبارة (ورواه الحاكم وصححه) بقوله (لاعبرة بقدح الذهبي فإنه مسرف في الحكم على الأحاديث بالنَّكارة والوضع دون مراعاة للطرق وال Shawahed).

٩ — ماورد عن ابن عباس رضي الله عنهمما أنه قال «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن) أورده ابن ناصر الدين في مورد الصادى إلى مولد الهادى وعزاه إلى طبقات الاصبهانيين لأبى الشيخ وقال «صحح الحاكم استناده» وأورده الزرقاني في الجزء الأول من شرح «المواهب اللدنية» ص ٤٤.

١٠ — ماورد في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة له تتعلق بشرف نسبه (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار) وأشار إليه البرزنجى في مولده ص ٧٧ بقوله بعد سرد النسب النبوى إلى عدنان (هذا سلك نظمت فرائده بنان السنة السننية» وأورد ذلك الحديث الملا على القارى في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٥٦ الطبعة الأولى وأشار إليه الشيخ محمد بن محمد العزب في مولده بقوله ص ٦٣ بعد سرده نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان وإليه قد كان المشفع ينتهى.

١١ — حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنا ابن الذبيحين» يعني بهما جده إسماعيل عليه السلام وأباه عبد الله أورده الملا على القارى في (المورد الروى في المولد النبوى) ص ٦٩.

١٢ — حديث وضع الحوامـلـ الذـكورـ فيـ السـنةـ التـيـ ولـدـ فـيهـ النـبـيـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـرـامـةـ لـهـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ أـشـارـ المـنـاوـىـ فـيـ مـوـلـدـهـ صـ ٤٣ـ بـقـوـلـهـ (وـوـضـعـتـ الـحـوـامـلـ الـذـكـورـ تـعـظـيمـاـ لـقـدـومـ ذـاـنـهـ الـمـحـمـدـيـةـ وـأـشـارـ إـلـيـهـ الـعـزـبـ فـيـ مـوـلـدـهـ بـقـوـلـهـ صـ ٦٦ـ لـمـصـطـفـىـ حـلـتـ ذـكـورـاـ رـشـداـ

١٣ — حديث أن كل دابة لقريش نطقـتـ لـيـلـةـ الـحـمـلـ بـمـحـمـدـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـقـالتـ حـلـ بـرـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـفـيـ بـعـضـ أـفـاظـهـ مـاـيـنـصـ عـلـىـ أـسـيـةـ وـمـرـيـمـ وـنـسـاءـ مـنـ الـحـورـ الـعـيـنـ حـضـرـنـ وـلـادـةـ النـبـيـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ» وأشار البرزنجى إلى مافيه من نطق الدواب بذلك وأشار إليه بقوله في مولده ص ٧٩ (ونطقـتـ بـحـمـلـهـ كـلـ دـاـبـةـ لـقـرـيـشـ بـفـصـاحـ الـأـلـسـنـ الـعـرـبـيـةـ) قال «وتـبـاـشـرـتـ وـحـوشـ الـمـشـارـقـ وـالـمـغـارـبـ وـدـوـابـهـ الـبـحـرـيـةـ وـأـشـارـ إـلـىـ مـاـوـرـدـ فـيـ حـضـورـ آـسـيـةـ وـمـرـيـمـ وـنـسـاءـ مـنـ الـحـورـ

العين ولادته بقوله ص ١٢ ط مطبعة مصطفى الحلبي «حضر أمه ليلة مولده الشريف آسية ومريم في نسوة من الخطيرة القدسية». وذكر السيد رشيد رضا أنه ورد أيضاً في قصة مولد الرياحي التونسي ذكر ذلك في ج ١ من الفتاوى ص ٣٣٩.

١٤ - حديث أن النبي صل الله عليه وسلم قال «من كرامتي على ربى أني ولدت مختونا» أشار إليه البرزنجي في مولده بقوله (ولد - أى النبي صل الله عليه وسلم - نظيفاً مختوناً مقطوع السرة بيد القدرة الالهية» وقال الملا على القارى في المورد الروى في المولد النبوى» ص ٨٧ «روى الطبرانى وأبو نعيم وغيرهما من طريق الحسن عن أنس رضى الله عنه أن النبي صل الله عليه وسلم قال «من كرامتي على الله أنى ولدت مختونا ولم ير أحد سواتي» وعند ابن سعد من حديث عطاء الخراسانى عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله صل الله عليه وسلم ولد مختونا مسروراً أى مقطوع السرة ففرح به جده وقال ليكونن لابنى هذا شأن» وقال الحكيم أبو عبد الله الترمذى إنه ولد مختونا» ورغم ذكر الملا على قارى أن الحافظ العراقي قال لا يثبت في هذا كله أى في أنه ولد مختونا وفي أن جده عبد المطلب ختنه - شيء وأن الإمام أحمد توقف في كونه ولد مختونا وفي كون جده ختنه قال المروذى^(١) سئل - أى الإمام أحمد - هل ولد النبي صل الله عليه وسلم مختونا فقال الله أعلم ثم قال لأدرى وقال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر من أئمة الخنابلة قد روى أنه صل الله عليه وسلم ولد مختونا مسروراً ولم يجترئ أبو عبد الله يعني الإمام أحمد بن حنبل على تصحيح هذا الحديث وقال بعض الأئمة إن ختان جده له على ما في المروى به أشبهه) رغم ذكر على القارى هذا كله لم يرتضه بل تعقبه بقوله (لكن قال الحاكم إن الأول يعني أنه ولد مختونا - قد تواترت به الرواية قال السخاوي وهو الذي أميل إليه سيماء قول أمه ولادته نظيفاً).

١٥ - حديث مناغاة النبي صل الله عليه وسلم القمر في المهد ذكره ابن طغribk السياف في «النطق المفهوم» عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أنه قال «قلت يارسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتكرأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه باصبعك فحيث أشرت إليه مال قال إنى كنت أحدهه وبحدثنى ويلهنى عن البكاء وأسمع وجنته حين يسجد تحت العرش» وأورده الملا على قارى في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ١٠١ وذكر أنه أخرجه البيهقي والخطيب وابن عساكر في تاریخيهما. وإليه أشار المناوى في مولده ص ٤٣ بقوله «وكان صل

(١) لفظ (المروذى) هو الصواب لا لفظ (المزى) الذي ورد في طبعة «المورد الروى».

الله عليه وسلم وهو في المهد يناغى القمر ويتحرك مهده بتحريك الملائكة الروحانية وحديثه مع القمر لأجل تسليته عن البكاء ونزول دموعه السجام».

١٦ - ماجاء عن بريدة رضي الله عنه قال «رأيت آمنة وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدته فسميه أَمْدَأْ وعلقى عليه هذه فانتبهت وعند رأسها صحيفه من ذهب مكتوب عليها:

أَعِينُه بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِ
وَكُلِّ خَلْقٍ رَائِدِ مِنْ قَائِمٍ وَقَاعِدِ
عَنِ السَّبِيلِ حَائِدِ عَلَى الْفَسَادِ جَاهِدِ
مِنْ نَافِثٍ أَوْ عَاقِدِ وَكُلِّ خَلْقٍ مَارِدِ
يَأْخُذُ بِالْمَرَاصِدِ فِي طَرْقِ الْمَوَارِدِ

أنها هم عنه بالله الأعلى ، وأحوطه منهم باليد العليا والكتف الذي لا لايرى يد الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عاديهم لايطردونه ولايضرونه في مقعد ولا منام ولا سير ولا مقام أول الليل وآخر الأيام» أورده الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي في «سبل المدى والرشاد» ج ١ ص ٣٩٤-٣٩٥ وذكر أنه مشهور في كتب الموالد وأن بعض أهل السير جعل تلك الأبيات من حديث ابن عباس رضي الله عنهمـا.

١٧ - ما عند ابن عساكر عن سلمان رضي الله عنه قال «هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن ربك يقول إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلك عندى ولو لاك ما خلقت الدنيا» أورده الملا على قاري في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٤٦

١٨ - ما ورد في خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «يا رسول الله هذا آخر موطي من الأرض كنت حاجتي من الدنيا» ورد هذا في مولد المناوى ص (٨٢).^(١)

هذه نبذة مما ورد في قصص المولد وفي بعض الكتب التي بحثت في المولد من أحاديث غير صحيحة بعد ايرادها نبين عدم صحتها فنقول وبالله التوفيق.

(١) طبعة شركة الشمرى بالاسكندرية.

أما حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهمما أنه قال «قلت يارسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره» الحديث فيؤخذ الجواب عن روایته التي أوردها القسطلاني وعزاها إلى عبد الرزاق وعن غيرها من روایاته التي أمضيناها يؤخذ الجواب عن جميع ذلك مما يلي:

١ - ما في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية حول ماجاء في أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخلق مما خلق منه البشر وإنما خلق من نور قبل المخلوقات ومنه خلقت الأشياء.

فقد قال في رسالة له في لباس الفتوة عند المتصوفة^(١) وسائل أخرى فشت فيهم جوابا لسؤال وجه إليه: هل خلق النبي صلى الله عليه وسلم من النور أم خلق من الأربع عناصر أم من غير ذلك وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس لولاك مخلق الله عرشا ولا كرسيها ولا أرضا ولا سماء ولا شمسا ولا قمرا ولا غير ذلك صحيح أم لا قال في الجواب عن ذلك السؤال مانصه «النبي صلى الله عليه وسلم خلق مما خلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله خلق الملائكة من نور وخلق إبليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار مخلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكابراهيم من آزر. وآدم خلقه الله من طين فلما سواه وتفتح فيه من روحه أسبغ له الملائكة وفضلها عليهم بتعليمه أسماء كل شيء وبأن خلقه بيديه وبغير ذلك فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهو لاء من نور. وهذه مسألة كبيرة مبوطة في غير هذا الموضع فإن فضلبني آدم هو بأسباب يطول شرحها هنا وإنما يظهر فضلهم إذا دخلوا دار القرار «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر إلى كبر ثم من دار إلى دار فلا يظهر فضلها وهو في ابتداء أحواله وإنما يظهر فضلها عند كمال أحواله بخلاف الملك الذي تشابه أول أمره وأخره ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الأنبياء حيث نظر إلى أحوال الأنبياء وهم في أثناء الأحوال قبل أن يصلوا إلى ما وعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه

(١) هي في الجزء الأول من «مجموعة الرسائل والمسائل» ط مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٠.

صريف الأقلام وعلا على مقامات الملائكة. والله تعالى أظهر من عظيم قدرته وعجب حكمته من صالح الآدميين من الأنبياء والأولياء مالم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ماتفرق في المخلوقات فخلق بدنه من الأرض وروحه من الملا الأعلى ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم الكبير ومحمد سيد ولد آدم وأفضل الخلق وأكرمهم عليه ومن هنا قال من قال إن الله خلق من أجله العالم أو انه لو لا هو لما خلق عرضا ولا كرسيا ولا أسماء ولا أرضاء ولا شمسا ولا قمرا ولكن ليس هذا حدثا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاصححوا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدرى قائله»^١ هـ المراد من الرسالة المذكورة.

وقال في الجزء الثاني من «الجواب» الصحيح لمن بدل دين المسيح» ص ٢٠٦ في كلامه على عبارة في الإنجيل ظن بعض النصارى أن المراد بها وجود ذات المسيح قبل خلق الدنيا قال في ذلك الظن الخاطيء «يضاهاي ظن طائفة من غالة المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم الذين يقولون إن ذات النبي صلى الله عليه وسلم كانت موجودة قبل خلق آدم ويقولون إنه خلق من نور رب العالمين ووجد قبل خلق آدم وان الأشياء خلقت منه حتى قد يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم من جنس قول النصارى في المسيح حتى قد يجعلون مدد العالم منه ويروون في ذلك أحاديث وكلها كذب».

وجاء في تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري بصدر الرد على الاتحادية وغيرهم من الجهال ص ٩-١٠ مانصه «هؤلاء الضلال يتهمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ - أي قبل خلق آدم عليه السلام - موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه أنه كان نوراً حول العرش فقال ياجبريل أنا كنت ذلك النور ويدعى أحدهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل».

وقال في الفتاوى ج ١٨ ص ٣٦٦ - (٣٦٧) فيما ذكره القصاصين من أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت وزلت فخلق من كل قطرة نبياً وأن القبضة كانت هي النبي صلى الله عليه وسلم وأنه بقى كوكبادريا» قال فيه «هذا كذب - أي على النبي صلى الله عليه وسلم - باتفاق أهل المعرفة بحديثه وكذلك

(١) جع الشیخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى.

ما يشبه هذا مثل أحاديث يذكرها شيروه الديلمي في كتابه الفردوس ويذكرها ابن حويه في حقائقه مثل كتاب المحبوب ونحو ذلك مثل ما يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كوكبا وأن العالم خلق منه وأنه كان موجودا قبل أن يخلق أبواه وأنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل وأمثال هذه الأمور فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته. والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي صلى الله عليه وسلم بل خلق كل واحد من أبويه».

وقد نقل الزرقاني في «شرح المawahب اللدنية» ج ١ ص ٢٨ هذا بایجاز عن الإمام ابن تيمية وذكر أن ابن كثير نقله عنه وأقره لفظ الزرقاني «وأما ما ذكر أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرفت وزلت فخلق الله من كل نقطة نبيا وأن القبضة كانت هي النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان كوكبا دريا وأن العالم كله خلق منه وأنه كان موجودا قبل أن يخلق أبواه وأنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه جبريل وأمثال هذه الأمور فقال أبو العباس أحمد بن تيمية في فتاواه ونقله الحافظ ابن كثير في تاريخه وأقره كل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بحديثه والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي صلى الله عليه وسلم بل خلق كل واحد من أبويه».

٢ - مافي «الحاوى للفتاوی» ج ١ ص ٣٢٣ أن السيوطى سئل «هل الوارد في الحديث أن الله خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم فجزأه أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العرش وخلق من الجزء الثاني القلم . وخلق من الثالث اللوح ثم قسم الجزء الرابع وجزأه أربعة أجزاء وخلق من الجزء الأول العقل وخلق من الجزء الثاني المعرفة وخلق من الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأ بصار ونور النهار وجعل الجزء الرابع تحت ساق العرش مدحوراً فأجاب السيوطى عن ذلك السؤال بقوله ص ٣٢٥ «الحديث المذكور في السؤال ليس له إسناد يعتمد عليه».

٣ - مافي الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة للشيخ سليمان بن سحمان ص ١٥ حول قول صاحب تلك الشبه الداحضة روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمى أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فساق صاحب تلك الشبه من ذلك الخبر ما أورده القسطلانى في المawahب منه مدعيا أن عبد الرزاق رواه بسنده عن جابر فقد أجاب الشيخ سليمان عنه بأنه

حديث مكذوب موضع على رسول الله صل الله عليه وسلم مخالف لصریح الكتاب والسنۃ لاحاجة بأهل الإسلام فيما يتعلق بخصائص النبي صل الله عليه وسلم وشمائله وفضائله إليه ولا إلى غيره من الموضوعات بل فيما ذكره أهل العلم بالله من حلة القرآن والسنۃ وأهل الحفظ والاتقان من خصائص النبي صل الله عليه وسلم وفضائله ومعجزاته وشمائله مما صح به الخبر عن رسول الله صل الله عليه وسلم مقنع بما يذكر الوضاعون من الأکاذيب الم موضوعة والأحاديث المصنوعة ثم قال « ومن المعلوم بالضرورة من دین الإسلام أن هذا — أى ذلك الحديث الذى يقال بأن عبد الرزاق رواه عن جابر الانصارى من الكذب الذى لا يمترى فيه — أى في كونه كذبا على رسول الله صل الله عليه وسلم — عاقل فضلا عن العلماء الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه وبرسوله وسنة نبيه.

واستدل العلامة سليمان بن سحمان في الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية على بطلان ذلك الحديث بأمور.

أحدها مثبت عن رسول الله صل الله عليه وسلم في بيان أول مخلوق الله من الأشياء فقد جاء في بعض النصوص انه القلم روی أبو داود في سننه عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه أنه قال يابنى إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما خططاك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول «إن أول مخلوق الله القلم فقال له اكتب فقال يارب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يابنى سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول «من مات على غير هذا فليس مني» وقال عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية «حدثنا محمد بن كثير العبدى أبىانا سفيان الثورى حدثنا أبو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول مخلوق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه. وجاء في بعض النصوص أن أول مخلوق الله العرش فقد قال الإمام عثمان الدارمي في الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدى أبىانا سفيان الثورى حدثنا أبو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول مخلوق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه. ورواه أيضا أبو القاسم الالكائى في كتابه في شرح أصول السنۃ من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال قيل لابن عباس إن ناسا يقولون في القدر قال يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه أى لآخذن بناصيته إن

الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه» بعد إيراد الشيخ سليمان جملة من النصوص الواردة في الباب وتصححه أن العرش قبل القلم جزم بأن ذلك الحديث الذي جاء فيه أن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيه منافق للأحاديث الواردة في أولية العرش والأحاديث الواردة في أولية القلم.

الثاني مافي صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال إنني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقالوا أقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطانا فدخل ناس من أهل اليمن فقال أقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بني تميم فقالوا قد قبّلنا جنناك لنفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر قال : كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وایم الله لو ددت أنها قد ذهبت ولم أقم» قال الشيخ سليمان بن سحمان قد سألا النبي صلى الله عليه وسلم عن أول هذا الأمر فأخبرهم أن الله كان ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ولو كان الله خلق نور محمد قبل الأشياء لذكره.

الثالث مثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خليقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» فإنه يدل على أن آدم لم يخلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم وإنما خلق مما بينه الله في كتابه «خلق الإنسان من صلصال كالفحار» وقال «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمل مسنون» كما يدل هذا الحديث على أن الملائكة لم يخلقوا من نور محمد صلى الله عليه وسلم.

الرابع أن نور الله الذي ورد في ذلك الخبر الذي يقال بأن عبد الرزاق رواه عن جابر قد يتوهם متوجه أنه نور الله الذي هو صفتة وذلك حال لأن صفة الله لا يتكون منها شيء مخلوق وإنما تتكون الأشياء وتخلق بأمره تعالى وتكوينه «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون».

الخامس أن قول الله تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين) إلى قوله «ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات في يومين» يدل على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء وذلك الخبر الذي يقال بأن عبد الرزاق رواه

عن جابر صريح في أن السموات خلقت قبل الأرض.

السادس أن ماتضمنه ذلك الخبر من ان النار مخلوقة من نور محمد صلى الله عليه وسلم يتنافي غاية التنافي مع كون النار محل غضب الله وسخطه إذ لا يمكن مادام الأمر كذلك ان تكون النار مخلوقة من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل خلق الله عز وجل. هذا ما لخصناه من كلام الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى وجراه خير الجزاء.

٤ - مافي «السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات» للشيخ محمد عبد السلام الشقيري تعليقا على قطعة من خطبة الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل الشهير بابن نباتة الأولى لربيع الأول في المولد نصها (وقيض - أى الله عز وجل - قبضة من نوره وقال كوني محمدا سيد البشر^(١)) وقسم نوره أربعة أقسام كما قد جاء في الخبر فخلق من الجزء الأول اللوح والقلم فكتب القلم ما به الله قد أمر، وخلق من الثاني العرش والكرسي وكان اسم الرسول على العرش مسطر، مكتوب عليه لا إله إلا الله لا أغفر لقاتلها حتى معها ياخذ تذكر، وخلق من الثالث الشمس والقمر، ونور الفجر إذا ظهر ، وخلق من الرابع الجنة والنار وما فيها من حور وقصور وثمر، فلما أراد الله أن يخلق آدم أبا البشر أفرغ على طينته من نور النبي صلى الله عليه وسلم التي جعلها - أى ابن نباتة - موضوع خطبته قد أوضحتها وبين بطلان حديثها صاحب النار بالمجلد الثامن ص ٨٦٥^(٢) فقد أفاد هنالك وأجاد وأجاد فجزاه الله عن تحقيق الحق خير الجزاء وحديث «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» أخرجه عبد الرزاق ولا أصل له وليس فيه تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم بل هو مشار شبهات وشكوك في الدين قال الله تعالى «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» وقال تعالى «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنا إلمكم إله واحد» وقد أصاب صاحب «السنن والمبتدعات» في اياضه أن الخبر الذي إشار إليه ابن نباتة والذي يقال بأن عبد الرزاق أخرجه لا أصل له أصاب في ذلك وأجاد وليته اقتصر

(١) في ديوان خطب ابن نباتة ص ٢٤-٢٥ ط المطبعة اليسوفية بمصر بين «كوني محمدا سيد البشر» وبين «وقسام نوره» مانصه (فكان بين يديه كالصبح الأنور الأزهر فشعشع نوره) وقد سقط في طبعة دار الكتب العلمية لكتاب «السنن والمبتدعات».

(٢) كذلك في «السنن والمبتدعات».

على ذلك ولم يضف إليه قوله بعد ذلك مانصه وقد قال محمد بن عثمان الثقفى البصري والله الذى لا إله الا هو إن عبد الرزاق كذاب» فان هذا القول في عبد الرزاق ليس لمحمد بن عثمان المذكور وإنما هو للعباس بن عبد العظيم العبرى ولم يوافقه عليه أحد كما بينه الإمام الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ج ٢ ص ٦١٠ - ٦١١ وفي «سير أعلام النبلاء» ج ٩ ص ٥٧١ - ٥٧٢ قال في «ميزان الاعتدال» محمد بن عثمان الثقفى البصري قال لما قدم العباس بن عبد العظيم من صنعاء من عند عبد الرزاق اتياه فقال لنا ونحن جماعة ألسنا قد تجشمت الخروج إلى عبد الرزاق ووصلت إليه وأقمت عنده فوالله الذى لا إله إلا هو إن عبد الرزاق كذاب والواقدى أصدق منه . قلت — القائل الحافظ الذهبي — هذا ما وافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ وأئمة العلم يبحجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ماروى» وقال في سير أعلام النبلاء مانصه «العقللى في كتاب الضعفاء له في ترجمة عبد الرزاق حدثنا محمد بن أحمد بن حاد سمعت محمد بن عثمان الثقفى قال لما قدم العباس بن عبد العظيم من عند عبد الرزاق من صنعاء قال لنا ونحن جماعة ألسنا قد تجشمت الخروج إلى عبد الرزاق فدخلت إليه وأقمت عنده حتى سمعت منه ما أردت والله الذى لا إله إلا هو إن عبد الرزاق كذاب والواقدى أصدق منه قلت — القائل الذهبي — بل والله ما برب عباس في يمينه ولپئس ما قال يعمد إلى شيخ الإسلام ومحدث الوقت ومن احتاج به كل أرباب الصلاح وإن كان له أوهام مغمورة وغيره أربع في الحديث منه فيرميه بالكذب ويقدم عليه الواقدى الذي أجمعوا الحفاظ على تركه^(١) فهو في مقالته هذه خارق للإجماع».

وكلام أئمة العلم في الثناء على عبد الرزاق كثير يطول الكلام بمحاولة استيعابه والذي يهمنا من كلام صاحب السنن والمبتدعات جزمه بأن حديث «أول مخلق الله نور نبيك يا جابر» لأصل له .

هذا وبمناسبة جوابنا عن تلك القطعة التي وردت في خطب ابن نباتة نستحسن أن نتكلم عن ابن نباتة وعن ديوان خطبه بكلام موجز مفيد فقوله وبالله

(١) في حكاية الذهبي الاجماع على ترك الواقدى نظر فقد دافع عنه غير واحد من أهل العلم منهم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد المعروف بابن سيد الناس في «عيون الأثر» وقد اعتمد على كلامه الإمام الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ مفتى الديار السعودية ورئيس قضاتها في رسالته «نصيحة الاخوان في الرد على ابن حдан» ص ٦٦ - ٧٣ جزاها الله خير الجزاء عن الواقدى.

ورد في ترجمة عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل الشهير بابن نباتة صاحب ديوان الخطيب من «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ج ٤ ص ١٤٦ مانصه. «كان — أى عبد الرحيم المذكور — يحفظ نهج البلاغة وعامة خطبه بألفاظها ومعانيها» وفي كلامه هذا شدة ارتباط خطب ابن نباتة بكتاب «نهج البلاغة» وهو كتاب تكلم فيه غير واحد من أهل العلم منهم الإمامان الحافظان شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ الذهبي نصا على انه غير معترض في كلامهما غنية عن كلام غيرهما فلذلك نقتصر عليه فنقول قال شيخ الإسلام في الجزء الرابع من «منهاج السنة» ص ٢٤ في «نهج البلاغة» (أهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي وهذا لا يوجد غالباً في كتاب متقدم ولا لها اسناد معروفة فهذا الذي نقلها من ابن نقلها ولكن هذه الخطب منزلة من يدعى أنه علوى أو عباسى ولا نعلم أحداً من سلفه ادعى ذلك فقط ولا ادعى ذلك له فيعلم كذبه فإن النسب يكون معروفاً من أصله حتى يتصل بفرعه وكذلك المقولات لابد أن تكون ثابتة معروفة عن نقلت عنه حتى تتصل بنا فإذا صنف واحد كتاباً ذكر فيه خطباً كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمراً وعثمان وعلى ولم يرو أحد تلك الخطب قبله باسناد معروفة علمنا قطعاً أن ذلك كذب وفي هذه الخطب — أى المذكورة في نهج البلاغة — أمور كثيرة قد علمنا من على ما ينافقها» وقال في نفس ذلك الجزء من «منهاج السنة» ص ١٥٩. صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام على ومنه ما يحكي عن علي أنه تكلم به ومنه ما هو كلام حق يليق أن يتكلم به ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره وهذا يوجد في كلام البيان والتبيين للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير علي وصاحب نهج البلاغة يجعله عن علي. وهذه الخطب المنسوبة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن علي من كلامه لكانه لكان موجودة قبل هذا المصنف منقوله عن علي بالأسانيد وبغيرها فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها بل أكثرها لا يعرف قبل هذا علم أن هذا كذب والا فليبين الناقل لها في أى كتاب ذكر ذلك ومن الذي نقله عن علي وما سناده. والا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد ومن كان له خبرة بعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبين صدقها من كذبها علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن علي من أبعد الناس عن المنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة على بن الحسين المرضي المتكلم المعتزل من «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ١٢٤ «من طالع كتابه «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيه السب الصرح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم من بعدهم من المتأخرین جزم بأن الكتاب أكثره باطل ٠٠٠ هـ. ما نقلناه عن منهاج السنة والمیزان يضاف إليه ما ورد في ترجمة الناصح من «ذيل طبقات الخنابلة» لابن رجب ج ٢ ص ١٩٩ ان الناصح قال كان أبو اليمن الكندي قد أخذ على ابن نباتة في خطبه كلمات من جهة اللغة وفي قوله الحمد لله الذي اختار البقاء لنفسه وارتضاه قال وكنت نظرت في خطب ابن نباتة فأخذت عليه مواضع كثيرة من حيث المعانى واعتذرته عنه في قوله «اختار البقاء لنفسه» وحملته على عمل يصح^(١) ثم قرأت هذا الكتاب على الكندي بحضور جماعة فتغير وجهه وصار يقول في بعض المواضع مأراد هذا فيقول يسمع سيدنا الشيخ قمام الفصل فإن أراد كذا فباطل بكتنا قال وكان مجلسنا مشهودا».

٥ — ما في الجزء الأول من فتاوى السيد رشید رضا ص ٣٣٩ تعليقا على قول إبراهيم الرياحي التونسي في قصته في المولد النبوى^(٢) (إن أول مخلق الله نور هذا

(١) كيف يعتذر عن هذه الكلمة.

(٢) ذكر السيد رشید رضا ذلك بعد ما بين أن قصة المولد الرياحي كغيرها من حيث وجود الموضوعات والواهيات فيها وأوجب الاستغناء عما فيها من ذلك — بالمناقب والآثار التي هي أوضح من النهار » وقد جاء في ترجمة مؤلف تلك القصة ابراهيم الرياحي من فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» للشيخ عبد الحى الكتانى ج ١ ص ٤٣٩ طبعة دار الغرب الإسلامى مانصه (للترجم — أى ابراهيم الرياحي التونسي — مولد نبوى مستعمل بالقطر التونسي وختم صحيح البخارى ورد على الوهابية قوله شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث وغيرها) فلا يستغرب من الرياحي مادام أمره هكذا أن يقع في الاطراء والابتداع ومن ورث منه ابراهيم الرياحي عداوته لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب شيخه إسماعيل التميمي فقد جاء في ترجمته من تراجم المؤلفين التونسيين للشيخ محفوظ أن من مؤلفاته المنح الالهية في طمس الضلال الوهابية قال الشيخ محمد محفوظ ج ١ ص ٢٤٨ ألفه بأمر من حموده باشا عندما بعث الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسالة إلى الباشا الباى المذكور وضح فيها مذهبه من منع التوسل والبناء على القبور وزيارتها — أى على غير الطريقة الشرعية — وتطهير الإسلام من هذه البدع والخرافات التي أخذت صبغة القداسة مع تطاول الزمن وأصبحت من العقائد التي ينافع عنها العلماء الذين لم تكن عقوفهم هاضمة لتفكير محمد بن عبد الوهاب وكانوا أكثر ميلا إلى القبورين والخرافات الشركية والبدعية مثل إخوانهم في بقية العالم الإسلامي في هذا العصر المظلم الذى التبس فيه الباطل بالحق فتسابقوا للرد تأييدا للبدع ومقاومة للتوحيد الحالى.

النبي الأواه) ونصحه (لم تصح به — أى يكون نور محمد صلى الله عليه وسلم أول مخلق الله — رواية وأقوى الروايات واكثراها في بدء الخلق أن أول شيء خلقه الله القلم) وكذلك ما في الجزء الثاني من تلك الفتوى ص ٤٨٤٧ في الكلام على ذلك الخبر المتضمن أن أول مخلق الله نور محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله خلق كل شيء من ذلك النور ونصحه (هذا الحديث حديث جابر المروي عن عبد الرزاق لا أصل له وليس فيه تعظيم لخاتم النبيين ورحمة الله تعالى للعلماء بل هو مثار شبكات وشكوك في الدين يعسر تأويتها بما يقبله عقلاء الباحثين «وما محمد إلا رسول قد دخلت من قبله الرسل» وما الرسل إلا بشر مثلكم يوحى إليهم ما فيه هداية لكم وما البشر إلا جند قليل من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو قال فيهم (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) ورفع بعضهم فوق بعض درجات وجعل أفضليتهم أنفعهم لعباده ففضالية نبيينا صلى الله عليه وسلم على الناس أنه اختاره من خلقه هداية جميع الناس في طور ارتقاءهم واستعدادهم للاتصال ببعضهم فهو صلى الله عليه وسلم أفعى الناس للناس ولو كان هو الأصل لجميل المخلوقات وفرضنا أن هذا معقول أو أنه تعالى يكلفنا ما ليس في وسعنا أن نعقله لتصريح بذلك في كتابه المبين الذي مافرط فيه في شيء من مهمات الدين أو لروى برواية صححتها جماهير المحدثين وكل ذلك لم يكن فانفرد عبد الرزاق بهذا لا يكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها عقل ولا يشهد لها نقل، ثم أورد السيد رشيد رضا كلام بعض أهل الحديث في عبد الرزاق وأورد منه قول العباس بن عبد العظيم العنبرى والله الذى لا إله إلا هو إن عبد الرزاق كذاب والوادى أصدق منه وذكر أن الحافظ الذهبى تعقب قول العنبرى بقوله (قلت هذا ما وافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ وأئمة العلم يتحجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ماروى ونقل عن الذهبى أنه قال في ترجمة أحمد بن عبد الله ابن أخت عبد الرزاق قال ابن حبان كان يدخل على عبد الرزاق الحديث فكل ما وقع في حديث عبد الرزاق من المناكير فبليته منه وقال كذبه أحمد والناس).

وما ذكره السيد رشيد رضا في كلامه على هذا الخبر قوله في ص ٤٤٦ (إذا رجعت إلى استقصاء ماروه — أى أهل الحديث — في خلق العالم تراهم أهملوا ذلك الحديث — أى الذي يقال بأن عبد الرزاق رواه عن جابر — ورووا ما يخالفه ك الحديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والترمذى «إن أول مخلق الله القلم» الحديث وهو عند ابن أبي شيبة وأبى نعيم في الخلية والبيهقى عن ابن عباس «إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون».

٦ - مافي (المغير على الأحاديث الموضعية في الجامع الصغير) للشيخ أبي الفيض أحد ابن أبي عبد الله محمد بن الصديق الغماري الحسني ص ٦ - ٧ بقصد انتقاده صنيع السيوطي فيما يورده في كتابه من الأحاديث ونصله (يورد - أي السيوطي) - الحديث الموضع الذي في نفس متنه مايدل دلاله واضحة على وضعه كطوله المفرط ، واشتماله على الألفاظ الركيكة والمعانى المنكرة فيذكر منه قطعة صالحة، أو يقتصر على أوله الذى ليس فيه نكارة ظاهرة ويترك باقيه الدال على وضعه موهما أحيانا أن ذلك هو الحديث بتمامه ويشير أحيانا إلى أن له بقية بقوله «(الحديث)» كما فعل في حديث جابر «أول مخلق الله نور نبيك يا جابر» فإنه أورد في الخصائص الكبرى قطعة من أوله وهى المشهورة في كتب من جاء بعده من المؤلفين في السير والخصائص كالمواهب اللدنية للقسطلاني الذى اتهمه الحافظ السيوطي أنه أخذها من كتابه «(الخصائص)» كما هو معروف وقال عقبه (الحديث) وهو حديث موضوع لو ذكره بتمامه لما شک الواقف عليه في وضعه وبقيته تقع في نحو ورقتين من القطع الكبير مشتملة على ألفاظ ركيكة ومعانى منكرة وقد ذكره بتمامه الديار بكرى في «الخمسين في سيرة أنفس نفيس صلى الله عليه وسلم فأحسن في ذلك^(١) غاية الإحسان.

انتهى مافي المغير ولفظ الديار بكرى الذى وأشار إليه الغمارى وهو في الجزء الأول من «تاریخ الخمیس فی أحوال أنفس نفیس» ص ٢٠-١٩ عن جابر بن عبد الله الأنصاری «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول شيء خلقه الله قال : هو نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم والكرسى من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسى من قسم وأقام الرابع في مقام الحب اثنى عشر الف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق الخلق من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحلם والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياة اثنى عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقا فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفا وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله

(١) اي أحسن في ذكره بتمامه لأن ذلك بين وضعه ولا فالديار بكرى نفسه لا يدرى عن درجته شيئا.

سبحانه من كل قطرة روح نبى أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيمة. فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون من نورى والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة السموات السبع من نورى والجنة وما فيها من النعيم من نورى والشمس والقمر والكواكب من نورى، والعقل والعلم والتوفيق من نورى وأرواح الأنبياء والرسل من نورى، والشهداء والصالحون من نتائج نورى ثم خلق سبحانه اثنى عشر حجابا فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهى مقامات العبودية وهى حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فبعد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبته الله في الأرض وكان يضيء منه مابين المشرق والمغرب، كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث ومنه إلى ياثش وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم آمنة ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا بدأ خلق نبيك يا جابر٠ هـ. ما ذكره الديار بكرى

فإن قيل قد ورد في باب خلق النبي صلى الله عليه وسلم من نور الله عز وجل وخلق غير النبي صلى الله عليه وسلم من نور النبي صلى الله عليه وسلم حديث رواه أبو نعيم في أمالئه قال حدثنا عبد بن حميد بن عمرو وبن زيد إملاء حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا أبو شعيب صالح بن زياد السوسي حدثنا الهيثم بن جليل حدثنا أبو معشر عن المقرئ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقنى الله من نوره وخلقني أبا بكر من نورى وخلق عمر من نور أبي بكر وخلق أمى من نور عمر وعمر سراج أهل الجنة. نجيب بأن ذلك الحديث ذكره الذهبي في ترجمة أحمد بن يوسف المنجبي من «الميزان» ج ١ ص ١٦٦ من طريق أبي نعيم وجزم بأنه كذب وأن آفته المنجبي وهو غير معروف ثم قال الذهبي «قال أبو نعيم - أى في هذا الخبر - هذا باطل يخالف كتاب الله ثم أخذ أبو نعيم يتكلم على رجاله بكلام غير مفيد فقال: أبو معشر ترك ولم يخرج له وأما أبو شعيب فمترونك متفق على تركه وكذلك الهيثم ولم يخرج عنه شيء في الصحيحين قلت - القائل الذهبي - ماحدث به واحد من الثلاثة وإنما الآفة عندى فيه المنجبي».

وأيد الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ تحميل

الذهبي ذلك المنبجي مسئولة هذا الحديث بقوله (قد أورد له — أى للمنبجي — ابن عبد البر في التمهيد حديثاً من رواية عثمان بن محمد بن عثمان البغدادي عنه — أى عن المنبجي — عن حاجب بن سليمان عن وكيع عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو علم الناس ما للمسافر لأصبعوا على ظهر سفر إن الله لينظر إلى المغرب كل يوم مرتين» قال بعده : هذا حديث غريب لا أصل له في حديث مالك ولا في حديث وكيع وليس في روایته من ينظر في أمره غير المنبجي».

وأما خبر «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين» فخبر باطل صرح بذلك أئمة الحديث ودعوى الشيخ محمد بن علي المالكي أن العلقمي صححه في شرح الجامع الصغير دعوى مخالفه لنقل العزيزى في شرح الجامع الصغير ج ٣ ص ١٠٤ عن العلقمي أنه قال مانصه (تبنيه ما اشتهر على الالسنة بل فقط كنت نبياً وأدم بين الماء والطين فقال ابن تيمية والزرعي وغيرهما لا أصل له وكذا «كنت نبياً وأدم لاماً ولاطين») هـ مانقله العزيزى عن العلقمي وهو الصواب لاماعزاه إليه السيد محمد بن علي ولو فرضنا ان العلقمي قال ذلك فهو خطأ منه.

وأما قول الملا على قارى في خبر «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين» هو وإن قال بعض الحفاظ لم نقف عليه بهذا اللفظ لكن جاء معناه بطرق صحيحة وجزمه بأن تلك الأحاديث التي سردها تشهد لمعناه فغير صحيحين فإن معنى لفظ «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين» باطل لم يجيء في حديث ثابت والآحاديث التي ذكرها لا تشهد له كما أوضحه شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية في كثير من مصنفاته غاية الإيضاح.

فقد قال في رسالته التي صنفها — في حقيقة مذهب الاتحاديين» أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية» ص ٦٢—٦٥ (١) «ثبتت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج بل العالم يعلم الشيء ويتكلّم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلاً. وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة». وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(١) حقيقة مذهب الاتحاديين ضمن المجموعة التي أولها الرسالة العرشية طبعة المنار.

«أول مخلق الله القلم فقال اكتب قال رب وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة» وقال ابن عباس إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ثم أنزل تصديق ذلك في كتابه فقال «ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب» وهذا هو معنى الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كتبت نبيا وفي رواية متى كتبت نبيا قال وأدم بين الروح والجسد» هكذا لفظ الحديث الصحيح.

وأما ما يرويه هؤلاء الجهال كابن عربى في الفصوص وغيره من جهال العامة «كنت نبيا وأدم بين الماء والطين» كنت نبيا وأدم لاما ولاطين» فهذا لا أصل له ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين فقط فإن الله خلقه من تراب وخلط التراب بالماء حتى صارت طينا ويُسّط طين حتى صار صلصالا كالفحار فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراكب ولو قيل بين الماء والتراكب لكان أبعد عن المحال مع أن هذه الحال لا اختصاص لها وإنما قال «بين الروح والجسد» وقال: وإن آدم لم يجدل في طيته» لأن آدم بقى أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه كما قال تعالى «هل أتى على الإنسان حين من الدهر» الآية وقال تعالى «وإذ قال ربكم للملائكة إني خالق بشرا من صلصال» الآيتين وقال «الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين» الآيتين وقال تعالى «إذ قال ربكم للملائكة إني خالق بشرا من طين» الآية والأحاديث في خلق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرهما فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه كان نبيا أى كتب نبيا وأدم بين الروح والجسد. وهذا والله أعلم لأن هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذى يكون بأيدي ملائكة الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب ما يكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه كما أخرج الشیخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الأمهات حديث الصادق المصدق وهو من الأحاديث المستفيضة التي تلقاها أهل العلم بالقبول وأجمعوا على تصديقها وهو حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق «إن أحدكم يجمع خلقه في بطنه أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح وقال فوالذى نفسى بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل

النار. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة» فلما أخبر الصادق المصدوق أن الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح وآدم هو أبو البشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه ما يكون منه. ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدرها وارفعهم ذكرها فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه كتب نبياً حينئذ.

وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته فإنه كون في التقدير الكتابي ليس كوناً في الوجود العيني إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى «وكذلك أوحينا إليك روحنا من أمرنا» الآية وقال «ألم يجدك يتيمًا فآوى» الآية وقال «نحن نقص عليك أحسن القصص» الآية ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنى عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمرى دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التي رأيت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءات لها منه قصور الشام» هذا لفظ الحديث من روایة ابن وهب حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سعيد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض رواه البغوي في شرح السنة هكذا ورواه الليث بن سعد عنه نحوه ورواه الإمام أحمد في المسند عن ابن مهدي حدثنا معاوية بن صالح بالإسناد - أى المتقدم - عن العرباض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنى عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم» الحديث وفيه «كذلك أمهات النبيين يرببن» قوله «لمنجدل في طينته» أى ملتف ومطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تخر فيه الروح بعد».

وقال شيخ الإسلام أيضاً في ص ١٢٦-١٢٧ من هذا الكتاب «حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود» قال «إن الله علم الأشياء وقدرها قبل أن يكونها ولا تكون موجودة بحقائقها إلا حين توجد ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم ولم تكن حقيقته صلى الله عليه وسلم موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها لكن كان ظهور خبره واسمها مشهوراً أعظم من غيره فإنه كان مكتوباً في التوراة والإنجيل وقبل ذلك كما روى الإمام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم إنى لعند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشرى

عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام». وحديث ميسرة الفجر قلت يارسول الله متى كنت نبيا وفي لفظ «متى كتبت نبيا» قال «وآدم بين الروح والجسد» وهذا لفظ الحديث. وأما قوله «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» فلا أصل له لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل فإنه لم يكن بين الماء والطين» إذ الطين ماء وتراب ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفح الروح فيه كتب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقدرها كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضافة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفح فيه الروح) قال فأين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة» وقال شيخ الإسلام في «أحاديث القصاص» ص ٨٧ في لفظ «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» ولفظ (كنت نبيا وآدم لاما ولاطين) قال في لفظ كل واحد منها (هذا اللفظ باطل) ولكن اللفظ المأثور الذي رواه الترمذى وغيره أنه قيل يارسول الله متى كنت نبيا؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وفي السنن عن العرباض بن سارية أنه قال «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمجده في طينته».

وجاء في تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ج ١ ص ٨-١٠ مانصه «قد روى أبو بكر الآجري وابن الجوزي آثارا في أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا على ساق العرش وعلى أبواب الجنة وهذا ممكن فإنه قد ثبت عن ميسرة قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا؟ وفي رواية «متى كتبت نبيا؟» قال «وآدم بين الروح والجسد» وفي مسنده أحمد وغيره باسناد حسن عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمجده في طينته وسانبكم بأول أمرى دعوة أبي إبراهيم وبشري عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» وفي حديث أبي هريرة سئل النبي صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة قال «بين خلق آدم ونفح الروح فيه» رواه الترمذى وحسنه فتبين من هذه الأحاديث أن الله كتب اسمه بعد خلق آدم وقبل نفح الروح فيه. وأما ما يرويه كثير من الجهال والاتخاذية وغيرهم من أنه قال «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» وآدم لاما ولاطين ، فهذا مما لا أصل له لامن نقل ولا من عقل فإن أحدا من المحدثين لم يذكره ومعناه باطل فإن

آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب وإنما كان بين الروح والجسد ثم هؤلاء الضلال يتهمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ موجوداً وأن ذاته خلقت قبل النوات ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه أنه كان نوراً حول العرش فقال ياجبريل أنا كنت ذلك النور. ويدعى أحدهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل» والمقصود هنا أن الله سبحانه وتعالى كتبه نبياً بعد خلق آدم قبل نفخ الروح فيه. وهو موافق لما أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علة مثل ذلك ثم يكون مضافة مثل ذلك» إلى آخره بين فيه خلق الجنين وتنقله من حال إلى حال فناسب هذا أنه بين خلق آدم ونفخ الروح فيه تكتب أحواله ومن أعظمها كتابة سيد ولده وإذا كان هذا ثابتاً أمكن أن يكتب اسمه كما رواه بالاسناد لكن الجزم بشيشه — أي ماروى الآجري وابن الجوزي من الآثار في أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوباً على ساق العرش وعلى أبواب الجنة — يحتاج إلى دليل يثبت بذلك مما علمناه قلناه وما لم نقله أمسكتنا عنه. والرب تعالى قد قدر مقادير الخلاق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة وعرسه على الماء قد علمهم وماهم عاملون ثم أبرزهم في أحبابه قدرها فكل يوم هو في شئون يبديها لاشئون يبديها» وعلى هذا الذي أوضحه ابن تيمية في لفظ كت نبياً وأدماً بين الماء والطين اعتمد تلميذه شمس الدين ابن القيم قال في فتاوى إمام المتقيين ورسول رب العالمين التي ختم بها كتابه «إعلام الموقعين» «سئل صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة وفي لفظ. «متى كنت نبياً» فقال «وآدم بين الروح والجسد» هذا هو اللفظ الصحيح. والعوام يروونه «بين الماء والطين» قال شيخنا — يعني الإمام ابن تيمية — وهذا باطل وليس بين الماء والطين مرتبة واللفظ المعروف ما ذكرناه» ١٠ هـ كلام ابن القيم.

كما اعتمد السخاوي في فتاويه على قول شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية ببطلان لفظ (كنت نبياً وأدماً بين الماء والطين) ولفظ (كنت نبياً وأدماً لماء ولاطين) وأتبع السخاوي ذلك قوله (وناهيك به — أي بالإمام ابن تيمية — اطلاقاً وحفظاً أقر له بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي مارأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقه وعين مفتوحة، أفاد ذلك الزرقاني في شرح المواهب اللدنية، ج ١ ص ٣٣.

ومن سلك مسلك شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية في تلك الأحاديث التي ادعى الملا على قارى أنها تشهد لمعنى (كنت نبياً وأدماً بين الماء والطين) من سلكه الإمام ابن كثير فيها حيث ذكر في «كتاب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذكر شيء من البشارات بذلك» من «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٣٠٦-٣٠٧ ذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه عند أحد (قلت يا رسول الله ما كان بداء أمرك؟ قال (دعوة أبي إبراهيم وبشري عيسى ورأيت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام) وذكر أن المراد به بداء أمر النبي صلى الله عليه وسلم واستهاره وانتشاره فذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب إليه العرب. ثم بشري عيسى الذي هو خاتم الأنبياء بنى إسرائيل وأن هذا يدل على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضاً ذكر ذلك كله ثم قال (أما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكورة معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سعيد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العباس ابن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنى عند(١) الله خاتم النبيين وإن آدم لم ينجدل في طينته وسانبكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت. وكذلك أمهات النبيين(٢) يرين» وقد رواه الليث عن معاوية ابن صالح وقال: إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام» وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن عبد الله ابن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً قال: وأدماً بين الروح والجسد» تفرد بهن أحد. وقد رواه عمر بن عبد الله بن شاهين في كتاب دلائل النبوة من حديث أبي هريرة فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز يعني أبي القاسم البغوي حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم عن الأوزاعي حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك

(١) لفظ (عند) بنون بعد العين وقع في «البداية والنهاية» (عبد) بالباء وهو كما في شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٦ تحريف إذ ليس القصد إلأخبار في هذا الحديث بأنه عبد الله بل بأنه مكتوب عنده خاتم النبيين وعلى الصواب ورد هذا اللفظ في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٠ في تفسير (ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحد).

(٢) لفظ «النبيين» هو الصواب لا ماورد في «البداية والنهاية» بل لفظ (المؤمنين) وقد ذكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية أن لفظ (المؤمنين) ورد في بعض نسخ المواهب اللدنية وجزم بأنه تحريف وإن الصواب (النبيين) قلت وهو - أي لفظ (النبيين) الوارد في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٠.

النبوة؟ قال «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه» ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي به وقال: وآدم منجدل في طينته وروى عن البغوي أيضاً عن أَحْمَدَ بْنَ الْمَقْدَامِ عَنْ بَقِيَةِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ قَاتِدَةَ عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ مَرْفُوعاً فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَإِذْ أَخْدَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيشَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت أول النبئين في الخلق وأخرهم فيبعث ، ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قيل يارسول الله متى كنت نبياً؟ قال (وآدم بين الروح والجسد) وقال ابن كثير في ذلك الجزء من «البداية والنهاية» ص ٣٢٠ - ٣٢٢ مانصره قد روی الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طرق عن الواليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثیر عن سلمة عن أبي هريرة، سئل النبي صلی الله علیه وسلم متى وجبت لك النبوة؟ قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه. وهكذا رواه الترمذی من طريق الوالید بن مسلم وقال حسن غريب من حديث أبي هريرة لأنعرفه إلا من هذا الوجه. وقال أبو نعيم حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر التمیلی حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رؤيم عن الصنابحی قال قال عمر يارسول الله متى جعلت نبياً قال («وآدم منجدل في الطين») ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفی عن الشعبي عن ابن عباس قال: قيل يارسول الله متى كنت نبياً؟ قال («وآدم بين الروح والجسد») ثم قال ابن كثير (وفي هذا المعنى – أى التنویه بشرف النبي صلی الله علیه وسلم وعلو قدره – الحديث الذى قال الإمام أَحَمَدَ حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم «إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لم ينجدل في طينته وسانبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرین» ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد «إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام».

وقال الإمام أَحَمَدَ حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بدیل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يارسول الله متى كنت نبياً؟ قال: («وآدم بين الروح والجسد») إسناده جيد أيضاً وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان وحماد بن زيد وخالد الخذاء عن بدیل بن ميسرة به ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بکر بن عمرو الباهلي عن شیبان عن الحسن بن دینار عن عبد الله بن

سفيان عن ميسرة الفجر قال «قلت يارسول الله مثى كنت نبيا؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «دلائل النبوة حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خليل ابن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبئين ميثاقهم) قال كنت أول النبئين في الخلق وأخرهم فيبعث ، ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مروفاً مثله وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله وهذا أثبت وأصح والله أعلم. وهذا إخبار عن التنوية بذلك في الملا الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبئين وآدم لم ينفع فيه الروح لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لاحالة فلم يبق الا هذا الذي ذكرناه من الأعلام به في الملا الأعلى والله أعلم. وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معاذ عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه (نحن الآخرون السابعون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخالق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم) وزاد أبو نعيم في آخره: فكان صلى الله عليه وسلم آخرهم فيبعث وبه ختمت النبوة وهو السابق يوم القيمة لأنه أول مكتوب في النبوة والوعهد) ثم قال (ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم ويختتم أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته بما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد).

وبعد كتابتنا ما كتبنا حول دعوى الملا على قاري أن الأحاديث التي سردتها في «المورد الروى في المولد النبوى» بقصد كلامه على خبر «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» تشهد لمعنى ذلك الخبر الموضوع الذى يحاول تصحيح معناه بعد ذلك وجدنا في الجزء الخامس من شرح مشكاة المصايح لعلى القارى طبعة بمبى ص ٣٦٧ مانصه (أما ما يدور على الألسنة بلفظ (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) فقال السخاوي لم أقف عليه بهذا اللفظ فضلاً عن زيادة (كنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين) وقال الحافظ ابن حجر في بعض أقوابته إن الزيادة ضعيفة ومقابلها قوى وقال الزركشى لا أصل له بهذا اللفظ ولكن في الترمذى (متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد) قال السيوطي وزاد العوام (ولا آدم ولا ماء ولا طين) ولا أصل له أيضاً هـ كلام الملا على قاري كما وجدنا في شرح حديث (بعثت من خير قرون بنى آدم) الحديث من ذلك

الجزء من «المرقة» شرح المشكاة ص ٣٥٧ مانصه (قد ذكرت بجملة من أحوال ولادته صلى الله عليه وسلم في رسالة مستقلة سميتها بالورد في المولد) فبناء على هذين الأمرين لاستبعد أن يكون على القاري قد رجع بما في الورد الروى إلى ذلك الذي نقلناه عن المرقة وعلى كل فالصواب ما بينه أية العلم من كون ذلك الخبر «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين» موضوع اللفظ باطل المعنى.

وأما حديث (كنت أول النبئين في الخلق وآخرهم في البعث) فقد أجاد الحافظ ابن كثير الكلام عليه في تفسيره وفي تاريخه. قال في تفسيره في الكلام على الآية الكريمة «إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم» الآية (قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه في قول الله تعالى (ولذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال النبي صلى الله عليه وسلم «كنت أول النبئين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم» سعيد بن بشير فيه ضعف وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة موقعاً والله أعلم» وقال في «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٣٢١ (قال الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة حدثنا أبو عمرو بن حمان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خليل بن دعلج^(١) وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى (ولذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال (كنت أول النبئين في الخلق وآخرهم في البعث) ثم رواه من طريق هشام ابن عمار عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله. هذا أثبت وأصح والله أعلم) وسعيد بن بشير هذا الذي أعمل به ابن كثير هذا الحديث أفاد ابن كثير في تفسير سورة لقمان من تفسيره ج ٣ ص ٤٤٤ أن سبب الكلام فيه أثر رواه في شأن لقمان عند ابن أبي حاتم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى ابن عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتأه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اختارت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو أرسل إلى

(١) خليل بن دعلج ضعيف.

بالنبوة عزمه لرجوت فيه الفوز منه ولكن أرجو أن أقوم بها ولكن خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي) استغرب ابن كثير هذا الأثر بعد أن ساقه ثم قال هذا من روایة سعید بن بشیر وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه والله أعلم) هـ كلامه والذين تكلموا في سعید بن بشیر ذكرهم الذهبي فقال قال فيه البخاری يتكلمون في حفظه وقال عثمان عن ابن معین ضعيف وقال عباس عن ابن معین ليس بشيء وقال الفلاس حدثنا عنه ابن مهدي ثم تركه وقال النساء ضعيف وقال يعقوب الفسوی سألت أبا مسهر عن سعید بن بشیر فقال لم يكن في جندينا أحفظ منه وهو ضعيف منكر الحديث وقال ابن فمیر يروى عن قتادة المنكريات وذكره أبو زرعة في الضعفاء وقال لا يحتاج به ذكر جميع ذلك الذهبي في ج ٢ من «ميزان الاعتدال» وذكر أن هذا الحديث الذي رواه بقية قال حدثني سعید ابن بشیر حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك) قال رسول الله صلی الله علیه وسلم «كنت أول النبيين في الخلق وأخرهم في البعث) من غرائبه هذا ما يتعلّق بسند حديث كنت أول النبيين في الخلق الحديث وأما معناه على فرض ثبوته فيتضمن من كلام ابن كثير في كتاب مبعث النبي صلی الله علیه وسلم وذكر شيء من البشارات بذلك من «البداية والنهاية» ص ٣٠٧ أنه من الأحاديث التي تدل على أن أمر النبي صلی الله علیه وسلم في الملا الأعلى كان مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

وأما خبر «لما أراد الله أن يخلق محمداً صلی الله علیه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله صلی الله علیه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت باء التسنيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجشع الخلائق سيدنا محمدأ صلی الله علیه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم) فمداره على كعب الأحبار كما يتبيّن من مراجعة «المواهب اللدنية» للقسطلاني وشرحه للزرقانی ج ١ ص ٤٢ وزاد الزرقانی قوله فيه (هو إما عن الكتب القديمة لأنّه حبرها أو عن المصطفى بواسطة فهو مرسل».

واما لفظ (كنت نوراً بين يدي ربِّي) ففي أحكام ابن القطان عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي صلی الله علیه وسلم قال (كنت نوراً بين يدي ربِّي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام) نقل ذلك القسطلاني في الجزء الأول من

«المواهب اللدنية» ص ٤٩ عن ابن مرزوق لكن لم يذكر سند ابن القطان إلى على على ابن الحسين فلذلك لا يمكن الاعتماد على هذا الحديث.

وقد وجدنا في الجزء الثاني من «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل تحت عنوان (ومن فضائل على رضي الله عنه من حديث أبي بكر بن مالك عن شيوخه غير عبد الله) ص ٦٦٢-٦٦٣ وجدنا فيه هذا الحديث من روایة القطیعی ایاہ بسنده عن سلمان رضی الله عنه قال (حدثنا الحسن قال حدثنا أبو عبد الله بن المقدم العجلي قال حدثنا الفضیل بن عیاض قال حدثنا ثور بن یزید عن خالد بن معدان عن زادان عن سلمان قال سمعت حبیبی رسول الله صلی الله علیه وسلم يقول «كنت أنا وعلى نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين فجزء أنا وجزء على عليه السلام» هکذا جاء بهذا الإسناد في فضائل الصحابة من زیادات أبي بکر القطیعی وزیادات القطیعی في فضائل الصحابة وغيره من كتب الإمام أحمد فيها احادیث موضوعة كما قرره الإمام ابن تیمیة في الجزء الرابع من «منهج السنة» ص ٢٧ ط المطبعة الكبرى الأمیریة ببولاق مصر ولاشك في أن هذا الحديث من ذلك الباب والمتهם بوضعه الحسن بن على بن زکریا بن صالح أبو سعید العدوی البصري الملقب بالذئب شیخ أبي بکر بن مالک القطیعی وهو هالک قال الذھبی في میزان الاعتدال في نقد الرجال في ترجمته (قال الدارقطنی متروک وقال حنفی السهمی سمعت أبا محمد الحسن بن على البصري يقول: أبو سعید العدوی کذاب على رسول الله صلی الله علیه وسلم يقول عليه مالیم یقل وزعم لنا أن خراشا حدثه عن أنس وأن عروة بن سعید حدثه عن ابن عون بنسخة. وقال ابن عدی فيه عامة ماحدث به الا القليل موضوعات وكنا نتهمنه بل نتیقن أنه هو الذي وضعها كما نقل الذھبی عن ابن عدی أنه قال في الحسن بن على بن صالح أبي سعید العدوی البصري «یضع الحديث روی عن خراش عن أنس أربعة عشر حديثاً وحدث عن جماعة لا يدری من هم وحدث عن الشقات بالبواطل» وعن ابن حبان انه قال فيه لعله قد حدث عن الثقات بالأشياء الموضوعات ما یزيد على ألف حديث» وعن أبي أحد الحاکم أنه قال فيه نظر یقال حبسه إسماعیل القاضی انکارا عليه وذکر الذھبی أن ابن عساکر قال في تاریخه أنبانا أبو غالب أنبانا أبو محمد الجوهري اخبرنا أبو على محمد بن أحد بن یحیی حدثنا أبو سعید العدوی – وهو الحسن بن على بن زکریا بن صالح – حدثنا ابو الاشعث حدثنا الفضیل بن عیاض عن ثور عن خالد بن معدان عن زادان عن سلمان عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أنا وعلى نورا يسبح الله ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام. وذكر الحديث هذا ما أورده الذهبي عن الحسن بن علي بن صالح أبي سعيد العدوبي بسنده إلى سلمان من طريق ابن عساكر في تاريخه وعنه (بأربعة آلاف عام) بدل «بأربعة عشر ألف عام» التي جاءت في رواية غير ابن عساكر والرجل على كل حال هو كما قال الذهبي شيخ قليل الحياة لا يفتقرا فيما يفتريه» يضاف إلى ذلك أن هذا الحديث (كنت نورا بين يدي ربى) يتناوله قول الإمام ابن تيمية في «حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية» ص ١٢٧-١٢٨ في الرد على من قال بأن حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم كانت موجودة قبل أن يخلق (ما يروى في هذا الباب من الأحاديث هو من هذا الجنس - أي جنس (كنت نبياً وأدماً بين الماء والطين) مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطلع في السماء» ونحو ذلك كما ذكره ابن حويه صاحب ابن عربى وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين وأمثالهم من يروى الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث فإن هذا المعنى رووا فيه أحاديث كلها كذب حتى إنه اجتمع بي قدماً شيخ معظم من أصحاب ابن حويه يسميه أصحابه سلطان الأقطاب وتفاوضنا في كتاب الفصوص وكان معظمها له ولصاحبه حتى أبديت له بعض مافيه فهاله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه الأحاديث فيبيت له أن هذا كله كذب) قلت - القائل إسماعيل الأنصارى - ما ورد في ذلك ماجاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع نجماً يطلع في كل سبعين ألف سنة مرأته رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال يا جبريل وعزّة ربى جل جلاله أنا ذلك الكوكب عزاه علي بن برهان الحلبي في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦ إلى كتاب اسمه (التشريفات في الخصائص والمعجزات) لم يقف على اسم مؤلفه وذكر أن ذلك الكتاب عزاه إلى البخاري قلت ليس في البخاري وإنما هو موضوع كما ذكره التقى ابن تيمية جزاء الله عن الإسلام خير الجزاء. وإلى هذا الخبر الباطل وأشار الشيخ محمد بن عثمان الميرغني في مولده المسمى «الأسرار الربانية» ص ٩-١٠ بقوله «وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل كم عمرت يا جبريل قال لا أدرى رواية جلية ، غير أن كوكباً يبدو في الحجاب الرابع يامعشر الإخوان، بعد كل سبعين ألف سنة مرأة وهذه علامات اجتنابية، وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرة بلا نقصان، فقال صلى الله عليه وسلم تعريفاً بعقامه واسراره المصطفوية ، وعزّة ربى أنا ذلك

الكوكب الذي رأيته ياجبريل في حجاب المنان.

وأما تعليق الشيخ محمد بن علوى المالكى على لفظ (كنت نورا) الوارد في طبعته لمولد ابن ابييع فترد عليه أمور:

أولاً أن لفظ (كنت نورا) الذى عزاه السيد محمد بن علوى المالكى إلى مستند العدنى ليس عند العدنى وإنما عنده (أن قريشاً كانت نوراً ومن طريقه رواه الأجرى في باب قول الله تعالى (وتقلبك في الساجدين) من كتاب الشريعة ص ٤٣٠ قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخارى قال حدثنا محمد بن أبي عمر العدنى قال حدثنى عمر بن خالد قال حدثنا أبو عبد الله محمد العُبَّلِي عن عبد الله بن الفرات عن عثمان بن الصحاك عن ابن عباس أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه) إلى آخر روایته المتقدمة وبهذا اللفظ لفظ (أن قريشاً كانت نوراً) ورد هذا الحديث في «الشفاء» للقاضى عياض فعزاه السيوطى في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء» ص ١٣ والشهاب الخفاجى في «نسیم الرياض شرح شفاء القاضى عياض» ج ١ ص ٤٣٥ إلى العدنى كما عزاه الزرقانى في شرح المواهب اللدنية» ج ١ ص ٤٩ إلى العدنى بلفظ (أن قريشاً أى المسعدة بالإسلام — ولفظ الزرقانى (روى محمد بن أبي عمر العدنى شيخ مسلم في مستنه عن ابن عباس أن قريشاً أى المسعدة بالإسلام كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفى عام وتسبح الملائكة بتسبيحه).

ثانيها أن لفظ (الوفا) لابن الجوزي في ص ٣٥ التي أحال عليها الشيخ محمد ابن علوى هو (عن ابن عباس قال قلت يا رسول الله أين كنت وأدم في الجنة قال كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه وركبت السفينه في صلب نوح وقدفت في النار في صلب أبي إبراهيم لم يلتقي لي أبوان قط على سفاح لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقيه مهذباً لا تتشعب شعبتانا إلا كنت في خيرهما أخذ الله لي بالنبوة ميثاقى وفي التوارىء بشربي وفي الإنجيل شهر اسمى تشرق الأرض لوجهى والسماء لرؤيتى وقال العباس يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك فقال له قل لا ي Finch اللهم فاك فأنشأ يقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستروع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لبشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسراً وأهلـه الغرق

تجلو فيها ولست محترق
إذا مضى عالم بدا طبق
خنادف عليهاء تحتها النطق
وضاءت بنورك الأفق
وسبل الرشاد نخترق

وردت نار الخليل مكتنماً
تنقل من صلب إلى رحم
حتى احتوى بيتك المهيمن من
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض
فنحن في ذلك الضياء وفي النور

هذا نص ما في ص ٣٥ من الوفا لابن الجوزي لاذكر فيه للفظ «كنت نورا»
ولا للفظ أن قريشاً كانت نورا.

ثالثها أن كتاب الموضوعات للحافظ أبي الفرج بن الجوزي ليس فيه لفظ
«كنت نورا» في الموضع الذي أشار إليه السيد محمد بن علوى» وإنما فيه في باب في
ذكر انتقاله إلى الأصلاب ج ١ ص ٢٨١ مانصه «أنبأنا على بن أحمد الموجد أنبأانا
هناد بن ابراهيم النسفي قال حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن بكران قال أنبأانا أبو
صالح خلف بن محمد بن إسماعيل قال حدثنا الحسين بن الحسن بن الواضاح ومحبوب
ابن يعقوب قالا حدثنا يحيى بن جعفر بن أعين قال حدثنا على بن عاصم عن عطاء
ابن السائب عن مرة الهمданى عن ابن عباس قال قلت يا رسول الله أين كنت وأدم
في الجنة قال «كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه وركبت السفينه في
صلب أبي نوح وقدفت في النار في صلب أبي إبراهيم لم يلتقي لي أبوان قط على
سفاح لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقيه مهذبا لا يتشعب
شعبان الا كنت في خيرهما فأخذ الله لي بالنبوة ميثاقى وفي التوراة بشربى وفي
الإنجيل شهر اسمى تشرق الأرض لوجهى والسماء لرؤتى ورقى بي في سمائه وشق
لي اسماء من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف السور
ثم سكنت البلاد لا بشر أنت ولا نطفة ولا علق

فذكر الأبيات قال فحشت الأنصار فمه دناني.

هذا ما ذكره ابن الجوزي هناك وأتبعه قوله «هذا حديث موضوع قد وضعه
بعض القصاصون وهناد لا يوثق به ولعله من وضع شيخه أو شيخ شيخه على أن علي بن
عاصم قد قال فيه يزيد بن هارون مازلنا نعرفه بالكذب وقال يحيى ليس بشيء إلا

أن التهمة بالتأخرين أليق فالآيات للعباس بخلاف (٤٠١) هـ فلاإوجه للحالة على ذلك الموضع مadam الخبر المذكور فيه موضوعاً وليس فيه لفظ (كنت نوراً).

رابعها أن صفحة الآية المصنوعة في الأحاديث الموضعية للسيوطى التي أحال عليها الشيخ محمد بن علوى ليس فيها لفظ «كنت نوراً» وإنما فيها بعض حديث (قلت يارسول الله أين كنت وآدم في الجنة) وقد أورد ذلك الحديث من طريق ابن الجوزى ، كما ذكرناه عنه آنفاً وأعمله بنفس ما أعمله به قال «هذا حديث موضوع قد وضعه بعض القصاصون وهناد لا يوثق به ولعله من وضع شيخه أو شيخ شيخه) والأيات للعباس بخلاف وزاد السيوطى قوله «قلت قال – أى الذهبي – في الميزان : على بن محمد بن بكران شيخ هناد النسفى جاء بخبر سمع أحسبه باطلاً وقال الخليل خلف ضعيف جداً روى متوناً لا تعرف والله أعلم».

خامسها أن قول عياض في الشفا بعد إيراده حديث أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه» الحديث (يشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس في النبي صلى الله عليه وسلم) يعني الشعر الذى أوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
لا يعني به أن ذلك الشعر الذى أشار إليه يشهد لما ورد في أول هذا الحديث «أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور بتسبيحه» وإنما يعني أنه يشهد لصحة قوله في ذلك الحديث (ما خلق الله آدم أهبطنى في صلبه إلى الأرض وجعلنى في صلب نوح في السفينة وقدف بي في النار في صلب ابراهيم ولم يزل ينقلنى في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى آخر جنى بين أبوى لم يلتقطيا على سفاح قط) يدل على ذلك قول القاضى عياض في الفصل الذى عقده لمكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه وفضيله وسيادته ولد آدم ما نصه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم «ما خلق الله آدم أهبطنى في صلبه إلى الأرض وجعلنى في صلب نوح في السفينة وقدف بي في النار في صلب ابراهيم ولم يزل ينقلنى في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى آخر جنى بين أبوى لم يلتقطيا على سفاح قط» ولدى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بقوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لابشر
بل نطفة تركب السفين وقد
تنقل من صالب إلى رحم
حتى احتوى بيتك المهيمن من
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض
فنحن في ذلك الضياء وفي النور

وعلى فرض أن قول القاضي عياض «يشهد لصححة هذا الخبر» الخ. يشمل أول ذلك الحديث نعتبر ذلك مما يعتريه أحياناً في الشفاء من ايراد تاويلات واهية وأحاديث موضوعة فقد قال الذهبي في (شفاء القاضي عياض) إنه مشوش بالأحاديث الموضوعة والتاويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج قدر النبوة له» وقال أيضاً «إنه قلد فيما ذكره ابن سبع في شفائه^(١) وجاء في تلخيص كتاب الاستغاثة الكبرى المعروفة بالردد على البكري ص ٢٥ - ٢٦ مانصه (كل عالم بالحديث يعلم أن في هذا الكتاب – يعني شفاء القاضي عياض من الأحاديث والآثار ما ليس له أصل ولا يجوز الاعتماد عليه فإذا قال القاضي عياض ذكره فلان في كتابه فهو الصادق في خطابه وإذا لم يذكره من أين نقله لم نتهمه ولكن نتهم من فوقه وقد رأيناها ينقل من كتب فيها كذب كثير وهو صادق في نقله منها لكن من فوقه لا يجوز الاعتماد عليهم^٢. فيستفاد من كلام الإمامين الحافظين الذهبي وتقي الدين ابن تيمية أن تصرفات القاضي عياض في «الشفاء» من ناحية التاويلات ومن ناحية الأحاديث التي يوردها فيه تخوض المستدل بها فيه إلى التحرى.

садسها أن قول الشيخ محمد بن علوى في أبيات العباس المروية عن خريم ابن أوس بن لام (وذكر هذه الأبيات الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة خريم وقال رواها ابن^(٢) خيثمة والبزار وابن شاهين يرد عليه أن الحافظ لم يذكر نفس تلك الأبيات في تلك الترجمة وإنما عبر بدل ذكرها بعبارة (فذكر الشعر) ونص الإصابة (روى ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين من طريق حيد بن منهب قال قال خريم ابن أوس كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له العباس يارسول الله إنى

(١) نقل ذلك كله عن الذهبي صاحب نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض الشهاب الخفاجي ج ١ ص ٤ طبعة دار الكتاب العربي بلبنان وحاول الدفاع عن الشفاء واعترف رغم ذلك بأن فيه بعض أحاديث ضعيفة وقليلاً ما قيل إنه موضوع تبع فيه ابن سبع في شفائه.

(٢) كذا والصواب (ابن أبي خيثمة).

أريد أن أمدحك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «هات لا يفضض الله فاك فذكر الشعر» هذا لفظ الحافظ في «الإصابة» وبه اتفصح أنه لم يذكر تلك الأبيات هنا من ناحية ومن ناحية أخرى يظهر من هذه العبارة التي نقلناها عن الحافظ أن مدار روایة ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين لحديث خريم على حيد بن منهب وهو مجھول كما سیأتم إإن شاء الله تعالى.

سابعها أن قول الشيخ محمد بن علوی في ذلك التعليق (ظفرت بفائدة نفيسة وهى أن الحاکم روى أيضاً في كتابه «المستدرک» هذه الأبيات عن خريم وأقره الذهبي وهو معروف بتشدد وتعنته فقال: روایة الأعراب عن آبائهم ومثلهم لا يغضون كذا في المستدرک وتلخيصه ٣٢٧/٣ وقد ذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن کثير في السیرة ١٩٥/١ عن أبي السکین زکریا الطائی عن زحر بن حسین عن جده حید بن منهب قال جدی خرم بن أوس هاجرت إلى رسول الله صلی الله علیه وسلم فسمعت العباس عمه يقول يارسول الله إنى أريد أن أمتدحك فقال له النبي صلی الله علیه وسلم قل لا يفضض الله فاك فأنشا يقول : وقال قد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس. لا يجدی فإن سکوت الذهبي عن صنيع الحاکم في مستدرکه ج ٣ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ حيث قال «حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب حدثنا أبو البختري عبد الله بن محمد بن شاکر حدثنا زکریا بن يحيیی الحزاز ثنا عم أبي زحر بن حسین عن جده حید بن منهب قال سمعت جدی خرم ابن أوس بن حارثة بن لام رضی الله عنه قال: هاجرت مع رسول الله صلی الله علیه وآلہ وسلم منصرفه من تبوك فأسللت سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يارسول الله إنى أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلی الله علیه وآلہ وسلم قل لا يفضض الله فاك قال العباس :

مستودع حيث يخصف الورق
أنت ولا مضفة ولا علق
الجم نسراً وأهله الغرق
إذا مضى عالم بدا طبق
خندف علياء تحتها النطق
وضاءت بنورك الأفق
وسبل الرشاد نخرق

من قبلها طبت في الظلال وفي
ثم هبطت البلاد لا بشر
بل نطفة تركب السفين وقد
تنقل من صالح إلى رحم
حتى احتوى بيتك المهيمن من
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض
فنحن في ذلك الضياء وفي النور

ثم قال هذا حديث رواه أعراب عن آبائهم وأمثالهم من الرواة لا يضعون.
إن سكوت الذهبي في التلخيص عن قول الحاكم هذا بعد أن روى ذلك
الحديث في المستدرك بذلك السند غير معتبر مadam الذهبي قد تعقب ذلك في «سير
أعلام النبلاء» ج ٢ ص ١٠٣ فقد قال فيه (روى الحاكم أن زحرين حصين روى عن
جده حميد بن منهب سمع جده خريم بن أوس يقول: هاجرت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن
أمتلك قال قل لا يفضض الله فاك قال:

مستودع حيث يخصف الورق
أنت ولا مضفة ولا علق
الجم نسراً وأهله الفرق
إذا مضى عالم بدا طبق
خندف عليهما تحتها النطق
وضاءت بنورك الأفق
وسبل الرشاد نخترق

من قبلها طبت في الظلال وفي
ثم هبطت البلاد لبشر
بل نطفة تركب السفين وقد
تنقل من صالب إلى رحم
حتى احتوى بيتك المهيمن من
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض
فنحن في ذلك الضياء وفي النور

قال الحاكم رواه أعراب ومثلهم لا يضعون قلت – القائل الذهبي –
ولكنهم لا يعرفون انتهى نص «سير أعلام النبلاء» ويضاف إليه قوله في الجزء الثاني
من «ميزان الاعتدال» ص ٦٩ زحرين حصن عن جده وعنه أبوالسكين الطائي
لا يعرف ١٠١هـ. من هذا كله يتبين عدم اعتبار سكوت الذهبي في «تلخيص
المستدرك» عن صنيع الحاكم في حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام وأنه من
قبيل ما يقع له أحياناً من سكوته في تلخيص المستدرك عن تصرف الحاكم رغم وجود
مайдل على عدم قيوله في غير المستدرك من مصنفاته مثل موقع له في تصحيح الحاكم
حديث (من أطعم أخاه المسلم خبزاً حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يروي به باعده
الله من النار سبعة خنادق مابين كل خندقين مسيرة خمسة عشر عاماً) بعد أن رواه
الحاكم عن الأصم عن ابراهيم بن منقد عن ادريس بن يحيى الخوارزمي عن رجاء بن
أبي عطاء المؤذن عن واهب بن عبد الله الكعبي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الحافظ الذهبي لم يتعقب ذلك في التلخيص
ب بينما يقول في ترجمة رجاء بن أبي عطاء المؤذن من «ميزان الاعتدال» ج ٢ ص ٤٦
مانصه (رجاء بن أبي عطاء المصري عن واهب المعافري صوilyح قال الحاكم مصرى

صاحب موضوعات وقال ابن حبان يروى الموضوعات ثم ساق له الحديث الذي وقع لنا مسلسلاً بالمصريين أخبرنا محمد بن الحسين القريشى ببصر أخبرنا محمد بن عباد أخبرنا عبد الله بن رفاعة أخبرنا أبو الحسن القاضى أخبرنا عبد الرحمن بن عمر البزار أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن عمرو حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا إدريس بن يحيى الخلاني حدثنا رجاء بن أبي عطاء المؤذن عن واهب بن عبد الله الكعبى عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أطعم أخيه المسلم حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق مابين كل خنادقين مسيرة خسمائة عام» هذا حديث غريب منكر تفرد به ادريس أحد الزهاد». ولما ذكره الذهبي ومانقله عن الحكم عاب الحافظ العسقلانى في «لسان الميزان» ج ٢ ص ٤٥٧ صنيع الحكم في المستدرك والذهبى في التلخيص في هذا الحديث فقال «هذا الحديث أورده ابن حبان وقال إنه موضوع وحکاه صاحب الخافل وأخرجه الحكم في المستدرك عن الأصم عن ابراهيم بن منقذ عن إدريس عن رجاء به وقال صحيح الإسناد مع أنه قال في تاريخه مصرى صاحب موضوعات فما أدرى ما واجه الجمع بين كلاميه كما لا أدرى كيف الجمع بين قول الذهبى في الميزان في ترجمة رجاء صویلخ وسکوتة عن تصحيح الحكم في تلخيص المستدرك مع حکایته عن الحافظين الحكم وابن حبان أنهم شهدوا عليه برواية الموضوعات.

ثامنها : أن أبي السكين زكريا بن يحيى الطائى الذى روى حديث خريم ابن أوس بن حارثة بن لام في جزئه وعليه مداره هو وإن وثقه الخطيب غير معتبر لما بينه الحافظ ابن حجر العسقلانى في «هدى السارى» ج ٢ ص ١٢٨ ط الطبعة المنيرية وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٣٨ فقد قال في «هدى السارى» «تكلم فيه الدارقطنى فقال مرة ليس بالقوى وقال مرة متزوك وقال الحكم يخطيء في أحاديثه» ثم نبه الحافظ على أن البخارى روى في الصحيح حديثاً واحداً وهو في العيدين عنه عن المحاربى عن محمد بن سوقة وعن أحمد بن يعقوب عن اسحاق بن سعيد كلاماً عن سعيد بن جبير عن ابن عمر في قصته مع الحجاج حين أصحابه سنان الرمع قال فيه البخارى حدثنا زكريا بن يحيى أبو السكين قال الحافظ وانخر ثلثة أحاديث أخرى عن زكريا بن يحيى غير مكتنى ولا منسوب :اثنان منها عنه عن عبد الله بن نمير والآخر عنه عن أبيأسامة . وزكريا بن يحيى في هذه الموضع الثلاثة هو البلخي وليس لأبي السكين عنده سوى الأول وقد أخرج شاهداً له بجانبه والله أعلم.

وقال في «تهذيب التهذيب» في ترجمة أبي السكين يحيى بن زكريا (قال

الحاكم قلت للدارقطني فأبُو السكين الكلابي قال: هو الطائى كوفى ليس بالقوى يحدث بأحاديث ليست بضئلة وقال الحاكم عنه أيضاً يحدث بأحاديث خطأ، وقال البرقانى سمعت الدارقطنى يقول: زكريا بن يحيى الطائى متزوج وفي كتاب ابن أبي حاتم زكريا بن يحيى بن عمر روى عن عم أبيه روى عنه الزعفرانى ولم يذكر فيه شيئاً فكانه ماعرفة جيداً.

وبما بيناه حول سند حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام عند الحاكم نجيب عن ايراد ابن كثير اياه لأن مداره عنده على أبي السكين زكريا بن يحيى الطائى عن عم أبيه زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب عن خريم بن أوس كما هو عند الحاكم.

هذا ما يتعلّق باسناد حديث خريم بن أوس بن لام عند الحاكم، وأما معنى تلك الأبيات التي وردت في ذلك الحديث فقد أوضحه الإمام ابن قتيبة أحسن ايضاح في كتابه «تأويل مختلف الحديث» بقصد كلامه على دفع التعارض بين حديث «إن الله مسح على ظهر آدم عليه السلام وأخرج منه ذريته إلى يوم القيمة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى» وبين قول الله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى» ولشدة الارتباط بين كلامه في معانى تلك الأبيات وبين كلامه في دفع ذلك التعارض آتى بجميع ذلك فأقول قال ابن قتيبة في الجواب عن دعوى التعارض بين تلك الآية وبين ذلك الحديث ص ١٠٤-١٠٧ مانصه «نحن نقول إن ذلك ليس كما توهموا بل المعنيان متفقان بحمد الله ومنه صحيحان لأن الكتاب يأتي بجمل يكشفها الحديث واختصار تدل عليه السنة ألا ترى أن الله تعالى حين مسح ظهر آدم عليه السلام على ماجاء في الحديث فأنخرج منه ذريته أمثال الذر إلى يوم القيمة إذ في تلك الذرية الابناء وأبناء الأبناء وأبناءاؤهم إلى يوم القيمة فإذا أخذ من جميع أولئك العهد وأشهدهم على أنفسهم فقد أخذ من بني آدم جيعاً من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم. ونحو هذا قول الله تعالى في كتابه «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» فجعل قوله للملائكة (اسجدوا لآدم) بعد «خلقناكم» «وصورناكم» وإنما أراد بقوله تعالى «خلقناكم» «وصورناكم» خلقنا آدم وصورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وجاز ذلك لأنه حين خلق آدم خلقنا في صلبه وهيااناً كيف شاء فجعل خلقه لآدم خلقه لنا إذ كنا منه. ومثل هذا مثل رجل أعطىته من الشاء ذكر او أنشى وقلت له قد وهبت لك شاء كثيراً ت يريد أنى وهبته

لک بھبھتی هذین الاثین من النتاج شاء کثیرا و كان عمر بن عبد العزیز وهب لدکین الراجز ألف درهم فاشتری به دکین عدة من الإبل فرمی الله تعالى في أذنابها بالبرکة فنمیت وكثرت فكان دکین يقول هذا مناھ عمر بن عبد العزیز ولم تكن کلها عطاوه وإنما أعطاھ الآباء والأمهات فنسبها إليه إذ كانت نتائج ما وھب له، وما يشبه هذا قول العباس بن عبد المطلب في رسول الله صلی الله عليه وسلم.

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
يريد طبت في ظلال الجنة «وفي مستودع» يعني الموضع الذي استودعه من الجنة «حيث يخصف الورق» أى حيث خصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة وإنما أراد أنه كان إذ ذاك طيبا في صلب آدم ثم قال:
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضفة ولا علق
يريد أن آدم هبط البلاد فهبطت في صلبه وأنت إذ ذاك لا بشر ولا مضفة
ولادم ثم قال:

بل نطفة تركب السفين وقد ألم نسراً وأهله الغرق
يريد أنك نطفة في صلب نوح صلی الله عليه وسلم حين ركب الفلك ثم قال:

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بما طبق
يريد أنه ينتقل في الأصلاب والأرحام فجعله طيبا وهابطا للبلاد وراكبا للسفين من قبل أن يخلق إنما يريد بذلك آباء الذين اشتملت أصلابهم عليه» ١٠١ هـ.
كلام ابن قتيبة في «تأویل مختلف الحديث».

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهم أن قريشا كانت نورا بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبیحه الحديث فقد رواه الآجری في «كتاب الشريعة» في باب قول الله تعالى «وتقبلك في الساجدين» من طريق محمد بن أبي عمر العدنی ولفظه حدثنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاری قال حدثنا محمد بن أبي عمر العدنی قال حدثني عمر بن خالد قال حدثنا أبو عبد الله محمد الحبلي عن عبد الله بن الفرات عن عثمان بن الصحاک عن ابن عباس أن قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبیحه فلما خلق الله عز وجل آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلی الله عليه وسلم فأهبطني الله إلى الأرض في

صلب آدم وجعلنى في صلب نوح وقد فنى في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقتلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوى لم يلتقطنا على سفاح قط، ومن عزاء إلى مسند العدنى السيوطى في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا» والشهاب الخفاجى في «نسيم الرياض»^(١) في شرح شفاء القاضى عياض ج ١ ص ٤٣٥ والزرقانى في «شرح المواهب اللدنية» ج ١ ص ٤٩ ولفظ الزرقانى ان قريشاً أى المسعدة بالإسلام كانت نوراً بين يدى الله قبل أن يخلق آدم يسبع ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، وعثمان بن الصحاك بن عثمان رأوى هذا الحديث عن ابن عباس ضعيف نقل الحافظ أبو الحجاج المزى في ج ٢ من «تهذيب الكمال» ص ٩١٠ عن أبي عبد الرحمن أنه قال سألت أبا دواد عن الصحاك بن عثمان الجدامى فقال: ثقة وابنه عثمان بن الصحاك ضعيف».

وابن أبي عمر العدنى وإن كان صدوقاً صالحاً من مشايخ مسلم قال فيه الإمام أبو حاتم فيه غفلة رأيت عنده حديثاً موضوعاً رواه عن سفيان نقل ذلك عن أبي حاتم الحافظ الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٠١ طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.

وأما ماجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما «كان^(٢) يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أصلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لأنها خلقت من حى فلما استيقظ ورأها سكن إليها وندیده إليها فقالت الملائكة له يا آدم قال ولم وقد خلقها لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا: تصل على محمد ثلاث مرات ، وعند ابن الجوزى في سلوة الاحزان أنه لما رام القرب منها طلبت المهر منه فقال يارب وماذا أعطيها قال يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل، فقد ذكر الشيخ محمد عبد السلام خضر الشقيرى في كتابه «ال السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات» ص ٢٤٣ روايته الأخيرة وجزم بأن هذا الخبر ليس له أصل في أي كتاب من الكتب المعتمدة وأنه لا يوجد إلا في كتب من لا يفرقون بين الصحيح والموضوع من كلام المعموم صلى الله عليه وسلم، وهذا المسلك الذى سلكه الشقيرى هو الصواب لا مسلك الشيخ السيد محمد بن علوى حينما علق على ذلك الخبر في تعليقه على المورد الروى في المولد النبوى

(١) نقل عن السيوطى.

(٢) أى زعن السجود لآدم بين ذلك الزرقانى في شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٥٢.

ص ٤٤ بقوله «هذا خبر موقوف على ابن عباس وليس من المروي وقد نقلته كتب التوارييخ والتفسير ولا اعتراض على ذكر المصنف — أى الملا على القاري — له لأنه كلام ابن عباس وهو نقله عنه فمن شاء فليقله ومن شاء فليرده وابن عباس لا يغضب عليه».

فإن هذا التعليق ليس للشيخ محمد بن علوى أن يكتبه حول ذلك الكلام الذى لا مجال للرأى فيه لو كان لابن عباس وإنما يجب عليه أن يقول ما قاله الشقيرى وهو ان ذلك الكلام لأصل له.

وأما خبر خلق الأرواح قبل الأجساد فقد بين ابن القيم والسيوطى والهيثمى أنه غير صحيح قال الإمام ابن القيم في «كتاب الروح» ص ١٩٧ مانصه (روى أبوعبد الله بن منده قال أخبرنا محمد بن صابر البخارى حدثنا محمد بن المنذر بن سعد المروى حدثنا جعفر بن محمد بن هارون المصيصى حدثنا عتبة بن السكن حدثنا أرطاة بن المنذر حدثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حليس عن عمرو بن عبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام فما تعارف منها اختلف وما تناكر منها اختلف ، ثم قال ابن القيم بعد ذلك ص ٢١٢ «أما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام — يعني هذا الحديث — فلا يصح أسناده — أى الذي ذكره من قبل ص ١٩٧ فيه عتبة بن السكن قال الدارقطنى متrok وأرطاة بن المنذر قال ابن عدى بعض أحاديثه غلط). وهذا لم يأخذ ابن القيم بما تضمنه من تقدم خلق الأرواح على خلق الأجساد بل صرح في ص ٢١٦—٢١٢ بأن خلق الأرواح متاخر عن خلق ابدانها واستدل لذلك بأدلة منها ما في الحديث الصحيح» إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضعة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفح فيه الروح قال فالمملوك وحده يرسل إليه فينفح فيه فإذا نفح فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل الملك إليه بالروح فيدخلها في بدنها وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا أن الله سبحانه أرسل إليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك ففرق بين أن يرسل إليه ملك ينفح فيه الروح وبين أن يرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك» قال (وتأمل مادل عليه النص من هذين المعtein وبالله التوفيق). وجزم في «روضة المحبين» ص ٧٥ ط مطبعة السعادة بصر بأن الصحيح الذى دل عليه الشعاع والعقل أن الأرواح مخلوقة مع الأجساد وأن الملك الموكل بنفح الروح في الجسد ينفح فيه الروح إذا مضى على النطفة

أربعة أشهر ودخلت في الخامس وذلك أول حدوث الروح فيه» قال «ومن قال إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط».

وقال السيوطي في كتاب الأدب والرقائق ، من «الحاوى للفتاوى» ج ١ ص ٣٧٠ في الجواب عن سؤال وجه إليه عن خبر ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بـألف عام» وعن خبر ورد عن ابن عباس أنه قال «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بألف سنة كيف يدفع التعارض بين الخبرين قال في الجواب عن ذلك السؤال (إذا) يطلب الجواب عن التعارض بين حديثين ثابتين وهذا الحديثان غير ثابتين أما الثاني باطل لا أصل له وأما الأول فورد بإسناد ضعيف جداً فلا ينبع عليه والمعلول عليه في ذلك الحديث الصحيح «إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» وذلك شامل للأرزاق.

وقال ابن حجر المیتمی في «الفتاوى الحدیثیة» ص ١١٦ في جوابه عن سؤال وجه إليه عن الجمع بين خبر خلق الأرواح قبل الأجسام بـألفي عام وبين قول ابن عباس رضى الله عنهما بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة قال «ما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما باطل لا أصل له والأول — أي خبر خلق الأرواح قبل الأجسام بـألفي عام — ضعيف جداً فلا ينبع عليه نعم صح أن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بـخمسين ألف سنة وذلك شامل للأرزاق».

وما جاء في باب خلق الأرواح قبل الأجساد مارواه أبو الفرج بن الجوزي في باب في فضائل على من «الموضوعات» ج ١ ص ٤٠١ قال «أنبأنا محمد بن ناصر قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا عبد الباقي بن أحمد أنبأنا محمد بن جعفر بن علّاق قال أنبأنا أبو الفتح الأزدي الحافظ حدثنا هاشم بن نصیر حدثنا شیبان بن محمد حدثنا عبدالله بن أبي علاج قال حدثني أبي عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن أبيه عن جده على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بـألفي عام ثم حطها تحت العرش ثم أمرها بالطاعة لي فأول روح سلمت على روح علي عليه السلام» وهذا الحديث قال فيه ابن الجوزي (هذا حديث موضوع قال الأزدي عبد الله بن أبيه وأبوه كذابان لا تحمل الرواية

عنهماء») قلت: عبد الله راوى هذا الحديث قال الأذھبی فی «میزان الاعتدال» متهم بالوضع كذاب مع أنه من كبار الصالحين وذكر أن الحمیدی كتب إلى والد علی بن حرب يستتاب ابن أبي علاج ويؤدب» وقال الحافظ في لسان المیزان ج ۳ ص ۲۶۱ – ۲۶۲ «قال الحاکم والنقاش وأبو نعیم الاصبهانی روی عن مالک و یونس أحادیث موضوعة وقال الازدی هو وأبواه کذابان وقال أبو القاسم الطحان حديثه منکر وقال الحافظ أبو زکریا الأزدی فی طبقات العلماء بالموصل هو مولی عقیل بن أبي طالب کان رجلا صالحا کثیر الحديث منکره» واما ابو عبد الله وهو أیوب بن ابی علاج ففی ج ۱ من «المیزان» ص ۲۹۲ مانصه (ایوب بن ابی علاج روی عن ابی جعفر محمد بن علی متهم بالکذب ساقط وابنه عبد الله أوهی منه»).

واما روایة الحاکم لما جاء عن عمر رضی الله عنه أنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم «لما اقترف آدم الخطیئة قال يارب أساکك بحق محمد لما غفرت لي) فلایلیق التعلق بصنعیح الحاکم فيه حينما رواه فی کتاب التاریخ من «المستدرک» ج ۲ ص ۶۱۵ قال «حدثنا أبو سعید عمر وبن محمد بن منصور العدل ثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن ابراهیم الخنظلی ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفھری ثنا إسماعیل بن مسلمة أنبأنا عبد الرحمن بن زید بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر ابن الخطاب رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم «لما اقترف آدم الخطیئة قال يارب أساکك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا آدم وكيف عرفت حمداً ولم أخلقه قال يارب لأنك لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفعت رأسی فرأیت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقتك يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ماخليقتك» لایلیق التعلق بصنعیح الحاکم في هذا الحديث حيث قال بعد ایراده بالسند المذکور «هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زید بن أسلم في هذا الكتاب «لما بينه الحفاظ من عدم اعتبارهم ذلك الصنیع فقد قال البیهقی تفرد به عبد الرحمن بن زید ابن أسلم وهو ضعیف» ونقل ذلك عنه الحافظ ابن کثیر قال في «باب ما وارد في خلق آدم عليه السلام من تاریخه» (البداية والنهاية) ج ۱ ص ۸۱ قال «روی الحاکم والبیهقی وابن عساکر من طريق عبد الرحمن بن زید بن أسلم عن أبيه عن جده عن

(۱) هذا لفظ «الموضوعات» لابن الجوزی وفي الجزء الثالث من «لسان المیزان» ص ۲۶۲ (قال الأزدی أیوب کذاب وابنه عبد الله اکذب منه وأجرأ على الله لاتھل الروایة عنه).

عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترنت آدم الخطيئة قال يارب أسائلك بحق محمد إلا غفرت لي فقال الله فكيف عرفت عمدا ولم أخلقه بعد فقال يارب لأنك لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فلعلت أنك لم تتصف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي واز سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف» كما نقل ابن كثير كلام البيهقي هذا أيضا في كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم» من «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٣٢٢ بعد ايراده لهذا الحديث من طريق الحاكم قال «روى الحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وفيه كلام عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترنت آدم الخطيئة قال يارب أسائلك بحق محمد إلا غفرت لي» فساق ابن كثير هذا الحديث من طريق مستدركه الحاكم كما تقدم ثم قال «قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وهو ضعيف».

وقال الإمام الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية في «قاعدة التوسل والوسيلة» في حديث توسل آدم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم «هذا الحديث بروايه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عنه – أى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – قال الحاكم وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن – أى ابن زيد بن أسلم – في هذا الكتاب – أى المستدركة – وقال الحاكم هو صحيح ثم ذكر شيخ الإسلام أن رواية الحاكم لهذا الحديث مما انكر عليه قال فإنه نفسه قد قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم: عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن العمل فيها عليه قلت – القائل تقى الدين بن تيمية – وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيرا ضعفه أحد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنمسائى والدارقطنى وغيرهم وقال أبو حاتم بن حبان كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثرا ذلك من روایته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترثك ، وأما تصحيح الحاكم لهذا الحديث وأمثاله فهذا مما انكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا إن الحاكم يصحح أحاديث هي موضوعة مكذوبة عند أهل العلم بالحديث ومنها ما يكون موقوفا يرفعه».

وقال الحافظ ابن عبد الهادى في «الصارم المنكى في الرد على السبكي» ص ٦٢-٦٠ تعقيباً على حماولة السبكي في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» تقوية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بتصحیح الحاکم حديثه المذکور في «المستدرک» قال «إني لأتعجب منه أى من السبکي کيف قلد الحاکم فيما صحّه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذى رواه في التوسل وفيه قول الله لآدم «ولولا محمد مخلقتك» مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً وقد حکم عليه بعض الأئمة بالوضع وليس إسناده من الحاکم إلى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل هو مفتول على عبد الرحمن، قال ابن عبد الهادى « ولو كان صحّيحاً إلى عبد الرحمن لكان ضعيفاً غير محتاج به لأن عبد الرحمن في طریقه وقد أخطأ الحاکم في تصحیحه وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في مواضع فإنه قال في كتابه الضعفاء بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم وقال ماحکيته عنه فيما تقدم أنه روی عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه وقال في آخر هذا الكتاب فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحوهم لأن الجرح لا يثبت إلا ببينة فهم الذين أبين جرحوهم من طالبى به فإن الجرح لا تستحله تقليداً والذى اختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم فالراوى لحديثهم داخل في قوله صلى الله عليه وسلم «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» هذا كلام الحاکم أبي عبد الله صاحب المستدرک وهو متضمن أن عبد الرحمن بن زيد - أى ابن أسلم - قد ظهر له جرمه بالدليل وأن الراوى لحديثه داخل في قوله صلى الله عليه وسلم «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» ثم إنه رحمة الله لما جمع المستدرک على الشیخین ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة وروى فيه لجماعة من المجرورين الذين ذكرهم في كتابه في الضعفاء وذكر أنه تبين له جرحوهم وقد أنكر عليه غير واحد من الأئمة هذا الفعل وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره فلذلك وقع منه ما وقع وليس ذلك بعيداً ومن جملة ما اخرجه في المستدرک حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في التوسل قال بعد روايته هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب فانظر إلى ما وقع للحاکم في هذا الموضوع من الخطأ العظيم والتناقض الفاحش».

وقال الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرک تعليقاً على قول الحاکم في حديث توسل آدم بخاتم الأنبياء محمد عليهما السلام «هذا حديث صحيح الإسناد» قال

الذهبي قلت: بل موضوع عبد الرحمن واه قال الحاكم وهو أول حديث ذكرته له في هذا الكتاب قلت - القائل الذهبي - رواه عبد الله بن مسلم الفهري ولا أدرى من ذا عن إسماعيل بن مسلمة بن عبد الله عنه» وقال في ترجمة عبد الله بن مسلم الفهري أبي الحارث من «ميزان الاعتلال في نقد الرجال» ج ٢ ص ٥٠٤ روى عن اسماعيل ابن مسلمة بن قعنبر عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلًا فيه «يآدم لولا محمد مخلقتك رواه البيهقي في دلائل النبوة».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة محمد بن عبد الله الضسي النيسابوري الحاكم صاحب المستدرك من كتابه «لسان الميزان» ج ٥ ص ٢٣٣ مانصه «ذكر بعضهم أنه - أى الحاكم - حصل له تغير وغفلة في آخر عمره ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة في كتاب الضعفاء له وقطع بترك الرواية عنهم ومنع من الاحتجاج بهم ثم أخرج أحاديث بعضهم في مستدركه وصححها من ذلك أنه أخرج حديثاً لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم - يعني الحافظ حديث التوصل المتقدم ذكره - وكان - أى الحاكم قد ذكره - أى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الضعفاء فقال إنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه وقال في آخر الكتاب فهولاء الذين ذكرتهم في هذا الكتاب ثبت عندي جرهم^(١) لأنني لا أستحل الجرح إلا مبينا ولا أجيزه تقليداً والذى اختاره لطالب العلم أن^(٢) لا يكتب حديث هؤلاء أصلاً».

هذا ما ذكره أولئك الحفاظ حول تصحيح الحاكم الإسناد الذي روى به حديث توصل آدم عليه السلام بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد اتضح بما ذكره عدم اعتبارهم تصحيح الحاكم لأسناده فلا وجه لاعتبار الملا على القاري تصحيح الحاكم أيام مدام الأمر كذلك. كما تبين بكلام البيهقي وابن تيمية وابن عبد الهادي وابن كثير وابن حجر العسقلاني أن قول الشيخ محمد بن علوى في تعليقه على ذكر الملا على قاري تصحيح الحاكم ذلك الحديث ص ٤٦ «الاعتبر بقدر الذهبي فإنه مسرف في الحكم على الأحاديث بالنكارة والوضع دون مراعاة الطرق وال Shawahed» هو الذى لاعتبره به فإن مع الذهبي في اعلائه ذلك الحديث أولئك الأئمة الحفاظ على أن رمى الذهبي بما رماه به لا يؤثر في إمامته في الجرح والتعديل.

(١) لفظ «جرهم» هو الصواب لا مافي طبعة «لسان الميزان» المتداولة بل فقط «صدقهم».

(٢) سقط لفظ «لا» من «لسان الميزان» غلطاً من الطابع أو من الناسخ والصواب ثباتها.

وأما رواية الطبراني لما جاء عن عمر بن الخطاب في توصل آدم ببنينا محمد صلى الله عليه وسلم ففي كتابه المعجم الصغير ج ٢ ص ٨٢-٨٣ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. قال الطبراني فيه حدثنا محمد بن داود بن أسلم الصدف المصري حدثنا أحمد بن سعيد المدنى الفهرى حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدنى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أذنب آدم صلى الله عليه وسلم الذنب الذى أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فأوحى الله إليه وما محمد ومن محمد فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرًا من جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله عز وجل إليه يا آدم إنه آخر النبئين من ذريتك وإن أمته آخر الأمم من ذريتك ولولاه يا آدم ما خلقتك» هكذا رواه الطبراني في «المعجم الصغير»^(١) ثم قال «لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد بن سعيد». والجواب عن هذه الرواية هو نفس الجواب عن رواية الحاكم وهو أنها من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي تقدم كلام الأئمة فيه.

وأما ماجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمnia به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» فعند الحاكم في كتاب التاريخ من «المستدرك» ج ٢ ص ٦١٤-٦١٥ قال حدثنا علي بن حشاذ العدل إملاء حدثنا هارون بن العباس الهاشمي حدثنا جندل بن والق ثنا عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمد» فساقه ثم قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وتعقبه الحافظ الذهبي في «تلخيص المستدرك» بقوله «قلت أظنه موضوعا على سعيد» وأشار في ترجمة عمرو بن أوس راويه عن سعيد بن أبي عروبة من «الميزان» ج ٣ ص ٢٤٢ إلى أنه هو المتحمل لمسؤولية هذا الحديث ولفظه «عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر

(١) وعليه ولل المعجم الأوسط عزا الحافظ الميمى في «جمع الروايد ومنبع الفوائد» ج ٨ هذا الحديث.

أخرجه الحاكم في مستدركه وأظنه موضوعاً من طريق جندل بن والق حدثنا عمرو ابن أوس حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسبب عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد فلولا مخلقت آدم ولا الجنة ولا النار.. الحديث وعلى اعتدال الذهبى هذا الحديث بعمرو بن أوس اعتمد السيوطى في الجزء الأول من «الخصائص الكبرى» ص ١٩ قال في «باب خصوصيته صلى الله عليه وسلم بكتابه اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر ما في الملكوت» «أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس قال أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد مخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطررت فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» قال الذهبى في سنته عمرو بن أوس لا يدرى من هو ١٠١ هـ كلام السيوطى.

هذا وما ذكر في باب (لولا محمد مخلق كذا) ما أورده صاحب اللجة وزعم انه حديث بلفظ لولا حبيبي محمد مخلقت سمائي ولا أرضي ولا جندي ولا نارى ، وقد قال فيه العلامة الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «بيان المحجة»^(١) على صاحب اللجة، ص ٤٤-٢٤٥ مانصه (هذا من الموضوعات لا أصل له ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث وأنى له ذلك بل هو من أكاذيب الغلة الوضاعين وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والأرض في كثير من سور القرآن كما في الآية التي تأتى بعد وهي قول الله تعالى «الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قادر وأن الله قد أحاط بكل شيء علما».

وأما حديث أنس رضى الله عنه قال «خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن التضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الأیاس بن مضر بن نزار» الحديث فقد رواه البيهقي في الجزء الأول من «دلائل النبوة» ص ١١٧-١١٩ قال أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن

(١) هي في المجلد الرابع من «مجموعة الرسائل والمسائل التجديه وهى رسالة دافع بها الشيخ عبد الرحمن عن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين ورد على من اعترض عليه في جوابه عن أبيات من البردة سئل عنها فأوضح ما فيها من صرف خصائص الربوبية والالوهية لغير الله تعالى جزاها الله عن دينه خير الجزاء.

محمد(١) بن حفص المcriء ببغداد قال حدثنا أبو عيسى بكار بن أحمد بن بكار قال حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى بن سعيد أملاء سنة ست وتسعين ومائتين قال حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان القلansi قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي قال حدثنا مالك بن أنس عن الزهرى عن أنس بن مالك وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قالا: بلغ النبي صل الله عليه وسلم أن رجالا من كندة يزعمون أنه منهم فقال إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب إذا قدموا المدينة ليأمنا بذلك وإننا لن ننتفى من آبائنا نحن بنو النضر بن كنانة قال وخطب رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار. وما افترق الناس فريقين إلا جعلني الله في خيرها فأخرجت من بين أبوين فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً» صل الله عليه وسلم. وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرنى أبو على الحسين بن على الحافظ قال أخبرنا محمد بن سعيد بن بكر الرازي بعسقلان قال حدثنا صالح بن علي التوفى قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة فذكره بإسناده نحوه إلا أنه لم يذكر قوله «فأخرجت» إلى قوله «حتى خرجت» تفرد به أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي هذا قوله عن مالك وغيره أفراد لم يتبع عليها والله أعلم^(٢) ومن طريق البيهقي أورد ابن كثير هذا الحديث في الجزء الثاني من «البداية والنهاية» ص ٢٥٥ قال بعد أن ساق نسب النبي صل الله عليه وسلم إلى عدنان وذكر أنه لا خلاف فيه بين العلماء وأنه لا خلاف في أن النبي صل الله عليه وسلم من ولد إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام قال «وقد ورد الحديث في انتسابه عليه السلام إلى عدنان وهو على المنبر الله أعلم بصحته كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي أبائنا أبو الحسن على بن أحمد بن عمر ابن حفص المcriء ببغداد فساق الحديث البيهقي بسنده ومتنه المقدمين ثم قال «هذا الحديث غريب جدا من حيث تفرد به القدامي وهو ضعيف» ١٠٤ هـ كلام الحافظ ابن كثير على ما في ذلك الحديث الذى رواه البيهقي من رفع النبي صل الله

(١) كذا في نسخة دلائل النبوة المذكورة «محمد» وفي البداية والنهاية لابن كثير من طريق البيهقي «عمر» بدل «محمد» كما سيأتي.

(٢) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

عليه وسلم نسبه إلى نزار وقد راجعنا في «ميزان الاعتدال» للذهبي ترجمة القدامى الذى تفرد بتلك الزيادة فوجدنا الذهبى يقول فيه «أحد الضعفاء تفرد عن مالك بمصائب» ويقول ضعفه ابن عدى وغيره». وأما ماسوى رفع النبي صلى الله عليه وسلم نسبه إلى نزار الذى تفرد به القدامى من ذلك الحديث فله شواهد سردها الإمام الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية».

هذا وفي باب رفع النبي صلى الله عليه وسلم نسبه رواية أخرى رفعه فيها إلى النضر بن كنانة عند ابن سعد في طبقاته الكبرى قال «أخبرنا معن بن عيسى أخبرنا ابن أبي ذئب عن لايتهم عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أنا محمد بن عبد الله» فانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة فمن قال غير ذلك فقد كذب، وقد ضعف الحافظ ابن حجر العسقلانى هذه الرواية في «فتح البارى» ج ٦ ص ٥٢٩ ولفظه (روى ابن سعد من حديث عمرو بن العاص بسند فيه ضعف مرفوعا «أنا محمد بن عبد الله وانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة قال: من قال غير هذا فقد كذب»). كلام الحافظ العسقلانى).

وأما أنا ابن الذبيحين» ففى كتاب التاريخ من مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٥٥٩ تحت عنوان (ذكر من قال إن الذبيح إسحاق بن ابراهيم عليهما السلام) مانصه (قد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفيسائر المدن وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل وقاعدتهم فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنا ابن الذبيحين» إذ لا خلاف أنه من ولد إسماعيل وأن الذبيح الآخر أبوه الأدنى عبد الله بن عبد المطلب والآن فإنى أجد مصنفى هذه الأدلة يختارون قول من قال إنه إسحاق» هذا نص المستدرك هناك قد جزم فيه الحاكم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنا ابن الذبيحين» لكن لم يسلم ذلك للحاكم فان هذا اللفظ لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم كما صرخ به الزرقاني في «ختصر المقاصد الحسنة» ونقل العجلونى في «كشف الحفاء عن الزبىلى والمسقلانى أنهما قالا في تخريج الكشاف لم نجد بهدا اللفظ» ١٠١ هـ. والذى ورد في الباب هو ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ص ٥٥٤ تحت عنوان «ذكر إسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما» وذلك في كتاب التاريخ قال «حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى ثنا عبيد بن حاتم الحافظ العجلونى ثنا إسماعيل بن عبيد بن عمر بن أبي كرمة الحرانى ثنا عبد الرحيم الخطابي ثنا عبد الله بن محمد العتبى ثنا عبد الله بن سعيد الصنابوحى قال حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابنى ابراهيم فقال بعضهم

الذبيح إسماعيل وقال بعضهم بل إسحاق الذبيح فقال معاوية سقطتم على الخبر كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا الأعرابي فقال يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابساً، هلك المال وضع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا أمير المؤمنين وما الذبيحان قال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر الله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فآخرتهم فأقسم بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخوه من بنى مخزوم وقالوا أرض ربك واقت ابنك قال فداء بائنة ناقة قال فهو الذبيح وإسماعيل الثاني.

هكذا روى الحاكم هذا الحديث في «المستدرك» وسكت عنه وتعقبه الحافظ الذهبي في تلخيصه بقوله «قلت إسناده واه١٠٠هـ ورواه ابن جرير في تفسيره ومن طريقه أورده الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره واستغرب به جداً ولفظه ج ٤ ص ١٨، (وقد روى ابن جرير في ذلك أى في كون إسماعيل عليه السلام هو الذبيح - حديثاً غريباً فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبد الله بن محمد العتبى من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثنى عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال على الخبر سقطتم كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله عد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر الله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخوه من وقالوا اقت ابنك بائنة من الإبل فداء بائنة من الإبل والثانى إسماعيل» قال ابن كثير بعد ايراده (وهذا حديث غريب جداً وأضاف إلى ذلك قوله «وقد رواه الأموي في مخازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشى حدثنا عبيد الله بن محمد العتبى من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله عنه فتذكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره كذا كتبته من نسخة مغلولة» ١٠٠هـ كلام ابن كثير رحه الله تعالى ومن جزم بضعف ذلك الحديث حديث معاوية الذى ورد فيه «(يا ابن الذبيحين) القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ج ١٥ ص ١١٣ والسيوطى في «القول الفصيح في تعين الذبيح» وهو من محتويات الحاوی للفتاوی ج ١ ص

٣١٨ قال القرطبي (وأما ماروى من طريق معاوية قال سمعت رجلا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال معاوية إن عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر الله إن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده الله فسهل الله عليه أمرها فوق السهم على عبد الله فمنعه أخواه بنو مخزوم وقالوا افدى ابنك ففداه بائة من الإبل وهو الذبيح وإسماعيل هو الذبيح الثاني» فلاحجة فيه لأن سنته لا يثبت على ما ذكرناه في كتاب الأعلام في معرفة مولد المصطفى عليه السلام ولأن العرب تجعل العم أبا قال الله تعالى (قالوا نعبد المك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) وقال تعالى (ورفع أبوه على العرش) وها أبوه وخالته.

وقال السيوطي (روى الحاكم في المستدرك وابن جرير في تفسيره والأموي في مفازيه والخلعى في فوائده من طريق إسماعيل بن أبي كريمة عن عمر بن أبي محمد الخطابي عن العتبى عن أبيه عن عبدالله بن سعيد عن الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله عنه فتناصر القوم لإسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم أيهما الذبيح فقال بعض القوم لإسماعيل وقال بعضهم بل بإسحاق فقال معاوية على الخبر سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أعرابى فقال يارسول الله خلفت الكلأ يابساً والماء يابسا هلك العيال وضاع المال فعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر عليه فقال القوم من الذبيحان يأمير المؤمنين قال: إن عبد المطلب لما حفر زمزم نذر الله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه فلما فرغ أسهم بينهم وكانتوا عشرة فخرج السهم على عبد الله فأراد أن ينحره فمنعه أخواه بنو مخزوم وقالوا أرض ربك وافدى ابنك ففداه بائة ناقة قال معاوية هذا واحد والآخر إسماعيل هذا حديث غريب وفي إسناده من لا يعرف حاله»^١ هـ كلام السيوطي.

فإن قيل إن الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ذكر في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) أن الزرقاني شارح المواهب اللدنية قال في هذا الحديث (حسن بل صححه الحاكم والذهبي لتقويه بتعدد طرقه قلنا إن ذلك وهم من العجلوني فإن الزرقاني لم يقل ذلك في الخبر الذي ورد فيه «يا ابن الذبيحين» بل إنما قاله في حديث «الذبيح إسحاق» ونص كلامه ج ١ ص ٩٧ (قوله صلى الله عليه وسلم «الذبيح إسحاق» رواه الدارقطنى عن ابن مسعود وابن مردويه والبزار عن العباس وفيه المبارك بن فضالة ضعفه الجمهور ولكن رواه الحاكم من طرق عن العباس وقال صحيح على شرطهما

وقال الذهبي صحيح رواه ابن ماروبيه قال ابن كثير وفيه الحسن بن دينار متزوج وشيخه منكر وقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعا ثم رواه عن مبارك بن فضالة موقعا وهو أشبه^(١) وتعقبه السيوطى بأن مبارك قد رفعه مرة فأخرجه البزار عنه مرفوعا وله شواهد عنده وعن الديلمى عن العباس مرفوعا بلفظ (وأما إسحاق فبذل نفسه للذبح) وللطبرانى وابن أبي حاتم عن أبي هريرة نحوه بسند ضعيف وللطبرانى بسند ضعيف عن ابن مسعود سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس؟ قال «يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبح الله»، وأخرج في الكبير عن أبي الأحوص قال افتخراً رجل عند ابن مسعود وفي لفظ «فاخر أسماء بن خارجة رجلاً فقال أنا ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبح الله بن إبراهيم خليل الله «ولسانناه صحيح موقوف»^(٢) . هـ ملخصاً فهذه أحاديث يعتمد بعضها بعضاً فأقل مراتب الحديث الأول – أي حديث (الذبح إسحاق) أنه حسن فكيف وقد صححه الحاكم والذهبى وهو نص صريح لا يقبل التأويل بخلاف حديث معاوية – أي الذى ورد فيه اقرار النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابى على قوله له (يابن الذيبعين) بالتبسم – فإنه قابل له^(٣) . هـ كلام الزرقانى في شرح المawahib اللدنية وبایراده تبين أن الحديث الذى حسن الزرقانى وذكر أن الحاكم والذهبى صححاه هو حديث «الذبح إسحاق» لا حديث معاوية الذى ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم تبسم لما قال له الأعرابى يابن الذيبعين ، كما توهمه العجلونى على أن تصحيح حديث مرفوع في كون إسحاق هو الذبح غير معتبر ولو لخشية الاطالة لأسهبنا في ذكر ما ورد في ذلك وفي ايضاح علة كل حديث منه لكن المقصود هنا إثبات أن لفظ «أنا ابن الذيبعين» لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن حديث معاوية الذى

(١) قال ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ١٧ قال في ذلك الحديث مانصه (قد ورد في ذلك – أي كون إسحاق هو الذبح – حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنته قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال «هو – أي الذبح – إسحاق».

ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متزوج وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن حاد بن سلمة على بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال «قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم». هـ كلام ابن كثير.

(٢) أي للتأويل لأن العرب تجعل العم أبا.

ورد فيه أن الأعرابى قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبحيين فتبسم النبي
صلى الله عليه وسلم غير صحيح.

وأما حديث وضع الحوامل في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم
الذكور كرامة له فقد ذكره السيوطى في الخصائص الكبرى وبين أنه منكر شديد
النکارة ونصه ج ١ ص ١١٧-١١٨ ، أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قبية قال
سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال «ما حضرت ولادة آمنة قال الله لملائكته
افتتحوا أبواب السماء كلها وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشر بعضها
بعضاً وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتبادر أهلها فلم يبق ملك إلا حضر
وأخذ الشيطان فعل سبعين غلاً وألقى منكوساً في جلة البحار الخضراء وغلت الشياطين
والمردة وألبست الشمس يومئذ نوراً عظيماً وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في
الهواء ينتظرون ولادة محمد صلى الله عليه وسلم وكان قد أذن الله تلك السنة لنساء
الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن لا تبقى شجرة إلا حلت
ولا خوف إلا عاد أمناً فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الدنيا كلها نوراً
وتباشرت الملائكة وضرب في كل عمود من زبر جد وعمود من ياقوت قد استثار به
فهي معروفة في السماء قد رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء قيل هذا
ما ضرب لك استبشاراً بولادتك وقد أثبتت الله ليلة ولد على شاطئ نهر الكوثر سبعين
ألف شجرة من المسك الأذفر ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السموات يدعون الله
بالسلامة ونكست الأصنام كلها وأما الآت والعزى فإنهم خرجوا من خزانتها وما
يقولان ويحقر قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها وأما
البيت فإنما سمعوا من جوفه صوتاً وهو يقول الآن يرد على نورى الآن يحيىنى زوارى
الآن أظهر من أنجاس الجاهلية أيتها العزى هلكت ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام
ولياليهن وهذا أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال السيوطى في هذا الأثر وأثرين آخرين معه ص ١٢٢ مانصه، فيها — أى تلك
الآثار الثلاثة التي كان هذا من ضمنها — نکارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا
أشد نکارة منها ولم تكن نفسى لتطيب بغير ارادتها لكنى تبعت الحافظ أبا نعيم في
(ذلك).

وأما حديث أن كل دابة لقريش نطقـت ليلة الحمل بـمحمد صـلى الله عليه
وسلم وقالت حل بـرسـول الله صـلى الله عليه وسلم الخـ، فقد قال أبو نعـيم في الجزء
الثالث من دلائل النبوة ص ٢٢١ قال حدثنا سليمان بن احمد ثنا عمـرو بن محمد بن

الصباح قال ثنا يحيى بن عبد الله البابلتي ثنا أبو بكر بن أبي مرريم عن سعيد بن عمرو الأنصارى عن أبيه قال قال ابن عباس فكان من دلالات حمل النبي صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطق تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة من قريش ولا قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة ولم يكن سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والمملک مخسراً لا ينطق يومه ذلك ومررت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بال بشارات وكذلك البحار يبشر بعضهم بعضاً به في كل شهر من شهره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً فكانت أمه تحدث عن نفسها وتقول أثاني آت حين مربى من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في النام وقال يا آمنة إنك قد حلت بخير العالمين طرا فإذا مولديه فسميه محمدًا واكتمى شأنك قال فكانت تقول لقد أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإنى لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه قالت فسمعت وجة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ذلك وذلك يوم الاثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عنى كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجده ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء وظننتها لبنا وكانت عطشى فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن بنات عبد المطلب يحدقن بي فيينا أنا أعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بي هؤلاء واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول فإذا أنا بدبياج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا قائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت ورأيت قد مدد بين السماء والأرض فإذا قائل يقول خذوه عن أعين الناس قال رجالة قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح مني عرق كالجمان أطيب ريحها من المسك الأذفر وأنا أقول ياليت عبد المطلب قد دخل علي عبد المطلب عن ناء قالت ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليوقايت فكشفت لي عن بصرى فأبصرت ساعتى مشارق الأرض ومغاربها. ورأيت ثلاثة أعلام مصروفات علم في المشرق وعلم في المغرب وعلم على ظهر الكعبة وأخذنى المخاض واشتد بي الأمر جداً فكنت كأنى مستندة إلى أركان النساء كثرن على حتى كان الأيدي معي في البيت وأنا لأرى شيئاً فولدت محمداً صلى الله عليه وسلم^(١) فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فإذا أنا به ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضلع المتهلل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت

(١) لفظ «صلى الله عليه وسلم» من بعض الرواية كما في شرح المawahب اللدنية للزرقاني.

من السماء تنزل حتى غشته فغيب عن وجهي فسمعت مناديا ينادي يقول طوفوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحر كلها ليعرفوه باسمه
ونعنته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي لا يقى شيء من الشرك إلا محى به في
زمنه ثم تجلت عنه في أسرع وقت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضا من
اللبن وتحته حريرة خضراء قد قبض على ثلاث مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض
وإذا قائل يقول قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الذبح ومفاتيح النبوة، هكذا
روى أبو نعيم هذا الخبر في «دلائل النبوة» ومن طريق أبي نعيم أورده الحافظ ابن
كثير في الجزء السادس من «البداية والنهاية» ص ٢٩٨-٢٩٩ والسيوطى في الجزء
الأول من «الخصائص الكبرى» ص ١١٨-١٢١ والقسطلانى في الجزء الأول من
«المواهب اللدنية» ص ١٠٨ ولما بين ما في نسختى «دلائل النبوة» اللتين عندى
وبين ما عزاه ابن كثير والسيوطى والقسطلانى إلى أبي نعيم من اختلاف بزيادة تارة
ونقصان تارة أخرى أورد ما عند كل واحد منهم مقرونا ببيان ما قاله كل منهم في
درجته فأقول قال الحافظ ابن كثير في «باب ما أعطى محمد صلى الله عليه وسلم من
الآيات وما أعطى من قبله من الآيات (قد أورد الحافظ أبو نعيم هنا
حديشا غريبا مطولا بالمولد فقال - أى أبو نعيم - حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا
حفص بن عمرو بن الصباح حدثنا يحيى بن عبد الله البابلنى أنا أبو بكر بن أبي
مریم عن سعيد بن عمرو الأنصارى عن أبيه قال قال ابن عباس فكان من دلالات
حل محمد صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطق تلك الليلة قد حمل
برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم يبق
كافر في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم
الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك غرسا
لا ينطق يومه لذلك وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل
البحر بشر بعضهم بعضا وفي كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السموات
أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا قال «وبقي في
بطن أمه تسعة أشهر وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة أهنا وسيدنا
بقي نبيك هذا يتيمًا فقال الله تعالى للملائكة أنا له ولني وحافظ ونصير فتبركوا بولده

ميمونا مباركا وفتح الله لولده أبواب السماء وجنته^(١)) وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول أتى لي آت حين مر لي من حلمه ستة أشهر فوكنني برجله في المنام وقال يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طرا فإذا ولديه فسميه محمدًا واكتمني شأنك قال وكانت تحدث عن نفسها وتقول لقد أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإنى لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طواوه قالت فسمعت وجبة شديدة وأمرا عظيما فهالنى ذلك وذلك يوم الاثنين ورأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب كل رعب وكل فزع ووجل كنت أجد ثم التفت فإذا أنا بشريبة بيضاء ظنتها لبنا وكنت عطشانة فتناولتها فشربتها فأصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبد المطلب يحدقن بي فيينا أنا أعجب وأقول واغوثاه من أين علمت بي واشتدى بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول وإذا أنا بديجاج أبيض قد مد مابين السماء والأرض وإذا قائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت: رأيت رجالا وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشع مني عرق كالمجامان أطيب ريحًا من المسك الأذفر وأنا أقول ياليت عبد المطلب قد دخل على قالت ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لاأشعر حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليوقوت فكشف الله لي عن بصرى فأبصرت من ساعتى مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة علامات مضروبات علم بالشرق وعلم بالغرب وعلم على ظهر الكعبة فأخذنى المخاض واشتدى بي الطلق جدا فكنت كأنى مسندة إلى أركان النساء وكثرن على حتى كأنى «كذا» مع البيت وأنا لأرى شيئا فولدت محمدًا فلما خرج من بطئى درت فنظرت إليه فإذا هو ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتصزع المتبهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيتها فغيب عن عينى فسمعت مناديا ينادى يقول طوفوا بمحمد صل الله عليه وسلم شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويلعلوا أنه سمى الماحى لا يبقى شيء من الشرك الا عى به قالت ثم تخلىوا عنه في أسرع وقت فإذا أنا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضا من اللبن وتحته حريرة خضراء

(١) مابين قوله «ميمونا مباركا» وبين قوله «وكانت آمنة» ليس فيما لدى من نسخ دلائل النبوة لأبي نعيم واغا هو عند ابن كثير وسيأتي فيما عند السيوطي في «الخصائص الكبرى» من طريق أبي نعيم بلفظ «قال وبقى في بطن أمه تسعة أشهر كملًا لاتشكوا وجعا ولارجا ولا منضا ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة هنا وسيدنا بقى نبيك هذا يتيمة فقال الله أنا له ولـي وحافظ ونصير وتبـرـكـوا بـولـدـهـ فـمـيـمـونـ مـبـارـكـ وـفـتـحـ اللهـ لـولـدـهـ أـبـوـابـ السـمـاءـ وجـنـاتـهـ».

وقد قبض محمد ثلثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض فإذا قاتل يقول قبض محمد مفاتيح النصر ومفاتيح الريع ومفاتيح النبوة، بهذا اللفظ أورد ابن كثير هذا الحديث من طريق أبي نعيم في دلائل النبوة ثم قال «هكذا أورده — أى أبو نعيم وسكت عليه وهو غريب جداً».

وقال السيوطي في الجزء الأول من «الخصائص الكبرى» ص ١١٨-١٢١ «أخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال «كان من دلالات حل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطق تلك الليلة وقالت حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخسراً لا ينطق يومه ذلك ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحر يبشر بعضهم ببعضًا به في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً قال (وبقى في بطن أمه تسعة أشهر كملاً لا تشكوا وجعاً ولا ريحًا ولا مغصاً ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة إلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيمًا فقال الله أنا له ولني وحافظ ونصره وبركوا بمولده ميمون مبارك وفتح الله لولده أبواب السماء وجنته^(١)) فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول أتاني آت حين مر بي من حل ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي يا آمنة إنك قد حللت بخير العالمين طرأ فإذا ولديه فسمه محمدًا فكانت تحدث عن نفسها وتقول لقد أحذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ذلك فرأيت كأن جنح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عنى كل رعب وكل وجع كنت أجده ثم التفت فإذا أنا بشريبة بيضاء لبنا وكانت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبینا أنا أعجب وإذا بدباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقاتل يقول خذوه من أعين الناس قالت ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد وأجنحتها

(١) مابين القوسين في الخصائص الكبرى من طريق أبي نعيم بهذا اللفظ، وتقدم لفظه عند ابن كثير من طريقه وليس فيما عندي من نسخ «دلائل النبوة» لا بهذا اللفظ ولا باللفظ الذي عند ابن كثير.

من اليواقيت فكشف الله عن بصرى وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض وغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما في المشرق وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذنى المخاض فولدت حمداً صل الله عليه وسلم فلما خرج من بطني نظرت إليه فإذا أنا به ساجدا قد رفع أصبعيه كالمتضرع المتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيب عن وجهي وسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمى فيها الماحى لا يبقى شيء من الشرك إلا حى في زمه ثم تجلت عنه في السرع فإذا أنا به مدرجا في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من المؤلئ الرطب وإذا قائل يقول قبض محمد على مفاتيح النصرة ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة^(١) ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة حتى غشيته فغيب عن عيني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد الشرق والغرب وعلى موالد النبيين واعرضوه على كل روحانى من الجن والإنس والطير والسابع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان إسماعيل وبشري يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى واغمروه في أخلاق الأنبياء ثم تجلت عنه فإذا أنا قد قبض على حريرة خضراء مطوية وإذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صل الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل في قبضته وإذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه ففسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولله في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلى» هكذا ساقه السيوطى في الخصائص الكبرى وعزاه إلى أبي نعيم وقال فيه وفي ثرثين آخرين ذكرهما معه قال فيها - أى في تلك الآثار الثلاثة التي كان هذا الأثر منها - نكارة شديدة ولم أورد في كتابى هذا - أى الخصائص الكبرى - أشد نكارة منها ولم تطب نفسي

(١) عبارة «ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل» إلى قوله «ثم رده إلى زيادة عند السيوطى في الخصائص الكبرى مما عزاه إلى أبي نعيم وليست فيما لدى من نسخ الدلائل» ولافي الرواية التي ذكرها ابن كثير وسيأتي لفظها عند القسطلاني ضمن ما عزاه إلى أبي نعيم وبين لفظيهما من الاختلاف ما سيطلع عليه القارئ عند المقارنة بينهما إن كان مراد القسطلاني بقوله بعد ذكر رواية الخطيب التي فيها ذلك «ورواه أبو نعيم» أن لفظهما واحد.

بایرادها لكنی تبعت أبا نعیم فی ذلك» ١٠١ هـ کلام السیوطی(۱).
وقال القسطلاني في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ١٠٨ «روى أبو
نعيم(۲) عن ابن عباس رضي الله عنهمما قال «كان من دلالة حل آمنة برسول الله
صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حل برسول الله
صلى الله عليه وسلم رب الكعبة وهو إمام(۳) الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير
ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب
بالبشرات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم ببعضا. وله في كل شهر من شهور حمله
نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلی الله
عليه وسلم ميمونا مباركا» الحديث وهو شديد الضعف ، وقال في ص ١١١-١١٢
من هذا الجزء «روى أبو نعيم من حديث ابن عباس قال «كانت آمنة تحدث وتقول
أثاني آت حين مر بي من حمل ستة أشهر في المنام وقال لي يا آمنة إنك قد حلت بخير
العالمين فإذا ولدته فسميه عمداً واكتئب شائقك قالت ثم أخذني ما يأخذ النساء ولم
يعلم بي أحد لا ذكر ولا أنثى وانى لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت
وجبة عظيمة وأمرا عظيمها هالنى ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على
فؤادي فذهب عنى الرعب وكل وجع أجده ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها
 فأصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن
في بينما أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمت بي قال في غير هذه الرواية فقلن
لي نحن آسيية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين(٤) واشتد بي
الأمر وإنى أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم في بينما أنا كذلك إذ

(۱) وعلى كلامه في هذا الاثر اعتمد السيد رشید رضا في الجزء الثاني من فتاوى يه ص ٤٩٤ فقد قال في بيان درجته «إن الأثر الذى يذكرهونه – أى مؤلفوا المولد فى نطق الدواب والحوش ليلة حله – أى النبى محمد صلی الله عليه وسلم قد أخذنه واضطروه قصص المولد من رواية أبى نعيم وهو منكر جداً أورده السیوطی في الخصائص الكبرى وأنكره مع آخرين ثم جزم السيد رشید رضا بان تلك الآثار الثلاثة قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد.

(۲) اى في دلائل النبوة كما في شرح المواهب اللدنية للشيخ محمد بن عبد الباقى الزرقانى.
(۳) قال الزرقانى «بالمليس قدوة اهلها قال «ورأيته في خصائص السیوطی الكبرى عن أبى
نعيم» أمان باللون أى أمانها من العاهات العامة «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

(۴) قوله (فقلن لى نحن آسيية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين) مما عزاه
القسطلاني إلى أبى نعيم ولم أجده فيما لدى من نسخ دلائل النبوة لابى نعيم ولا فيما عزاه إليه
ابن كثير ولا في ما عزاه إليه السیوطی.

بديساج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذاه عن أعين الناس قال ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من التزمر وأججتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علمًا بالشرق وعلمًا بالغرب وعلمًا على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعته حمدا صلى الله عليه وسلم^(١) فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع اصبعيه إلى السماء كالمتصبع المتبهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيتها فغيبته عنى ثم سمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمى فيها الماحي لايقى شئ من الشرك الا محى في زمه ثم انجلت عنه في أسرع وقت» الحديث وهو مما تكلم فيه^(٢).

ثم قال القسطلاني «روى الخطيب بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشيري أيضا أن آمنة قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام^(٣) رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال حتى غشيتها وغيب عنى فسمعت مناديا ينادي طوفوا به محمد مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته في جميع الأرض واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس، والملائكة والطيور والوحش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة إبراهيم ولسان اسماعيل ورضا اسحاق وفضاحة صالح وحكمة لوط وبشري يعقوب وشدة موسى وصبر أیوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيا ووقار إلياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في أخلاق النبيين قالت ثم انجلت عنى فإذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طبا شديداً ينبع من تلك الحريرة ماء وإذا بقائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعا في قبضته قالت ثم نظرت إليه صلى الله عليه وسلم فإذا هو كالقمر ليلا البدر ريحه يسخط كالمسك الأذفر وإذا بثلاثة نفر في يد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الآخر طست من زمرد أحضر. وفي يد الثالث حريرة بيضاء فشرها فخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه

(١) لفظ (صلى الله عليه وسلم) ذكر الزرقاني أنه من الراوى.

(٢) علق الزرقاني على هذا بقوله «فذكره لينبه عليه لشهرته في الموالد.

(٣) لفظ «عليه الصلاة والسلام من بعض الرواة».

باختاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده الي ورواه أبو نعيم^(٤) عن ابن عباس وفيه نكارة».

هذا ما وجدناه في دلائل النبوة لأبي نعيم وما عند ابن كثير والسيوطى والقسطلانى من طريق أبي نعيم وبه تبيّنت روایات هذا الحديث ودرجاتها.

وأما ما ورد في أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وفي أن ذلك من خصائصه فقد أعلم الحفاظ ابن كثير وابن القيم والذهبى وفيما يلي كلامهم.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٢٦٥ تحت عنوان «صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام» «قال البيهقي انبانا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدرايدى ببرو حدثنا أبو عبد الله البوشنجي حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائرى حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربعة بن زياد بن الحارث الصدائى بمصر - حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال «ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا قال فأعجب جده عبد المطلب وحظى عنده وقال ليكون لابنى هذا شأن فكان له شأن» وهذا الحديث في صحته نظر. وقد رواه الحافظ ابن عساكر من حديث سفيان بن محمد المصيحي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كرامتى على الله أنى ولدت مختونا ولم ير سوأى أحد» ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به، ثم أورده من طريق محمد بن سليمان هو الbaghndi حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصى حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسى - حدثني خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا. وقال أبو نعيم حدثنا أبو أحد محمد بن أحد الغطريفى حدثنا الحسين بن أحد بن عبد الله المالكى حدثنا سليمان بن سلمة الخبائرى حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم ابن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا فأعجب ذلك جده عبد المطلب وحظى عنده وقال ليكون لابنى هذا شأن فكان له شأن. وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى

(٤) إذا كان المراد بقوله «ورواه أبو نعيم أن لفظه مثل لفظ الخطيب الذى ذكره يكون تفاوت مابين ماعنده القسطلانى وبين ماعنده السيوطى في عبارة «ثم رأيت سحابة» إلى قوله «ثم رده إلى» وإن كانت الزيادة عندهما.

زعم بعضهم أنه متواتر وفي هذا^(١) كله نظر. ومعنى مختونا أي مقطوع الختان ومسروراً أي مقطوع السرة من بطن أمه وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن ابن عبيدة البصري حدثنا على بن محمد المدائني السلمي حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكرة أن جبريل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه وهذا غريب جداً. وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها والله أعلم» انتهى كلام ابن كثير في «البداية والنهاية».

وذكر في الكلام على خصائص النبي صلى الله عليه وسلم من كتابه «الفصول في اختصار سيرة الرسول» أن الحديث الذي ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً جاء من طرق عديدة لكنها غريبة ثم قال وقد قيل إنه شاركه فيها غيره من الأنبياء كما ذكره أبو الفرج بن الجوزي في كتاب تلقيح الفهوم^(٢) هـ. يشير ابن كثير بهذه الاحالة إلى قول الحافظ أبي الفرج بن الجوزي في كتابه القيم.

تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٤ تحت عنوان «أسماء من خلق من الأنبياء مختوناً» حدثنا عن كعب الأحبار أنه قال «هم ثلاثة عشر آدم وشيث وإدريس ونوح وسام^(٣) ولوط ويوف وموسى وشعيب وسليمان وحبيبي وعيسي والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقال محمد بن حبيب الهاشمي هم أربعة عشر آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوف وموسى وسليمان وزكريا وعيسي وحنظلة بن صفوان نبى أصحاب الرس ومحمد صلى الله عليه وسلم» يزيد ابن الجوزي بمحمد بن حبيب الهاشمي العلامة الأئمبارى النسابة أبا جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادى المتوفى سنة ٢٤٥ ولفظ كتابه «المحيبر» ص ١٣١ «من خلق مختوناً فلم يختن ولم يمتحن إلى الختان من الأنبياء صلى الله عليهم آدم شيث. نوح، سام ، هود ، صالح لوط، يوسف، موسى، شعيب، سليمان ، زكريا ، شعيب بن ذى مهدم حنظلة بن صفوان نبى أهل الرس ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

(١) أي دعوى صحته ودعوى تواتره.

(٢) يقتضى هذا أن سام بن نوح نبى قال الزرقانى في الجزء الأول من «شرح المواهب اللدنية» ص ١٢٥ وكذا رواه الزبير وابن سعد عن الكلبى وقال به أبوالليث السمرقندى ومن قوله وال الصحيح أنه ليس بنبى كما قاله البرهان الدمشقى وغيره ولا حجة في أثر الكلبى – الذى عند الزبير وابن سعد – لأنه مقطوع مع أنه مترونوك متهم بالوضع.

تم قال ذكر ابن الكلبي عن أبي محمد المرهبي عن شيخ من ذي الكلاب قال سمعت كعب الأحبار يقول وجدت في بعض كتبنا أن آدم وجد مختونا وكذلك وجد أحد عشرنبياً مختونين وهم شيث وإدريس ونوح وابنه سام ولوط ويوسف وموسى وسلامان وزكرياء وعيسى ومحمد صل الله عليه وعليهم، وقال صاحب المخبر أيضاً «ذكر ابن الكلبي قال حدثني فروة بن سعيد بن عفيف قال سمعت مالك بن مراراة الراهاوى يحدث قال: كان سبب اسلامى أنى سمعت شيخاً من حمير كان يهودياً ثم أسلم وكان قد أمهل له في العمر يقول: ستة من الانبياء وجدوا مختونين هود وصالح وشعيب ونبي أهل حضور ونبي الرس والمضرى خاتم النبيين صل الله عليه وعليهم أجمعين».

وقال الإمام ابن القيم في الفصل الذي عقده لخاتم النبي صل الله عليه وسلم في كتابه «تحفة المودود بأحكام المولد» «أما من قال ولد — أى النبي صل الله عليه وسلم — مختونا فاحتاجوا بأحاديث أحداها مارواه أبو عمر بن عبد البر قال وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام ولد مختونا من حديث عبد الله بن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: ولد رسول الله صل الله عليه وسلم مختونا مسروراً يعني مقطوع السرة فأعجب ذلك جده عبد المطلب وقال: ليكون لابني هذا شأن عظيم، ثم قال ابن عبد البر ليس إسناد حديث العباس هذا بالقائم قال وقد روى موقوفاً على ابن عمر ولا يثبت أيضاً قلت — القائل ابن القيم — حديث ابن عمر روينا من طريق أبي نعيم حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن خالد الخطيب حدثنا محمد بن محمد بن سليمان حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى ابن أبي موسى المقدسي حدثنا خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر قال: ولد النبي صل الله عليه وسلم مختونا ولكن محمد بن سليمان هذا هو الباغندي وقد ضعفوه وقال الدارقطنى كان كثير التدليس يحدث بماله يسمع وربما سرق الحديث. ومنها مارواه الخطيب بإسناده من حديث سفيان بن محمد المصيصي حدثنا هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صل الله عليه وسلم من كرامتي على ربى أنى ولدت مختونا ولم يرسوئي أحد قال الخطيب لم يرمه فيما يقال غير يونس عن هشيم تفرد به سفيان بن محمد المصيصي وهو منكر الحديث قال الخطيب أخبرنى الأزهري قال سئل الدارقطنى عن سفيان بن محمد المصيصي وأخبرنى أبو الطيب الطبرى قال قال لنا الدارقطنى شيخ لأهل المصصية يقال له

سفيان بن محمد الفزارى كان ضعيفاً سيئاً الحال^(١) وقال صالح بن محمد الحافظ: سفيان بن محمد المصيصى لاشيء وقد رواه أبو القاسم بن عساكر من طريق الحسن ابن عرفة حدثنا هشيم عن يونس عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام من كرامتى على ربى عز وجل أنى ولدت مختونا لم ير أحد سوءتى. وفي إسناده إلى الحسن بن عرفة عدة مجاهيل. قال أبو القاسم بن عساكر وقد سرقه ابن الجارود وهو كذاب فرواه عن الحسن بن عرفة. وما احتاج به أرباب هذا القول ما ذكره محمد بن علي الترمذى في معجزات النبي عليه الصلاة والسلام فقال.. ومنها أن صفية بنت عبد المطلب قالت: أردت أن أعرف أذكراً أم أشي فرأيتها مختونة.. وهذا الحديث لا يثبت وليس له إسناد يعرف به وقد قال أبو القاسم عمر بن الحسن ابن هبة الله بن أبي جراده في كتاب صنفه في ختان الرسول عليه الصلاة والسلام يرد به على محمد بن طلحة في تصنيف صنفه وقرر فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً. وهذا محمد بن علي الترمذى الحكيم لم يكن من أهل الحديث ولا علم له به بطريقه وصناعته وإنما كان فيه الكلام على إشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف على الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج في الكلام على ذلك عن قاعدة الفقهاء والصوفية وأخرجوه بذلك عن السيرة المرضية وقالوا إنه دخل في علم الشريعة مفارق به الجماعة فاستوجب بذلك القدح والشناعة وملائكته بالأحاديث الموضوعة وحشاها بالأخبار التي ليست ببروية ولا مسموعة وعلل فيها خفي الأمور الشرعية التي لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وما أوهاها. وما ذكر في كتاب له رسمه بالاحتياط أن يسجد عقب كل صلاة يصلحها سجدة السهو وإن لم يكن سها فيها وهذا مما لا يجوز فعله بالاجاع وفاعله منسوب إلى الغلو والإبداع. وما حكاها عن صفية بقologna فرأيتها مختونة ينافق الأحاديث الأخرى وهو قوله «لم يرسأني أحد» فكل حديث في هذا الباب ينافق الآخر ولا يثبت واحد منهم. ولو ولد مختوناً فليس هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام فإن كثيراً من الناس يولد غير محتاج إلى الختان. قال وذكر أبو الغاثم النسابة الزيدى أن أباه القاضى أبا محمد الحسن بن الحسن الزيدى ولد غير محتاج إلى الختان قال وهذا لقب بالمظهر قال: قال فيما قرأته بخطه: خلق أبو

(١) في جمجم الزوائد للحافظ الميشى ج ٨ ص ٢٢٤ أن سفيان بن الفزارى هو المتهم بهذا الحديث واتهامه به هو ظاهر صنيع الذهبى في ترجمته من «ميزان الاعتدال» فقد قال في ترجمته مانصبه (قال ابن عدى كان يسرق الحديث ويسوى الاسانيد) ثم قال «وله عن هشيم عن يونس عن الحسن عن أنس رفعه من كرامتى أنى ولدت مختونة».

محمد الحسن مطهراً لم يختن وتوفي كما خلق وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن من ولد كذلك لا يختن واستحسن بعضهم أن يمر الموسى على موضع الختان من غير قطع والعمام يسمون هذا الختان ختان القمر يشيرون في ذلك إلى أن النمو في خلقة الإنسان يحصل في زيادة القمر ويحصل التقصان في الخلقة عند نقصانه كما يوجد ذلك في الجزر والمد فينسبون التقصان الذي حصل في الخلقة إلى نقصان القمر. قال وقد ورد في حديث رواه سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن ابن صياد ولد مسروراً مختوناً، وسيف مطعون في حديشه وقيل إن قيسر ملك الروم الذي ورد عليه أمرأ القيس ولد كذلك ودخل عليه أمرأ القيس الحمام فرأه كذلك فقال يهجوه:

إنى حلفت يميناً غير كاذبة لأنك الأغلف إلا ماجنى القمر
يعيره أنه لم يختن وجعل ولادته كذلك نقصاً. وقيل إن هذا البيت أحد الاسباب
الباعنة لقصير على أن سمه امرأ القيس فمات وأشده ابن الأعرابي فيمن ولد بلا
لبعض الاعراب:

فذاك نكس لا يبض حجره غرة العرض حديد منظره
في ليل كانون شديد خصره عض باطراف الزبانا قمره
يقول هو أقلف ليس بمختون إلا ماقلس القمر وшиб قلفته بالزبانا وهي قرنا
العقرب وكانت العرب لا تعتد بصورة الختان من غير ختان وترى الفضيلة في الختان
نفسه وتغتر به. قال وقد بعث الله نبينا عليه الصلاة والسلام من صميم العرب
وخصه بصفات الكمال منخلق والخلق والنسب فكيف يجوز أن يكون ماذكره من
كونه ولد مختوناً مما يميز به النبي عليه الصلاة والسلام وبخصوصه. وقيل إن الختان من
الكلمات التي ابتلى الله بها خليله عليه الصلاة والسلام فأئتها وأكملاها وأشد الناس
بلاء الأنبياء ثم الأمثل.. وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم الختان من
الفطرة. ومن المعلوم أن الابتلاء به مع الصبر عليه مما يضاعف ثواب المبتلى به وأجره
والأليق بحال النبي عليه الصلاة والسلام أن لا يسلب هذه الفضيلة وأن يكرمه الله
بها كما أكرم خليله فإن خصائصه أعظم من خصائص غيره من النبئين وأعلى وختن
الملك اياه كما رويناه أجدر من أن يكون من خصائصه وأولى وهذا كلام ابن
العديم. ويريد بختن الملك ما رواه من طريق الخطيب عن أبي بكرة أن جبريل
ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه.. وهو مع كونه موقوفاً على أبي بكرة
لا يصح إسناده فإن الخطيب قال فيه أنينا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان بن محمد

البجل أئبنا جعفر بن محمد بن نصير حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان حدثنا عبد الرحمن بن عبيدة البصري حدثنا على بن محمد المدائني حدثنا سلمة بن مخارب بن سليم بن زياد عن أبي بكرة. وليس هذا الاستناد مما يحتاج به. وحديث شق الملك قلبه عليه الصلاة والسلام قد روى من وجوه متعددة مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام وليس في شيء منها أن جبريل ختنه إلا في هذا الحديث فهو شاذ غريب. قال ابن العديم وقد جاء في بعض الروايات أن جده عبد المطلب ختنه في اليوم السابع. وقال وهو على ما فيه أشبه بالصواب وأقرب إلى الواقع. ثم ساق من طريق ابن عبد البر حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن أحد قراءة منى عليه أن محمد ابن عيسى حدثه قال حدثنا يحيى بن أيوب بن زياد العلاف حدثنا محمد بن أبي السرى العسقلانى حدثنا الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حزنة عن عطاء الخراسانى عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه مهداً قال يحيى بن أيوب ما وجدنا هذا الحديث عند أحد إلا عند ابن أبي السرى وهو محمد بن المنوكل بن أبي السرى والله أعلم» ١٠١ هـ. كلام ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود وقال في الفصل الذي عقده لختانه صلى الله عليه وسلم من «زاد المعاد في هدى خير العباد» قد اختلف فيه – أى لختانه صلى الله عليه وسلم – على ثلاثة أقوال.

أحدها أنه ولد مختونا مسروراً وروى في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات^(١) وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً وقال الميموني قلت لأبي عبد الله: مسألة سئلت عنها لختان ختن صبياً فلم يستقصن قال إذا كان الختان جاوز نصف الحشة إلى فوق فلا

(١) لم أجده في «الموضوعات» لابن الجوزي وإنما وجدت له في باب ولادة النبي صلى الله عليه وسلم مختوناً من «العلل المتناثرة» في الأحاديث الواهية» ج ١ ص ١٦٥-١٦٦ مانصه «أنا أبو منصور القزار قال نا أبو بكر الخطيب قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسنويه الكاتب قال نا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن سالم قال حدثني أبو بكر محمد بن أحد بن الفرج البغدادي قال نا سفيان بن محمد المصيصي قال نا هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كرامتي أني ولدت مختونا ولم ير أحد سوائي» قال المؤلف تفرد به سفيان قال ابن عدى كان يسرق الأحاديث ويسمى الإسانيد وفي حديثه موضوعات وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به، ثم قال ابن الجوزي «لاشك أنه ولد مختونا غير أن هذا الحديث لا يصح به» ١٠١ هـ كلام ابن الجوزي.

يعيد لأن الحشة تغليظ وكلما غلظت ارتفع الختان فأما إذا كان الختان دون النصف فكنت أرى أن يعيد قلت فإن الاعادة شديدة جدا وقد يخاف عليه من الاعادة فقال لأدرى ثم قال لي فإن ها هنا رجلا ولد له ابن مختون فاغتم لذلك غما شديدا فقلت له إذا كان الله قد كفاك المؤنة فما غمك بهذا انتهى وحدثنى صاحبنا أبو عبد الله محمد بن عثمان الخليلى المحدث ببيت المقدس أنه ولد كذلك وأن أهله لم يختنوه والناس يقولون لهن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم. والقول الثانى أنه ختن صلى الله عليه وسلم يوم شق قلبه الملك عند ظهره حلمية. القول الثالث أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا. وقال أبو عمر بن عبد البر «وفي هذا الباب حديث مسندي غريب حدثنا أحاديث بن محمد بن أسد حدثنا محمد بن عيسى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا محمد بن أبي السرى العسقلانى حدثنا الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطاء الخراسانى عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمدا صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن أيوب طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث من لقيته الا عند ابن أبي السرى وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين صنف أحدهما مصنفا في أنه ولد مختونا وأجلب فيه من الأحاديث التي لا خطام لها ولا زمام وهو كمال الدين بن طلحة فقضى عليه كمال الدين بن العديم وبين فيه أنه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها والله أعلم.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة جعفر بن عبد الواحد الماشمي القاضي من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ج ١ ص ٤١٢-٤١٣ «أخبرنا عمر بن عبد المنعم أنينا أبو القاسم بن الحرسانى قرأنا عليه وأنا في الرابعة انبأ على بن مسلم حدثنا ابن طلاب أنينا ابن جميع الغسانى حدثنا عمر بن موسى بن هارون بالصيحة حدثنا جعفر بن عبد الواحد قال قال لنا صفوان بن هبيرة وعمر بن بكر البرساني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال «ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا» وهذا آفته جعفر وكان الذهبي قد نقل عن الدارقطنى أنه قال في جعفر الذي هو آفة هذا الحديث «يضع الحديث». وعن أبي زرعة أنه قال فيه «روى أحاديث لأصل لها» وعن ابن عدى أنه قال «يسرق الحديث ويأتي بالمناكر عن الثقات وساقا له ابن عدى أحاديث وقال: كلها باطل وبعضها سرقة من قوم وكان عليه مين أن لا يحدث ولا يقول حدثنا وكان يقول قال لنا فلان وعن الخطيب انه قال في جعفر بن

عبد الواحد هذا «عزله المستعين عن القضاء ونفاه إلى البصرة وعن أبي حاتم أنه قال: وصل جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن على حديثاً للقعنبي فزاد فيه «عن أنس فدعا عليه القعنبي فاقض» وعن أبي زرعة أنه قال فيه أخاف أن تكون دعوة الشيخ الصالح أدركته.

وقال الذهبي في الجزء الأول من «تاریخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام» ص ٢٤-٢٣ مانصه «قال الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حزنة عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه مهدا .. وهذا أصبح مما رواه ابن سعد أنا يونس عن عطاء المكي حدثنا الحكم بن أبان العدنى حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً فأعجب ذلك عبد المطلب وحظى عنده وقال ليكون لابني هذا شأن. تابعه سليمان بن سلمة الحبائري عن يونس لكن أدخل فيه بين يونس والحكم عثمان بن ربيعة الصدائى قال شيخنا الدمياطى يروى عن أبي بكرة قال ختن جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طهر قلبه قلت - القائل الذهبي - هذا منكر.

وأما تعلق الملا علي قارى بقول الحاكم في الجزء الثاني من مستدركه ص ٦٠٢ «قد تواترت الأخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً مسروراً «فيرد أنه الذهبي تعقب قول الحاكم ذلك بقوله (قلت ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواتراً) كما عد في ترجمة الحاكم من «ميزان الاعتدال» قول الحاكم في خبر أن المصطفى صلى الله عليه وسلم ولد مسروراً مختوناً «قد تواتر هذا» عده من شقاشه.

هذه نبذة من كلام الحفاظ فيما ورد في باب كون النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً يتضح بها أن ماورد في ذلك الباب من الأحاديث غير صحيح سواء كان النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الأمر ولد مختوناً أم لا ولو لم يكن في الباب إلا قول المروذى سئل أبو عبد الله - أى أحمد بن حنبل - هل ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختوناً قال: الله أعلم ثم قال لأدرى. قال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا قد روى أنه صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً مسروراً ولم يجترئ أبو عبد الله على تصحيح هذا الحديث).

أقول لو لم يكن في الباب إلا هذا التوقف الذي رواه المروذى عن الإمام

أحمد لكان كافيا فكيف وقد انضمت إليه تصريحات كبار الحفاظ بعده بعدم صحته ومنهم الحافظ العراقي الذي نقل الملاعل قاري في ص ٧٧ من «المورد الروى في المولد النبوى» عنه أنه قال بعد استعراضه القول بأنه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وبأنه ختنه جبريل عليه السلام وبأنه ختنه عبد المطلب قال مانصه لا يثبت في هذا كله شيء» ولكن التوفيق بيد الله عز وجل نسأله إياه فإنه هو القادر على ذلك.

وأما حديث مناغاة النبي صلى الله عليه وسلم القمر فعند الخطيب في المؤتلف من طريق محارب بن دثار عن عمرو بن يثربى الضرمى عن العباس بن عبد المطلب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يناغى القمر ويشير إليه بأصبعه فسألته بعد أن أسلمت فقال: كان يلهينى عن البكاء وكنت أسمع وجنته حين يسجد تحت العرش فذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى في ترجمة عمرو بن يثربى من «الاصابة في تميز الصحابة» ج ٣ ص ٢٣ بعد ايراده من هذا الطريق أن سنه واه جداً» قلت - القائل إسماعيل الأنصارى لأن في سنه أحد بن ابراهيم الخلبي به أعلم البيهقى في الجزء الأول من «دلائل النبوة» ٣٩٠ قال «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحد بن شيبان الرملى قال حدثنا أحد بن ابراهيم الخلبي قال حدثنا الهيثم بن جليل حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثربى عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتكم رأيتك في المهد تناغى القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال قال: إنى كنت أحدهه ويهذنى ويهينى عن البكاء وأسمع وجنته حين يسجد تحت العرش» ثم قال البيهقى ص ٣٩١ «تفرد به هذا الخلبي باستناده وهو مجھول»، ومن طريق البيهقى أورده الحافظ ابن كثير^(١) في كلامه على صفة مولد النبي صلى الله عليه وسلم من «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٢٦٦ بسنده ومتنه المذكورين وأقر البيهقى على تجھيل روايه الآأن في طبعة تاريخ ابن كثير تفرد به «اللیشی» بدل «الخلبی» وفي المawahib اللدنیة في «باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما معه» أن هذا الحديث أخرجه البيهقى والصابونى في المائتين والخطيب^(١) وابن عساكر في تاريخهما وابن طغربك في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتكم رأيتك في المهد تناغى القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال قال إنى كنت أحدهه ويهذنى ويهينى عن البكاء وأسمع وجنته حين يسجد تحت العرش ثم قال القسطلانى قال البيهقى تفرد به أحد بن ابراهيم الخلبي

(١) لم أجده في تاريخه الذى عزاه إليه صاحب «المawahib اللدنیة».

وهو مجھول وقال الصابونى هذا حديث غريب الاسناد والمتن وهو في المعجزات حسن ١٠١ هـ، المراد من كلام القسطلاني ولا وجه لتحسين الصابونى ايراد هذا الحديث في المعجزات مadam امر راویه الخلبی كما ذكرنا بل قال ابن ابی حاتم في الجرح والتعديل ج ١ قسم ١ ص ٤٠ في راویه احمد بن ابراهیم الخلبی مانصه «سألت أبی عنه وعرضت عليه حديثه فقال لأعرفه وأحادیثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول يدل حديثه على أنه كذاب) هذا من ناحية السند وأما من ناحية المتн فإن العباس أصغر أعمام النبي صلی الله علیه وسلم فحمزة أكبر منه وهو – أى حمزة – أسن من النبي صلی الله علیه وسلم بستين كما رواه البکائی عن ابن اسحاق فرؤیة العباس لذلك وروایته ایاه غریبان أفاد ذلك الزرقانی في شرح المواهب المدنیة» ج ١ ص

.١٤٧

واما ماجاء عن بريدة رضي الله عنه أنه قال «رأت آمنة وهي حامل برسول الله صلی الله علیه وسلم فقيل لها إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه أحمد أو محمدأ وعلقی عليه هذه فانتبهت وعند رأسها صحیفة مكتوب عليها.
أعیذه بالواحد من شر كل حاسد. الخ
 فعند أبي نعيم في الفصل الحادی عشر من «دلائل النبوة» ج ١ ص ٤٠ طبعة بيروت قال حدثنا عمر بن محمد قال حدثنا ابراهیم بن السندي قال حدثنا النضر بن سلمة ثنا أبو غزیة محمد بن موسی الانصاری عن أبي عثمان سعید بن زید الانصاری عن ابن بريدة عن أبيه قال «رأت آمنة بنت وهب أم النبي صلی الله علیه وسلم في منامها فقيل لها إنك حلت بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه أحمد أو محمدأ وعلقی عليه هذه قال فانتبهت وعند رأسها صحیفة من ذهب مكتوب فيها:
أعیذه بالواحد من شر كل حاسد وكل خلق رائد من قائم وقاعد عن السبيل عائد من نافث او عاقد وكل خلق مارد في طرق الموارد يأخذ بالراصد

أنها هم عنه بالله الأعلى وأحوطه منهم باليد العليا، والكف الذي لا يرى يد الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عاديهم لاتطردوه ولا تصروه في مقعد ولا منام ولا مسیر ولا مقام. أول الليالي وآخر الأيام أربع مرات بهذا.

هكذا رواه الحافظ أبو نعيم وفي سنته عنده النضر بن سلمة وشيخه أبو غزية محمد بن موسى الانصارى وهما تالغان، أما النضر بن سلمة فلقول الدارقطنى في حواشيه على كتاب المجروحين لابن حبان ص ٢٨٤ (إن النضر مشهور بوضع الحديث على الثقات. وأما محمد بن موسى بن مسكن الأنصارى المكتن بأبى غزية فلقول ابن حبان في الجزء الثانى من «المجروحين» ص ٢٨٣) (كان من يسرق الحديث ويحدث به ويروى عن الثقات أشياء موضوعات حتى إذا سمعها المبتدئ في الصناعة سبق إلى قلبه أنه كان المتعمد لذلك) ولقول الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» في نقد الرجال» في ترجمته قال البخارى عنده مناير وقال ابن حبان كان يسرق الحديث ويروى عن الثقات الموضوعات وقال أبو حاتم ضعيف ووثقه الحاكم مات سنة سبع ومائتين. ولقول الحافظ العسقلانى في الجزء الخامس من «لسان الميزان» ص ٣٩٨ بعد ايراده كلام الذهبي هذا في أبى غزية «ذكره — أى محمد بن موسى أبى غزية — العقيلي في الضعفاء وقال ابن عدى روى أشياء أنكرت عليه واتهمه الدارقطنى بالوضع وقد تقدم ذلك في ترجمة على بن أحمد الكعبى المصرى) يشير الحافظ العسقلانى بهذه الاحوال إلى قوله في ترجمة على بن أحمد الكعبى من «لسان الميزان» ج ٤ ص ١٩٢ «روى عن أبى غزية عن عبد الوهاب بن موسى عن مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبىيه عن عائشة رضى الله عنها حديثين: أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حج من بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحياناها فآمنت به فردها إلى حفرتها. والثانى بهذا الاسناد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينقل الحجارة للبيت عريانا فجاءه جبريل و咪كائيل فوزراه وطفقا يحملان الحجارة عن شفة من الله عليه» قال الدارقطنى والاسناد والمتنازع باطلان ولا يصح لأبى الزناد عن هشام عن أبىيه عن عائشة شيء وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبى غزية والتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه وبعد الوهاب بن موسى ليس به بأس» وبهذا الذى ذكرناه في سند هذا الحديث تبين قول الشامى في سيرته ج ١ ص ٣٩٥ «سنه واه جداً وإنما ذكرته لأنبه عليه لشهرته في كتب الموالد».

هذا الجواب عن هذا الحديث من ناحية السند وأما الجواب عنه من ناحية المتن فيما أفاده الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامى في «سبل المدى والرشاد في سيرة خير العباد» ج ١ ص ٣٩٥ وهو أن الحافظ أبا الفضل العراقي قال في مولده «إن من قوله «وعلقى عليه هذه» إلى آخره أدرجه بعض القصاص». .

وأما ذكر بعض أهل السير هذه الأبيات من حديث ابن عباس فالجواب عنه

بما نقله القسطلاني في الجزء الأول من المواهب اللدنية ص ١٠٧ بعد إيراده الخبر المذكور عن الحافظ العراقي وهو أنه قال في الأبيات المذكورة في هذا الخبر «أعینه بالواحد: من شر كل حاسد» مانصه هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها ١٥٠ هـ.

وأما حديث سلمان رضي الله عنه أنه قال «هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن ربك يقول إن كنت اخندت ابراهيم خليلًا فقد اخندتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلك عندى ولو لاك ما خلقت الدنيا» فرواية ابن عساكر له اوردها السيوطي في الجزء الثالث من «الخصائص الكبرى» ص ١٥١ - ١٥٢ بلفظ «قيل للنبي صلى الله عليه وسلم كلام الله موسى تكليماً وخلق عيسى من روح القدس واتخذ ابراهيم خليلًا واصطفى آدم فما أعطيت من الفضل؟ فهبط جبريل فقال: إن ربك يقول «إن كنت اخندت ابراهيم خليلًا فقد اخندتك حبيباً وإن كنت كلمت موسى في الأرض تكليماً فقد كلمتك في السماء وإن كنت خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقت اسمك من قبل أن أخلق الخلق بألفي سنة ولقد وثت في السماء موطنًا لم يطأ أحد بعدك وإن كنت اصطفيت آدم فقد ختمت بك الأنبياء وما خلقت خلقاً أكرم على منك وقد أعطيتكم الحوض والشفاعة والنافقة والقضيب والتاج والهراوة والحج والعمرة وشهر رمضان والشفاعة كلها لك حتى ظل عرشي في القيامة عليك مددود وتاج الحمد على رأسك معقود وقرنت اسمك مع اسمى فلا ذكر في موضع حتى تذكر معى ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلك عندى ولو لاك ما خلقت الدنيا» بهذا اللفظ أوردها السيوطي وزاعها إلى ابن عساكر وأوردها تلميذه الشامي في «سبل المدى والرشاد في سيرة خير العباد» ج ١ ص ٩٤ باللفظ الذي ذكرناه أولاً ثم قال «رواه - أى حديث سلمان بتلك الرواية ابن عساكر وسنده واه جداً» ١٥١ هـ.

وقد رواه أبو الفرج بن الجوزي في الجزء الأول من «الموضوعات» ص ٢٨٩ - ٢٨٨ بسنده واه جداً فإنه رواه من طريق محمد بن عيسى بن حبان المدائني المعروف بأبي السكين قال حدثنا محمد بن الصباح قال أنبانا على بن الحسن الكوفي عن ابراهيم بن اليسع عن أبي العباس الضرير عن الخليل بن مطرة عن يحيى البصري عن زادان عن سلمان قال «حضرت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فإذا بأعرابي جاف راجل بدوى وقد وقف علينا فسلم فرددنا عليه السلام فقال يا قوم ايكم محمد رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا محمد رسول الله. فقال

الأعرابى لقد أيقنت بك قبل أن أراك وأحببتك من قبل أن لفتك وصدقتك بك قبل أن أرى وجهك ولكنني أريد أن أسألك عن خصال قال سل عما بدارك فقال فداك أبى وأمى أليس الله عز وجل كلام موسى قال بلى قال وخلق عيسى من روح القدس قال بلى قال واتخذ ابراهيم خليلًا واصطفى آدم قال بلى قال: بأبى انت وأمى أى شيء أعطيت من الفضل فأطرق النبي صل الله عليه وسلم فهبط عليه جبريل فقال: الله يقرئك السلام وهو يسألك عما هو أعلم به منك فيقول يا حبيبي لم أطرق ارفع رأسك ورد على الأعرابى جوابه. قال أقول ماذا يا جبريل قال: الله يقول إن كنت اتخذت ابراهيم خليلًا فقد اتخذتكم من قبل حبيبا وإن الكلمة موسى في الأرض فقد كلمتكم وأنت معى في السماء والسماء أفضل من الأرض وإن كنت خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقت اسمك قبل أن أخلق الخلق بألفي سنة ولقد وطشت في السماء موطنها لم يطأ أحد قبلك ولا يطأه أحد بعده وإن كنت قد اصطفيت آدم فقد ختمت بك الأنبياء ولقد خلقت مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي مانخلقت خلقاً أكرم على منك ومن يكون أكرم على منك ولقد أعطيتك الخوض والشفاعة والناقة والقضيب والميزان والوجه الأقمر والجمل الأخر والتاج والهراوة والحج والعمرة والقرآن وشهر رمضان والشفاعة كلها لك حتى ظل عرشى في القيمة على رأسك ممدود وتاج الملك على رأسك معقود ولقد قرنت اسمك مع اسمى فلا ذكر في موضع حتى تذكر معى ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك على ومنزلتك عندي ولو لاك يا محمد مانخلقت الدنيا» هكذا رواه ابن الجوزى وقال فيه ص ٢٨٩—٢٩٠ «هذا حديث موضوع لاشك فيه وفي إسناده مجھولون وضعفاء والضعفاء أبو السكين وابراهيم بن اليسع قال الدارقطنى أبو السكين ضعيف وابراهيم وبحيى البصري متروكًا قال احمد بن حنبل حرقنا حديث يحيى البصري وقال الفلاس كان كذلك يحدث أحاديث موضوعة وقال الدارقطنى متروك» ١٥٠ هـ.

وأما ماجاء في خبر وفاة النبي صل الله عليه وسلم أن جبريل قال له (هذا آخر موطنى من الأرض) فقد ذكر السيوطى في «الخصائص الكبرى» له روايات أغلب بعضها بالاعضال وبعضها بالإرسال وذكر أن العدنى روى بعضها في مسنده متصلًا قال حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب» لذلك نذكر كلام السيوطى المتضمن لذلك ثم نجيب عن السنن الذى زعم أنه موصول فنقول وبالله التوفيق.

قال السيوطى في الخصائص الكبرى ج ٣ ص ٣٨٤—٣٨٥ (آخر ابن سعد

والبيهقي عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه قال «لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث هبط إليه جبريل فقال يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا وخاصة يسألوك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجده قال: أجدنا يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مغموما فلما كان اليوم الثالث هبط إليه جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض قط يقال له اسماعيل على سبعين ألف ملك كل ملك منهم على سبعين ألف ملك فسبقهم جبريل فقال يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة يسألوك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجده قال: أجدنا يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مغموما ثم استأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعده فقال إذن له فدخل فوق فوف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني إن امرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها قال وتفعل ذلك ياملك الموت قال نعم بذلك أمرت فقال جبريل إن الله قد اشتق إلى لقائك قال ياملك الموت امض لما أمرت به فقال جبريل: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطن الأرض فتوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته إن في الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبأله فشقوا واياه فارجوه فإن المصاب من حرم التواب هذا اسناد معضل وقد أخرجه ابن سعد والشافعى في سننه والطبرانى من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين به وهو مرسل أيضاً هذا ما أعمله السيوطى من تلك الروايات بالاعصال والارسال.

وأما رواية محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبي طالب^(١) عند العدنى في مسنده التي جزم السيوطى بعد اعلاله ماسوها من الروايات بالاعصال والارسال بأنها موصولة^(٢) فمدارها على

(١) لما ورد في خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل قال له «هذا آخر موطن من الأرض».

(٢) لفظ السيوطى (واخرجه العدنى في مسنده حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبي طالب به موصولا).

محمد بن جعفر وهو متكلم فيه كما بينه الخطيب والذهبي.

فقد قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١٤-١١٥ (أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال أبا نانا الحسن بن محمد بن يحيى قال نا جدي قال قال أبو موسى العباسى كان جدي لما وله المأمون اليمن خلف عياله وقلبه بكرة فخرج بها محمد بن جعفر في سنة تسع وتسعين ومائة فضرب على ما كان جدي من مال قليل وكثير فقدم جدي إسحاق بن موسى من اليمن وقد وله المأمون الموسم والصلوة بأهله فوجد محمد بن جعفر قد حال بين أمواله وعياله فبعث إليه، إن حاربتنى لقيت مني ماتكره فدخل بينهم ابن أبي مسرا جد هذا الذي كان بكرة المخزومي القاضى حتى ضمن له جدي أن لا يحاربه إلا أن يأتيه مدد من المأمون فينفيه من مكة فلجاً جدي إلى ذات عرق ولم يبق من أثائه ولا من ثقله قليل ولا كثير الا أخذه محمد بن جعفر فبينما جدي بذات عرق إذ أثاره عيسى الجلودى بن معه فانحدر إلى مكة محارباً لمحمد ابن جعفر فوجد الكعبة قد عريت وكسوها أثواب حبر وجودوه قد كتب على أبواب المسجد « جاء الحق وزهد الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فأسرع الجندي ليمحوه فقال لاتمحوه واكتبوا « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكن الويل ما تصفون » ثم أخذ محمد بن جعفر فقال قد كنت حدثت الناس بروايات لتفسد عليهم دينهم فقام فأكذب نفسك وأصعده المنبر وألبسه دراعة سوداء فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « يا أيها الناس إنني قد حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب والسماع الذي كانوا سمعوا منه ثم نزل على المنبر فأحسن جدي رفده وأطلقه إلى المدينة فخرج من المدينة إلى المأمون بخراسان » وقال الحافظ الذهبي في ترجمته - أى محمد بن جعفر راوي ذلك الحديث - من « ميزان الاعتلال في نقد الرجال » ج ٣ ص ٥٠٠ محمد بن جعفر بن محمد بن علي الهاشمى الحسينى عن أبيه تكلم فيه حدث عنه ابراهيم بن السندر ومحمد بن يحيى العدنى دعا إلى نفسه في أول دولة المأمون وبويع بكرة سنة مائتين فجع حينئذ المعتصم وهو أمير وظفر به واعتقله ببغداد فبقى بها قليلاً وكان بطلاً شجاعاً يصوم يوماً ويغطر يوماً مات سنة ثلاثة ومائتين وقد نيف على السبعين وقبره بجرجان ذكره ابن عدى في الكامل وقال البخارى أنّه إسحاق أوثق منه قلت: القائل الذهبي - فمن الباطل الذي ألقى محمد هذا عن أبيه جعفر الصادق أنه قال تملك سليمان الدنيا سبعمائة عام وستة أشهر وذكر قصة منكرة أخرجها الحاكم في مستدركه فشان الكتاب بها وبأمثالها».

وعلى كلام الخطيب والذهبي اعتمد الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «الزهر النضر في نبأ الخضر»^(١) والاصابة في اعلال رواية ابن أبي عمر العدنى لحديث وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الذى ورد في آخره أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا أبا عبد الله السلام هذا آخر وطئ الأرض إنما كنت أنت حاجتى من الدنيا قال الحافظ في الكتابين المذكورين في ذلك الحديث (أخبرنى به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله قال أخبرنى أبو محمد بن القيم أخبرنا الحسن بن ^(٢) البخارى عن محمد بن معمر أخبرنا سعيد بن أبي الرجاء أخبرنا أحمدر بن التعمان أخبرنا أبو بكر بن المقرئ أخبرنا إسحاق بن أحمدر التزاعي حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدنى حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال كان أبي هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب أنه دخل عليهم نفر من قريش فقال لا أحد لكم عن أبي القاسم قالوا بل فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي آخره «فقال جبريل يا أبا عبد الله السلام هذا آخر وطئ الأرض إنما كنت أنت حاجتى من الدنيا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاءت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فالله فشقوا واياه فارجوه فإن المحروم من حرم الثواب وإن المصاب من حرم الشفاعة والسلام عليكم فقال علي هل تدركون من هذا. هذا «الخضر» ومحمد بن جعفر هذا هو أخوه موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه إبراهيم بن المنذر وغيره وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة وحج بالناس سنة مائتين وبايعه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمله إلى أخيه المأمون بخراسان فمات بجرحان سنة ثلاثة ومائتين وذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال أيها الناس إنني قد كنت حدثكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب التي سمعوها منه وعاش سبعين سنة قال البخارى أخوه إسحاق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديثا قال الذهبي إنه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود عليهما السلام ^{٥٠٠}، كلام الحافظ ابن حجر في كتابه المذكورين والحديث الذى ذكر أن الحاكم أخرجه لمحمد ابن جعفر في ذكر سليمان بن داود وقال فيه الذهبي إنه ظاهر النكارة وأقر ابن حجر الذهبي على ذلك هو ما ورثه الحاكم في الجزء الثاني من «المستدرك» ص ٥٨٨ قال أخبرنا أبو سعيد الأحسى ثنا الحسين بن حميد ثنا الحسين بن علي السلمي حدثني محمد بن حسان عن محمد

(١) هو ضمن مجموعة الرسائل المنيرية وهذا الحديث فيه ص ٢١٦-٢١٧ وفي الاصابة ج ١ ص ٤٤٠.

(٢) كذلك في الاصابة وفي الزهر النضر «أبو الحسن».

بن جعفر بن محمد عن أبيه قال «أعطى سليمان بن داود ملك مشارق الأرض وغاربها فملك سليمان ابن داود سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطيور والسباع وأعطى علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي ماسمع بها الناس وسخرت له فلم يزل مدبرا بأمر الله ونوره وحكمته حتى إذا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن استودع علم الله وحكمته أخاه وولد داود و كانوا أربعمائة وثمانين رجلا بلال رسالة» هكذا رواه الحاكم وتعقب الحافظ الذهبي ايراده إيه في «المستدرك» بقوله (قلت هذا باطل) ١٠٤ هـ.

وبعد كتابة ما كتبنا عن هذا الحديث وجدنا في كتاب معرفة علماء أهل
الرجان لأبي القاسم حزرة بن يوسف السهمي ص ٣١٩-٣٢١ عدة طرق لرواية محمد
ابن جعفر المذكور لهذا الحديث فاحبينا إيرادها.

قال «حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ إملاء في سنة اربع وستين
وثلاثمائة حدثنا أحمد بن حفص السعدي سنة إحدى وتسعين ومائتين حدثنا محمد بن
أبي عمر العدنى المكي وعبد الوهاب بن على الجرجانى قالا حدثنا محمد بن جعفر بن
محمد قال: كان أبي يذكره عن أبيه عن جده عن على قال: دخل علي على نفر من
قريش قال فقال: ألا أحدكم عن أبي القاسم صلى الله عليه وسلم قال قالوا بلى
قال لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث هبط إليه جبريل وقال
يا أَحْمَدُ إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِكْرَامًا لَّكَ وَتَفْضِيلًا لَّكَ وَخَاصَّةً لَّكَ يَسْأَلُكَ عَمَا هُوَ أَعْلَمُ
بِهِ مِنْكَ فَيَقُولُ كَيْفَ تَجْدِيكَ قَالَ أَجَدْنِي ياجبريل معموماً قَالَ ثُمَّ جَاءَ الْيَوْمَ الثَّانِي
فَقَالَ يَا أَحْمَدُ إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِكْرَامًا لَّكَ وَتَفْضِيلًا لَّكَ وَخَاصَّةً لَّكَ يَسْأَلُكَ عَمَا هُوَ
أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ يَقُولُ لَكَ كَيْفَ تَجْدِيكَ قَالَ أَجَدْنِي ياجبريل مكروباً قَالَ ثُمَّ جَاءَ
الْيَوْمَ الثَّالِثَ فَقَالَ يَا أَحْمَدُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَنِي إِكْرَامًا لَّكَ وَتَفْضِيلًا لَّكَ وَخَاصَّةً لَّكَ
يَسْأَلُكَ عَمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ يَقُولُ كَيْفَ تَجْدِيكَ قَالَ أَجَدْنِي معموماً وأَجَدْنِي ياجبريل
مكروباً قَالَ وَهَبْطَ مَعَ جَبَرِيلَ مَلِكَ فِي الْهَوَاءِ يَقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَى تَسْعِينَ أَلْفِ مَلِكٍ
قَالَ فَقَالَ جَبَرِيلُ يَا أَحْمَدُ هَذَا مَلِكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ مَا سَتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ قَبْلِكَ
وَلَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ بَعْدَكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ائْذِنْ لَهُ قَالَ فَدَخَلَ
قَالَ فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ يَا أَحْمَدُ إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَأَمْرَنِي أَنْ أَطْبِعَكَ إِنْ أَمْرَتَنِي بِقَبْضِ

نفسك قبضتها وإن كرحت تركتها قال فقال جبريل إن الله قد اشتق إلى لقائك
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ياملك الموت أمض لما أمرت به قال فقال
 جبريل عليه السلام يا أَحْمَدَ عَلَيْكَ السَّلَامُ هَذَا آخِرُ وَطَئِيْ الْأَرْضِ إِنَّمَا كَنْتَ أَنْتَ
 حَاجَتِي مِنَ الدُّنْيَا فَلَمَّا قَبَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَتِ التَّعْزِيَةَ يَسْمَعُونَ
 حَسَّهُ وَلَا يَرَوْنَ شَخْصَهُ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ إِنَّ فِي اللهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ
 وَخَلْفًا مِنْ كُلِّ هَالَكَ وَدَرِكًا مِنْ كُلِّ فَائِتَ وَاتَّقُوا اللهَ وَإِيَاهُ فَارْجُوا فِيْنَ الْمَحْرُومَ مِنْ
 حَرْمَ الشَّوَّابِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ قَالَ فَقَالَ عَلَى أَنْدَرِهِنَّ مِنْ هَذَا قَالُوا لَا قَالَ:
 هَذَا الْخَضْرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَرْنَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ سَهْلَ الْجَرْجَانِيَّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
 إِبْرَاهِيمَ الرَّفَاءَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ادْرِيسَ الرَّازِيَّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ بَرْدَ الْأَنْطاَكِيِّ
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ
 أَبِيهِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسِينِ عَنْ أَبِيهِ الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِيهِ طَالِبٍ قَالَ: دَخَلَ
 عَلَيْهِ نَفْرٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ أَخْبَرْنَا أَبُوبَكْرَ أَحْمَدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ
 أَبْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَاجِيَةَ حَدَّثَنَا أَبْنُ النَّطَاطِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ
 أَبِيهِ مُحَمَّدٍ عَنْ جَدِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسِينِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِيهِ طَالِبٍ قَالَ: هَبَطَ جَبَرِيلُ عَلَى
 أَبِيهِ الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفَاتَهُ بِثَلَاثَةِ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَقُولُ:
 كَيْفَ تَجْدُكَ قَالَ أَجْدَنِي يَاجَبَرِيلَ مَغْفُومًا مَكْرُوبًا فَأَتَاهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ يَقُولُ لَهُ مَثْلُ ذَلِكَ
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْثَالِثُ أَتَاهُ فَقَالَ: هَذَا مَلْكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ قَالَ: وَمَا سَأْذِنُ
 عَلَى آدَمِيْ قَبْلَكَ وَلَا يَسْأَذِنُ عَلَى آدَمِيْ بَعْدَكَ وَقَالَ مَلْكُ الْمَوْتِ إِنَّ اللهَ أَمْرَنِي أَنْ أَطْبِعَكَ
 إِنْ أَمْرَتَ قَبْضَتَ رُوحَكَ وَإِنْ أَمْرَنِي تَرَكْتَهَا فَقَالَ أَمْضِ لَا أَمْرَتَ بِهِ فَقَالَ جَبَرِيلُ
 يَا مُحَمَّدُ هَذَا آخِرُ وَطَئِيْ الْأَرْضِ وَأَنْتَ آخِرُ حَاجَتِي مِنَ الدُّنْيَا قَالَ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثًا
 طَوِيلًا. هَكَذَا كَانَ فِي كِتَابِ أَبِي بَكْرِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ اِنْتَهِيَّ. مَا فِي مَعْرِفَةِ عُلَمَاءِ جَرْجَانِ
 لِلْسَّهْمِيِّ مِنْ طَرْقِ رَوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ لَخْبَرُ وَفَاتَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
 وَرَدَ فِيهِ قَوْلُ جَبَرِيلَ (هَذَا آخِرُ مَوْطَئِي مِنَ الْأَرْضِ).

يضاف إلى ذلك كله جزم السيوطي في «الاعلام بحكم عيسى عليه السلام» وهو من «محتويات «الحاوى للفتاوى»» ج ٢ ص ١٦٥ ببطلان ماشتهر على السنة الناس أن جبريل لاينزل إلى الأرض بعد موته النبي صلى الله عليه وسلم قال (وهذا شيء لا أصل له ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني في الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت قلت يا رسول الله هل يرقد الجنب قال ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ فإني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل ، فهذا الحديث يدل على أن جبريل ينزل إلى

الأرض ويحضر موتة كل مؤمن حضره الموت وهو على طهارة قال ثم وقفت على حديث آخر فيه نزول جبريل إلى الأرض وهو ما أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن والطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الدجال قال «فيمر بجنة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا ميكائيل بشئ الله لأمنعه من حرمه وير بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا جبريل بعثني الله لأمنعه من حرمه، ثم رأيت في قوله تعالى «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم» الآية عن الضحاك أن الروح هنا جبريل وأنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين وذلك في كل سنة» ٢٠١ هـ كلام السيوطي وفي ختام الكلام على هذا الحديث نستحسن ايراد كلام للحافظ ابن كثير في أحاديث وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم ذكره في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٤ نصه :

«قد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة – أى وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم – أخباراً كثيرة فيها نكارة وغرابة شديدة أضرّ بها ذكرها صفحًا لضعف أسانيدها ونكارة متونها ولا سيما ما يورده كثير من القصاصات المتأخرة وغيرهم فكثير منه موضوع لامالء وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يعرف سنته».

وفي ختام كلامنا على ماق قصص المولد من التساهل في الأحاديث نورد مما في مولد الديبع أمررين يدلان غاية الدلالة على مجاوزة مؤلف ذلك المولد الحد في ذكر الموضوعات أحدهما قوله في فاتحة تلك القصة ص ٢١-٢١ «فسبحانه تعالى من ملك أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين الازب وعرض فخره على الأشياء وقال هذا سيد الأنبياء وأجل الأصفياء وأكرم الحبائب اللهم صل وسلم وبارك عليه.

قيل هو آدم؟ قال: آدم به أ neckline أعلى المراتب: قيل : هو نوح؟ قال: نوح به ينجو من الغرق ويهلك من خالفه من الأهل والأقارب قيل: هو إبراهيم؟ قال: إبراهيم به تقوم حجته على عباد الأصنام والكواكب. قيل هو موسى؟ قال: موسى أخوه ولكن هذا حبيب وموسى كليم ومحاطب قيل هو عيسى؟ قال: عيسى يبشر به وهو بين يدي نبوته كال حاجب قيل: فمن هذا الحبيب الكريم الذي ألبسته حلة الواقار، وتوجهت بتيجان المهابة والافتخار. ونشرت على رأسه العصائب؟ قال: هونبي استخرته من لؤى بن غالب يوم أبوه وأمه ثم يكفله جده ثم عمّه الشقيق أبو طالب اللهم

صل وسلم وبارك عليه.

يبعث من تهامة. بين يدي القيامة. في ظهره علامه تظله الغمامه تعطيه السحائب . فجري الجبين، ليلي الذواب، ألفي الأنف، ميمى الفم، نونى الحاجب، سمعه يسمع صرير القلم، بصره إلى السبع الطباقي ثاقب، قدماه قبلهما البعير. فأزالا ما شتكاه من المحن والنوايب. آمن به الضب . وسلمت عليه الأشجار، وخاطبته الأحجار، وحن إليه الجذع حنين حزين نادب يداه تظهر ركتهما في المطاعم والمشارب قلبه لا يغفل ولا ينام ، ولكن للخدمة على الدوام مراقب إن أوذى يعف ولا يعاقب ، وإن خوصم يصمت ولا يجاوب ، أرفعه إلى أشرف المراتب ، في ركبة لا تنبغي قبله ولا بعده لراكب في موكب من الملائكة ، يفوق على سائر المراكب. فإذا ارتقى على الكوينين وانفصل عن العالمين ووصل إلى قاب قوسين ، كتت له أنا النديم والمخاطب اللهم صل وسلم وبارك عليه.

ثم أرده من العرش قبل أن يبرد الفرش وقد نال جميع المأرب فإذا شرفت تربة طيبة منه بأشرف قالب ، سعت إليه أرواح المحبين على الأقدام والنجائب»، فإن ما في هذه الفاتحة من أن الله تعالى أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازم لأصل له وكذلك ما فيها من أسئلة وأجوبة بين من زعم صاحب تلك القصة أن الله عرض فخر نبيه عليه وبين الله سبحانه وتعالى لا يوجد في أي مرجع معتبر وقد أجاد السيد رشيد رضا حيث قال في جوابه عن سؤال وجه إليه من أحد أهالي جوهر نصه أنكر أحد طلبة العلم وهو رجل غريب قراءة قصة المولد النبوى للديبى ولعله غير المحدث بدعاوى أن فيها كذبا وخرافات والقصة المذكورة مما يداوم على قراءتها للعوام عدد وافر من الذين تعتقدن فيهم الولاية يقولون للعوام إن روحانية المصطفى صلى الله عليه وسلم تخضره من أوله إلى آخره وتخضر في غيره عند القيام فقط فترى هجيري أهل هذه البلاد قصة المولد المذكورة فهى قد مرت على سمع الجم الغفير من العلماء ولم ينكرها غير الرجل المذكور فهل هو مصيبة أم لا أفيدوا الله يعيكم للأمة قال في جوابه عن ذلك السؤال في الجزء الثاني من فتاوىيه ص ٤٦٤ مانصه الصواب ما قال ذلك الطالب الغريب ولعله من الغرباء الذين ذكرروا في حديث مسلم «بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء» وقد قرأت طائفه من هذه القصة فإذا بصاحبها يقول في فاتحتها «فسبحانه وتعالى من ملك أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازم وعرض فخره على الأشياء وقال: هذا سيد الأنبياء وأجل الأصفباء وأكرم الحبائب

قيل هو آدم؟ قال: آدم أئلهم به أعلى المراتب» ثم ذكر ابراهيم وموسى وعيسى بمثل هذه الاسجاع الركيكة. فهذا كذب صريح على الله تعالى لم يروه المحدثون ١٠٠ هـ. وقد جاء في آخر جواب على آخر سؤال من الاسئلة التي اشرنا إليها آنفًا اشارة إلى أحاديث بعضها غير ثابت وبعضها ثابت الا أن العبارات التي وردت فيها تلك الاشارات جعلتها صاحب تلك القصة من جواب الله تعالى عن سؤال الذي زعم أنه يسأله فلذلك لم ينجح الشيخ محمد بن علوى فيما اعتبره تخريجاً لتلك الأحاديث لأن الوضع يجعل التخريج مستحلاً.

الثاني من الامرين تسمية صاحب تلك القصة خبراً اسرائيلياً أورده عن كعب الاخبار حديثاً نبوياً فانه قال «أول مانستفتح بایراد حديثين ورداً عن نبی کان قدره عظيماً ونسبه کرمًا وصراطه مستقيماً قال في حقه من لم يزل سميوا عليهما، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً» ثم قال بعد ذكره ما اعتبره الحديث الأول قال «الحديث الثاني عن عطاء ابن يسار عن كعب الاخبار قال علمتني أبي التوراة إلا سفراً واحداً كان يختنه ويدخله الصندوق فلما مات أبي فتحته فإذا فيه: نبی يخرج آخر الزمان، مولده بمکة، وهجرته بالمدینة وسلطانه بالشام يقص شعره، ويترز على وسطه، يكون خير الأنبياء، وأمته خير الأمم، يکبرون الله تعالى على كل شرف يصفون في الصلاة كصفوفهم في القتال قلوبهم مصافحهم، يحمدون الله تعالى على كل شدة ورخاء، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يأتون بذنبوهم وخطاياهم فيغفر لهم، وثلث يأتون بذنب وخطايا عظام فيقول الله تعالى للملائكة اذهبوا فزنوهم فيقولون ياربنا وجدناهم أسرفوا على أنفسهم وجدنا أعمالهم من الذنب كأمثال الجبال غير أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلی الله عليه وسلم فيقول الحق وعزتي وجلالي لاجعلت من أخلص لى بالشهادة كمن كذب بي أدخلوهم الجنة برحمتى) ومن الواضح أن هذا الخبر الذى استخرجه كعب الاخبار من صندوق أبيه لم يدع أنه عن نبينا محمد صل الله عليه وسلم وإنما زعم أنه في التوراة فلا وجہ لدعوى صاحب تلك القصة أنه حديث عن نبينا صلی الله عليه وسلم وقد انتبه لذلك السيد رشید رضا في جوابه عن سؤال وجه إليه عن تلك القصة — فذكر أن ذلك الخبر أثر عن كعب الاخبار سماه مؤلف القصة حديثاً لجهله ذكر ذلك في الجزء الثاني من فتاويه ص ٤٦٥ من ضمن ما انتقده في تلك القصة.

ولاغرابة فيما وقع في هذه القصة إن كان صاحبها الديبع كما في الطبعة الأولى فإنه مجهول وإن كان صاحبها هو عبد الرحمن بن الديبع الشيباني صاحب تيسير الوصول كما يدعى محمد بن علوى فهو وإن كان ذا صلة بالحديث معروف بالتساهل في بعض ما يورده في مؤلفاته من الأحاديث.

فقد قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضعية» ص ٤٣٦ مانصه (قد توسيع المؤرخون في ذكر الأحاديث الباطلة في فضائل البلدان ولاسيما بلدانهم فإنهم يتساهلون في ذلك غاية التساهل ويدركون الموضوع ولاينبهون عليه كما فعل ابن الديبع في تاريخه الذي سماه «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» وتاريخه الآخر الذي سماه بغية المستفید بأخبار مدينة زبيد مع كونه من أهل الحديث ومن لا يخفى عليه بطلان ذلك فليحذر المتدين من اعتقاد شيء منها أو روايته فإن الكذب في هذا قد كثر وجاءز الحد وسيبه ماجبت عليه القلوب من حب الأوطان والشغف بالمنشا».

وقال الصناعي في «توضيح الأفكار» ج ١ ص ٨٣-٨٤ في بيان اساعته التصرف في نفس تيسير الوصول العجب من الشيخ محمد بن سليمان أنه ينسب التخريج لرزين في كتابه الذي سماه جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد فإنه قال في خطبته إنه نقل ما يبىض له ابن الأثير من روایات رزین التي لم ينسبيها إلى كتاب فنسبها الشيخ لرزين كما ينسب روایات البخارى وغيره فيقول مثلاً بعد سياق المتن للبخارى ويقول بعد سياق المتن لرزين فيوهم في نسبته إليه على حد نسبته إلى البخارى مثلاً أنه أخرجه رزين وابن الأثير بيض له ولم ينسبه لرزين لأنه لم يخرجه الحال أن رزينا ليس من المخرجين للأحاديث على ما ذكره في خطبته وأن أحاديث رزين بيض لها ابن الأثير فكان عليه أن يبىض لها كابن الأثير أو يتبع مواضع ما يخرج منها فيخرجه ف يأتي بفائدة يعتد بها وذكرت هذا لأنه يستبعد أن لا يطلع على رزين وقد كان في مكة وجعل من الكتب ما شتهر عند أهل عصره أنه لم يجتمع عند أحد من أهل عصره مثله ثم إن ابن الديبع اختصر من جامع الأصول كتابه المسماى «تيسير الوصول» فصنع صنع الشيخ محمد بن سليمان في نسبة ما يبىض له ابن الأثير إلى تخريج رزين فيقول أخرجه رزين وهو خلل كبير وكان الأولى أن يبىض له كما يبىض له ابن الأثير وقد نبهت على هذا في «التحبير شرح التيسير في محلات كثيرة والحمد لله» ١٠٠ هـ كلام الصناعي.

وفيه مع ماقبله تساهل صاحب تيسير الوصول لكن لا أظن أن التساهل يصل به إلى التلقيقات المحتوية عليها تلك القصة والتوفيق بيد الله عز وجل.

ولاحتواء القصص التي تسمى الموالد على أحاديث غير صحيحة بين ابن الحاج في الجزء الثاني من المدخل ص ١٤-١٥ في كلامه على المولد بين أن علماء المالكية يمنعون الجلوس إلى القصاص ثم قال بعد ذلك سبب المنع أنهم ينقلون القصة على مانقل فيها من الأقوال والحكايات الضعيفة التي لا يصح أن تنسب إلى منصب من نسبت إليه كما ذكر من مفاسد اجتماع النساء في زمانه في المولد أنهن لا يجتمعن للمولد الا بحضور شيخة على عرفهن قد تكون وهو الغالب من تدخل نفسها في التفسير لكتاب الله عز وجل فتفسر وتحكى قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتزيد وتنقص وربما وقعت في الكفر الصريح وهي لا تشعر بنفسها وليس ثم من يردها ويرشدها قال وقد بلغنى أنه وقع ذلك منها في بيت شيخ من الشيوخ المعتبرين في الوقت ولا غير عليها أحد بل أكرمواها وأعطوها. ومر ابن الحاج إلى أن قال «وكثير من الرجال من يطالع الكتب ويعرف الصحيح من السقيم قل أن يسلم من هذه المخاصمة فكيف بالمرأة التي هي معوجة أصلاً وفرعاً ثم إنها مع اعوجاجها قليلة المطالعة وإن طالعت فالغالب أنه يستوى عندها الصحيح والسقيم. والغالب في القصص والحكايات الضعف والكذب فتقله إن كانت ثقة على مارأته فيقع الخطأ فكيف بها إذا حرفه فزادت أو نقصت فيه فتضل وتضل فيدخلن النسوة في الغالب وهن مؤمنات فيخرجن وهن مفتتات في الاعتقاد أو فروع الدين نسأل الله السلام عنه» ١٠١ هـ المراد من كلام ابن الحاج في القصاص.

يضاف إلى ذلك مانقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في الجزء الأول من «لسان الميزان» ص ١٣ عن ابن قتيبة ونصه (قال ابن قتيبة في اختلاف الحديث (الحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة منها الزنادقة واحتياطهم للإسلام وتهجئنه بدس الأحاديث المستبشعه والمستحيلة. والقصاص فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم ويستدركون ما عندهم بالمناكير والغرائب والاكاذيب^(١) من الأحاديث ومن شأن العوام ملازمة القاص مadam يأتي بالعجبائب الخارجة عن نظر العقول.

(١) لفظة والاكاذيب ساقطة من «لسان الميزان» فأخذناها من اختلاف الحديث.

الثاني من الأضرار التي تقع في قصص المولد الشرك بالله تعالى

تقع في القصص التي تقرأً بمناسبة الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وغيرها من أنواع الكفر ولذلك عاتب شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب سليمان بن سحيم في بعض ردوده عليه على قراءة قصة المولد على المحتفلين به وعلى حضور احتفالاتهم وحذره من ذلك بقوله (الناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد وتقرؤه عليهم – أى على المحتفلين بالمولد – وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل اللقم من الطعام المعد فإذا كنت تقر أن هذا كفر فكيف تروح عليهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم) ورد ذلك في «روضة الأفكار والأفهام» للعلامة ابن غمام ج ١ ص ١٣.

ولوجود الاستغاثة بغير الله وغيرها من أنواع الكفر المترتبة على الإطراء في بعض أبيات البردة للأبوصيرى حذر الإمام عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من قراءة ذلك النوع منها فقال في جوابه عن سؤال وجه إليه عن البردة وأمثالها في المديح قال: المنكر من ذلك ما فيه شرك كقول صاحب البردة.

يا أكرم الخلق مالى من الوذ به : سواك

فدعى غير الله ولادبه من دون الله والدعاء مخ العبادة واللياذ نوع من أنواع العبادة كالعياذ وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم بتغيير ما كان عليه أهل الجاهلية من الاستعاذه بالجن إذا هبطوا واديا يقولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه كما قال تعالى «وانه كان رجال من الانس يعودون برجال من الجن فزادوهم رهقا» أى طغيانا فشرع النبي صلى الله عليه وسلم لأمته قصر الاستعاذه على الله واسمائه وصفاته فقال في حديث خولة بنت حكيم وهو في الصحيح (من نزل منزلة فالـ «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق» لم يضره شيء حتى يرحل من منزلة ذلك) وكذلك قول صاحب البردة.

إن لم تكن في معادى آخذنا بيدي فضلا والاقل يازلة القدم
وقوله

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فكل هذا شرك حرم بالكتاب والسنّة فما كان من جنس ذلك وجب إنكاره والنهي عنه وتغييره بظمه وهذا يتبيّن بما تقدم من الآيات المحكمات في النهي عن دعوة غير الله والرغبة والتوكّل عليه ورجائه^(١) ٤٠١ هـ المراد من كلام الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحهم الله تعالى.

وقد نقل الشيخ المحبى في كتابه «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر» ج ٣ ص ٢٢٧^(٢) عن الشيخ عمر بن عبد الوهاب العرضى الحلبي المولود سنة خمسين وتسعمائة المتوفى سنة أربع وعشرين وألف أنه استدل بقول الأبوصيرى في بيته الأخير الذى ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن

ومن علومك علم اللوح والقلم

استدل به لدعوى الأستاذ البكري أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم جميع علم الله تعالى ونصه (ومن تعليقاته — أي العرضى — جوابه عن مقالة الأستاذ محمد البكري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم جميع علم الله تعالى وقد سئل عنها في مجلس درس فأجاب بأن مقالة الشيخ هذه صحيحة ولا إنكار عليه فيها إذ يجوز أن الله يبهه علمه ويطلعه عليه ولايلزم من ذلك أن يدرك محمد صلى الله عليه وسلم مقام الربوبية إذ العلم المذكور ثابت لله تعالى بذاته وللمصطفى صلى الله عليه وسلم بتعليم الله تعالى إياه وإلى مثل ذلك أشار الأبوصيرى بقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

انتهى تعليق العرضى على مقالة البكري وفيه تصريح بأن مراد الأبوصيرى بقوله «ومن علومك علم اللوح والقلم هو ما فسره به الشيخ عبد الرحمن بن حسن ورد عليه بما لا يدع مجالاً للشك في أنه شرك حرم بالكتاب والسنّة جزى الله الإمام عبد الرحمن عن دين الإسلام خير الجزاء».

وقد ذكر ابن القيم في «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» ص ٨٠ من الأمور الكلية التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة واطال في بيان وضع ذلك الحديث ثم قال في ص ٨٢—٨٤ في الغلة الذين يتعلّقون بذلك الحديث الموضوع (هؤلاء الغلة عندهم أن علم رسول الله صل

(١) عمومة الرسائل والمسائل التجديّدة ج ٢ من مسائل الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب طبعة المنار.

(٢) طبعة دار صادر بيروت.

الله عليه وسلم منطبق على علم الله سواء بسواء^(١)) فكل ما يعلمه الله يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يقول «ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم» وهذا في براءة وهو في أواخر براءة وهي من أواخر مانزل من القرآن هذا والمنافقون جيرانه في المدينة. ومن هذا حديث عقد عائشة رضي الله عنها لما أرسل في طلبه فأثاروا العمل فوجدوه. ومن هذا حديث تلقيع النخل وقال ما أرى لوتركتموه يضره شيء فتركتوه فجاء شيئاً فقال: أنت أعلم بدنياكم، وقد قال الله تعالى: «قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب» وقال (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) وما جرى لأم المؤمنين عائشة ماجرى ورماها أهل الإفك بمارموها به لم يكن صلى الله عليه وسلم يعلمحقيقة الأمر حتى جاءه الوحي من الله ببراءتها وعند هؤلاء الغلاة أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم الحال على حقيقته بلاربية واستشار الناس في فرافقها ودعا الجارية فسألها وهو يعلم الحال وقال لها: إن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وهو يعلم علما يقينا أنها لم تسلم بذنب. ولا ريب أن الحامل هؤلاء على هذا الغلو إنما هو اعتقاد أنه يكفر عنهم سبئاتهم ويدخلهم الجنة وكلما غلوا وزادوا غلوا فيه كانوا أقرب إليه وأخص به، فهم أعنى الناس لأمره وأشدتهم مخالفة لسته وهؤلاء فيهم شبه ظاهر من النصارى الذين غلوا في المسيح أعظم الغلو وخالفوا شرعه ودينه أعظم المخالفة. والمقصود أن هؤلاء يصدقون بالأحاديث المكذوبة الصريحة ويحرفون الأحاديث الصحيحة عن مواضعها لترويج معتقداتهم ٤٠١ هـ

ومن نظر في قول صاحب البردة في بردته :

لوناسبت قدره آياته عظماً أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

لا يستغرب أى شيء وقع فيه من الإطراء فإنه قد صرخ في هذا البيت بأنه لا يعتبر القرآن العظيم مناسباً لقدر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اعترف بدلاله هذا البيت على ذلك المعنى الفاسد الأبوصيريون وحاولوا الإجابة عن ذلك إلا انهم لم يوفقوا.

فقد جاء في كتاب غرائب الاغتراب أن ما جرى البحث عنه بيت

(١) ذكر الشيخ ملا علي قاري في الفصل السادس عشر من موضوعاته الكبرى تعليقاً على هذا أن من اعتقاد التسويية بين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين علم الله عز وجل كفر أجمعاء».

البوصيري هذا قال «وهو أمر مشكل وأمر معضل فإن مقتضى «لو» وكون القرآن داخلا في آياته صلى الله عليه وسلم أن لا يكون القرآن العظيم مناسباً لقدره عليه أفضليّة الصلاة وأكمل التسليم وذلك ما لا يكاد يقال لما أن القرآن كلام الملك المتعال» ثم أتى صاحب ذلك الكتاب بأجوبة غير مقنعة.

وجاء في شرح الزرقاني للمواهب اللدنية ج ٥ ص ١٨٢ أن معنى هذا البيت «لوناسبت قدره آياته عظما»: أحبي اسمه حين يدعى دارس الرمم. أنه لا يعد شيء من معجزاته – أي النبي صلى الله عليه وسلم – عظيماً بالنسبة إليه إلا أن يكون كل أحد لو دعا باسمه وتتوسل في إحياء الموتى وقع له ذلك ثم قال الزرقاني (واستشكل بأنها – أي معجزات النبي صلى الله عليه وسلم – القرآن فكيف لا يكون فيها مابيناسب قدره شرفاً) وحاول الزرقاني الإجابة عن ذلك إلا أنه لم يوفق كما لم يوفق غيره.

وذكر الشيخ محمد عليش المالكي في فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك ج ١ ص ١٠ ان من المتكلمين في مسألة المفاضلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين القرآن من فضل النبي صلى الله عليه وسلم على القرآن العزيز تمسكاً بهذا البيت:

لو ناسبت قدره آياته عظماً أحبي اسمه حين يدعى دارس الرمم
وقال محمد عليش قال الجلال المجل ما حاصله أن آيات النبي صلى الله عليه وسلم دون مقامه في العظم وإن كان منها القرآن وقد قال فيه المصنف – يعني صاحب البردة آيات حق من الرحمن محدثة. وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه خير خلق الله كلهم. ذكر الشيخ محمد عليش جميع هذا وزاد الطين بلة حيث لم يتعرض لقول صاحب البردة بأن القرآن لايناسب قدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله بأن القرآن مخلوق لم يتعرض لأى شيء من ذلك بالرد بل اكتفى بنقله عن شيخ شيوخه أنه قال «والأسلم الوقف عن مثل هذا الذي لم ينقل عن السلف الخوض فيه فإنه لا يضر خلو الذهن عنه بخصوصه» والواجب عليه الرد على دعوى صاحب البردة أن القرآن لايناسب قدر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قوله بأن القرآن مخلوق ولكن التوفيق بيد الله عز وجل.

ورغم هذا كله بلغ غلو صاحب البردة فيها إلى ما ذكره صلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي في الجزء الثالث من (الوافي بالوفيات ص ١١٢-١١٣) ونصه قال البوصيري

كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما كان اقتربه على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ثم اتفق بعد ذلك أنه أصابني فالج أبوطل نصفى ففكرت في عمل قصيدة هذه البردة فعملتها واستشفعت به إلى الله عز وجل في أن يعافيني وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتولست به وقت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فمسح على وجهي بيده الكريمة وألقى على بردة فانتبهت ووجدت في نهضة فخرجت من بيتي ولم أكن أعلم بذلك أحدا فلقيت بعض القراء فقال: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدخلت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لها فقال: التي أنشدتها في مرضك وذكر أنها وقال والله لقد سمعنا البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيته صلى الله عليه وسلم يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدتها بردة فأعطيته إياها وذكر الفقير ذلك فشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين وزير الظاهر فبعث إلى واستنسخها ونذر أن لا يسمعها إلا قائما حافيا مكشوف الرأس وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقي الموقع رمداً أشرف منه على العمى فرأى في المنام قائلا يقول له اذهب إلى الصاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك تعافي بإذن الله تعالى فأتى الصاحب وذكر منامه فقال: ما أعرف عندي من أثر النبي صلى الله عليه وسلم بردة ثم فكر ساعة وقال لعل المراد قصيدة البردة يا ياقوت قل للخادم يفتح صندوق الآثار ويخرج القصيدة من حق العنبر و يأتي بها فأتى بها فأخذها سعد الدين وضعها على عينيه فعويفنا ومن ثم سميت البردة (٤٠١ هـ).

ومن أشنع الإطراء قول المناوى في شعر بدأ به مولده:

لولاه ^(١) ما كان ملك الله منتظما	دنيا وأخرى به كل قد افتتحت	قد كان نورا ولا لوح ولا قلم
ولا سماء به إلا وقد فعت	عرش وفرش ولا حجب قد انتصب	ولا جنان ولا نار الجحيم ولا
ولا سحاب ولا أرض قد انبسطت	وارياح جرت في سهلها وسرت	لانجوم ولا شمس ولا قمر
ولا حوش سعت في وعرها ودببت	لواه ما كانت الآفاق قد نظمت	لا جبال ولا بحر ولا شجر
فالكل من نوره الرحمن أوجده		ولا دواب ولا إنس ولا ملك

(١) أى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

و بما ذكرناه من وجود الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله وأنواع خطيرة من الاطراء في الأشعار التي يستعملها المتأخرون في الاحتفال بالمولد وغيره يتبعن أن ما شار إليه محمد بن علوى المالكى ص ١٠ من قياس ما كان من هذا القبيل من الشعر على اشعار الصحابة باطل وقد أجاد الشاطبى في الجزء الأول من «الاعتصام» ص ٢٢١-٢٢٨ حيث قال ماختصره «جازر للانسان أن ينشد الشعر الذى لارفت فيه ولا ذكر لعصبية وأن يسمعه من غيره إذا أنسد على الحد الذى كان ينشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عمل به الصحابة والتابعون ومن يقتدى به من العلماء وذلك انه كان ينشد ويسمع لفوايد منها المنافحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام وأهله. ولذلك كان حسان بن ثابت رضى الله عنه قد نصب له منبر في المسجد ينشد عليه إذا وفدت الوفود حتى يقولوا خطبيه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا ويقول له صلى الله عليه وسلم «اهجهم وجبريل معك» وهذا من باب الجهاد في سبيل الله. ومنها أنهم كانوا يتعرضون لحاجاتهم ويستشعرون بتقديم الأبيات بين يدي طلباتهم كما فعل ابن زهير رضى الله عنه وأخت النضر بن الحارث مثل ما يفعل الشعرا مع الكباء هذا لاحرج فيه مالم يكن في الشعر ذكر مالا يجوز. ومنها أنهم ربما أنشدو الشعر في الأسفار الجهادية تنشيطا لكلا النفوس وتنبيها للرواحل أن تنهض في أفقها وهذا حسن لكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجرى عجرى ما الناس عليه اليوم بل كانوا ينشدون الشعر مطلقًا من غير أن يتعلموا هذه الترجيعات التي حدثت بعدهم بل كانوا يرققون الصوت ويمططونه على وجه يليق بأمية العرب الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى فلم يكن فيه إلذاد ولا إطراب يلهى وبما كان لهم شيء من النشاط كما كان عبد الله بن رواحة يحدو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما كان الانتصار يقولون عند حفر الخندق:

نحن الذين بایعوا مھدا على الجھاد ما حبیبا ابدا
فيجيئهم صلى الله عليه وسلم بقوله:
اللھم لآخر الاخیر الآخرة فاغفر لالأنصار والمهاجر
ومنها أن يتمثل الرجل بالبيت أو ألابيات من الحكم في نفسه أو يحركها
لقتضى معنى الشعر أو يذكرها ذكرا مطلقا)

ثم نقل الشاطبى عن أبي الحسن القرافى أنه قال «إن الماضين من الصدر الأول حجة على من بعدهم ولم يكونوا يلحظون الأشعار ولا ينعمونها بأحسن ما يكون من النغم إلا من وجه إرسال الشعر واتصال القوافي فإن كان صوت أحدهم أشجن

من صاحبه كان ذلك مردودا إلى أصل الخلقة لا تصنون ولا يتكلفون قال الشاطبي
«فلذلك نص العلماء على كراهة ذلك المحدث وحتى سهل مالك بن أنس رضي الله
عنه عن الغناء الذي يستعمله أهل المدينة فقال: إنما يفعله الفساق» ١٠٠ هـ باختصار.

**الثالث مما يقع من
الأضرار في تلك القصص القيام
عند ذكر ولادته صلى الله
عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا**

حثت القصص التي تقرأ بمناسبة الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى على القيام عند ذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا وما جاء فيها من ذلك ما يلى:

١ - قال البرزنجى في مولده ص (١٣) قد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوى رواية وروية فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وسلم غاية مرامه ومرماه.

وورد في نظم مولد البرزنجى ص ١٢٧ :

قياما على الأقدام مع حسن إمعان بأى مقام فيه يذكر بل دان ويافوزه بحظى بعفو وغفران	وقد سن أهل العلم والفضل والتقوى بتشخص ذات المصطفى وهو حاضر فطوبى لمن تعظيمه جل قصده
----------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------

٢ - قال الشيخ محمد بن محمد العزب في مولده ص ٦٧ :
ولذكر مولده يسن قيامنا أدبا لدى أهل العلوم تأكدا

وقد ذكر في توجيه ذلك القيام ثلاثة أشياء أحدها أنه للترحيب بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يعتقد أولئك القائمون أنه يحضر بجسده الشريف مجلس الاحتفال بذلك اليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى وقد يوضع له البخور والطيب في ذلك المجلس على أساس أنه يتطيب ويتبخر كما يوضع له الماء على أساس أنه يشرب منه ذكر ذاك الشيخ محمد بن علوى المالكى في رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ٢٤ لكنه لم يرتضيه بل اعتبر دعوى حضور النبي صلى الله عليه وسلم بجسده ذلك المجلس من الجراءة على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدد النكير على من قال ذلك وليته اقتصر على ذلك ولم يخوض في باطل آخر يستحق أن يقابلها بمثل ماقابل به ذلك وهو دعوى أن روح النبي صلى الله عليه وسلم هي التي تحضر.

(١) ط مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بصر وهو ضمن مجموعة تحتوى عليه وعلى مولد الدبيع ومولد العزب.

٢ — أن القيام الذي يقع عند ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا كان لحضور روح النبي صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظة وهذا هو الذي اختاره الشيخ محمد بن علوى المالكى في رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» بعد جزمه بأن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر المولد بجسده الشريف باطل فقد قال ص ٢٥ إننا نعتقد أنه صلى الله عليه وسلم حى حياة بروزخية كاملة لانقه بمقامه وأن روحه جوالة سياحة في ملكوت الله سبحانه وتعالى ويعکن أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والعلم وكذلك أرواح خلص المؤمنين من أتباعه وقد قال مالك بلغنى أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت كذا في الروح لابن القيم ص ١٤٤ وأضاف الشيخ محمد بن علوى إلى ذلك تأييد حضور روح المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ص ٣١ مانصه (انه عليه الصلاة والسلام متخلق بأخلاق ربها وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسى «أنا جليس من ذكرنى») وفي رواية «أنا مع من ذكرنى» فكان مقتضى تأسيه بربه وتخلقه بأخلاقه أن يكون صلى الله عليه وسلم حاضرا مع ذاكره في كل مقام يذكر فيه بروحه الشريفة».

٣ — أن ذلك القيام لتشخيص ذات النبي صلى الله عليه وسلم جاء ذلك في نظم مولد البرزنجى ونصه:

(١) لفظ «أنا جليس من ذكرنى» ورد في خبر رواه ابن أبي شيبة في كتاب الزهد من مصنفه» ج ١٣ ص ٢١٢ قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن كعب قال قال موسى أي رب أقرب أنت فأنا جيك أم بعيد فأناديك قال ياموسى أنا جليس من ذكرنى قال يارب فانا نكون من الحال على حال نعظمك أو نجلوك أن نذكرك علينا قال وما هي قال الجنابة والغائط قال ياموسى ذكرنى على كل حال ورواه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد ص ٦٨ رواية ابنه عبد الله عنه قال عبد الله حدثنا أبي حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب قال قال موسى صلى الله عليه وسلم يارب أقرب أنت فأنا جيك أو بعيد فأناديك قال ياموسى أنا جليس من ذكرنى قال يارب فإننا نكون من الحال على حال نجعلك ونعظمك ان نذكرك قال وما هي قال الجنابة والغائط قال ياموسى ذكرنى على كل حال» ومن طريق الإمام أحمد رواه أبو نعيم كما ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» في تفسير قول الله تعالى «(الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)» قال القرطبي «ذكر أبو نعيم قال حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الأحجاز قال: قال موسى عليه السلام يارب» فذكره.

وقد سن أهل العلم والفضل والتقوى قياما على الأقدام مع حسن إمعان بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأى مقام فيه يذكر بل دان وفي تفسير ذلك التشخيص يقول الشيخ محمد بن علوى المالكى في رسالته «حول الاحتفال بالموالد النبوى الشريف» يقول ص ٢٨ مانصه «أى إن هذا القيام لتصور شخص النبي صلى الله عليه وسلم في الذهن) قال (فالناس يقومون احتراماً وتقديراً لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسول العظيم مستشرين جلال الموقف وعظمة المقام» ثم قال بعد ذلك في القيام على أساس ذلك التشخيص مانصه (هو أمر عادى كما تقدم ولذلك فإن من لم يتم لاشيء عليه ولا يكون آثما شرعاً نعم قد يفسر موقفه ذلك بسوء الأدب أو قلة الذوق أو جود الإحساس كما يوصف بذلك كل إنسان يترك أمراً من الأمور العادبة التي اصطلاح عليها الناس وجري بها عرفهم» يشير بقوله (كما تقدم) إلى قوله قبل ذلك في ص ٢٧-٢٦ مانصه «اعلم أن القيام في الموالد النبوى ليس هو بواجب ولا سنة ولا يصح اعتقاد ذلك أبدا وإنما هي حركة يعبر بها الناس عن فرحهم وسرورهم فإذا ذكر أنه صلى الله عليه وسلم ولد وخرج إلى الدنيا يتصور السامع في تلك اللحظة أن الكون كله يرقص فرحاً وسروراً بهذه النعمة فيقوم مظهراً لذلك الفرح والسرور معيراً فهي مسألة عادبة محضة لا دينية إنها ليست عبادة ولا شريعة ولا سنته وما هي إلا أن جرت عادة الناس بها واستحسن ذلك من استحسنه من أهل العلم وقد أشار إلى ذلك البرزنجي مؤلف أحد الموالد النبوية بنفسه إذ قال بالنص ، وقد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف آية ذروة رواية فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وسلم غاية مرامة ومرماه ويقول في المنظوم:

وقد سن أهل العلم والفضل والتقوى قياما على الأقدام مع حسن إمعان بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأى مقام فيه يذكر بل دان فأنت تراه يقول وقد سن أهل العلم ولم يقل سن النبي صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدون ولم يقل (سنة مطلقة) بل قال وقد سن أهل العلم).

٤ - أن ذلك القيام الذي جرت به عادة كثير من الناس إذا سمعوا بذلك وضعه صلى الله عليه وسلم في تلك القصص التي تسمى الموالد هو لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك بعض الموجهين لذلك القيام من دون بيان وقد وصل الأمر ببعض القائلين بهذا إلى تكفير تارك القيام كما بينه الشيخ محمد على بن حسين

المالكي في «تهذيب الفروق والقواعد السنوية في الأسرار الفقهية» ج ٤ ص ٢٧٧ حيث ذكر أن المولى أبا السعود قال إنه أى القيام عند ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم في تلك القصص قد اشتهر في تعظيمه صلى الله عليه وسلم واعتبر في ذلك فعدم فعله يوجب عدم الافتراض بالنبي صلى الله عليه وسلم وامتنانه فيكون كفراً مخالفًا لوجوب تعظيمه صلى الله عليه وسلم» ولم يتعقب الشيخ محمد على المالكي ذلك إلا بقوله «أى ان لاحظ من لم يفعله تحقيبه صلى الله عليه وسلم بذلك ولا فهو معصية». هـ ٤٠١.

ومن الواضح أن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون بما شرع تعظيمه به وهذا القيام غير مشروع.

٥ — أن ذلك القيام مقيس على القيام الذي وقع من الشيخ على بن عبد الكاف السبكي حينما سمع قول الصرصري في قصيده التي أورها: قليل مدح المصطفى الخط بالذهب. قوله وأن ينهض الأشراف عند سماعه. وقد ذكر قصته ابنه التاج أبو نصر عبد الوهاب في ترجمة والده من كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» ج ٦ ص ١٧٤ طبعة دار المعرفة ببيروت قال «حضر — أى والده — مرة ختمة بالجامع الأموي وحضرت القضاة وأعيان البلد بين يديه وهو جالس في محراب الصحابة فأنشد المنشد قصيدة الصرصري التي أورها: قليل مدح المصطفى الخط بالذهب. فلما قال وأن ينهض الأشراف عند سماعه البيت حصلت للشيخ حالة وقام واقفاً للحال فاحتاج الناس كلهم أن يقوموا فقاموا أجمعون» ومن ذكر هذا التوجيه الشيخ أحمد زيني دحلان في سيرته (السيرة النبوية والآثار الحمدية) ج ١ ص ٤٥ (١) يقول في ذلك القيام الذي اعتاده الذين يحتفلون بالمولود حينما يسمعون في قصص المولد ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم «قد حكى بعضهم — أى بعض من يقتدى بهم من أهل العلم — أن الإمام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه وسلم.

قليل مدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه قياماً صفووا أو جثياً على الركب
فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من في المجلس فحصل أنس كبير في

(١) بهامش «إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون» المعروف بالسيرة الخلبية ط مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن، وسبقه إلى ذكره الشيخ على بن برهان الحلبي في سيرته المعروفة بالسيرة الحلبية» قال فيها ج ١ ص ١٠٠ مانصه «وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الأمة ومقتدى الأئمة دينا وورعا الإمام تقى الدين السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه وسلم:

قليل لدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط أحسن من كتب
 وأن تنهض الأشراف عند سماعه قياما صفووا أو جشا على الركب
 فعند ذلك قام الإمام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس فحصل أنس
 كبير بذلك المجلس ويكتفى مثل ذلك في الاقتداء.

هذه المسالك التي ذكرها أولئك في توجيهه ذلك القيام بعد استعراضها نجيب عن كل مسلك منها فنقول وبالله التوفيق.

أما دعوى حضور النبي صلى الله عليه وسلم الاحتفال بالمولود بجسده الشريف فأساسها دعوى خاطئة لجماعة من المتصوفة تعلقوا بما رواه البخاري في «باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام». قال (وحدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهرى حدثنى أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «من رأى في المنام فسيرانى في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي» فزعموا أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريحها فجاء الأمر كذلك وقد تحمس هذه الدعوى ابن أبي جرة وابن الحاج والسيوطى والشيخ محمد علیش واستنكرها المحققون من أهل العلم الذين نذكرونهم وعباراتهم فيما يلى:

١ - القاضى أبو بكر بن العربي قال «شد بعض الصالحين فزعهم أنها - أى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته - تقع بعينى الرأس حقيقة نقل ذلك عنه الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى في «فتح البارى» ج ١٢ ص ٣٨٤.

٢ - القرطبى شارح صحيح مسلم^(١) ذكر في ذلك الشرح قول الذين حلوا حديث «من رأى في المنام فسيرانى في اليقظة» على أن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في النوم يراه بعد ذلك في اليقظة ثم تعقب القرطبى ذلك بقوله وهذا يدرك

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى أحد مشايخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرج الانصارى القرطبى مؤلف «الجامع لاحكام القرآن» واسم شرحه لسلم «المفهم».

فساده بأوائل العقول ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وأن يراه راثيابن في آن واحد في مكانين وأن يحيى الآن ويخرج من قبره ويعيش في الأسواق ويخاطب الناس ويختابطوه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده ولا يبقى من قبره فيه شيء فيizar مجرد القبر ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره. وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أذني مسكة من عقل» وإلى كلام القرطبي هذا أشار الحافظ العسقلاني في فتح الباري بذكره اشتداد إنكار القرطبي على من قال «من رأه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة».

٣ - شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية قال في «رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية^(١)» ص ٩٣-٩٤ الشيطان كثيراً ما يتصور بصورة الإنسان في اليقظة والمنام وقد يأتي لمن لا يعرف فيقول أنا الشیخ فلان أو العالم فلان وربما قال أنا أبو بكر وعمر وربما قال أنا المسيح أنا موسى أنا محمد. وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها وشم من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم وثم شیوخ لهم زهد وعلم ودين يصدقون بمثل هذا. ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبرنبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكمله، ومن هؤلاء من رأى في دائرة الكعبة صورة شیوخ قال إنه إبراهيم الخليل ومنهم من يظن أن النبي صل الله عليه وسلم خرج من الحجرة وكلمه وجعلوا هذا من كراماته ومنهم من يعتقد أنه إذا سأله المقرب أجابه. وببعضهم كان يحکى أن ابن منه كان إذا أشکل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي صل الله عليه وسلم عن ذلك فأجابه — وأخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك وجعل ذلك من كراماته حتى قال ابن عبد البر لم ظن ذلك ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فهل في هؤلاء من سأله النبي صل الله عليه وسلم بعد الموت وأجابه وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي صل الله عليه وسلم فأجابهم، وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثها فهلا سأله فأجابها».

قلت حكاية ابن منه التي أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الكلام ذكرها الحافظ الذهبي في الجزء السابع عشر من (سير أعلام النبلاء) ص ٣٧٣-٣٨٥ وأعلاها ونصه (قال الحسين بن عبد الملك حكى لي عن أبي جعفر المدžانى

(١) ضمن المجموعة التي أوطاها الرسالة العرشية.

رئيس حجاج خراسان قال سمعت بعض خدم تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أبناء مائة وعشرين سنة قال: رأيت يوماً رجلاً عليه ثياب بيضاء دخل الحرم وقت الظهر فانشق حائط التربة فدخل فيها وببيده محبرة وكاغد وقلم فمكث ما شاء الله ثم انشق فخرج فأخذت بذيله فقلت بحق معبودك من أنت؟ قال أنا أبو عبد الله ابن منه أشكل على حديث فجئت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابني وأربع) هكذا ساق الذهبي هذه الحكاية في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي يعقوب اسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منه وقال فيها (هذه حكاية نكتبها للتعجب) وقال في إسنادها (إسنادها منقطع) ٤٠١هـ والى هذه الحكاية أشار شيخ الإسلام بن تيمية في رسالته في العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية بقوله في رده على من يدعى أن من الصالحين من إذا سأله المقرب أجابه (وبعضهم يمكّن أن ابن منه كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابه) وذكر شيخ الإسلام أن رجلاً آخر من أهل المغرب حكى عنه أنه حصل له مثل ذلك وان الإمام ابن عبد البر رد على من ظن ذلك بقوله (ويمكّن أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فهل في هؤلاء من سأله النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت فأجابه). وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألا النبي صلى الله عليه وسلم فأجابهم وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثها فهل سأله فأجابها) ٤٠١هـ.

وقال في «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص ١٧٤-١٧٥ في الذين تقع لهم الأحوال الشيطانية من المتصوفة (ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدعى أحدهم أنه نبى أو صديق أو شيخ من الصالحين وقد جرى هذا لغير واحد وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذى يزوره فيه القبر قد انشق وخرج إليه صورة فيعتقد أنها الميت وإنما هو جنى تصور بتلك الصورة ومنهم من يرى فارساً قد خرج من عند قبره أو دخل في قبره ويكون ذلك شيطاناً وكل من قال إنه رأى نبياً بعد وفاته بعين رأسه فما رأى إلا أخلاقاً».

وقال في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٩ بعد أن ذكر رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام مانصه (وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعيته في الدنيا فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أتى من جهله ولذلك لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتلبيسين لهم بإحسان وبعض من رأى هذا أو صدق من قال انه رأه اعتقاد أن الشخص الواحد يكون بمكаниن في حالة واحدة فخالف صريح المعمول).

٤ - الحافظ الذهبي قال في ترجمة الربيع بن محمود المارديني من كتابه الشهير «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ماتصه «دجال مفتر ادعى الصحبة والتعمير في سنة تسع وسبعين وخمسة وثلاثين وكان قد سمع من ابن عساكر عام بضع وستين».

يعنى الحافظ الذهبي بالصحبة التي ادعاهما الربيع بن محمود المارديني ماجاء عنه أنه رأى النبي صل الله عليه وسلم في النوم وهو بالمدينة الشريفة فقال له أفلحت دنيا وأخرى فادعى بعد أن استيقظ أنه سمعه وهو يقول ذلك «ذكر ذلك الحافظ العسقلاني في «الإضابة في تمييز الصحابة» ج ١ ص ١٣٥ ثم قال الحافظ العسقلاني قرأت بخط العلامة تقى الدين بن دقيق العيد أن الكمال بن العديم - كتب اليهم أن عممه محمد بن هبة الله بن أبي جراده أخيه قال قال لي الشيخ ربيع بن محمود كنت بمسجد النبي صل الله عليه وسلم فأتيته واستشيره في شيء فنمت فرأيته فقال لي أفلحت دنيا وأخرى ثم انتبهت فسمعته يقول لي وأنا مستيقظ وذكر الحكاية بطولها وذكر أشياء من هذا الجنس».

٥ - الحافظ الإمام عماد الدين بن كثير ذكر في ترجمة أبى محمد بن محمد أبى الفتح الطوسي الغزالى من «البداية والنهاية» ج ١٢ ص ١٩٦ أن ابن الجوزى أورد أشياء منكرة من كلامه منها أنه - أى أبا الفتح الطوسي كان كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله صل الله عليه وسلم في اليقظة فسألة عن ذلك فدلله على الصواب وأقر ابن كثير ابن الجوزى على عد هذا من منكرات أبى الفتح الطوسي وفي كتاب القصاص والمذكرين لأبى الفرج بن الجوزى ص ١٥٦ طبعة دار أمية للنشر والتوزيع ماتصه (أنبانا محمد بن ناصر عن محمد بن طاهر المقدسى قال كان أحد الغزالي آية من آيات الله في الكذب يتوصل إلى الدنيا بالوعظ سمعته يوماً بهمنه يقول رأيت أبليس في وسط هذا الرباط سجد لى فقلت ومحك إن الله تعالى أمره بالسجود لآدم فأقال والله لقد سجد لى أكثر من سبعين مرة فعلمته أنه لا يرجع إلى دين ومعتقد وكان يزعم أنه يرى رسول الله صل الله عليه وسلم في يقظته لافى نومه وكان يذكر في وعظه أنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله صل الله عليه وسلم فسألة عن ذلك المشكك قال وسمعته يوماً يحكي حكاية عن بعض المشايخ فلما نزل سأله عنها فقال أنا وضعتها في الوقت وله من هذه الجهالات والحماقات ما لا يحصى».

٦ - الحافظ العسقلاني ذكر في «فتح البارى» ج ١٢ ص ٣٨٥ أن ابن أبي جرة نقل عن جماعة من المتتصوفة أنهم رأوا النبي صل الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد

ذلك في اليقظة وسأله عن أشياء كانوا منها متخففين فارشدهم إلى طريق تفريحها فجاء الأمر كذلك ثم تعقب الحافظ ذلك بقوله «قلت : وهذا مشكل جدا ولو حل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكنبقاء الصحبة إلى يوم القيمة ويعكر عليه أن جماً جماً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رأه في اليقظة وخبر الصادق لا يختلف».

٧ - السخاوي قال في رؤية النبي صل الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته عليه الصلاة والسلام قال «لم يصلينا ذلك - أى ادعاء وقوعها - عن أحد من الصحابة ولا عنهم بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه صل الله عليه وسلم حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم تنقل عنها رؤيتها في المدة التي تأخرتها عنه» وذكر الحافظ السخاوي أن دعوى ذلك إنما تنقل عن المتصوفة وأن من مصنفاتهم المحتوية على عباراتهم في ذلك «توثيق عرى الإسلام للبازري» «وبهجة النفوس» لأبي محمد عبد الله بن أبي جرة و«روض الرياحين» للإيافعي ورسالة الشيخ صفى الدين بن أبي المنصور نقل ذلك القسطلانى في «المواهب اللدنية» ج ٥ ص ٢٩٥ عن السخاوي.

٨ - البدر بن حسن الأهدل ذكر في مسألة الرؤية له أن من توالت الأخبار عنهم من المتصوفة بدعوى رؤية النبي صل الله عليه وسلم بعد موته في اليقظة إنما يقع لهم ذلك في بعض غيبة حسن وغموض طرف لورود حال لا تقاد تفضي بها العبارة، وأن رواة تلك الأخبار عن المتصوفة يغلطون فيها كثيراً وقال (قلما تجد رواية متصلة صحيحة عنمن يوثق به وأما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناماً أو في غيبة حسن فيظنه يقظة وقد يرى خيالاً أو نوراً فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز في هذا الباب» وجزم البدر بن حسن الأهدل بأن القول برؤيته صل الله عليه وسلم بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزماته خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبته لهم وخلو قبره عن جسده الشريف فلا يليقى ما فيه شيء بعحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب» ذكر ذلك كله القسطلانى في «المواهب اللدنية» ج ٥ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ عن البدر بن حسن الأهدل وقد استحسن الملاعل قاري في «جمع الوسائل شرح الشمائل للترمذى» ج ٢ ص ٢٣٨ كلامه ثم قال «إنه - أى مادعاه المتصوفة من رؤية النبي صل الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته - لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه صل الله عليه وسلم من أمر ونهى وإثبات ونفي ومن المعلوم أنه لا يجوز ذلك إيجاعاً كما لا يجوز بما يقع حال

النام ولو كان الرائي من أكابر الأئم وقد صرخ المازرى وغيره بأن من رأه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لـ«المريئة»^{١٠٠} هـ. كلام على القارى و فيه قائمة أخرى هي حكايتها الاجاع على عدم جواز العمل بما يدعى من يزعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة أنه سمعه منه من أمر أو نهى أو ثبات أو نفي وفي حكايتها الاجاع على ذلك الرد على قول الزرقانى في شرح المواهب اللدنية ج ٧ ص ٢٩ مانصه (لو رأه يقظة – أى بعد موته صلى الله عليه وسلم – وأمره بشيء وجب عليه العمل به لنفسه ولا يعد صحابياً وينبغي أن يجب على من صدقه العمل به قاله شيخنا). كما أن في حكايتها الاجاع على ذلك ردًا على دعوى السيوطى تلقى تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وعلى دعواه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يقظة ياشيخ الحديث وأخبره بأنه من أهل الجنة من غير عذاب يسبق ذكر دعواه الأولى الشيخ محمد علیش في فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، ج ١ ص ٨١ وذكر الثانية الشيخ نجم الدين الغزى في الجزء الأول من «الكوكب السائرة باعيان المائة العاشرة»، ص ٢٢٨–٢٢٩ و فيما يلى نصهما قال الشيخ محمد علیش قال الشعراوى (رأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطى عند أحد أصحابه هو الشيخ عبد القادر الشاذلى مراسلة لشخص سأله في شفاعة عند السلطان قايتباى اعلم يا أخي أنى قد اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتى هذاخسأً وسبعين مرة يقظة و مشافهة ولولا خوفى من احتجابه صلى الله عليه وسلم عنى بسبب دخولى للولاية لطلعت القلمة وشفعت فيه عند السلطان وإنى رجل من خدام حديثه صلى الله عليه وسلم وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون من طريقهم ولاشك أن نفع ذلك أرجح من نفعك يا أخي».

وقال النجم الغزى (ذكر الشيخ عبد القادر الشاذلى في كتاب ترجمته – أى للسيوطى – أنه كان يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فقال لي ياشيخ الحديث فقلت له يارسول الله أمن أهل الجنة أنا قال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال صلى الله عليه وسلم لك ذلك وألف في ذلك كتاب تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك»).

٩ – السيد رشيد رضا قال في الجزء السادس من فتاوياه ص ٢٣٨٥ مانصه «صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها لو كانت مما يقع ابنته سيدة النساء وخلفاؤه الراشدون وسائر العلماء أصحابه وقد وقعوا في مشكلات

وخلاف أفضى بعضه إلى المغاضبة وبعضه إلى القتال فلو كان صلى الله عليه وسلم يظهر لأحد ويعلمه ويرشهده بعد موته لظهور لبنته فاطمة عليها السلام وأخبرها بصدق خليفة أبي بكر رضي الله عنه فيما روى عنه من أن الأنبياء لا يورثون وكذا للأقرب والأحباب إليه من آله وأصحابه ثم لم بعدهم من الأئمة الذين أخذ أكثر أمتهم دينهم عنهم ولم يدع أحد منهم ذلك وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد خير القرون وغيرهم من العلماء الذين تغلب عليهم تخيلات الصوفية فمن العلماء من جزم بأن من ذلك ما هو كذب مفترى وأن الصادق من أهل هذه الدعوى من خيل إليه في حال غيبة أو ما يسمى «بين النوم واليقظة» أنه رأه صلى الله عليه وسلم فحال أنه رأه حقيقة على قول الشاعر: ومثلك من تخيل ثم خالا. والدليل على صحة القول بأن ما يدعونه كذب أو تخيل ما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الرؤية. وبعض الرؤى المنامية مما مختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم وكون بعضه مخالفًا لنص كتاب الله وما ثبت من سنته صلى الله عليه وسلم ثبوتاً قطعياً ومنه ما هو كفر صريح بآراء المسلمين نعم إن منهم من يجلهم العارف بما روى من أخبار استقامتهم أن يدعوا هذه الدعوى افتراء وكذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن غلبة التخييل على المنهمكين في رياضاتهم وخلواتهم لاعصمة منها لأحد وكثيراً ما تقضى إلى الجنون» ١٠١ هـ.

والخلاصة أن دعوى حضور النبي صلى الله عليه وسلم الاحتفال باليوم الذي يقال إنه يوافق يوم المولد النبوى بجسده غير صحيحة وأنها تستلزم خروج النبي صلى الله عليه وسلم من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبته لهم له وخلو قبره عن جسده الشريف بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب وأن يراه راثيان في آن واحد في مكائن مختلفين وأن يكون ذلك الرائي صحابياً وأن يجب العمل بما سمعه منه ذلك المدعى لرؤيته وأن يحظى المدعى لرؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بالعلم تحظ به ابنته فاطمة التي اشتد حزناً عليها حتى ماتت كما بعده بستة أشهر على الصحيح ولم تنقل عنها دعوى رؤيته كما لم يحظ به غيرها من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل ذلك جهالات يدرك فسادها بأوائل العقول كما أن التعلق في تلك الدعوى برواية (من رأى في النام فسيرانى في اليقظة) على أساس أن المتتصوفة لم يدعوا ذلك إلا بعد أن رأوه في النام يعكس عليه أن جماعاً رأوه في النام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رأه في اليقظة وخبر الصادق لا يختلف».

وأما رواية «من رأني في المنام فسيراني في اليقظة» فقد أجيئ عنها بأجوبة ذكرها الحافظ ابن حجر في ج ١٢ من «فتح الباري» ص ٣٨٥ طبعة المطبعة السلفية أحدها أن ذلك خاص بأهل عصره من آمن به قبل أن يراه الثاني أن المراد بها أنه يراه يوم القيمة بمزيد خصوصية لامطلق من يراه حيثنـدـ من لم يره في المنام ، الثالث أن المراد بها أنه يراه في المرأة التي كانت له إن أمكنه ذلك قال الحافظ «وهذا من أبعد المحامل» ، الرابع أن المراد بها أنه سيرى في اليقظة تأويـلـ لها بطريق الحقيقة أو التعبير، الخامس حل الرواية على التشبيه والتمثيل بدليل الرواية الأخرى (فكأنـاـ رأـيـ فيـ اليـقـظـةـ).

وأما دعوى أن الذي يحضر مجلس المولد هو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم ففي الرد عليها يقول السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من «الفتاوى» ص ٤٦٥ في إجابته عن سؤال وجه إليه عن دعوى أن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم تحضر قراءة مولد الديبع من أوها إلى آخرها وتحضر في غيرها من قصص المولد عند القيام فقط يقول مانصه (أما قول قراء هذه القصة من المحتالين على الرزق بدعوى الولاية إن روحانية المصطفى تحضر مجالسهم التي يكذبون فيها عليه فمثله كثير من أولئك الدجالين ولاعلاج لهذا الجهل الا كثرة العلماء بالسنة والدعاة إليها بين المسلمين وذلك بساط قد طوى وإن كثيرا من المسلمين ليعادوننا ولاذنب لنا عندهم إلا الانتصار للسنة السنوية والدعوة إلى الله ورسوله بالحق لا بالأهواء). ومن سبق السيد رشيد رضا إلى الرد على دعوى حضور روحانية النبي صلى الله عليه وسلم شيخ الإسلام ابن تيمية قال في الجزء الثاني من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ص ١٨٩-١٨٨ (قد يقوم شيخ من الشيوخ ويختلف موضعه شخصا في صورته يسمونه روحانية الشيخ ورفيقه وهو جنٍّ تصور في صورته وهذا يقع لكثير من الرهبان وغير الرهبان من المتسبين إلى الإسلام وقد يرى أحدهم في اليقظة من يقول له أنا الخليل أو أنا موسى أو أنا المسيح أو أنا محمد أو أنا فلان لبعض الصحابة أو الحواريين ويراه طائرا في الهواء وإنما يكون ذلك من الشياطين ولا تكون تلك الصورة مثل صورة ذلك الشخص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من رأني في المنام فقد رأني حقا فإن الشيطان لا يتمثل في صوري) فرؤيته في المنام حق وأما في اليقظة فلا يرى بالعين هو ولا أحد من الموتى مع أن كثيرا من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبيا من الأنبياء إما عند قبره واما عند قبر غيره وقد يرى القبر انشق وخرج منه صورة إنسان فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره وأن روحه تجسدت وخرجت من القبر وإنما ذلك

جني تصور في صورته ليصل ذلك الرائي فإن الروح ليست مما يكون تحت التراب وينشق عنها التراب فانها وإن كانت قد تتصل بالبدن فلا يحتاج في ذلك إلى شق التراب والبدن لم ينشق عنه التراب وإنما ذلك تخيل من الشيطان وقد جرى مثل هذا لكثير من المتنسبين إلى المسلمين وأهل الكتاب والشراكين ويظن كثير من الناس أن هذا من كرامات عباد الله الصالحين ويكون من إضلal الشياطين كما قد بسط الكلام عليه في هذا الباب في غير هذا الكتاب مثل الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

وقال في الفرقان بين الحق والباطل ص ٦٠-٥٩ في كلامه على الذين يدعون المكاففات (وكم من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الشيخ فهو صادق في أنه أتاه من قال إنه النبي أو الشيخ أو قيل له فيه ذلك لكن غلط فيه حيث ظن صدق أولئك والذى له عقل وعلم يعلم أن هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه منهم من خالفه الشرع مثل أن يأمره بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة بعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا الى وتارة يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا تصير في الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان وقد يقولون هو معناه يشكل وقد يقولون روحانيته ١٠٥ هـ.

هذا وما ينبغى التنبية عليه أن ما يذكر مدعو رؤية الأرواح أنهم استفادوه من تلك الأرواح من درجات للأحاديث أو تشريع أو تعبد جديد لا يعمل به كما بينه السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من «الفتاوى» ص ٥٩١-٥٩٢ واحد من الصوفية الذين يدعون رؤية الأرواح ومخاطبتها ومنهم من قال إنه سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن أحاديث كثيرة من الجامع الصغير للسيوطى فأنكرها صلى الله عليه وسلم وهكذا نسمع عنهم التناقض في الكشف وفي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فهل يصح أن نحكمهم في الحديث حتى مع التسليم لهم لا لا» وقال في الجزء السادس من «الفتاوى» ص ٢٣٨٥ (إن صع عقلأً أن منهم - أى من غلاة المتصوفة - من يرى أرواح الأنبياء والصالحين فعلاً فلا يجوز شرعاً أن تتضمن هذه الرؤية تشريعاً ولا تعبداً جديداً ومنهم من كذب أتباعهم عليهم في ذلك وغيره من الدعاوى الباطلة ومنه ما يسمونه الشطح) ١٠١ هـ.

وأما قول الإمام مالك «بلغنى أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت» فليس المراد به ما دعاه السيد محمد بن علوى المالكى من أن الأرواح جواة يمكن أن تخضر مجالس الخير ومشاهد النور والموالد بل المراد به بيان سرعة انتقال أرواح المؤمنين المولى من العرش إلى الثرى ثم انتقاها من الثرى إلى مكانتها كما بينه ابن القيم في نفس كتاب الروح ص ١٢٦ طبعة مجلس دائرة المعارف بعثير آباد الدكن الثالثة.

وأما ماروى عن سلمان الفارسي أنه قال «أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت» فقد فسره ابن القيم في ص ١٣٤ من كتاب الروح بمانصه (واما قول من قال إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت فهذا مروى عن سلمان الفارسي والبرزخ هو الحاجز بين شيئاً وકأن سلمان أراد بها في أرض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك تذهب حيث شاءت» قال «وهذا قول قوي فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلخ الآخرة بل هي في برزخ بينهما فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والتغيم وأرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالى (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة وأصله الحاجز بين الشيئين.

وأما تشبيه الشيخ محمد بن علوى النبي صلى الله عليه وسلم بربه عز وجل في كونه جليس من ذكره ومع من ذكره فمن باب الإطراء الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما اعتبار ذلك القيام الذى يقع عند ذكر وضع النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا في قصص المولد من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فقد جزم الشامى والميتمى والسيد رشيد رضا بأنه غير صحيح وأنه بدعة لا يعذر من يفعلها من الخواص وصرح الشيخ محمد بن الحسن الحجوى الشعابى بأنه حرام وفيما يلى نصوصهم:

قال الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامى في الجزء الأول من سيرته ص ٤١٥ (جرت عادة كثیر من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه صلى الله عليه وسلم أن يقوموا تعظيمًا له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها).

وقال ابن حجر الميتمى في (الفتاوى الحديثة) ص ٥٨ بقصد كلامه على الوثوب عند قراءة قول الله تعالى «أتى أمر الله» واعتباره إياه بدعة بعد زوال سبب الوثوب عند نزوله وهو الفزع الذى زال بنزول «فلا تستعجلوه» كما ذكره الواحدى

فلا ينبغي فعله بعد زواله لما فيه من إيهام العامة ندبه قال بعد استنكاره ذلك الوثوب مانصه (ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده صلى الله عليه وسلم ووضع أمه له من القيام وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيمًا له صلى الله عليه وسلم فالعوام معدورون لذلك بخلاف الخواص).

وقال السيد بشير رضا في جوابه عن تلقين العلوين في جاوه الناس أن من لم يقم أثناء حفلات المولد عند سماعه «مرحبا بالنبي» الخ فهو كافر قال في فتاويه ج ٥ ص ٢١١٣ مانصه (أما القيام عند ذكر وضع أمه صلى الله عليه وسلم وانشاد بعض الشعر أو الأغانى في ذلك فهو من جملة هذه البدع وقد صرخ بذلك الفقيه ابن حجر المكي الشافعى الذى يعتمد هؤلاء العلوين على كتبه في دينهم فقال عند ذكر الانكشار على من يقوم عند قراءة «أتى أمر الله فلا تستجعلوه» لما ورد في ذلك بسبب قد زال مانصه (ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده صلى الله عليه وسلم ووضع أمه له من القيام وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن العوام إنما يفعلون ذلك تعظيمًا له صلى الله عليه وسلم فالعوام لذلك معدورون بخلاف الخواص).

وقال الشيخ محمد بن الحسن الحجوى الشعابى الفاسى في كتابه «الفكر السامى في تاريخ الفقه الإسلامى ج ١ ص ٩٣ ط مكتبة النمنكانى في كلامه على الاستحسان (ومنه - أى من الاستحسان المحرم - أيضاً القيام عند ذكر الولادة النبوية مع ورود النص بل النصوص الصريحة بالنهى عنه انظر رسالتنا صفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد) ورسالتنا (الحق المبين في الرد على من رد عليها وهو صاحب حجة المندرين).

وأما قول الصرصرى في قصيده:
وأن ينهض الأشراف عند سماعه قياما صفووا أو جثيا على الركب
فليس بدليل شرعى على صنيع السبكي فضلاً عن قياس القيام أثناء قراءة بعض القصص التي تقرأ في الاحتفال بالمولد النبوى على قيام السبكي وليس الصرصرى من يؤخذ بقوله في مثل هذا وشعره يقع منه أحياناً ما لا يرضى كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكري حيث قال في التسوية في الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بين حياته وبين مماته ص ٢٥١ «هذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصرى ففى شعره قطعة منه والشيخ محمد بن النعمان كان له كتاب المستغيثين بالنبي صلى الله

عليه وسلم في اليقظة والمنام» ثم قال «وهو لاء — أى الضرر وابن النعمان ومن هذا حذوها — لم صلاح ودين لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس معهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغىث بشيخه في الشدائـد ويدعوه» ١٦ هـ. وأما قيام السبكي عند سماعه ذلك البيت من قبيل الغلو الذى وصل به إلى أن يقول ماورد في رسالته التي سماها التعظيم والمنة في «لتؤمن به ولتنصرنه» وهو أن الانبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نواب له بشرائطهم وأن ماجاء به كل نبي منهم إلى قومه هو شرع محمد صلى الله عليه وسلم لهم وقد عاب ذلك على السبكي وشنعه عليه الشهاب أحد الخفاجى المصرى في الجزء الأول من كتابه «نسم الرياض في شرح شفاء القاضى عياض ص ٢٤٣ فذكر أن الرسل والأنبياء الذين قبله غير مكلفين بأحكام شرعه والالم يكونوا أصحاب شرع وكتاب مستقل» وأن النصوص العقلية والتقلية ناطقة بخلاف ماقاله السبكي وذكر من تلك النصوص قول الله تعالى «إنا أوحينا إليك كما أو حينا إلى نوح والنبيين من بعده» وذكر ان في معناها آيات آخر وقال الخفاجى «إذا عرفت هذا فاعلم أن ماقاله السبكي رحمه الله تعالى واحتج به واستحسنـه هو ومن بعده من وقف عليه لا وجـه له عندـ من له بصـيرة نـقادـة» قال وكيف يتـأتـى مـاقـالـه مع قولـه تعـالـى «أـن اـتـبع مـلـة إـبرـاهـيم حـنـيفـا» فإـنه عـكـسـه).

ومن سبق الخفاجي إلى الرد على تلك الدعوى الإمام نقى الدين بن تيمية قال في رسالته (حقيقة مذهب الاتحاديين) أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية» ص ١٢٦ قال «إن الرسل ليس منهم من يأخذ من آخر الامن كان مأموراً باتباع شريعته كأنبياء بنى إسرائيل. والرسل الذين فيه الذين أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) الآية. وأما إبراهيم فلم يأخذ عن موسى وعيسى ونوح لم يأخذ عن إبراهيم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد وإن بشروا به وأمنوا به كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) الآية قال ابن عباس مابعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث لهم أحياً لينصرنه» ١٤٠ هـ.

هذا بعض ماتحتوى عليه القصص التي تقرأ في الاحتفالات باليوم الذى يقال
بأنه يوافق يوم المولد النبوى من المحاذير نقلناها عن أهل العلم الذين شاهدوها في

أزمنتهم وقد كان الشيخ محمد بن علوى المالكى على علم بكثير من ذلك الا أن علمه بذلك لم يجل بينه وبين أن يقول في تعليقه على مولد ابن الديبع الطبعة الأولى ص ١١-١٢ وفي مقدمته للمسورد الروى في المولد النبوى ص ١٤ وفي رسالته «حول الاحتفال بالمولود النبوى الشريف» ص ١٣-١٤ مانصه ان الله تعالى قال (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك) يظهر منه أن الحكمة في قص أنباء الرسل عليهم السلام تثبيت فؤاده الشريف بذلك ولاشك أنها اليوم تحتاج إلى تثبيت أفتدىنا بأنبائه وأخباره أشد من احتياجه هوصل الله عليه وسلم» وهذا غريب من ابن علوى فإن ما كان من قصص الموالد محتويا على ما بيناه فيما تقدم من المحاذير لا يحصل به تثبيت أفتدة المحظيين بالمولود فقياسه على ماقصه الله على نبيه صلى الله عليه وسلم من أنباء الرسل قياس باطل وقد أجاد أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى في ايضاح الحكمة في قص الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ماقصه عليه من أنباء الرسل حيث قال مانصه: (في الحكمة في قص الله تعالى على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الأنبياء الماضين والأمم السالفيين أمور: منها إظهار نبوته والاستدلال بذكرها على رسالته لأنه صلى الله عليه وسلم كان أميالاً مختلفاً إلى مؤدب ولامعلم ولافارق وطنه مدة يمكنه الانقطاع فيها إلى عالم يأخذ ذلك عنه فإذا علم بها وتدارك العاقل من قومه ذلك علم أنه بحوى من الله سبحانه وتعالى فامن به وصدقه وكان ذلك من المعجزات الدالة على صحة نبوته وقد ينكر ويجد حسداً وعناداً، ومنها التأسي بهم فيما اثنى الله عليهم به والانتهاء عن ضده، ومنها التثبيت له والاعلام بشرفه وشرف أمه حيث عوف وأمه من كثير ما امتحن به من قبلهم وخفف عنهم في الشائع وخصوصاً بكرامات انفردوا بها عنهم وقد قيل في قوله تعالى (واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) إن الظاهرة تخفيف الشائع والباطنة تضييف الصنائع، ومنها التهذيب والتأنيد كما أشار إليه تعالى في قوله (آيات للسائلين) وعبرة لأولي الالباب، وموعضة للمتقين، ولذا كان الشبل يقول فيها اشتغل العامة بذكر القصص والخاصة باعتبار من القصص ومنها الاحياء لذكرهم وآثارهم ليكون للمحسن سبباً للاجتهداد في العمل رجاء تعجيل ثوابه وبقاء لذكره وآثاره الحسنة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام إذ قال «واجعل لى لسان صدق في الآخرين» نقل هذا كله السخاوي في الاعلان بالتوبیخ لمن ذم التاريخ ص ١٦-١٧ ط مطبعة الترقى بدمشق عن إبى إسحاق الثعلبى.

خاتمة في ذكر قواعد
لابد من يريد الحق من الإنذار ها
القاعدة الأولى في بيان ان صاحب
البدعة لابد له من تأويل

ان صاحب البدعة يتضور أن يكون عالما بكونها بدعة وأن يكون غير عالم بذلك وغير العالم بكونها بدعة على ضربين وهم المجهود في استبطاطها وتشريعها والمقلد له فيها وعلى كل تقدير فالتأويل يصاحبها ولا يفارقها وإذا حكمنا له بحكم الإسلام لأنه مصادم للشارع مراغم للشرع بالزيادة فيه أو النقصان منه أو التحريف له فلا بد له من تأويل كقوله «هي بدعة ولكنها مستحسنة» أو يقول «إنها بدعة ولكنني رأيت فلانا الفاضل يعمل بها» أو يقربها ولكنها يفعلها لحظ عاجل كفاعل الذنب لقضاء حظه العاجل خوفا على حظه أو فراراً من خوف على حظه أو فرارا من الاعتراض عليه في اتباع السنة كما هو الشأن اليوم في كثير من يشار إليه وما أشبه ذلك. وأما غير العالم وهو الواضع لها فإنه لا يمكن أن يعتقد أنها بدعة بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات كقول من جعل يوم الاثنين يصادم لأنه يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم وجعل الثاني عشر من ربيع الأول ملحقا بأيام الأعياد لأنه عليه السلام ولد فيه وكمن عد السمع والغناء مما يتقرب به إلى الله بناء على أنه يجلب الأحوال السننية أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات دائمًا بناء على ماجاء في ذلك حالة الوحدة أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر في زعمه سنة محمد صلى الله عليه وسلم فلما قيل له إنك تكذب عليه وقد قال «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» قال لم أكذب عليه وإنما كذبت له. أو نقص منها تأول ولا عليها لقوله تعالى في ذم الكفار «إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا» فأسقط اعتبار الأحاديث المنشورة بالأحاديث وما أشبهه لأن خبر الواحد ظن وهذا كله من قبيل التأويل وأما المقلد فكذلك أيضا لأنه يقول فلان المقتدى به يعمل بهذا العمل ويثنى كاتخاذ الغناء جزءا من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه ومنهم من مات بسيبه وكتمزيق الشياب عند التواجد بالرقص وسواء لأنهم قد فعلوه وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتسبين إلى التصوف وربما احتجوا على بدعهم بالجند والبساطامي والشيب وغيرهم فيما صبح عندهم أو لم يصبح ويترون أن يحتاجوا بسنة رسول الله وهي التي لا شائبة فيها إذا نقلها العدول وفسرها أهلها المكثون على فهمها وتعلموا ولكل منهم مع ذلك لا يقررون بالخلاف للسنة بحثا بل يدخلون تحت أذيال التأويل اذ لا يرضي منتم إلى الإسلام

بابداء صفة للخلاف للسنة أصلًا».
ذكر هذه القاعدة الشاطبى في الجزء الثاني من الاعتصام ص ٥٤—٥٥:

القاعدة الثانية في أن اعتبار فعل
بعض المشايخ حجة على ما تقرر في
الشريعة هو الذي أفسد الكثير من الناس

إن اعتبار فعل المشايخ حجة على ما تقرر في شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الذي أفسد أحوال بعض الناس فتجدهم يعمل البدعة ويتهانون بها فتنهاه عن ذلك أو ترشهده إلى الترک فيستدل على أن ذلك هو السنة وأن ذلك ليس بمكروه بكونه رأي شيخه ومن يعتقده يفعل ذلك فيقول كيف يكون مكروها أو بدعة وقد كان سيدى فلان يعملها فيستدل بفعل سلفه وخلفه وشيخه على جواز تلك البدعة وأنها مشروعة فصار فعل المشايخ حجة على ما تقرر بأيدينا من أمر الشريعة وليسوا بعاصومين ولا من شهد لهم صاحب العصمة صلوات الله عليه وسلم وهذا أمر قد اتفقت الأمة على أنه مردود إذ إن ذلك لو جاز لوقع الخلل في الشريعة بسببه فأى من استحسن شيئاً وفعله وأى من كره شيئاً وتركه يقع الاقتداء به فيكون ذلك نقصاً معاذ الله. ولو كان ذلك كذلك لم يبق بأيدينا اليوم شيء من أمر هذه الشريعة المحمدية. وقد عصم الله هذه الملة والحمد لله من التبدل فكل من أتى بشيء مخالف لما كان عليه متقدمو هذه الأمة وسلفها فهو مردود عليه محجوج بفعلهم وما نقل عنهم. ذكر ذلك ابن الحاج في المدخل ج ١ ص ٩٤-٩٥ وهذا هو الذي أذهب شريعة عيسى عليه السلام : أعني التقليد لأصحابهم ورهبانهم دون دليل يدهم على ذلك حتى صار أمرهم أنه في كل جمعة من الأحد إلى الأحد يجدد لهم القسيس شريعة جديدة بحسب ما يراه لهم من المصلحة في وقته على ما يقتضيه نظره وتسديده على زعمه فتجدهم يخرجون من كنائسهم وهم يقولون لقد جدد اليوم شريعة مليحة وقد عصم الله والحمد لله هذه الشريعة فالحذر الحذر من هذا الداء العضال فإنه سُم قاتل مغفول عنه وقل من يسلم منه إلا من كان مراقباً لهم في أفعالهم وأقوالهم يزدحها على أفعال السلف على ما تقدم أعني أنه لا يفعل ذلك حتى لا يقتدى من أفعالهم إلا بما كان منها على سبيل الاقتداء بالمتقدمين إن كان من أهل العلم والا فالسؤال من العلماء المتبعين منهم في أفعالهم يعلم ذلك ويتبيّن له . وأما إن نظر إلى أفعالهم وزنها بغرض غير هذا فلا ينبغي ذلك لأنه من باب التشاغل بعيوب الناس والبحث عن مثالبهم وذلك منهى عنه .

القاعدة الثالثة في الحض على الحق وعدم الاستيحاش من قلة أهله

إن الاستيحاش من الوحدة وقول أين ذهب الناس فل بهم أسوة هو الذي أفسد حال أكثر الخلق وهو الذي أهلكهم فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ففرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب ولقد سئل إسحاق بن راهويه عن مسألة فأجاب عنها فقيل له إن أخاك أحمد بن حنبل يقول فيها بمثل ذلك فقال: ما ظننت أن أحداً يوافقني عليها ولم يستوحش بعد ظهور الصواب له من عدم الموافقة فإن الحق إذا لاح وتبين لم يحتاج إلى شاهد يشهد به والقلب يبصر الحق كما تبصر العين الشمس فإذا رأى الرائي الشمس لم يحتاج في علمه بها واعتقاده أنها طالعة إلى من يشهد بذلك ويوافقه عليه وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب الحوادث والبدع حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمزاد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه. ولانظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم قال عمرو بن ميمون الأول ودى صحبت معاذًا باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فسمعته يقول عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول سيل عليكم ولاة يؤخرن الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لم يقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة قال قلت يا أصحاب محمد ما أدرى ما تحدثنا قال وماذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدرى ما الجماعة؟ قلت لا قال إن جهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة موافق الحق وإن كنت وحدك. وفي طريق أخرى فضرب على فخذى وقال ويحك إن جهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة موافق طاعة الله عزوجل قال نعيم بن حماد يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ ذكره البيهقي وغيره وقال أبو شامة عن مبارك عن الحسن البصري قال: السنة والذى لا إله إلا هoin الغالى والجافى فاصبروا عليها رحمة الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقى الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف فى اترافهم ولا مع أهل

البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله فكُونوا. وكان محمد بن أسلم الطوسي الإمام المتفق على إمامته مع رتبته أربعين الناس للسنة في زمانه حتى قال مابلغني سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملت بها ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك فسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذي جاء فيهم الحديث «إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم فقال محمد بن أسلم الطوسي هو السواد الأعظم وصدق والله فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها فهو الحجة وهو الاجماع وهو السواد الأعظم وهو سبيل المؤمنين التي من فارقها واتبع سوها ولاه الله ماتولى وأصلاحه جهنم وساعت مصيرا» ذكر هذه القاعدة الإمام ابن القيم في الباب العاشر في علامات مرض القلب وصحته من «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» ص ٣٨-٣٩ وقال في «مفتاح دار السعادة» ج ١ ص ١٤٧ مانصه (إياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون فانهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عدداً والناس على خلافهم فاعلم أن هؤلاء - أى الذين هم على الحق - هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس فما الناس الا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عدداً قال ابن مسعود «لایکن أحدکم إمعة يقول أنا مع الناس ليوطن أحدکم نفسه على أن يؤمن ولو كفر الناس وقد ذم سبحانه الأكثرين في غير موضع قوله (وَإِنْ تَطْعُمْ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وقال (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ لَوْحَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ) وقال «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ شَكُورٌ» وقال «وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخَلَاطِاءِ لَيَبْغِي بِعَضُّهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آتَمُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَاهِمْ) وقال بعض العارفين انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب.

مت بدء الموى والا فخاطر واطرق الحى والعيون نواظر
لاخف وحشة الطريق إذا سرت وكن في خفارة الحق سائر
وقال في الجزء الثالث من «إعلام الموقعين» ص ٣٩٧-٣٩٨ (اعلم أن الاجاع
والحججة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالقه أهل الأرض
قال عمرو بن ميمون الأودي صحبت معاذًا باليمن فما فارقته حتى واريتها في التراب
بالشام ثم صحبت من بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة
فإن يد الله مع الجماعة ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سيول عليكم ولاة يؤخرون
الصلوة عن مواقيتها فصلوا الصلاة ليقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة قال
قلت: يا أصحاب محمد ما تحدثون، قال : وما ذاك قلت تأمنني بالجماعة وتحضني
عليها ثم تقول لي : صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال:
يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية أتدرى ما الجماعة؟ قلت: لا،

قال : إن جهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة ، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك وفي لفظ آخر : فضرب على فحدي وقال : ويحك إن جهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى . وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حيثنـذ ذكرها البيهـقـي وغيرـهـ . وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم فقال أتدرى ما السواد الأعظم ؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجـةـ والجماعـةـ هـمـ الجـمـهـورـ وـجـعـلـوـهـمـ عـيـارـاـ عـلـىـ السـنـةـ وـجـعـلـوـاـ السـنـةـ بـدـعـةـ وـالـمـعـرـفـ منـكـراـ لـقـلـةـ أـهـلـهـ وـتـفـرـدـهـمـ فـيـ الـأـعـصـارـ وـالـأـمـصـارـ وـقـالـوـاـ مـنـ شـذـ شـذـ بـهـ فـيـ النـارـ . وـمـاعـرـفـ الـمـخـتـلـفـونـ أـنـ الشـاذـ مـاـ خـالـفـ الـحـقـ وـإـنـ كـانـ النـاسـ كـلـهـمـ عـلـيـهـ إـلاـ وـاحـدـاـ مـنـهـمـ فـهـمـ الشـاذـوـنـ وـقـدـ شـذـ النـاسـ كـلـهـمـ زـمـنـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ إـلـاـنـفـرـاـ يـسـيرـاـ فـكـانـوـاـ هـمـ الـجـمـاعـةـ . وـكـانـ الـقـضـاةـ حـيـثـنـذـ وـالـمـفـتـونـ وـالـخـلـيـفـةـ وـاتـبـاعـهـ كـلـهـمـ هـمـ الشـاذـوـنـ وـكـانـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ وـحـدـهـ هـوـ الـجـمـاعـةـ . وـلـمـ يـتـحـمـلـ هـذـاـ عـقـولـ النـاسـ قـالـوـاـ لـلـخـلـيـفـةـ يـأـمـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ أـتـكـونـ أـنـتـ وـقـضـاتـكـ وـوـلـاتـكـ وـالـفـقـهـاءـ وـالـمـفـتـونـ كـلـهـمـ عـلـىـ الـبـاطـلـ وـأـحـمـدـ وـحـدـهـ هـوـ عـلـىـ الـحـقـ فـلـمـ يـتـسـعـ عـلـمـهـ لـذـلـكـ فـأـخـذـهـ بـالـسـيـاطـ وـالـعـقـوبـةـ بـعـدـ الـجـبـسـ الـطـوـيلـ ، فـلـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ مـاـ أـشـبـهـ الـلـيـلـةـ بـالـبـارـحةـ وـهـىـ السـبـيلـ الـمـهـيـعـ لـأـهـلـ الـسـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ حـتـىـ يـلـقـاـ رـبـهـمـ مـضـىـ عـلـيـهـ سـلـفـهـمـ وـيـنـتـظـرـهـاـ خـلـفـهـمـ «ـمـنـ الـمـؤـمـنـيـنـ رـجـالـ صـدـقـواـ مـاـ عـاهـدـواـ اللـهـ عـلـيـهـ فـمـنـهـمـ مـنـ قـضـىـ نـجـبـهـ وـمـنـهـمـ مـنـ يـنـتـظـرـ وـمـاـبـدـلـواـ تـبـدـلـاـ»ـ وـلـأـحـوـلـ وـلـاقـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ عـلـىـ الـعـظـيمـ»ـ ١٠ـهــ ، كـلـامـ اـبـنـ الـقـيـمـ وـذـكـرـ الشـاطـبـيـ فـيـ الـجـزـءـ الـأـوـلـ مـنـ الـاعـتـصـامـ صـ ٢٩٣ـ ـ ٢٩٤ـ أـنـ الـمـرـادـ بـالـجـمـاعـةـ الـأـمـمـوـرـ بـاتـبـاعـهـ فـيـ الـحـدـيـثـ الـمـبـعـدـ لـلـسـنـةـ وـإـنـ كـانـ رـجـلـاـ وـاحـدـاـ فـيـ الـعـالـمـ ثـمـ قـالـ «ـقـالـ بـعـضـ الـخـاتـمـةـ لـأـتـعـبـاـ بـاـ يـعـرـضـ مـنـ الـمـسـائـلـ وـيـدـعـىـ فـيـهـاـ الصـحـةـ بـمـجـرـدـ التـهـويـلـ أـوـ بـدـعـوىـ أـنـ لـاـ خـلـافـ فـيـ ذـلـكـ وـقـائـلـ ذـلـكـ لـاـ يـعـلـمـ أـحـدـاـ قـالـ فـيـهـاـ بـالـصـحـةـ فـضـلـاـ عـنـ نـفـيـ الـخـلـافـ فـيـهـاـ وـلـيـسـ الـحـكـمـ فـيـهـاـ مـنـ الـجـلـيـلـاتـ الـتـيـ لـاـ يـعـذرـ الـخـالـفـ فـيـهـاـ»ـ قـالـ وـفـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـسـائـلـ قـالـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ : مـنـ اـدـعـىـ الـاجـاعـ فـهـوـ كـاذـبـ وـإـنـاـ هـذـهـ دـعـوىـ كـثـيرـ وـابـنـ عـلـيـهـ يـرـيدـونـ أـنـ يـطـلـلـوـنـ الـسـنـنـ بـذـلـكـ يـعـنـيـ أـحـدـ الـجـمـاعـ فـهـوـ كـاذـبـ وـإـنـاـ هـذـهـ دـعـوىـ كـثـيرـ وـابـنـ عـلـيـهـ يـرـيدـونـ أـنـ يـطـلـلـوـنـ الـسـنـنـ بـذـلـكـ يـعـنـيـ أـحـدـ الـجـمـاعـ الـمـتـكـلـمـيـنـ فـيـ الـفـقـهـ عـلـىـ أـهـلـ الـبـدـعـ إـذـاـ نـاظـرـتـهـمـ بـالـسـنـنـ وـالـآـثـارـ قـالـوـاـ هـذـاـ خـلـافـ الـاجـاعـ وـذـلـكـ الـقـوـلـ الـذـيـ يـخـالـفـ ذـلـكـ الـحـدـيـثـ لـاـ يـحـفـظـوـنـهـ إـلـاـ عـنـ بـعـضـ فـقـهـاءـ الـمـدـيـنـةـ أـوـ فـقـهـاءـ الـكـوـفـةـ مـثـلـاـ فـيـدـعـونـ الـاجـاعـ مـنـ قـلـةـ مـعـرـفـهـمـ بـأـقـاوـيلـ الـعـلـمـاءـ وـاجـتـرـائـهـمـ عـلـىـ رـدـ الـسـنـنـ بـالـآـرـاءـ حـتـىـ كـانـ بـعـضـهـمـ تـسـرـدـ عـلـيـهـ الـأـحـادـيـثـ الصـحـيـحةـ فـيـ خـيـارـ الـمـجـلـسـ وـنـحوـهـ مـنـ الـأـحـكـامـ فـلـاـ يـجـدـ هـاـ مـعـتـصـماـ إـلـاـ أـنـ يـقـولـ هـذـاـ لـمـ يـقـلـ بـهـ أـحـدـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـهـوـلـاـ يـعـرـفـ إـلـاـ أـنـ أـبـاـ حـنـيـفـةـ أـوـ مـالـكـاـ لـمـ يـقـلـ بـذـلـكـ وـلـوـ كـانـ لـهـ عـلـمـ لـرـأـيـ مـنـ الـصـحـابـةـ وـالـتـابـعـيـنـ وـتـابـعـيـهـمـ

من قال بذلك خلقا كثيرا ففي هذا الكلام ارشاد لمعنى مانحن فيه وأنه لاينبغى أن ينقل حكم شرعى عن أحد من أهل العلم الا بعد تتحققه والثبت لأنه مخبر عن حكم الله فاياكم والتساهل فإنه مظنة الخروج عن الطريق الواضح إلى البنيات ، وقال في الجزء الثاني من «الاعتصام» ص ٢٣٠ (روى أبو نعيم عن محمد بن القاسم الطوسي قال سمعت إسحاق بن راهويه وذكر في حديث رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلاله فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسود الأعظم» فقال رجل يأبى يعقوب من السواد الأعظم؟ فقال: محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه ومن تبعهم ثم قال سأل رجل ابن المبارك: من السواد الأعظم قال : أبو حزنة السكري ثم قال إسحاق في ذلك الزمان يعني أبا حزنة وفي زماننا محمد بن أسلم ومن تبعه ثم قال إسحاق لو سألت الجهال عن السواد الأعظم لقالوا: جماعة الناس ولا يعلمون الجماعة عالم متمسك بأثر النبي صلى الله عليه وسلم وطريقه فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة ثم قال إسحاق لم أسمع عالماً من ذخرين سنة كان أشد تمسكاً بأثر النبي صلى الله عليه وسلم من محمد بن أسلم «قال الشاطبي بعد ذكر هذا من طريق أبي نعيم «فانظر في حكايته تبين غلط من ظن أن الجماعة هي جماعة الناس وإن لم يكن فيهم عالم وهو وهم العوام لافهم العلماء فليثبت الموقف في هذه المزلة قدمه لكي لا يصل عن سواء السبيل ولا توفيق إلا بالله».

القاعدة الرابعة في ايضاح ماتطلق عليه لفظة (السنة)

يطلق لفظ (السنة) على ماجاء منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام كان بياناً لما في الكتاب أولاً ويطلق أيضاً في مقابلة البدعة فيقال فلان على سنة إذا عمل على وفق ما عامل عليه النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولاً، ويقال: فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك وكان هذا الاطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة فأطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة وإن كان العمل بمقتضى الكتاب. ويطلق أيضاً لفظ «(السنة)» على ما عامل عليه الصحابة وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد^(١) لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل الياناً أو اجتهاضاً مجتمعاً عليهم منهم أو من خلفائهم فإن اجماعهم إجماع. وعمل خلفائهم راجع أيضاً إلى حقيقة الاجماع من جهة حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحي عندهم فيدخل تحت هذا الاطلاق المصالح المرسلة والاستحسان كُما فعلوا في حد الخمر وتضمين الصناع وجع المصاحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة وتدوين الدواوين وما أشبه ذلك ويدل على هذا الاطلاق قوله عليه الصلاة والسلام «عليكم بستني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» وإذا جمع ماتقدم تحصل منه في الاطلاق أربعة أوجه قوله عليه الصلاة والسلام وفعله وأقراره وكل ذلك إما متلقى بالوحى أو بالاجتهداد بناءً على صحة الاجتهداد في حقه وهذه ثلاثة والرابع ماجاء عن الصحابة أو الخلفاء. وهو وإن كان ينقسم إلى القول والفعل والأقرار ولكن عد وجهاً واحداً إذ لم يفصل الأمر فيما جاء عن الصحابة تفصيل ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم».

ذكر هذا كله الشاطبي في الجزء الرابع من «المواقفات» ص ٣-٧ ويبين مراده بقوله «يدل على هذا الاطلاق قوله عليه الصلاة والسلام (عليكم بستني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) بيئته قوله في الجزء الأول من «الاعتراض» ص ١٤٦ بقصد الكلام على عمل الخلفاء الراشدين بالمصالح المرسلة مانصه (وفي الصحيح قوله

(١) أي سواء عثرنا عليه في السنة أو لم نعثر عليه فيها لقول الشاطبي بعد ذلك «لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم».

صلى الله عليه وسلم «عليكم بستى وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين تمسكوا بها
وعضوا عليها بالتواجذ واياكم ومحدثات الأمور» فأعطي الحديث كما ترى أن ماسنه
الخلفاء الراشدون لاحق بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ماسنوه لا يعدو أحد
أمرىء إما أن يكون مقصوداً بدليل شرعى فذلك سنة لابدعة وإما بغير دليل ومعاذ الله
من ذلك ولكن هذا الحديث دليل على اثباته سنة إذ قد اثبته كذلك صاحب الشريعة صل
الله عليه وسلم فدليله من الشرع ثابت فليس ببدعة ولذلك أردد اتباعهم بالنهى عن البدع
بإطلاق ولو كان عملهم ذلك ببدعة لوقع في الحديث التدافع».

القاعدة الخامسة

في أن من الكلمات ماهو من جيوش الباطل
والتحذير من الانقياد إلى ما كان منها كذلك

قال الشيخ محمد عبده في تفسير قول الله تعالى «ولئن اتبعت أهواهم بعد ماجاءك من العلم إنك إذا من الظالمين، قال «نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين ولا نزد جر عن اتباع أهواء الناس وبماراتهم على بدعهم وضلالتهم حتى إنك ترى الذين يشكرون من هذه البدع والأهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجرون أهلها عليها ويعازجونهم فيها وإذا قيل لهم في ذلك قالوا ماذا نعمل ما في اليد حيلة العامة عمى ، آخر زمان وأمثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل تؤيده وتقنه في الأرض حتى يجل بأهله البلاء ويكونوا من الم HALKIN» وقد علق السيد رشيد رضا في تفسير النار» ج ٢ ص ١٨-١٩ تعليقاً جيداً على كلام شيخه هذا فقال «وأعجب من هذا الذي ذكره الإمام – أى الشيخ محمد عبده – أنك ترى هؤلاء المعرفين بهذه البدع والأهواء ينكرون على منكرها ويسفهون رأيه ويدعونه عابشاً أو معنوياً إذ يحاول مala فائدة فيه عندهم فهم يعرفون المنكر وينكرون المعروف ويدعون مع ذلك أنهم على شيء من العلم والدين. وأعجب من هذا الأعجب أن منهم من يرى أن إزالة هذه المنكرات والبدع ومقاومة هذه الأهواء والفتن جنائية على الدين ويحتاج على هذا بأن العامة تمحسبيها من الدين فإذا أنكرها العلماء عليهم تزول ثقتهم بالدين كله لابها خاصة وبأنها لا تخلو من خير يقارنها كالذكر الذي يكون في الموسام والاحتفالات التي تسمى بالموالد وكلها بدع ومنكرات حتى إن الذكر الذي يكون فيها ليس من المعروف في الشرع. والسبب الصحيح في هذا كله هو محاولة إرضاء الناس بمجاراتهم على أهواهم وتأويلها لهم ولو لا ذلك لما سكت العالمون بكونها بدعاً ومنكرات عليها. إنهم إنما سكتوا بالشمن «اشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً» وهم مع ذلك يظهرون التعجب من جحود أهل الكتاب للنبي والقرآن وما كانوا أشد منهم جحوداً ولا أقوى جوداً».

القاعدة السادسة

في التحذير من وضع العوائد موضع السنن

قل أن يظهر الحق مع العوائد الابتأيد وتوفيق من الله سبحانه وتعالى ولاجل العوائد وماألفت النفوس منها أنكرت قريش على النبي صل الله عليه وسلم ماجاء به من الهدى والبيان وكان ذلك سببا لکفرهم وطغيانهم وعنادهم بقولهم إن هذا إلأسحر مبين سحر مستمر سحر يوثر أن امشوا واصبروا على آمنتكم أجعل الآلة اهـ واحدا ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هـ الا حياتنا الدنيا إلى غير ذلك من الالفاظ التي كفروا بها بسبب ماتربوا عليه ونشـوا فيه فالخذر الخذر من هذا السـم فإنه قاتل ومل مع الحق حيث كان وكن متـيقظا لخلاص مهـجتك بالاتـبع وترك الابتـداع واقـبل نصـيحة أخـ مشـفـق فإن الاتـبع أفضـل عمل يعـمله المـرأـ في هـذا الزـمان والله يوفـقـنا واياـكـ لما يـرضـاهـ بـمنـهـ فـانـهـ القـادـرـ عـلـيـهـ ذـكـرـ هـذاـ اـبـنـ الحاجـ فيـ جـ ٢ـ منـ «ـالمـدـخـلـ» صـ ٢٦٣ــ ٢٦٢ـ وـذـكـرـ فيـ الجـزـءـ الثـالـثـ منهـ صـ ٩٨ــ ٩٧ـ أـنـ النـفـوسـ تـمـيلـ غالـباـ إـلـىـ مـاـيـكـثـ تـرـدـادـهـ عـلـيـهـ ثـمـ قـالـ «ـوـمـنـ هـاـهـنـاـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ كـثـرـ التـخـلـيطـ عـلـىـ بـعـضـ النـاسـ فـإـنـ هـذـاـ الزـمـانـ لـجـاـوـرـتـهـمـ وـخـالـطـتـهـمـ لـقـبـطـ النـصـارـىـ مـعـ قـلـةـ الـعـلـمـ وـالـتـعـلـمـ فـيـ الـغـالـبـ فـأـنـسـتـ نـفـوسـهـمـ بـعـوـائـدـ مـوـضـعـ السـنـنـ حـتـىـ إـنـكـ إـذـ قـلـتـ لـبـعـضـهـمـ الـيـوـمـ السـنـنـ كـذـاـ يـكـونـ جـوـابـهـ لـكـ عـلـىـ الـفـورـ عـادـهـ النـاسـ كـذـاـ وـطـرـيـقـةـ المـشـاـيخـ كـذـاـ فـإـنـ طـالـبـتـهـ بـالـدـلـيـلـ الشـرـعـيـ لـمـ يـقـدـرـ عـلـىـ ذـكـ إـلـاـ أـنـ يـقـولـ نـشـأـتـ عـلـىـ هـذـاـ وـكـانـ وـالـدـىـ وـجـدـىـ وـشـيـخـىـ وـكـلـ مـنـ أـعـرـفـهـ عـلـىـ هـذـاـ النـهـاـجـ وـلـيـكـنـ فـيـ حـقـهـمـ أـنـ يـرـتـكـبـاـ الـبـاطـلـ أـوـ بـخـالـفـوـ السـنـنـ فـيـشـنـعـ عـلـىـ مـنـ يـأـمـرـهـ بـالـسـنـنـ وـيـقـولـ لـهـ مـاـأـنـتـ أـعـرـفـ بـالـسـنـنـ مـنـ أـدـرـكـتـهـمـ مـنـ هـذـاـ الجـمـ الغـفـيرـ وـقـدـ تـقـدـمـ إـنـكـارـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ الـإـمـامـ مـالـكـ رـحـمـهـ اللـهـ فـيـ أـخـذـهـ بـعـمـلـ عـلـمـاءـ الـمـدـيـنـةـ عـلـىـ سـاـكـنـهـاـ أـفـضـلـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ فـكـيفـ يـجـتـجـ هـذـاـ الـمـسـكـينـ بـعـمـلـ أـهـلـ الـقـرـنـ السـابـعـ مـعـ خـالـطـتـهـمـ لـغـيرـ جـنـسـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ الـقـبـطـ وـالـأـعـاجـمـ وـغـيرـهـاـ نـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ الضـلـالـ.

القاعدة السابعة في أن سكوت
العلماء عن الأفعال التي لا تليق
يؤدي إلى انقلاب الحقائق

لاشك في أن سكوت بعض العلماء عن الأفعال التي لا تليق يؤدي إلى انقلاب الحقائق إذ إن مرتكيها لو ارتكبوا وهم يعتقدون أنها بدعة لرجحت لهم التوبة والاقلاع ولكن زادوا على ذلك اعتقادهم أن فعل ذلك من إظهار شعائر الإسلام وإذا تقرر هذا عندهم فلا يتوب أحد من إظهار الشعائر وفعلها ذكر ذلك ابن الحاج في الجزء الثاني من «المدخل» ص ٣١٣ بقصد كلامه على ما يرتكب من البدع في ليلة الختم من رمضان حتى في وقت الصلاة قال «فمن أراد السلامة من هذا الأمر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع جهده فإن عدم الاستطاعة فلا يصلح فيه — أي في ذلك الموضع الذي ترتكب فيه البدع — تلك الليلة لأن بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون حجة إن كان قدوة للقوم بأن ذلك جائز غير مكروه لقول من يقول: قد كان سيدى فلان يحضره ولا يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولارضى به وهذا الحالة هذه زيادة في الدين وهي مسألة معضلة إذ إن إثم ذلك كله على من فعله أو أمر به أو استحسنه أو رضى به أو أعان عليه بشيء ما أو قدر على تغييره بشروطه فلم يفعل وكذلك الحكم في كل شيء أحدث في الدين فليجتنب هذا جهده والله الموفق.

القاعدة الثامنة
في أن كلام من يحاول اظهار بدعة
دائما يكون متناقضا

جرت سنة الله عز وجل فيمن يحاول إخاد سنة وإظهار بدعة أن كلامه يكون متناقضاً متبينا فالرد عليه من كلامه فكفى الغير مؤنة ذلك إذ ان الحق واحد لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص قال الله سبحانه في كتابه العزيز (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) ذكر هذه القاعدة ابن الحاج في الجزء الرابع من «المدخل» ص ٢٦٢ وهي واضحة غایة الوضوح في كتابات الشيخ محمد بن علوی في المولد فانها كثيرة التناقض وشديدة الاضطراب.

انتهت هذه القواعد التي لابد من يريد الحق من الانتباه لها وبانتهاها انتهى هذا الرد والله أعلم أن أكون موفقاً فيه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اسماعيل بن محمد الانصارى

رقم الإيداع: ١٦/٠٦٥٤



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٩٨٣ - ٤٨٢٤٨٦٥